

وفي ليلة من ليالي من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ

البيان

١٣١٥

في شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـ

قال عليه الصلاة والسلام: ان للانبياء صوى (ومثرا) كمنار الطريق

مصر، سلخ ربيع الاول ١٣٣٩ - ١٨ القوس (خ ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ١٠ اديسبر ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والمشرور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدتك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، لا نحمي ثناء عليك، أنت كما أئذيت على نفسك، فنحمدك بما حمدت به نفسك في كتابك بمونصلي ونسلم على أنبيائك ورسلك: (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)، ونحياه المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رساله محمد المصطفى، وآله المطهرين وأصحابه الحننا، وعلى من اتبع هديهم واقتفى، (وهو الله لا إله الا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدّرتَ فهديت ،
 وانتمتَ فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا تنوط
 مع رحمتك ولا بأس ، فاسألك من رحمتك العاة للعالمين ، ومن رحمتك
 الخاصة للمسلمين ، ووقفني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ،
 النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمرائها ،
 وقادتها وزعماءها ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور والفائض
 من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شماعه على الخلق بسنتك في سير
 البشر وانظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين ، مضية للدين والدنيا ،
 وان التورور بالدنيا مهلكة للمزوررين ، وان سنة الله تعالى في رد الفعل الى
 سواء الصراط ، يتعاقب في سهيله التفریط والافراط ، (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سُبْرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَمَرُّوْنَ بِهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أرىتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق
 ما يقين به الحق ، لمن زك فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا
 لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وإيمان ، كما وفقت
 لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لتكون كما كانوا من الأئمة
 الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين
 نوفل برفق فلا نفلو غلو المغزورين ، واذا حكمنا بين الناس بحكم العدل فلا
 نملو هلو الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحلت لنا من الزينة والطيبات من
 الرزق تتصرف تصرف الشاكرين ، فلا نتأثر بالنعمة أثرة المسرفين ،
 الذين يفسدون في الارض ولا يصالحون ، (يَمْزِقُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ فَمِنْ
 بَيْنِكُمْ مَن كَفَرُوا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبمحمدك ، أريتنا آياتك فإن جهلنا أرقام فقد
عرفنا ما وما نحن لها بجاحدين ، وعرفتنا نعمتك فإن يكذبها الاكثرون
فما نحن بها بكافرين ، وقد أزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ،
وبالمترفين المسرفين ؛ وبمن ذل لكبرياتهم ودان لطغيانهم من الجاهلين
المفرطين ؛ فاجعل اللهم ذلك عبرة وهوعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل
السفهاء منا ، وارفع اللهم مقنك وغضبك عنا ؛ فقد آن أن يستدير الزمان ،
ويجهد في عجز القرآن ، فيتوب الفاسقون ، ويوقن المرتابون ، ويؤمن
الجاحدون (الم) ، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم
بيئطيلون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
وعند الله لا يخلف الله وعده وليكن أكثر الناس لا يعلمون .
يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

سبحانك اللهم وبمحمدك . أريتنا من جهل أعم الناس بشؤون
خلقك ، ما أفتت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد
غلبت الروم الذين كانوا يمدون الخطر الأكبر على الاسلام ، كما غلبت
الروم في عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب
الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية ، ثم
ظهر جهل أعم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ،
وظهر جهل أعم الامم بشؤون الادارة والاستعمار فكانوا من الخائبين (ثم كان
عاقبة الذين أساؤا السوء أي أن كذبوا بآيات الله وكانوا يستهزئون)
سبحانك اللهم وبمحمدك أنت الواحد القهار ، مكور النهار على الليل

ومكثور الليل على النهار ، الكبرياء رداؤك ، والمظمة إزارك ، من
 نازحك فيما قصمته ، وقد صرفت عن آياتك الذين يتكبرون في الارض
 بغير الحق ، مقترين بما استدرجتهم به من شدة القوة وسعة الرزق ، فلم
 يعتبروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتمظوا بما أنزلت
 من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ،
 واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ،
 وتبرك أيام سلاما ورحمة لجميع العالمين ، يملوها الحق على الباطل ، ويقضي
 بها العدل على الظلم ، وخب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف
 والاثرة والامتكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين ،
 وطفيز الرؤساء الجبارين ، الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها
 الفساد ، واستكبروا على العباد فاستعبدوا الجماعات والشعوب للافراد ،
 (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتهم نائمون ؟ أو أمن أهل
 القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي وهم يلعبون ؟ أفأمنوا بذكر الله فلا
 يؤمن بذكر الله إلا القوم الظالمون . أو لم يهد للذين يريون الأرض
 من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
 فهم لا يسمعون) ؟

لقد انذرنا أكار الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين ، أن ترك تنفيذ
 قواعد العدل العام وحرية الامم لا بد لها من احدي العاقبتين ، بقولنا: إن
 لا تفعلوه تكن فتنه في الارض وفساد كبير ، واثقلا بباشفي شره مستطير ،
 أو تعود الحرب جذعة ، بهذه السياسة الخدعة ، الغيبة الطلعة (والذين
 يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ، فلا

تَفَرُّنَاكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرُتْكُمْ بِاللَّهِ التَّوَرُّو) وقد صدقت الآيات
 ولم تكن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الأرض
 تضطرم بنيران الفتن والفساد، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد،
 وإنما هو شر على، فهو مبي المال، ومستعبدى الاقوام ومذلي الاقيال، وقد يشقى
 ناس فيسعد بشقاؤهم آخرون، وتتل عروش قري عاتية فيرثها قوم آخرون،
 (أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَا يَشْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا
 وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ • وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
 لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
 يَظْهَرُونَ ...)

ان الناس لن يكونوا
 أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويأياها المثلون المترفون،
 و«الرأسماليون» الظالمون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان،
 وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً لآخداً ما لافراد من
 الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل،
 ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف
 اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط الملاحق، وكان تنفيذه على
 المماندين، بمثل القسوة التي كانوا يسومونها الضمفاء والمساكين، وان
 يتم قبل أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لا تظالمون ولا تُظالمون • وَأَمَّا
 أَعْلَى مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَافًا الْآيَاتِ لَهُمْ بَرَجُونَ)
 وأنت يا أيها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

لنا الى م هذا الفرق والانتقام ، بمد تلك السادة بالوحدة والافتصام ،
وحتى م تلذذين من الجحر الواحد مرارا عديدة وقد حذرت من المرتين ،
وسمعت النذر بالاذنين ورأيت المبر بالعينين وامست المواقب باليدين ؟
والى متى تفترين بالمظاهر والالذاب ، وتدعين الفرص تمر بك من السحاب ،
مدقت عليك الامم كما أخبرك النذير ،
اذ كان لهم منك أي ولي وظهير ، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، وابتغوا عندهم العزة والثروة
فكانت كرتهم الخاسرة ، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة ، وذلك
هو الخسران المبين ، وان كانوا عنده من الغافلين (فتقطعوا أمرهم بينهم زبوراً
كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم في غمرتهم حتى حين)
أي تحسبون أن ما نعدهم به من مال وبنين - - يسارع لهم في
الظلمات بل لا يشعرون)

في اليوم اني لكم ناصح أمين ، على علم بالحق المبين ، من هداية القرآن ،
وأحوال الزمان ، أن لا تصدوا الا الله ، ولا تياسوا من روح الله ، (وأن
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمى
ويؤت كل ذي فضل فضله ، وأن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم
أكبير) أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاول ، قبل عذاب يوم القيامة
الاخرى ، يوم الخزي والنكال ، بفقدية الاستقلال ، فقابلوا اولياء الشيطان ،
بما أمركم به الرحمن ، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن ، ولا تفرنكم أيمان
أنة ليس لهم إيمان ، ولا يصدقونكم من آيات الله سبب ولا نسب ، ولا
دعوى ولا رهب ، ولا ورق ولا ذهب ، فقد برح الخلفاء وانكشفت الظلمة ،

فلا يكن أمركم عليكم شمة ، (فلن يا قوم اعلموا على مكانتكم اني ما ابل
فسوف تعلمون -- من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون)

والا اخص بالتذكير قومي وعشيرتي ، بعد التذكير العام لجميع
شعوب امتي ، بما يشد أسر الجماعة ويضع عنها اصرها ، ويحكم اوامر
الجماعة ويرفع لها ذكرها ، وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب تحاذلا وتواكلا ،
وأضعفهم تعاونا وتكافلا ، وأكثرهم تباعيا وتفاشلا ، وقاحكا وتماجلا بواقفهم
تحالفا وتناصر ، وتضافرا ونظاهرا ، بإحد مسلمو مصر مع القبط فيما ينيد في
الدينا ولا يضر بالدين ، وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر
مسلمو الترك مع الروس اعلى أعدائهم الأولين ، ولكن تندر الاتفاق
في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما
تندر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ،
ولولا أن هذه اذمة مرحومة لأبست بذوبها ، وهلكت بتفريطها
في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ،
وان مسالك النجاة ما فتئت مرجوة لها ، فما عليها الا أن تأتي البيوت
من أبوابها ، وتطلب الأسباب من أسبابها ، بتغيير ما وقعها في سابق غرورها ،
والتواكل في أمورها ، والاتكال على أيمان مبيها . (ذلك بأن الله لم يك
مُغيراً لنعمة أنعمها على قوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم وان الله سميعٌ عليم .
كذأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم
فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين . ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم اتفقتون
عندهم في كل مرة وهم لا يتقون) فتدبروا سائر الآيات - (وانتم

لا تظلمون . هَذَا ابْصَارٌ لِلنَّاسِ وَهَدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)
استدار الزمان ، ووقع من التطور الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان ،
وسيدلك ما بقي من صروح الاستبداد ، وينطلق سائر المستبدين من مقاطر
الاستعباد ، بفضل النضافر والتظاهر والاتحاد
وانما الذل
والهوان ، والخزي والخذلان ، والبغي والمدوان ، على أهل النفاق والدهان ،
والمترفين في المذاهب والاديان ، والمتعدين في الزعامات والبلدان :
والمفرورين باليهود والايان . والقوانين وحقوق الانسان ، والمخدوعين بكلم
العدل والمدنية ، والمساواة والحريية . والرحمة الانسانية . وانما المعاهدات ، حجج
الاقوياء على الضعفاء ، ولا وجود للمدلل والمساواة ، الا حيث المجز عن الظلم
والهابة ، ولا حق في الحرية ، ولا في الرحمة الا لدوي الايد والجرمة ؛
والمائل لا يظلم فكيف اذا كان أمة " على أن ناموس السياسة تكتر فيه اسما
الاضداد ، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد ، ولا تضاد بين الحماية
والاستقلال . ولا تناقض بين الاسائة والاحسان ، ولا تعارض بين الكفر
والايان (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون *
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرِ عَلَيْكُمْ لَا يَرْجُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَدُونُ)
تبا للنافقين المتحدين . وسمحا للناثيين المستسلمين . وبمدا للفاستقين
الظالمين . وطوبى للراجين الماملين . فرب خوف أعقب الرجاء . ورب عدا
انتهى بولاء (وعسى أن تكرر هو شينا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا
شينا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون)
نشء النار وحمره
محمد رشيد رضا

فَتَبَّانِ الْمُبْتَلِينَ

فصننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقب ان شاء . وأتانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولدن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

مآتم عاشوراء واقحام الشيعية النارية

(ص - ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

الى حضرة جناب الافخم العلامة الامتاذ السيد محمد رشيدرضا المهترم. دام اقباله
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الاحرف ورقة قطعناها من
الجريدة الرسمية بزنجبار احببنا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا
عشرية يوقدون في ليلة الماشر من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارا قوية ويمرون
فوقها ولا تحرقهم. وكنا قبل نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا
هذا العمل بطرفنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون
ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم . وقد أكثر من اخواننا الشيعة
بطرفنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله
روحه لكان أكثر الناس تشبوا . وقد هرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على
صفحات المنار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الاجراء ومن خلقه الشكره
والسلام

من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل اليها الوصف الآتي للاعياد المحلية لما نشر المحرم ولطه بلذ القراء : من المعلوم الذي لا شك فيه ان تذكرا استشهاد الحسين هو من أهم الاعياد الاسلامية لان أول صدع عظيم حدث في الاسلام كان بناء على هذا الحادث ، أعني مسألة الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشعور انفعالي عظيم فهي تأثير شديد . ففي ليلة العاشر من المحرم يضرب المخلصون صدورهم ودهونهم ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنقمة مؤثرة تبكي الناظرين ، بل تهزن صدر النبيين ، وغيرهم من المتفرجين ، ولا يصاب أحد من المهاجرين بضرر . ثم في كرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ج) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكرى استشهاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المتدين الهن الطريفة الرفاعية وغيرها من طارق التصوفة . ومنهم من يحمي حديدية في النار حتى تحمر ثم ياحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها . وكثير من الناس المتدين الى اديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأنون بأعمال قرية في نظرها غير الناس وهذه الاعمال القرية التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة الشعوذة التي يحدقها بالتعلم والتمرن وخفة الحركة أذمن كديرون فيأتون من الاعمال ما يمجز عنه غيرهم وقد نخبل الى الناظر الشيء على غير صورته أرحبته كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويلقي امامه عليها . وأسهل من ذلك اقتحام نر موقدة بسرعة لانكفي للحرق النار بالمقتمهم ، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها رقلا تعلق بثوب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستمان عليها بالملم بخواص الاشياء . قسم الكيمياء والكهرباء وغيرها . وانما تكون غرائب عند الجاهل باسبابها وكذلك النوع الاول انما

يراه غريبا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتخيل
 (النوع الثالث) فرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وقهرها
 من الخواص الروحانية كاستمدادها لعلم يهض الامور الواقعة أو المستقبلة من غير
 طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتا عظيما بالاستمداد
 الفطري وبالرياضة الروحية

والتكلمون يطلقون على كل ماجاء على خلاف المعروف الممود مما لا يعرف له
 سبب كلمة (خوارق العادات) ويمدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسوله
 عليهم السلام وبسمونها المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تكرر كثيرا لان ما يتكرر
 هو هادي لانه يمود كما بدأ ، وكل ما كان عن علم أو صناعة أو قوة نفسية تستخدمها
 الارادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر ، لان صاحبه يفعله بإرادته واختياره ،
 وانحصاره في أفراد وفتات من الناس هو كانه حصار أثار الصناعات والعلوم في تعليمها
 ومزاويلها وقوة الاستمداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها لدلالة على صدقهم في دعوى
 الرسالة فهذه فليست مما تتعلق به قدرتهم وأرادتهم بحيث يأتونها متى شاؤا كآثار أفعالهم
 الاختيارية ولا مما يتلقى بالتعلم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسوله الذي أكل
 دينه به ان يجيب من اقترحوا عليه الآيات بقوله (قل إنما الآيات عند الله)
 بقوله (سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) ولكنها من شئونه تعالى يجرها
 على أيديهم متى شاء اما بغير كسب منهم البتة كآجاز القرآن وعصا موسى واما
 مقاومة لكسب مآ منهم يأتونه باذنه ليس له من التأثير في خرق المادة الا الصورة
 كرمي نينا (ص) المشركين بقبضة من الرمل على البمد منهم أصابت أعينهم على
 كثرتهم وجمدم هته واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي ، وذلك قوله تعالى
 له (وما رهبت اذ رهيت ولكن الله رمى) ومن هذا القبيل ابراء الالكه والابرض
 واحياء الموت لعيسى (ع م) وان جاز أن تكون قوة روحانيته الوهية هي المؤثرة
 باذن الله تعالى فيه ، وكرامات الاولياء أكثر ما تكون من النوع الثالث للفرائب .
 وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء وإنما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والتمرن وتدخّل فيما ذكرنا من أنواع الفرائب المعتادة التي يقصد بها الكيد والمكر والحداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)
وقل في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (ينخيل إليه من سحرهم أنها تسمى) وذكر أن هاروت وماروت كانا يملكان الناس السحر بيابل ، وخوارق العادات لا تكون بالعلم كما تقدم وفاقاً لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

إذا تدبر السائل ما تقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة النار هو مما ذكرنا من العادات المكررة ، والشجرة التي زعموا أنها تقطر دماً في شهر المحرم لا وجود لها . فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها من أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وإيران والعراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في إيران ولا في العراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي موطن الشيعة الامامية وأولى الملايين منهم وفيها معاهدهم الدينية الكبرى فكيف يجمل فيها أمر هذه الشجرة ويعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ما ذكر من اقتحام النار لا يدخل فيه لصنعة ولا خفة وانه كرامة لاهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأبي دخل في ذلك لمذهب الامامية ومقتضى ترك غيره البه ؟ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المرووفة في اكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لها في مسائل قابلة كما يخالف بعضها بعضاً .
وجميع اصحاب المذاهب الاسلامية يحملون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام وبحبوسهم وبيوالونهم ويرون انهم اهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شد فيه بعض الخوارج الذين يتبرهون من امير المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن افراد آخرين من الصحابة وائمة الدين ، وأمس الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الاول وكل ما وقع فيه اختلاف بين ائمة العلم والفتوة فهو من المسائل غير القنامية في الدين التي يخالف فيها الاجتهاد ، ولا ينحصر العيوب فيها بفراد من الافراد ، وفي كل من المتبين الى المذاهب المنتشرة سالون وما لحون وإررار وفجار ، فان أدتي أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجمليها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها ، ولو كان حجة لاستغني به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراد في تفرق المسلمين والعبرة بما تم عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل ، ورأى ، وأنه ليجزئنا اننا لنزل في أشد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التنابر والتناظر في المذاهب الذي أضف الدين ، وفرق كلمة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح ، علم ، وأحكم ، مؤدب ، وقد تواتت عليهم نذرها ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه السنين ، (أولا يرون انهم يؤمنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) بل قد رأى الاكثر من مالم يكونوا يرون وانهم لا يزالون يجهلون ، وقد أضاءوا أعظم الفرص ، ولا يزال لهم مجال للعمل ، فان أضاءوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكرى قتل الحسين واقامة المآتم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية واتباعهم زيادة التفریق بين المسلمين وتأريث الضمائم والاحقاد بينهم اسرئالا مع تلك الدسائس المبحوبة التي دست في الصدر الاول الكبد للمسلمين الذين أزالوا ملك الجوس وساطنتهم الديني وملكتهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شيعة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المنصبين يقصد بمثله في بعض الاوقات تقوية المصيبة والتذكير بأخذ الثار من المعتدين الظالمين ، ولكن من هم اليوم ؟ واعادة الحق الى الائمة الوارثين ، وأين هم اليوم ؟ فللعباسيون بني أمية فعلتهم ، وفعل البيديون بالعباسيين فعلتهم ، وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها الظلم منذ قرنين أو أكثر ، فأني استمداد انخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بما صبح من ان مات وليس في عنقه بيعة لامام مات ميتة جاهلية ؟ لقد مزقوا نسج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ، وقد صار هذا المآثم كسائر ما أحدث المسلمون المحنة والمذاهب من الاختلافات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاحى التي نجد في الدار لسماح القصص النار بخرقة

والخيالية ، بل هي أقل فائدة وأكبر ضررا من تمثيل القصص المذكورة في الامم الحبة لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجند لجمعوا الاجتماع في عاشوراء لذكري مولد الامام الحسين (عليه رضوان الله وصلاته) وسيلة سياسية لاجلاء المقصد العظيم الذي بذل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله لاحدنا دينيا يزيد تفريق الكلمة ولا لعبا بالاسلح والنار وندبا بالخطب والاشمار لا يبعث على اقامة حق ولا تجديد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترتق أمة من الامم الراقبة في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهله يصح ان يسوا حسينين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل ذلك سلطان الظلمة المستبدين بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها . ذلك هو الامام الاعظم لمن تسميهم الامم المزينة اليوم بالفدائين المنقذين لها ، فهل يوجد أحد من زعماء مآثم عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها ؟
(شاهد تاريخي في مآثم عاشوراء)

كان الباطنية من ذنادقة الهجوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيمة آل البيت ذريعة الى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفا وصبق لنا بيانه من قبل . وكان جل كيدهم موجهها الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليتمكنوا من قتله بسيفه ، وقد نجحوا بتأسيس الدولة المبيدية الفاطمية بمصر ، ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا من ازالة الاسلام بها . وهذه الدولة هي التي أحدثت مآثم عاشوراء في مصر للمقصد الذي قامت به ، وانا نورد من تاريخ القرظي الشهير صفة مآثم عاشوراء عندهم وهو:
(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب سيرة المرزدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثمانمائة انصرف خلق من الشيعة وأشباعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الرمح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأطلق الذرب ومنع

الفریقین ورجع الجميع لحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد اُفلقوا الدكاكين وأبواب الدور وهطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كاظم وقبر زهيدة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل: من خالك؟ فان قل صاوية أكرمه وان سكنت لقي المكره وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثمانمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة وزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز ابن الزمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم هلى حوائثهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فمليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع القبطي بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا هلى الشارع يجهدهم -م- وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من نسب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السباط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السباط المختص بعاشوراء وهو يعبى في قبر المكان الجاري به العادة في الاعباد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من آدم والسباط يعلوها من غير مراقع نحاس وجميع الزبادي أجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من قبر مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السباط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السباط عدس أسود ثم يمدد عدس مصفى الى آخر السباط ثم رفع وقدمت صنحون جميعها عدس نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخمسة مائة جلس الخليفة الأمر بأحكام الله على باب الباذنج يعني من القصر بمد
 قل الأنفل وعود الإسمطة الى القصر على كرمي جريد بهير مخدة متلما هو وجميع
 حاشيته فسلم عليه الوزير المؤمن وجميع الامراء الكبار والصغار باقراءه وأذن للقاضي
 والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بفسير مناديل مشون حفاة وعبي
 السباط في غير موضعه المعتاد وجيتم ماعليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الأيام
 الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة أن لا يمكن احدا من جمع ولا قراءة
 مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء
 وغيرهم على ما جرت به عادتهم. قل وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسة مائة
 اعتد الاجل الوزير المؤمن على السنة الافضلية من المغي فيها الى التربة الجبوشية
 وحضور جميع المتصدرين والوعاظ. وقرو القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره
 واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متناهي
 به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السباط بما جرت به العادة
 قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس
 فاذا دلا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم
 ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا
 فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا
 والقاضي والداعي من جانبه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير
 شعراء الخليفة شعرا برثون به أهل البيت عليهم السلام ، فان كان الوزير والنضيا
 نزلوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيتدعون
 الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل القاضي
 القضاة والداعي ومن مهمما الى باب الذهب فيجدون الدهان قد فرغت بها
 بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المعاطب ذلك الخليلي بالمعاطب
 لتفرش ويجدون صاحب الباب نجاسا هناك فيجاس القاضي والداعي الى جانبه والناس
 على اختلاف طبقتهم فيقرأ القراء وينشد المشدودون أيضا ثم يفرش عليها السباط
 مقدار الف زبدية من العدى والمرحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة
 (المنار : ج ١) (٦) (المجلد الثاني والمشرون)

والاعمال النجلى والفاطير والخبز المنبر لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فبدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمدكران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كنهم ركبانا بذلك الزبي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأطلق البياعون حوائبهم الى جواز العمر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اه ماجاء في تاريخ المقريري عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان أعياد القاطنين ومواسمهم ما نصه :

﴿ يوم عاشوراء ﴾ كانوا يتخذونه يوم حزن تتمطل فيه الاسواق ويعمل فيه السباط العظيم المسمى سباط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويضعون الحلوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عيد عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاعتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهرار وكتب به اليه ليلة عاشوراء عند ما أخرج عنه ما كان من جاريه في الاهرار

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد الملي الصمد ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضرت للهناء في غد مكحل المينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فله دره

باب المراسلة والمناظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيها اتفاقية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الأسبوع توالت الأعياد الثلاثة العيد المصري (عيد النيروز) والعيد المبري والعيد الهجري وتوالي هذه الأعياد يبشرنا بأز الحبر سينتوي على مصر وأبنائها

الحوادث مرجع التاريخ

جرت عادة الأمم على أن تؤرخ بالحوادث فإذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الإسلام كانوا يرجعون إلى الحوادث في التاريخ فيقولون عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين اضطهدهم الرومان وأبوا إلا أن يموتوا ضحية دينهم ومبداً لهم فوائد الاحتفال بالأعياد

وفي الاحتفال بالأعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها احياء ذكرى الامميين وتخليد آثارهم لمتدي بهم في خلقهم وعلمهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطاً يجدد الامة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشهور والمواطف على الاتحاد والتعاون فيشمر كل فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع معروف تأثيرها في النفوس والاعمال

ثم من الفوائد كذلك أن تحاسب الامة نفسها على ما عملته في الماضي وما تمده للمستقبل فتتأمل كما ينظر التاجر في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فان كان عندها ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى فليتها تتوب إلى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحترس من أن تقع في مثل في المستقبل وان رأت انها لم تقصر وانها قوية متقدمة فليتها تشكر الله الذي وفقها ثم تستزيد من الاعمال الراجعة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وإن هجرة النبي حادثة عظيمة إذ كانت سببا في أحداث إصلاح عظيم
وفتحا لباب استقلال جديد وقبل أن أين هجرته أذكر حكمة إرساله وإرسال من
سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة إرسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فأنقضت حكته وهو وليهم واليه يرجع أمرهم
أن يريهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطرهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار
منهم رسلا مربين لا تذلل نفوسهم الشهوة أو هوى ولا تضعف إرادتهم أمام ساطة
أو استبداد بأرسلهم بالتعاليم الهادية إلى سعادة الدنيا والآخرة
ولو رجعنا إلى ما كان يدعو إليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكانهم
يدعوا إلى التوحيد (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من دونه غيره) وفي هذا متهى العزة للنفوس
إذ إنما لا تستعبد إلا لربها الذي يربها على نعمه ويواليها بفضلها واحسانه، والله سبحانه
لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عبادته إلا بقوله (يا أيها الناس إنا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم شموبا وقبائل ليعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله
عليم خبير) فالأكرم عند الله من يتخلى بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا ينتهس
من حرقتهم والله تعالى قد أرسل الرسل تأييدا لهذا المبدأ مبدءا السبر بالناس إلى
الحرية وإخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تلمعون حادثة موسى لما أرسله الله لاقاذا بني اسرائيل من استعباد فرعون فل
الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور)
وما كانت الظلمات إلا السلطات الاستبدادية التي أماتت إرادة القوم وقضت
على حريتهم وإيمانهم وما النور إلا الاستقلال الذي فيه يجبا الشعور وينمو الإيمان
تقوى الإرادة

أذناك فل الله أرسله محمد (كتاب أزمانه البك لخرج الناس من الظلمات

إلى النور)

إبذاه المشركين إياه

إذا علمنا أن الله بث الرسل لهدم قراءه الاستبداد والظلم ونشر مبادئ المساواة والعدل ، فإننا نعلم السبب في الأيذا الذي كان يفعل بهم ، والمعقات التي كانت توضع في طريقهم ، وذلك أن المستبدين بالشعب المتحكمن في رقبتهم يخشون من كل مبدأ يزلزل استبدادهم ، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المفلولين لهم ، المقهورين بسلاطنتهم ، فإذا تراهم عند ما يشعرون بمصلح يأخذون في محاربتة ويسعون في صدده عن سبيله بكل ما يستطيعون

الخلوة بينه وبين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ فيجدهم يحرصون على أن يحولوا بين هذا المصلح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد منهما حين ومهما ضعفت ارادته فإنه باستماعه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تنبعث فيه روح العمل لها فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصلح منه ، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلا بالشعب يتلو آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون)

صبر النبي وقوة ارادته

واخيرا تضابقوا منه ^(١) فرجعوا الى عمه ابي طالب — وكانت صلته به تحميه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك يرجع عما هو فيه والا نكون في حل مما نوقفه به . فلما عرض عليه عمه ذلك فحمس وقال : والله يا عم لو وضوا الشمس في يميني والشمس في يساري ما رجعت من دعوة ربي حتى أبانها أو أموت دونها

فتمت هذه الروح العالية وبشت هذه المبادئ ، الغالية

سبب هجرته

لما مات عمه تأمر المصرم على قتله فأوحى الله اليه بأن يهاجر الى يثرب حيث يجد الانصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه فهاجر طوعا اربها

(١) تسمى عامة بلادنا تضابق من ولم يرد في مناجم الله التي لها بسببنا

في الله والأوطان سمي مواجر
لم يرض يترب بعد مكة ووطنها
ما زال فيها غاديا أو روانها
هلم النجوة والمفاخر كلها
هلمتنا حب البلاد عتيقة
ولقد هديت من الضلالة أمة
وأنت جانبها وصعب شكيمها
وأخذت من ميسورها ما يتقى
وهددت في عنق القوي ضمانة
تقي الضعيف عن الطغي والاسهم

كانت هجرته سببا في أنه قابل ناسا تمكن من نشر دهرته فيهم وتقوى بنهرتهم
وكان على الدوام يحن إلى دياره التي احتلها الخصور وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من
الهجرة كي يزورها وينذر فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه إليها . ولما قرب
منها أرسل العيون والجواسيس استطلع له حال الخصور وتباينه ما هم فيه من الاستعداد
ولما شاور الرسول أصحابه قالوا ما جئنا مقاتلين فان منونا قاتلناهم وبابهم هلى ألا يفرونهم
أحد فذهبهم الخصور وحاصروهم ، وبعد مناوشات وصاربات وتمت بينهم رأى الرسول
أن جيشه لا يقوى على الجيش الذي أمامهم^(١) وأن الصلح خير لهم فدارت المفاوضات
بين الطرفين هلى إبطال الحرب عشرينين ، ويباح للرسول أن يأتي مكة في كل عام متأحرا

الخصم على الشروط ويضع القيود

وقد وضع الخصم شروطا وقيودا وأملاها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فاننا لانعرف الرحمن من هو واكتب

١٦٥ المنار: الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجزم لذلك الصلح من صف بل
الابتارة فسلم على الحرب ، ورهبتة لي لئلا يمكن من تبيد الدعوة بالحجة والبرهان

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا نكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول فان لا تقر بانك ربه
الله ولو اقررنالنا من عندك فانتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من يأتي منا مسلماً الى
ترده الينا وأما من يأتي منكم الينا فلا نرده فرضي وكتب ، قالوا لا تدخل مكة ،
العام ولا بد أن ترجع الى هاهنا آخر الا يتحدث العرب بان قد ضبط علينا فكتب ،
اذا دخلت بعد هذا العام فتدخل سلاح الراكب وتكون السيوف في القرب .
الرسول كل هذه الشروط بعد تحققه من تثبيت الحضور وطمأنينتهم بها ، وكان الصبح
ينتقدونها وبمعرضون على كل شرط منها فيقنعهم الرسول بالتبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا الى أن من جاء اليم مسلماً برده ومن ذهب
منهم لا يرد اليهم فقالوا كيف نرد من يأتي مسلماً ونحن ندعو الى الاسلام وكيف
لا يرد الينا من يذهب منا ؟ حتى المصاراة في ذلك لا يحصل عليها ؟ فقال الرسول
من ذهب منا فقد أبعد الله ومن جاءنا ورددناه فانه يحمل له فرجاً ومخرجاً (يعني
هذا تحكم القوي في الضيف وللضرورة أحكام)

هكذا أبلى المشركون شروط الاتفاقية حسب ارادتهم وقبلها الرسول كما
على ما فيها من الاجحاف ليكون حراً في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط
بالشعب ويبيت فيه ما يشاء من المبادئ والتعاليم ويتمكن من اعداد القوة التي
يحفظ بها الحق وكان قبل هذا لا يمكن أحداً من المسلمين أن يجزر بمقيدته خوفاً من
المشركين وفتنتهم وعذابهم وشدتهم (١)

حكم القرآن في الانفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المبينة انها فتح وضر ومضام قل
تمالي (انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم
نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً) وقال (لقد رضي
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأثابهم فتحاً قريباً ، ومضام كثيرة أخذونها وكان الله عزيزاً حكماً . وعدكم الله

(١) يعني انه لم يمس لاحد من المسلمين قبل صلح الحديبية ان يظهر اسلحه أو يهاجم
المدينة وما يقربها وما يحيط بها واضطهاد المسلمين في مكة وما يتبعها

مغان كثيرة تأخذونها فبجل لكم هذه) فتأمل قوله فبجل لكم هذه يعني سيكون لهم مغان كثيرة من وراء هذه المغان التي كسبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب لتلك المغان الكثيرة ووسيلة للوصول اليها . وقد كان ما وعد الله تعالى وثمحق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ تم لهم فتح مكة والاستيلاء على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محققين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) وقد أفاض بمد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما نرون في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالاجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي والها لحادثة اهتز العالم لها وتنتج عنها الانقلاب الكبير في عالم المدنية وسنة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا نحمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتفينا أثره في الهجرة التي هاجرنا وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونال من اجالها كراما وأجرا ، فانه تعالى يوفقه للاصلاح فيما ينفق عليه لتقدم المصريين ومحرير مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا رهن لديك فلا تخافي واسلمي
 وما استنطال عليك جد عائر فله جارك من عثاره ولم
 فنفي بأن الله بالغ أمره والله خير حافظا من مفرم
 انتهت الخطبة

[المنار] ان هذه الخطبة قد روحت فيها المناسبة بين معنى العام الهجري وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثر الخطبة حقائق وأقوالا معاني خطابية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقنضيه الوقت كالتأويل بتوالي أهل نبال مختلفة وبعضه ذكر من فوائد الاعتقال بالاعباد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لا يتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وإنما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الأمم التي بث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى هابه السلام . نعم إن الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد بعلي الانفس ويرفعها حتى لا تنذل ولا ترضى بهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وحقل عما قررناه في الدرس وفي المنار ولا سيما مقالات ذكرى المولد النبوي من اتصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحرية الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة . وجملة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمتضى الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالتقارنة المقصودة بها غير نامة . وما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرته . والموضوع جلله ديني . وهذا من تأييد السياسة والاحوال الاجتاهية في الدين

مشيخة الجامع الأزهر

محاربة البدع

أرسل اليانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه سئل عما يسميه بعض أهل الطرق اسم الصدر فاجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها اليانا لأجل نشرها «تمميها للفائدة وارشاد الأمة» وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابناء هذا المصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه، أه) يعتمدون اسما من اسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر والجواب : أن هذا اللفظ المستول عنه «أه» بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وان كان بالمد فهو إنما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من اسماء الذوات فضلاً عن أن يكون اسماً من اسماء الله الحسنی التي أمرنا أن ندعوها بها كما قال تعالى (والله الاسماء الحسنی فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه ، سيجزون ما كانوا

يملون) وقوله: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية (١) ولا يجوز لنا إطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التمسيد بشيء لم يرد الشرع بجواز التمسيد به،

ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله لنا على يديه الدين، وأتم لنا النعمة، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي لفظ «من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد» وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته «ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (٢). ومن تأمل قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون) وتقدم هذا الوعيد الشديد أقصر جمعه أن يذكر الله أو أن يدعو به بد ذلك بغير أسمائه التي سمي بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم. والالحاد في الأسماء هنا على ثلاثة معان - الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي؛ تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً، إدخال ما ليس منها فيها كوضوح السؤال وكما نقل المنسرون هنا من علماء اللغة أن الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه

فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء المومنين الذين انتشروا في المدن والقرى بمجنون الناس ويمقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم

(١) الناظر: إطلاق الحكم بالاجماع هنا - وهو الجمهور الاتساعرة قالوا بالتوقيت وجمهور المنزلة بدعته وتوقيت قال صاحب الجوهرة

واختبر ان اسماء توقيفية كذا الصفات فاحفظ السمية
 ٤٤٠ لفظ مسلم أوله «أما بعد فان أحسن الحديث» الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في اللفظ، وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود موقوتاً بلفظ «ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها» وان ما يوصون لآت وما أنتم به جهنم» وذكر الحافظ في شرحه له من الفتح ان أصحاب السنة أخرجوه عنه مرفوعاً وان مسلماً أخرجه من حديث جابر مرفوعاً مع زيادة وليس شيء من ذلك على شرط البخاري

يتقربون بذلك الى الله. وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم. لانه لم يعلم بتعبدا لله به. وتسمية الله بغير اسمائه. تعود بنته من فعل بنت أو الامانة عليه أو الكوت عنه

ومما قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا منبايخهم كذلك فليد في ذلك برهان لهم في الدنيا ولا مخلص لهم عند الله يوم القيامة من عقابهم. كيف وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لا الولي غير موصوم. وورد مثل هذا القول أيضا عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الإلهام والمشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة. وما يقولونه أيضا من الاستدلال على بدعتهم هذا بقوله تعالى «ان ابراهيم لاواه حليم» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقول الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (أه) كما يفتلون به معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقا رحيما. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

شيخ الجامع الأزهر
محمد أبو الفضل

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩

وقد نشرت هذه الفتوي في الجرائد اليومية فرد عليها بمش المنتسبين الى الطريقة الشاذلية برسالة نشرت في جريدة الاهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أما بعد فأسأ
تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلامه وار
يعم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل واثابين
قال الله تعالى « والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه
سيجزون ما كانوا يعملون»

قال المفسرون. اسماء الله تعالى كلها حسنى لانها تدل على مآثر الكمال الالهيم
سواء وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والمحيد وحريح والاح
وأحكام الحكيم وخير الناصحين وذو المرش وذو الطول وغير ذلك مما ورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله تسمياً وتسمين اسماء من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم - الحديث ، أو وردت به السنة وإن لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للدردير فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تفردت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة . فليس المراد بالأسماء الحسنى خصوص التسع والتسمين والألزام عليه ممارسة الأحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل .

إذا علمت ذلك علمت أننا مأمورون أن ندعو الله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد ثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذه السادة الشاذلية من ضمن أذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضاً كان يثن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الاتين وأمره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه يثن فإنه يذكر اسماء الله تعالى » ونقل العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطي عند الكلام على الاسم الأعظم قال إن اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى . وقال الامام الفخر الرازي في تفسيره في شرح البسملة : اختلف العلماء في الاسم الأعظم ويرجع عندي أن (أه) هو اسم الله الأعظم لاشتماله على سر الإشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة المزري في شرحه على الجامع الصغير أيضاً أن اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى لا مبدع عند تجليات الجلال . وقال الشيخ الامير في حاشيته على متن (غرامي صحيح) أن (أه) من أسماء الله تعالى وصحح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسماء الله تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لأنه سر من الأسرار التي لا يطلع عليها إلا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجوري في حاشيته على جوهر التوحيد عند قول الناظم « حتى الاتين في المرض كما نقل » ينبغي للعريض أن يقول (أه) فإنه اسم من أسماء الله تعالى ولا يقول أخ فإنه من أسماء

الشیطان - فقد ثبت بالدلیل النقلی ان (أه) اسم عظیم من أسماء الله الحسنی . امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فینشد لالحاد والآخریف لعودبته من ذلہ واذاً لیس اسم (أه) مهملًا لامعنی له مطلقاً (كما قیل) بل معناه منزله عن الإلهام جلیل عند أهل الانصاف ولو تقبضنا الآثار والخبار الواردة فی الاستدلال بـ صحة هذا الاسم لما وسعنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية ، لمن سلطت علی أنوار الهدایة ، ونسأل الله تعالى المنایة وحسن الختام ، بجاه سيدنا محمد علی الصلاة والسلام .
النقیير أحمد وافی - الشاذلی الازهری

نشر هذا الرد فی عدد الأهرام الصادر فی ٢٦ المحرم ولم ینشر من قبل مشیخ الازهر رد علیة ، ولكن كتب الی الأهرام الرد الآتی فنشر فی العدد الذی صدر فی ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد علی رد ﴾

أصدرت هیئة مشیخة الازهر الاعلی بیاناً أنكرت فیہ علی بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤیدها الأحادیث الصحیحة المتن القویة الحججة المتعارضة مع روح الدین الناصع المنتشرة فی بلادهمی كعبة العلم وحجة المارفین فی اللغة والعین . نبرئ أحدهم وسطر فی صحیفتكم الفراء كلمة لأرى مندوحة من الرد علیها احتفاقا للحق الذی لا ینكره الا المكابرون ، وانا لا نلیل الشرح فی هذا الباب وانما ورد الوجوه الآتیه کی لا نفضل الطریق السوی وحتى لا یتسلط بعضهم علی السذج من الأمة فیدخلون فی الدین ما هو براء منه

أولاً - ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حدیث أبی هريرة الذی فیہ قال الرسول الکریم لمارضی المریض علی أنینه (دعوه یثن) هذا العزو الی صحیح مسلم کذب محض . والا فلیأتنا حضرة بالذهن العریض فی صحیح مسلم وهو کثیر . تداول بین الأیدی کرر طبعه مراراً وتعددت طبعاته وكما اخلوه من هذا الحدیث فلیتفضل حضرة بذکر الصحیفة الی تتضمن هذا الحدیث .

ثانیاً - ان الحدیث المذكور . مدون فی الجامع السغیر وعزاه صاحب الجامع الی الرافعی فهو حدیث لا تقوم عنده حجة لانه لم ینخرج فی الكتب الصحیحة ولم یصححه احد من المحدثین

ثالثاً - لو فرضنا أن هذا الحدیث صحیح فلا یبدل علی بدعتكم هذه فان

الرسول إنما أشفق على المريض وتركه يشن فان مسح أن لفظه (أه) اسم من أسماء الله تعالى طسباه الله الحسنى مروفة ولا حاجة الى عدها في هذا المقام. وحسبنا أن يكون ما أوردتموه اشغافاً على المرضى . فلا يجب أن يكون سارياً على الأصحاء واقناع السذج منهم بأن لفظ (أه) اسم من أسماء الله . والله بريء مما تنسبونه إليه جلت أسماؤه
محمد فهيمي بالاسكندرية

تطبيق المنار على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الإصلاح

لن فتوى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الإصلاح الاعظم فيه وان كانت في بيان بطلان بدعة خاصة قد ابتلي أهل الطرق بكثير من مثلها وما هو أهمد عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنار ، وهذه الاصول تقضي على جميع البدع فنية الفتوى أكبر وأعظم من اثباتها لكون ما يسمونه اسم الضمير والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء .
فذلك الأساس الراسخ والاصل الثابت الذي هو جدير بتقدير المسلمين هو قول الشيخ ان العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بمجواز التعبد به . فهذا الأصل فان الأصل الاول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهو انه لا يعبد الا الله وحده . وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الاصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبد الله تعالى الا بما شرعه . ولا نزاع في ذلك وإنما نبيده ونكرهه لزيادة الايضاح والتقرير . وقد بين الشيخ أدام الله النفع به دليل هذا الاجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكل الله تعالى لنا على يديه الدين وأنتم لنا النعمة ، وذكر نص آية الزينة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم هرة من حجة الوداع . والله اعلم . قل « هل يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين تليق عن الله تعالى باللسان لا يبيد أنه (ص) بين ما نزل الله عليه بالفعل والحكم والتنفيذ كالمفهوم بالقول . ومبارته تدل على حصر هذا الكلام به (ص) دون غيره من الصحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله ديناً ولا حجة في الدين عند أهل السنة

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفعالهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس بدع المتصوفة الاقترار بما كان عليه بعض شيوخهم من الرفق والصلاح وما ينقل عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف . - كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الاساس الاعظم للدين ، وهو قولهم : كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة من كشف وغيره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم انه لا يجوز العمل بالكشف ولا الالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وإنما قل هذا القول عن علماء الصوفية لان غير العلماء لا يمتد بقولهم ولا تقايم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من الحكمين والفقهاء ، فالدين قد أكده الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد اجماع صحيح ولا قياس صحيح الا وهو مستند اليهما ، وإنما كلام العلماء الذي يمتد به هو بيان الاصلين وما استنبط منهما واستند اليهما من قياس واجماع على ما في القياس والاجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدل الشيخ أيد الله حجة على ما ذكر من اساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدل بالكتاب العزيز واكتفى باشهر الاحاديث واصرحها في الموضوع - حديث « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله الخ وهو متفق عليه أيضا وان لم يخرج به البخاري الا موقوفا على هداية بن مسعود . ورواها غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الاصول الاساسية في الدين أشار الشيخ في سياق بيان بدعة ما يسمونه اسم الصدر الى تضييق البدعة الذين أسهب الامام الشاطبي في الكلام عليهما بكتابه الاختصاص زعموا البدعة الحقيقية كذكر الصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجودا في صدر الاسلام بل هو احداث وابتداع محض ، والبدعة الاضافية وهي ما كان له أصل ولكن الابتداع فيه بالموارضة والصفات

كالمدد والتوقيت والاجتماع والصفة كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيها الامام النووي في المنهاج ، وصلاة رجب وشعبان بدعتان فييهتان مذمومتان ، ومن هذا القبيل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به :
 « ثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين اتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويمعدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك وردا موقوفا زاعمين انهم ينقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اضلال العامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يعبدها الله به وتسمية لله بغير اسمائه ، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اهـ

وقد عبرنا عن البدعة بالسنة السيئة باعتبار انها تبهم وتجمل كالشروع ويقتدي بعض الثامن فيها بيمض ، وللإشارة الى حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم مرفوعاً « من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من اجورهم شيء » ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شيء » (١) وأخرجه الترمذي عنه بلفظ « من سن سنة خيرة . . . ومن سن سنة شريرة . . . » فالمراد بالسنة هنا معناها اللغوي وهو الطريقة السلوكية . اذ كان سبب الحديث ان قوماً من مضر جاؤا النبي (ص) حفاة عراة فتمعر وجهه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى بالناس ثم خطب فحث على التصدق من النقد والخباب والطعام ، فقلبت الناس حتى كان رجل من الانصار بدأ بأن جاء بصرة كادت كفه تمجز عنها لكبرها بل هجرت ، ثم تابم الناس فكان ما جاءوا به كومين من طعام وثياب ، حتى نهال وجه النبي (ص) وقال « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعا كفضل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداء وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الحياة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

اخترع دنيوي ينفع الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه ويلازمه ، وقد تضمن كلام الشيخ انكار جميع البدع وبيان حظرها وحظر الالهة عليهم والسكوت عنها . كل ذلك محرم شرعا ، والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزائم الدين بل هما سياجه وحفاظه . ونحمد الله اننا قد جرينا على هذه الاصول والاقواعد في المنار وما زال كثير من المميين الجاهلين أو الجاهدين ينكر علينا بناء الاصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وانكار البدع كلها حقيقة كانت أو اضافة

ونرجو من الشيخ وهو رئيس لماهد الدينية في هذا القطر كله ان يجعل العمل بهذا الفتوى مبدأ إصلاح جديد في الازهر وسائر الماهد الدينية قبل غيرها ، فان البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عماد الدين - الصلاة - فقد صليت الجمعة من عهد قريش في الجامع الازهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الخضراء وقشر البيض منثورة في مواضع من المسجد ، ووجدت الجوارين وغيرهم منحلقيين في صحنه يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويمد بعضها عن بعض بمدا واسماء ، وغير ذلك من المنكرات ، كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالفي قانون الماهد الحرمان من دروس العلم ، فانه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسائلها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المترض على الفتوى

انبرى أحد مشايخ الطريقة الشاذلية لرد على الفتوى واثبات مايسمونه اسم الصدر وكون التمسك به مشروعا فاستدل على الاسم بحديث عزاء الى صحيح مسلم وحديث عزاء الى الحاكم وبكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فهو عبارة فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يثن في حفيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهأ بعضهم عن الابن فقال رسول الله (ص) لا دعوه يثن فانه يذكر اسمها من أسماءه تعالى ، وقد كذب من رد عليه من الاسكندرية به وهذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانه منه وذكر ان السيوطي عزاء في الجامع الصغير الى الرافعي وانه

لم يصححه أحد من المحدّثين وأنه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه ، وهو مصيب في هذه الأقوال كلها ولكنها غير كافية في الرد عليه فنزيد عليه ما يأتي من الدلائل والفوائد (١) ان المترضض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وإيس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عزاه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الاكمال من كنز العمال وهو ان عائشة قطت دخل علينا رسول الله (ص) وعندنا هليل بن قنن له اسكت فقال دعوه بشن فان الانين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه الطبل ، والمترضض ذكر لحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقل له عن بعض كتب الطريقة وإيس هو المخرج له . ومن المعروف عند العلماء ان الحديث كغيره من العلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يمتد الا بما رووه ولا يحتج بشيء مما رووه الا اذا صححوا عنده أو حسنوه . وان كتب المنصوفة وكتب التاربخ والادب يكثر فيها الاحاديث الموضوعية والواهية التي لا يجوز العمل بها لافي فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد أمثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والكلام (المقائد وفلسفتها) لان أكثر مصنفها من غير المحدّثين . وهذا كتاب احياء العلوم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المتكلمين والفقهاء والتصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعية والواهية التي لا يجزأ أحد من الأئمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في ثبات أسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادته لا دليل لها سواها (٢) قال الشيخ محمد الحوت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث «دعوه بشن» : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن وإماؤه تعالى توقيفية أه

(٣) ما يدل على أن هذا الحديث موهوم ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدّثين ولا فقهاء الحديث في الكتب التي لا يهتمون فيها مثله ككتب لغة الحديث وشروحه وفتح الحديث فهذا الحافظ ابن الاثير لا يذكر كلمة الانين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مفردات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكملة على عناية باستقصاء ما تركه صاحب النهاية.

ولم يذكره حافظ الحديث والفقهاء في بحث حكم الانبياء شرعا هل هو مكروه أم لا وقد اهتمد أعلم الفقهاء بالاحاديث كرايته ونظر بعضهم فيها ولو ثبت هذا الحديث عندهم لقالوا انه مستحب او مستنون

(٤) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث قنجم عائشة من وجع راسها وقول النبي (ص) لها ذلك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعوك - وهو في كتاب المرضى من صحيح البخاري - مانصه :

قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب (المار: يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يقدح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقيق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والتفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطيع تغييرها عما جبت عليه وانما كان المبدأ أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل الى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . واما مجرد التشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى المبدأ به وشكواه انما هو ذكوه للناس على سبيل التضجر والله أعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاوس انه قال : أنين المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن انين المريض وتأوهه مكروه . وتعبه النووي فقال هذا ضيف أو باطل فان المكروه ما ثبت فيه شيء . مقصود وهذا المبدأ ثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قال فاعلم ان ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولعلمهم أخذوه بالمعنى من كون كثر الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشمير بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا . اهـ . أررده الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانبياء المذكورة النووي أو الحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لأعرفه - فليس بحديث . لجودة حفظه الكتب السنة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحافظ وافقه بها في الجامع الازهر تاتي بحث واستدلال وكذلك فقهاء الحنابلة جزوا بكرة الانبياء في المرض في كتبهم . قال الفقيه ابن منلح

في كتابه الفروع: (فصل) يكره الاثني في المرض الخ ثم قال في فصل بعده: وكانوا يكرهون
أثني المريض لانه يترجم عن الشكوى. ثم ذكر عن عبد الله بن الامام أحمد انه نقل
في أثني المريض: أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكاه الى الله. اه وذكرك ذلك
السفاري في أواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

قلت - أثني المريض تارة يكون عن تبرم وتضجر فيكره وتارة يكون عن
تسخط بالتدور فيحرم فيما يظهر، وتارة يكون لاجل ما يجد ويجد به نوع استراحة
يقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين
وانكسار، وخضوع وانقار، ومسكنة واحتقار، مع حسم مادة العون الا من بابيه،
والشفاء الا من عنده، والمافية الا من كرمه، فمزا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه.
والله الاشارة في حديث وان لم يثبت «المريض أثنيه تسبيح وصياحه تكبير،
وتنفسه صدقة، ونومه عبادة، ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله» قال
الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم اه

فأنت ترى ان حديث عائشة الذي هزاه السيوطي الى الرافي أمثل ما يستدل
به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلو كان له أصل لذكره ولو مع
التصريح بدم ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آنفا

(ه) وأما الحديث الثاني فقد أورده المتراض بقوله: وروى الحاكم في مستدرکه
حديثاً يذكر فيه أن (أه) من أسماء تعالی يلهمه الله تعالی لمن أحب من عباده لانه
ممن الاسرار التي لا يطلع عليها الا المقربون من المؤمنين

وتقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله: الظاهر أنه نقله من بعض كتب أهل
الطريق الذين لا يمتد بنقلهم، وهو لم يذكر لفظه ولا اسم الراوي له من الصحابة.
ونحن لم نركلة «أه» في النهاية ولا مجمع البحار ولا تكلمته ولا في غيرها من معاجم
اللغة العامة الشاملة في الكتاب والسنة ولغيره من كلام العرب. ويزيد على ذلك
ان هذه العبارة من الكلام المألوف عند الصوفية وايسر من أساليب كلام الرسول
(ص) ولا كلام العرب في عصره، وكيف يصح أن يكون شرا يعرف بالالهام
ويختص المقربين مع التصريح به، على انه لم غير معروف الا عند فوغاء المتسبين

الى الطريق فلم يرد عن أحد من أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الائمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء أو المتكلمين ، وأئمة الصوفية المارقين .

الاقوال في اسم الله الاعظم

(٦) ولما كانت الاقوال التي عزاها الى العلماء في اثبات اسم الصدر وارادة في بيان كونه هو اسم الله الاعظم تنقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الاقوال في الاسم الاعظم عن يقول به فان بعض العلماء انكره كما قال الحافظ وهذا نص ما قاله في فتح الباري بعد أن أطال الكلام في أسماء الله الحسنى :

(تكميل) واذ قد جرى ذكر الاسم الاعظم في هذه المباحث فليقع اللام بثي من الكلام عليه ، وقد انكره قوم كابني جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كابني حاتم ابن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لا يجوز تفصيل بعض الأسماء على بعض ، ونسب ذلك بمضمون مالك لكرهته أن تباد سورة أو تردد دون غيرها من السور لثلاثين أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد قسما المفضل عن الأفضل ، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالاعظم العظيم وان أسماء الله كلها عظيمة . وهبارة أبي جعفر الطبري : اختلف الآثار في تعيين الاسم الاعظم والذي عندي ان الاقوال كلها صحيحة اذ لم يرد في خبر منها انه الاسم الاعظم ولا شيء . أعظم منه ، فكانه يقول كل اسم من أسماءه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع الى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار إنما يراد بهامز يدثواب الدعاء بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مز يدثواب القاري وقيل المراد بالاسم الاعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا اليه به ربه مستغرفا بحيث لا يكون في فكره حائل غير الله تعالى . فان من أنى له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيره . وقال آخرون استأثر الله تعالى بعلم الاسم الاعظم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه . وأثبت آخرون معنا واضطر بوا في ذلك وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربع عشر قولاً

الاول — الاسم الاعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يهبر عن كلام معظم بحضرة لم يقل له : أنت قلت كذا

وانما يقول : هو يقول . فادبا معه

الثاني - « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء الحسنى ومن ثم اضيفت اليه

الثالث - « الله الرحمن الرحيم » ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة انها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يملها الاسم الاعظم فلم يفعل فصارت دعوت : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علت منها وما لم أعلم « الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) وسنده ضعيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع - « الرحمن الرحيم المحي القيوم » لما أخرج الترمذي من حديث أمية بنت يزيد ان النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (واليهكم اية واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) وقائمة سورة آل عمران (الله لا اله الا هو المحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه وفيه نظر لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس - (المحي القيوم) أخرج ابن ماجه من حديث أبي أمامة « الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم الراوي عن أبي أمامة « التمس منها فمرفت انه « المحي القيوم » وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالرؤية مالا يدل على ذلك غيرها كدلالتها

السادس - « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام المحي القيوم » ورد ذلك مجزءا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع - « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي وأثنى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يريني الاسم الاعظم فأرثته مكتوبا في الكواكب في السماء

الثامن - « ذو الجلال والاكرام » أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال سمع النبي (ص) رجلا يقول : يا ذا الجلال والاكرام - فقال « قد استشهد

لك فسل « واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الألوية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع - (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر - (رب رب) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال الصمد يارب يارب قال الله ليك عبيد مل تط . رواه مرفوها وموقوفا

الحادي عشر - دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن هيد رفته « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر - نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يلهه الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم » الثالث عشر - هو مخفي في الامماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم

لما دعت ببعض الامماء وبالامماء الحسنى فقال لها (ص) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر - كلمة التوحيد نقله عياض كما تقدم قبل هذا . اه ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عدة أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (اه) المدهى وسنقل مقاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ

ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكره في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الامماء الحسنى ان منها (اه) وبالفنا انها كلمة سر يانية . وسنشر في الجزء التالي بقية الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر مبدوها

بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فنون الحديث^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل من السنة تبيانا للكتاب. ونورا يهتدي به أولوالباب، وبعث اليها من الخفايا المتقنين، والرواة الصادقين، والنقذة البصيرين، من قام بصادق خدمتها، وحفظ عليها جلال حرمتها، ونفى عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، (١) وصانها من أفك المفتريين، وهفول الدجالين، تحفظت على مر العصور، من يدالثور، وصينت - بمناية الله - من أرباب القصور. فله مزيد الحمد والمنة على ما حفظ من معالم دينه وسبل رشاده، وعلى صفيه وخليفه محمد بن عبد الله صلواته وسلامه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

«وبعد» فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الحنيفية، والشرعة المحمدية، وليس له من نور الهداية ومصباح النبوة ما يهتدي به في ذي الجير الشهات، وفلمات الترهات، وان صدره لنفل من برد اليقين، وعقله بعزل من اصابة الحق المبين، وقلبه خلوا من واعظ الايمان، وخشية الديان. فانخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما، والاغتراف من بحرهما الواسع، وجودهما الصابغ، ولاشيء أهدي للنفوس وأجلب لسعادتها، وارجى لطهارتها، من تقم هذين الصنوين والمكوف على دروسهما، وتدبر معانيهما، والنفوذ الى مغزاهما، فهناك طهارة القلب، وصفاء العقل، وكمل النفس

فكان خليقا بالملء ورواد الدين أن يجملرا مة صدهم الاسمي وفايتهم القصوي معرفة هذين الاصلين، والاستظلال بظل هاتين الدوحتين، والاحتماء بجمها وابتغاء الهداية من سبيلها. ولكن - وأسفاه - صرفوا عنها المناية وولوا وجوههم نحو الفروع وما اليها، وتحكروا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فأثروا الفروع

(١) رسالة منها الشيخ عبد العزيز المولي الطالب في السنة النهائية، مدرسة القضاء الشرعي
(٢) روى البيهقي المدخل من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي مرسلا قال قال رسول الله « من يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له يفلون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

على الأصول ، وقدّموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول . وما ذك إلا اعراض
لمقام الكتاب والسنة ؛ وتغال في وضع الآراء مواضع النصوص ، وانه خطأ - لو
يملون - عظيم تنكره أسو لهم ، وتأباه عليهم - لو أنصفوا - عفو لهم
ومن عجيب أمرهم أن يمدوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير
الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به
سرفصاحته وكمال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم . وأعجب من
ذلك أن يمدوا بخاري زمانه ومسلم أو انه من صر على صحيح البخاري من السحاب
دون أن يطلق لنفسه المنان في تفهم الأحاديث واستنباط الأحكام ومقارنة ذلك
بأفهام المتقدمين وما استنبطوه منها . وابن صحيح البخاري من كتب الصحاح
والتسايد والجزاء التي يكاد يخطئها العد ولا يضبطها الحساب ؛ وان من المضحكات
المبكيات أن تسأل كثيراً من العلماء عن أسماء الكتب الستة فلا يجيب جواباً كأن
ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دير ، فلا حول ولا
قوة الى بالله

تنكرت معالم الدين ، وطبق الجهل على المنتسبين اليه ، وسادت الفروع وعبدت
لها الأصول . وأنكر على المؤثر لها ، المقتضي هديها ، فزال جلال الدين من النفوس
وكاد يرحل من دور القضاء ، ويهاجر من أرض المعاملات
فكل ذلك دعائي لان أجعل رسالتي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة
الخطامية ، في تاريخ فنون الحديث - والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف
وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تشمل لك - أيها القارئ الكريم -
صورة واضحة ترى فيها كتب السنة مائة ، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة
التي أداها للسنة سلفنا الصالح ، وتبصر في أساريها رفيع مقام السنة وناصح
بياضها وجميل أمرها . واني وان لم أسبق الى هذا النوع من الكتابة - حسب
ما أعلم - ولم يعهد أحد قبلي صمابه فان أملي في الله عظيم ورجائي في واسع
فضله كبير ان يسدد لي خطاي ، ويوفقني لمسامي ، ويمدني بروح من عنده
يهديني بها قصد السبيل ، انه نعم المولى ونعم النصير

مضى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المساوكة من صفت الشيء بالمسن اذا أمرته عليه

حتى يؤثر فيه سنا أي طريقاً . وهي اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحسوسة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لاصرواد أو بلفظه من يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الادوار التي تقلبت فيها من لدن صدورها عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الى أن وصلت اليها من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع المنشور لها وتهذيب لكتبتها ونقي لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لغامضها ونقد لرواها — الى غير ذلك مما يعرفه القامون على خلفتها والماملون ، على نعم رايها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها مختلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين
تحريره الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث
المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه .
ومنقب ذلك الجماعة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نشرع في موضوعنا نقدم لك بين يديه فصلانين فيه مكان السنة من الكتاب ومازلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان السنة عملين (١) تبين الكتاب (٢) والاستقلال بتفريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بجمل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المصنوع يفصل بجمها ويوضح مشكاتها ويميز محتملها ويقيد مطلقها . وكيف تراك مصلي اذا وقعت الى ما نطلق به الكتاب فحسب ولم تخرج على السنة فتتصرف أوقاتها وتعدد ركعاتها وسجوداتها وما يقيمها أو يبطلها الى مسائل أحكامها وكثيراً ما يعاها

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة لا ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قاله وعاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع . فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذ يقول : الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان الجمل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) : وقوله جل شأنه : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية . وكيف تنكر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدم بن معديكرب قال قال رسول الله (ص) « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث غني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » وقد حرمت السنة نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وحرمت الجمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومغلب من الطير وأوجبت رجم المهن — الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأطحات الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الاوطار للشوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورفائق وعقائد وان كانت لا تمدو شرح الكتاب

وجهة القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين ، ومتمدن المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مندوة في بطون الكتب . وإنما كانت مطبوعة على صفحات القلوب فكانت مدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبث الحكم والاخلاق ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها : روي مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله (ص)

« لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليحجه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » قال كثير من العلماء نهامهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. وهذا لا ينافي جواز كتابته إذا أمن اللبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه « اتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعمده » وقوله عام الفتح « اكتبوا لابي شاه » واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم. ولما توفي النبي (ص) بأدرا الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسموا ذلك « المصحف » واقتصر واعل بتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكره رفقوا همهم الى نشره بطريق الرواية اما بنفس الالفاظ التي سموها منه « ص » ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤدي معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبني بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه باخر ولو كان مرادفاله خشية النسيان مع طول الزمان فوجب ان يقيد بالكتابة . وأما السنة فتقييدها مباح ما أمن الاختلاط

فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد المماد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي: وفي القصة ان رجلا من الصحابة يقال له أبوشاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي (ص) « اكتبوا لابي شاه » يريد خطبته . ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النبي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من « كتب عني شيئاً غير القرآن فليحجه » وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه . وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شبيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والأئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

والى القول بالنسخ أميل . ذلك ان القرآن وان كان بدعاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز . لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بنزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جد التوطن ، ولا تمكنت فيها فضل التمکن . فكان من الممكن أن يشبهه على من دون غيره من الأنبياء المتلو بغير المتلو فوجب التمييز بالكتابة . فلما مننوا

على أسلوبه وطال مهدهم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا اذا سمعوا الآية تنبى أو
 السورة تقرأ ادركوا الاول كلمة تفرع اسماعهم ان ذلك وحى الله المتبار ولم يجز
 الاشتباه حول تفوسهم — لما مر نواحي ذلك اذن لهم بكتابة الحديث لأن من الدين
 ولعل من دواعي النهي عن كتابة الحديث أو لا ثم الاذن بكتابه كتاباً
 أن المارقين بالكتابة كانوا في غربة الاسلام قليلين فانضمت الحكمة عودهم من
 كتابة القرآن فلما توافر عددهم اذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث
 ولا يقمن في نفسك عما أسلفت انه لا يدرون شي من التاريخ القديم والاول والآخر
 كان هذا هو الشأن الضال — فقد كان عبد الله بن عمر ربيعة كثر ما سمعه من
 رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم
 وفضله » عن مطرف بن مطريف قال سمعت النبي يقول لأبي جهم بن
 قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شيء سوى القرآن فقلت
 لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطني الله شيئاً يعا في كتابي و الذي عند
 الصحيفة ؟ قلت وما في الصحيفة . قال العقل والفطنة والسخي والابصار والذكور
 وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر وبن حزم
 وغيره . وعن ابي جعفر محمد بن علي قال رجا في قام سيف رسول الله « من »
 صحيفة مكتوب فيها « ملمون من أضل العمى عن سبيل ، ملمون من سرق تخوم
 الارض ، ملمون من تولى غير مواليه ، أو قال ملمون من جهد نعمة من نعم عليه »
 وعن معن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه
 خط أبيه بيده . وعن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه
 الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فاذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد
 عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما
 احتجج اليه عدت انه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت
 كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كتي باهلي ومالي



تثبت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول اذا كانت الصدور وحاء السنة في القرن الاول فكيف يؤمن عليها
 النسيان وأن يندس بين المسلمين من يتقول على الرسول ؟ فنقول اجابة عن ذلك
 ان الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس الى الاتمام

بأمره والالتفاء بنبيه وقد علموا ما أوعد الله به كاتم العلم من لمن وطردوا بعد عن
 راحة الرب فكانوا اذا علموا شيئا من سنن الرسول يادروا الى تعليمه وابتلاغه خروجا
 من التهمة وابتغاء لارحمة فرعان ما ينتشر بين الجماهير فليثن نسي بعض منهم
 قرب مبلغ أوعى من سامع فن البعد بمكان أن يضيع شيء من السنة أو يخفى على
 جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أن
 من الحديث محرما ومحملا ومختلا ومصوبا وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن الآخذ
 باهدابه لذلك تثبتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة
 كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأتي الا شاهداً ممضداً أو يميناً حاسمة
 يحيط لثام الشك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في
 رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت الى أبي بكر لتتص
 أن تورث فقال ما أجداك في كتاب الله شيئاً . ثم سأل الناس فقام المنيرة فقال كان
 كان رسول الله «ص» يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة
 بذلك فأتمذه لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب حين للمحدثين التثبت
 في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد اذا ارتاب . روى الجريري عن أبي
 نضرة عن أبي سعيد ان أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مهمات فلم
 يؤذن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله «ص»
 يقول اذا سلم أخوكم ثلاثاً فلم يحجب فليرجع « قال لتأتيني على ذلك بيينة أو
 لا فجلن بك ياأبا موسى منتقماً لونه ونحن جالوس فقلنا ما شأنك فأخبرنا
 وقال فهل سمع أحد منكم فقلنا نعم قلنا سمعنا فاسألوا معه رجلا منهم حتى
 أتى عمر فأخبره وقال على رضي الله عنه كانت اذا سمعت عن رسول الله «ص»
 حديثاً نفعني الله بما شاء منه واذا حدثني عنه حديثاً سمعته نفعته فان حافظني صدقته
 وان أبا بكر حديثي ووجهي أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله
 «ص» يقبلون من الرواية عن رسول الله «ص» خشية أن يدخلوا في الحديث ما ليس
 عنه سهواً أو غفلاً فيما لهم من وسبب الكذب على رسول الله «ص» ومن أولئك
 الرواة وأبو عبيدة والبراء بن عازب والطلب وكانوا يكرهون من يكتر من
 الرواية اذا كثار وطاعة الخطأ والخطأ في الدين شميم الخطر فذكر واعلى أبي هريرة
 بقصة عديده حتى اضطر لغيره فاستأذنه أن يبين السبب الذي حمله على الاكثار فقال
 أن الناس يتولوا أكثرهم هجرة ولولا أناس في كتاب الله ما حدهت حديثاً

ثم يتلو: (ان الدين يكتمون ما أنزلنا من البيئات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا وأسلعوا وينبوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) : ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنفق في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) يشبع بطنه ومحضر مالا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتمت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقل الضبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولمعري انها الاصل فان الخطاط يفضل والقلم يحفظ فلما أن أفضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : انظر ما كان من حديث رسول الله «ص» فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند حمزة بنت عبد الرحمن الانصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أميات المدني الاسلامية بجمع الحديث . ومن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني احده الأئمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (٥) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أو مالك «٦» والريعي بن صبيح «٧» أو سعيد بن أبي عروبة «٨» أو حماد بن سلمة «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهشيم «١٢» ومعمّر «١٣» وجريير بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلفاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

- ١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «٥» الطبقة في اصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠
- (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٢٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٢ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٩ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ باليمن «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للإمام مالك ابن أنس المدني امام دار الهجرة (١) ومسنند الامام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (٥) والجامع للإمام عبدالرزاق بن همام الصنعائي (٣) ومصنف شمسة بن الحجاج (٤) ومصنف سفيان بن عيينة (٥) ومصنف الليث بن سعد «٦» وبمجموعات من عاصره من حفاظ الحديث وعقال أو ابده كالإوزاعي والحليدي (٧)

ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعدها صيتاً وأجلها ببولاً رأيت أن أفرد له فصلاً يجلي شأنه ويوضح مآلقاته من عناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الامام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع «١» وغيرهما قال المحدث الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا الوجه . وقد سنّف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخريج أحاديثه ووصل بمنقطعة مثل كتاب ابن أبي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكاً في الشيوخ . قال السيوطي في تقريبه نقلاً عن ابن حزم : أحسيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند «٢» خمسمائة وثلاثين مرسلًا وفيه ثيف وسبعون حديثًا قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء

عناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بن سير واسطة أكثر من ألف رجل

١. توفي سنة ١٧٩ هـ . توفي سنة ٢٠٤ هـ «٥» يطلق مختلف الحديث على الاحاديث المعارضة بمثلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تصف . ٣. توفي سنة ٢١١ هـ . توفي سنة ١٦٥ هـ . ٥. توفي سنة ١٩٨ هـ . ٦. توفي سنة ١٧٥ هـ . ٧. «توفي ٢١٩

١٠٠٠ الريل من احديث ماسقط من سننه الصحاح بأريروا الناجين عن الرسول « من ميانته » والقطع ماسقط من اناء سننه راوا رأ أكثر مع عدم التوال « ٢٥ » السنن مرموع صحابي بسند ظاهره الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكباده الأبل إلى مالك من أقاصي البلاد. صدقاً لقول النبي
«ص» - «يوشك أن يضرب الناس أكباده الأبل في طلب العلم فما يجدون بأعلم
من عالم المدينة» قال عبد الرزاق هو مالك ابن أنس، رواه الترمذي - فهم
المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم
شيوخ المحدثين كيجي بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد
الرزاق بن همام «٤» ومنهم الملوك والأمراء كالرشيد (٥) وابنيه الأمين (٦)
والمأمون «٧». وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الإسلام ثم لم يأت
زمان إلا وهو أكثر به شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الأمصار مذاهبهم
حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون
متابعاته وشواهد «٨» ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهاء
ويفتشون عن رجاله إلى غاية ليس بعدها غاية. روى ابن سعد في الطبقات عن
مالك بن أنس قال لما حج المنصور قال لي: قد عزمت على أن أمر بكتبة هذه التي
وضعها فتتسخ ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن
يحملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره: ففعلت بأمر المؤمنين لا تفعل هذا فإن الناس
قد سبقت إليهم أقوالهم وسموا أحاديثهم ورووا رواياتهم وأخذ كل قوم بما سبق
إليهم ودانوا به فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لا تقسمهم. وروى أبو نعيم
في الحلية عن مالك بن أنس قال شاورني هرون الرشيد في أن يعلق الموطأ في
الكعبة ويحمل الناس على ما فيه فقلت لا تفعل فإن أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا
في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل ممسبب. فقال وفقك الله يا أبا عبد الله

روايات الموطأ قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطأ المعروفة
عن مالك أحد عشر منها متقارب والمستعمل منها أربعة موطأ يجي بن يحيى
وموطأ ابن بكير وموطأ أبي مصعب وموطأ ابن وهب ثم ضعف الاستعمل في

١. توفي الأول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩. ٢. سنة ١٩٨. ٣. سنة ١٩٨. ٤. سنة

٢١١. ٥. سنة ١٩٣. ٦. سنة ١٩٨. ٧. سنة ٢١٨

«٥» الحديث الذي يفرده روايته واحد يسمى غريباً فإن انفرد به في موضع واحد من الأسانيد قيل
لحديث أنه فرد ليس أيضاً وإن كان في كل موضع منه - معي فرداً حقيقياً ماداً وإلا في ذلك المفرد
غيره لرواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عنه قيل أنه وجد لأول متابعيه وان وجدته
يشبهه منه وهو مروى عن صحابي آخر قيل لثاني شاهد

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة وتقصير ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية نبي مصعب فندقل بن حزم انها زيدت على سائر الموطآت نحو مائة حديث

شرح الموطأ ومختصراته

من شرح الموطأ أبو مروان بن عبد الملك بن حبيب المالكي (١) و... فالحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر (٢) كتاب سماه (التقدي الحديث الموطأ) وله كتاب (التقدي لما في الموطأ من المعاني والاسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره . وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبد الله بن محمد النجوي البغدادي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المغربي «٤» وسماه (القبس) ومما جاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب الف في شرائع الاسلام وهو آخره لانه لم يوافق مثله اذ بناه مالك رحمه الله على تمهيد الاصول للفروع وتبني فيه على معظم اصول الفقه التي رجع اليه في مسائله وفروعه . ومن شرحه جلال الدين عبد الرحيم ابن أبي بكر السيوطي (٥) وسمى شرحه « كيف الموطأ . في شرح الموطأ » وبجانب ابن عبد الباقي الرزقاني المصري المالكي (٦) شرحه شرحا بسيطا في ثلاثة مجلدات ونموطا مختصرات كثيرة فمنها مختصر الامام الخطابي أحمد بن محمد البستي (٧) ومختصر أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشيق القيرواني (٩) (له بقية)

(الدعوة الى انتقاد المنار)

انا بدهو جميع من يطلم على المنار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكتبوا لنا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما يراى في مصلحة أمنا أو وطننا التي نميش فيها . واعد المنتقدين بنشر كل ما يرسل الينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي يناه في خامسة المجلد ال ٢١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراء المنار أن يطالبوا كل من يسمون منه انتقادا في المنار بكتابة انتقاده وارساله ال صاحبه ينشره فيه فيطلم قراؤه عليه وعلى ما يقرون به من قبول أو رد ويأخذوا بما يرونه حتى . وسموا أن نكرمهم بما نكتب انتقاده ويرسله لنا فهو فاسق مقتاب . أو حامد كذاب

١. توفي سنة ٢٣٩ . ٢. سنة ٤٦٣ . ٣. سنة ٥٢١ . ٤. سنة ٥٤٦ . ٥. سنة ٩١١

٦. سنة ١١٢٤ . ٧. سنة ٢٨٨ . ٨. سنة ٤٧٤ . ٩. سنة ٤٥٦

الاتحاد والاقتصاد

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع ، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما ، وشرح الكتاب لفوائدهما ، ولما يقفه الدهماء حقيقة معناها ، بل لما يحطأ أكثر الملماء والزعماء منا خيرا بهما ، لان فقه الحقائق واحاطة الخبر لا يحصلان الا بقول التجارب في الحوادث ، والاصطلاح ببران الكواثر ، بعد تلقي الحكمة بالتعليم ، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ انشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم ما ندعو اليه القراء في مصر وسائر البلاد ان يجعلوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكون أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة قنية تتصرف بثروتها في القيام بمصالحها كما تشاء . بثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م . ر) وبغير امضاء . ثم أعدنا بثنا في (الجريدة) في أول العهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يا مصر أحوج) نشرناها أيضا في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المنار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائج قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لا ينال الا به . بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد ، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المفقود ، وقفده يذهب بالاستقلال الموجود ، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع ، منه على نيل الاستقلال الذي يرحي به ، ويتوقع ، فان الاتحاد اذا لم وانقصت عروته قبل بدو اصلاح ثمرته نفضت الشجرة أو خرجت الثمرة شبيها لاغناء فيها ، واذا اتكث قلبه بدمه ، زال أثره بزواله ، فاذا لا استقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولا كان لكل دائرة منظمة جهة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد انذني ارتقت اليه البلاد ويمثله وجب على الشعب المصري المتحد أن يظل مستمسكا بحبله مضطحا بعروته ولا سيما بعد الذي ظهر من كراهة امانته ، والا

كان كالتالي نقضت فرضها من بعد قوة انكسارها ، وهيك به جهلا وأفنا وخسرانا
 ثم ليعلم علم تدبر أنه لا تقوم لاستقلال الأمم وحريتها الا بالثروة، ولا ثروة الا
 بالاقتصاد، وان الاستقلال السياسي ، متوقف على الاستقلال الاقتصادي، ونحن
 مقصرون في بديل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كتنا من المالكين
 ان لكسب والاتفاق علوما وفنونا اتسم نطاقها في هذا العصر انماها نطاقها لانها
 قلب الرحي لمدينة الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسياستها وقد برزت بها الامم
 الشمالية الغربية ، فاستمرت اراستعبدت به الامم الشرقية والجنوبية، حتى ظن كثير
 من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية، أعظم استعدادا بطبيعة
 المرق وخاصة الجنس من الشعوب الشرقية، ويطل هذا القول ، وهو معلوم من
 ان اليهود أرقى أهل الأرض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المتحرية عليها، انما
 وجدوا وحيدا حلوا من أقطار الأرض ، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه، وكذلك
 الشعب الياباني في الشرق الأقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب

ولكن الامر القريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون
 مقصرين في هذا المضمار، وهذا التقصير أضاءت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها
 بين يران الخطر، ويضميم أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يزاحمهم فيها غيرهم ، فان
 كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم
 وفنونهم وانما ذلك إثر رقة الأرض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،
 فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها
 نفقة عليها تراها مقصرة في هذا الاقتراب لجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية
 واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي
 ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ ثروة من التبذير والضبايع ، بل
 القبط من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا ورتبهم النسبية تفوق ثروة
 المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم ويسري لاوربيين والسوريين ، بل أكثر
 المسلمين يعتمدون على كتبهم في دارة ثروتهم ، على ان المسلمين شديد مراقبا في الاتفاق
 وتبذير الاموال منهم ومن سائر الشعوب التي تعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلمه بايدي الرأي بأن الدين الاسلامي هو
السبب في الامرين . وهذا التمليل يضاهي في البطلان تمليل من عساه يقول ان
الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وصحة عيشهم وشدّة صلواتهم وجبروتهم .
والحق أن كلام النصارى والمسلمين مخالف لهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين ،
فلأنجيل يهدي الى المبالغة في الزهد والتقناعة والتواضع والخضوع لكل سلطان ، وينص
على أن الغني لا يدخل ملكوت السموات ، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين
مطالب الروح والجسد كما ينأ ذلك وفصلناه مرارا كثيرة . ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله
تمالي في أوائل سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي
جعل عليهما امدار قيام مصالحكم ومراقبتكم وحفظها وثباتها ، وقوله في صفات المؤمنين من
أواخر سورة الفرقان (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)
ونهى في وصايا - ورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبسطها في الانفاق وعن التبذير
وسمى المبذرين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أصول الدين وفضائله
وأدابه ، وهي تشمل الوصايا المشعر التي في الثورة ما عدا بطالة يوم السبت وتزويد عليها .
وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون مخالفون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا
كانت فيما أبيع لهم من الزينة واللبنيات ، فكيف اذا كانت في المحرمات . ولا سيما
الفواحش الثلاث المفسدات للقطرة المحرمات للديار - السكر والزنا والقيار . وهم
على هدمهم بذلك لدينهم . يهدون كل ما بيني من صرح استقلالهم ، وانى لم أر ولم
أسمع من أخبار البشر أن شمبا منهم يعادي التقدي الذي هو ميزان الاعمال والقوة
في الاجتماع البشري كالشمب المصري ، فالمصري أسرع الناس بذلا لما يصل الى يده
من النقد فالتدتمون بالزينة والثنيات ينفقون في سبيلها ما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض ولو بالربا الفاحش ، وغير المتمتعين بشترن بما تصل اليه أيديهم من كسب
وقرض بالربا أرضا أو عقارا ، ولا يبالي أكثر الفريقين أن يشترى الشيء بأضع فتمته وان
استدان لثن بالربا الفاحش لان النقد احقر الاشياء في نظره . ولذا ترى أكثر
المصريين على سعة ثروتهم الزراعة مهقنين بالدين . فيجب على لزعماء والخطباء

وكتاب الصحف أن يتعارفوا على درء هذا الخطر بوسيلتي العلم والعمل، والاخلال المتجون منهم كالاجراء للاجانب لان جل ما ينتجون يتمسك بالاصناف المادية ومناظر الرايين وخبوب اصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار ونجار هروض الزينة والترف، وبعبارة اخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوروبا لاجل الاختصاص في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم يفتلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المنتظر يزول ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا. وانني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوربية—دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد—وجميع عمال هذه الماهل من الوطنيين الا أنني رأيت في فضل كبير في بباي رجلين من الانكليز وظيفتهما اختيار نقوش النسيج، ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحرقيتها في التصرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا الغلاء الشديد الذي نشط من حملة جميع الأمم—الذي كانت الحرب سببا طبيعيا^(١) له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا بصناعية وحيلة كبيرة—قد بلغ مده الغاية في حده ولم يعد للممران قبل باحتماله، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقله الايدي العاملة لاشتغال ألوف الألوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثُر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المسمكين للاقوات والمصنوعات قد قل عددهم اذ أهلك الحرب خمسة وثلاثين مليوناً من البشر منها

(١) القاعدة في النسبة الى فعيلة فعلي وصرحوا باستثناء السليفة فقالوا ضليني استعمل وجرى علماء المقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها كمنى السليفة

٣٢ مليوناً في ميادين القتال على أوساط تقديره ، والباقي فيما تولد عنها من الادواء
والامراض والمجاعات قاتلة ، ويوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر
في الشرق لا يزال يتنوا احوال البضائع الأوروبية اليهم ، فلا بد اذا أن يهبط آمان
البضائع والاقوات موطاً هزيلاً وبما كان فوق تقدير القدرين
فالواجب على كل عاقل حريص على ماله أن يتبع القاعدة المنقولة التي جربنا
نحن عليها وكما نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئاً ما قبل عودة الاسواق
الى الاسعار المعتدلة إلا اذا كان لا يثق له عنه ويبد البحث عن أسماؤه في هذه مواضع
ولا يترن أحد بعد اليوم بحيل التجار بادعاء تنزيل الآمان مؤقتاً ودعوتهم الى ما
يسوته الفرصة المظلمة أو « الإكزيون » فإن هذه الفرص ليست بموقفة وإنما هم
مضطرون الى الحيلولة بها الى ما دونها فهم يقتسمون فرصة حاجة الناس الى الشيء
والتيهم الخلاء قبل الحيلولة الشديداً للمنتظر فالتم لهم والفرص على من يصدقهم
بدأ احتق التجار ببعض أسماؤالبضائع بالندرج ولا سيما المنسوجة وفالي أغنياء
الطامعين مصرين على نهب الناس تلك الأسماء الفاحشة بل علمنا علم اليقين أن بعض الذين
أعلنوا الناس وجوب اقتام الفرصة بالنقص الموقت من سير البضائع قد زادوا في صبرها
عما كتبوا على بطاعتها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والمجديفة ، ولكن قل من يتخضع
بعد اليوم بهؤلاء القساة للبيعتين للافلاس والاقتر

الجود والاحسان

والعاقبة فيما بين نداء الانكار اليوم ونداء الصحابة (رض)

نشرت جريدة التبليغ منذ بضعة أشهر ما يأتي

قولي أجد اغنياء لندن يحافظون من أيام وابنته انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين
الف جنيه لانشاء حديقة في لندن تدعى حديقة النصر . وقد وعد هذا المحسن
أن يتبرع بكل ثروته وقدره بأكثر من مليون للاعمال الخيرية قبل وفاته
واجتمع المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستعداد الاكف لمساعدة
الرجالات البديفة الخارجية وخطب الخطباء . قالت الدبلي مايل فاشذت النساء
يزمن حليهن ويقننها في اللب والبراطيط الى ادبرت على المجتمعين وتبرع كشمون

بحرالات كتبها باقلام استعارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف
 جنبه وبعضها ثيابي مئة والبعض بخمسة مئة. وقدر ما اجتمع من الساعات ذات
 السوار والحلي الاخرى بمئات الجنيهات . وزعت احدى الحاضرات الحلية التي على
 خديتها وتبرعت اخرى بازرار الاؤلوة التي على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين
 صغيرين من الذهب والالاس نزهتهم من اذنيها وكان المجموع الاول ١٧٤٥٠ جنيهه
 الاعتبار بهذا الخبر

ذكرنا تبرع نساء الانكليز بمحليين لمساعدة نشر دينهم ماورد في الصحيحين
 من مثل ذلك من نساء الصحابة (رض) فقي (باب عظة النساء) من كتاب العلم
 هند البخاري عن ابن عباس (رض) قال اشهد على النبي (ص) انه خرج ومعه
 بلال فظن انه لم يسمع النساء فوهظن وامرهن بالصدقة فجاءت المرأة تلقي القرط
 والحاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوهظ للنساء كان في يوم عيد الفطر . تخص النبي فيه النساء بالموعظة
 بعد الخطبة العامة لانه لم يسمعهن لانهم كن يصلين ويجلسن وراء الرجال واخرج
 البخاري الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب الميدين)
 عن جابر رضي تفسير سورة الممتحنة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات
 ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى اتى النساء فقرأ عليهن آية المباشرة
 ثم قال لمن «هل اتين على ذلك» فاجابته واحدة ههين نعم . ولما امرهن (ص)
 بالصدقة قال لمن بلال : هل لكن فذأ ابي واممي . فحملن يلقين الفتيخ والخواتيم في
 ثوب بلال ، وزاد في رواية لسلم الخلائيل . فاما الاقراط فهي حلي الاذن واما
 الفتيخ وهي جهم فمعة لخلق تلبس في اصابع اليدين والرجلين .

والمبرة فيما تقدم من وجوه اهمها ان الافرخ اليوم اقرب منا الى هداية ديننا
 وسيرة . لاننا الصالح في امور كثيرة واهمها حياة الدين والعبادة تلبه والبذل في سبيله
 وشاورة النساء في رجال في حضور العبادة في الجمع مع الرجال وجمع المواعظ والتعاون
 على المساعدة المطلوبة . ولا يبعد ان يعود نساؤنا الى شيء هداية دينهم اقتداء
 بالحنانات من نساء الافرخ كما يقلد الكثيرات منهن المسننات الآن في الامور المنة .
 ومما دلت الحماة في الامة لها افنا كما

فتبر عبادي الذين يستمعون القول فيتوبون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الْحَمْدُ
١٣١٥

بؤني المسكنة من يشاء ومن يؤت المسكنة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صدى « ومانارا » كمنار الطريق

مصر. ملخ ربيع الآخر ١٣٣٩ - ١٩ الجدي (ش ١) سنة ١٢٩٩ هـ ٩ يناير ١٩٢١

تاريخ فنون الحديث

٢

أفراد الحديث بالتأليف من مبتدأ القرن الثالث

في أول هذا القرن أخذ رواة الحديث في جمه طريقة غير التي
 ان كانوا يجمعونه مزوجاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين أخذوا يترددون بالجمع
 والتأليف ثم من أئمة الحديث من جمع في مصنفه كل ما روي عن الرسول (ص)
 من غير تمييز بين صحيح وبعيد . ومنهم من أفرد الصحيح بالجمع ليخلص
 طالب الحديث من عناء السؤال والبحث ، وكان أول الراسخين لتلك الطريقة
 المنلى شيخ المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري فجمع في كتابه المشهور ما تميز له
 صحته ، وكانت الكتب قبله مزوجاً فيها الصحيح بالليل بحيث لا يتبين للناظر
 فيها درجة الحديث من الصحة الا بعد البحث عن أحوال رواياته والوقوف على
 سلامته من الملل فان لم يكن من أهل البحث ولم يظفر بمن يتعرف منه درجته
 بقي ذلك الحديث مجهول الجمال عنده . واقتفى أثر البخاري في ذلك الامام
 مسلم ابن الحجاج القشيري وكان من الآخذين عنه ثم ارتسم خطهما كثيرون
 وان ذلك القرن الثالث لاجل عصور الحديث وأسعدها بخدمة السنة
 فبها ظهر كبار المحدثين وجهابذة المؤلفين وحناق الناقدين وفيه أشرفت
 شمس الكتب الستة التي كادت لا تغلق من صحيح الحديث الا الثور اليسير
 والتي عليها يعتمد المشرعون وبها يعتضد المناظرون وعن محياها تنجاب الشبه
 ويضوؤها يهتدي الضال ويرد يقينها تتلج الصدور
 وبانسلاخ هذا القرن يكاد يتم جمع الحديث وتدوينه ، ويبتدى عصر ترتيبه
 وتهذيبه ، وتسهيله على رواه وتقريبه

وقبل أن تأتي على المشهور من كتب السنة في هذا القرن نتبد فملا
 فكشف فيه عن طرق التصنيف في الحديث حتى تكون على يد من تأليفه .

طرق التصنيف في الحديث

للعلماء في تصنيف الحديث وجمعه طريقتان (احدهما) التصنيف على الابواب وهو تخريجه على أحكام الفقه وغيره وتنويحه أنواعاً وجمع ما ورد في كل حكم وكل نوع في باب بحيث يتميز ما يتعلق بالصلاة مثلاً عما يتعلق بالصيام وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ما صح فقط كالشيخين ومنهم من لم يقتصر على ذلك كإبي داود والترمذي والنسائي (ثانيتها) التصنيف على المسانيد وهو انه يجمع في ترجمة كل صحابي (١) ما عنده من حديثه سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ويجمله على حدة وان اختلفت أنواعه ، وأهل هذه الطريقة منهم من رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم كالطبراني في المعجم الكبير والفضلاء المقدسي في المختارة التي لم تكن وهذا أسهل تناولاً ، ومنهم من رتبها على القبائل فقدم بني هاشم ثم الاقرب فالاقرب الى رسول الله «ص» في النسب ، ومنهم من رتبها على السبق في الاسلام فقدم المشرك ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح ثم أصغر الصحابة سناً وختم بالنساء . وقد سلك ابن حبان في صحيحه =

= طريقة ثالثة : مرتبة على خمسة أقسام وهي الاواسر والنواهي والاخبار والاباحات وأفعال النبي (ص) ونوع كل واحد من هذه الخمسة الى أنواع ، والكشف في كتابه عشر جداً ، وقد رتبته بعض المتأخرين على الابواب وعمل له الحافظ أبو الفضل المرقي أماناً (٢) وجرى الحافظ أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين في مجلد

ولهم في جمع الحديث طرق اخرى (منها) جمعه على حروف المعجم فيجمل مثلاً حديث «انما الاعمال بالنيات» في حرف الالف وقد جرى على ذلك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وابن طاهر في أحاديث كتاب الكامل لابن عدي (ومنها) جمعه على الاطراف وذلك بان يذكر طرف الحديث ثم يجمع أسانيداه اما مع عدم التقييد بكتب مخصوصة أو مع التقييد بها ، وذلك مثل ما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت المرقي في أطراف الكتب الخمسة

١٥٦ صحابي من لقب النبي (ص) مؤناً به ومات على ذلك «٢٦» بيان معنى الاطراف

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه معللاً بأن يجمع في كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه فإن معرفة الملل أجل أنواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ما عد متصلاً أو وقف ما ظن مرفوعاً وغير ذلك من الأمور المهمة . والذين صنّفوا في الملل منهم من رتب كتابه على الابواب كابن أبي حاتم وهو أحسن لسهولة تقاوله، ومنهم من رتب كتابه على المساند كالحافظ الكبير يعقوب ابن شيبة البصري (١) فإنه ألف مسنداً معللاً غير أنه لم يتم ولو تم لكان في نحو مائتي مجلد والذي تم منه مسند العشرة والمباسب وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمارة، ويقال ان مسند علي منه في خمس مجلدات ويقال انه كان في منزله أربعون لحافاً أعدها لمن كان عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند، ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار (خمسة آلاف جنيه مصري تقريباً) قال بعض المشايخ انه لم يتم مسند معلل قط

هذا وقد جرت عادة أهل الحديث أن يفرّدوا بالجمع والتأليف بعض الابواب والشيوخ والتراجم والطرق

أما الابواب فقد أفرّد بعض الأئمة بعضها بالتصنيف كباب رفع اليدين في الصلاة أفرّده البخاري بالتصنيف ، وباب القضاء باليمين مع الشاهد أفرّده الدارقطني بالتصنيف وأما الشيوخ فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين كل واحد منهم على اتماده فجمع الاسماعيلي حديث الاعمش وجمع النسائي حديث الفضيل بن عياض . وأما التراجم فقد جمعوها ما جاء بترجمة واحدة من الحديث كمالك عن نافع عن ابن عمر وكسهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

وأما الطرق فقد جمعوها بعض طرق الأحاديث كحديث قبض العلم جمع طرقه الطوسي وحديث « من كذب على متعمداً » جمع طرقه اللبراني وغير ذلك

كتب السنة في القرن الثالث

اشهر الكتب في القرن الثالث صحيح البخاري (١) وصحيح مسلم (٢) وسنن أبي داود (٣) وسنن النسائي (٤) وجامع الترمذي (٥) وسنن ابن ماجه (٦) ومسند الامام أحمد بن حنبل (٧) والمتقى بالاحكام لابن الجارود (٨) ثمه سنن ابن ابي شيبة (٩) وكتاب محمد بن سعد المروري «١٠» ومسند سعيد بن منصور «١١» وكتاب تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري «١٢» وهو من عجائب كتبه ابتداء فيه بما رواه أبو بكر الصديق وتكلم على كل حديث وعلمه وطريقه وما فيه من الفقه واختلاف العلماء وحججه واللغة فم مسند المشرة وأهل البيت والموالي وقطعة من مسند ابن عباس، والمسند الكبير لبقي بن مخلد القرظي «١٣» ربه على أسماء الصحابة روى فيه عن الف وثلاثمائة صحابي ويف ثم رتب حديث كل صاحب على ابواب الفقه فجاء كتابا حافظا مع ثقته مؤلفه وضبطه واتقاه ومسند سعيد الله بن موسى «١٤» ومسند اسحاق بن راهويه «١٥» ومسند ابن حميد «١٦» ومسند الدارمي «١٧» ومسند أبي يعلى الموصلي «١٨» ومسند ابن ابي اسامة الحارث بن محمد التميمي «١٩» ومسند ابن ابي عاصم احمد بن عمرو الشيباني «٢٠» وفيه نحو خمسين الف حديث ومسند ابن ابي عمرو ومحمد بن يحيى المدني (٢١) ومسند ابي هريرة لابراهيم بن حرب المكري «٢٢» ومسند الامام علي ل احمد بن شبيب النسائي «٢٣» ومسند المنبري ابراهيم بن اسماعيل الطوسي «٢٤» والمسند الكبير للبخاري ومسند مسدد بن مسرهد «٢٥» ومسند محمد بن مهدي «٢٦» ومسند الحميدي «٢٧» ومسند ابراهيم بن معقل النسفي «٢٨» ومسند ابراهيم بن يوسف الهنجابي «٢٩» ومسند مالك ل احمد بن شعيب

(١)	توفي سنة ٢٥١ (٢)	سنة ٢٦ (٣)	سنة ٢٧٥ (٤)	سنة ٣٠٣ (٥)	سنة
٢٧٩	٢٧٣	٢٧٧	٢٨١	٢٨٥	٢٩٠
٢٩٤	٢٩٨	٣٠٢	٣٠٦	٣١٠	٣١٤
٣٢٧	٣٣١	٣٣٥	٣٣٩	٣٤٣	٣٤٧
٣٦٠	٣٦٤	٣٦٨	٣٧٢	٣٧٦	٣٨٠
٣٩٥	٣٩٩	٤٠٣	٤٠٧	٤١١	٤١٥
٤٢٨	٤٣٢	٤٣٦	٤٤٠	٤٤٤	٤٤٨
٤٦١	٤٦٥	٤٦٩	٤٧٣	٤٧٧	٤٨١
٤٩٤	٤٩٨	٥٠٢	٥٠٦	٥١٠	٥١٤
٥٢٧	٥٣١	٥٣٥	٥٣٩	٥٤٣	٥٤٧
٥٦٩	٥٧٣	٥٧٧	٥٨١	٥٨٥	٥٨٩

النسائي «١» والمسند الكبير لأحمد بن بن سفيان «٢» والمسند الممل لابن بكر الهزار «٣» ومسند ابن سنجر «٤» والمسند الكبير ليمقوب بن شيبه «٥» ولم يؤلف أحسن منه - لكنه لم يتم - ومسند علي بن المديني «٦» ومسند ابن أبي عزرة أحمد بن حازم «٧» ومسند عثمان بن أبي شيبة «٨» وكتب المسانيد كثيرة جدا وفيما ذكرنا كفاية وان أردت زيادة فانظر كشف القامون تجد فيه بعض الحاجة

«تنبيه» كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة اذ جرت عادة مصنفها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه صحيحا كان أو سقيا ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يوردها مطلقا واستثنى بعض المحدثين منها مسندا لمام أحمد بن حنبل

كتب السنة في القرن الرابع

الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من رواة الحديث وحملته هو رأس سنة ثمانمائة وقد أبنا فيما سلف أن القرن الثالث أسعد القرون بخدمة السنة وتمحيصها ونقد رواياتها وكل من أتى بعد ذلك فعالة على المتقدمين - الا قليلا - يجمع ما جمعوا ويعتمد في نقده على ما نقدوا لذلك كانت كتب السنة في القرن الثاني والثالث تمتاز في الاكثر بأولية الجمع فيها دون الاخذ عن غيرها وهذا مادعاني الى أن أفرد كتب السنة في القرن الرابع بالذكر دون أن ادبجها مع كتب السنة في القرن الثالث

أشهر الكتب في القرن الرابع المماجم الثلاثة الكبير والصغير والاوسط للامام سليمان ابن أحمد الطبراني (٩) رتب في الكبير الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين الف حديث ورتب في الاوسط والاصغر شيوخه على الحروف أيضا ولقد رتب الكبير الامام علاء الدين علي بن بلسبان الفارسي (١٠) ترتيبا حسنا وسنن الدارقطني (١١) وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان

(١) توفي سنة ٣٠٣ (٢) سنة ٣٠٣ (٣) سنة ٢٩٢ (٤) سنة ٢٥٨ (٥) سنة ٢٦٢ (٦) سنة ٢٣٤

(٧) سنة ٢٧٦ (٨) سنة ٢٣٩ «٩» سنة ٣٦٠ «١٠» سنة ٧٢١ «١١» سنة ٣٨٦

(المجلد الحادي والمثرون)

(١٣)

(المنار: ج ٢)

البيهقي (١) وصحیح أبي عوانة يعقوب بن اسحاق (٢) وصحیح ابن خزيمة محمد
ابن اسحاق (٣) وصحیح المنتقى لابن السكن سعيد بن عثمان البغدادي (٤)
والمنتقى لقاسم بن أصبغ محدث الاندلس (٥) ومصنف الطحاوي (٦) ومسند
ابن جميع محمد بن أحمد (٧) ومسند محمد بن اسحاق (٨) ومسند الخوارزمي «٩»
ومسند أبي اسحق ابراهيم بن نصر الرازي «١٠»

ومسند لكل كتاب من كتب السنة الشهيرة في القرنين الثالث والرابع
فصلاً يرفعه ويبين درجة أحاديثه ومالقيه من عناية مبتدئين في ذلك بمسند
الامام أحمد رضي الله عنه

مسند الامام أحمد بن حنبل

مسند الامام أحمد كتاب جليل من جملة أصول السنة يشتمل على أربعين
الف حديث تكرر منها عشرة آلاف ومن أحاديثه ما ينوف عن المئاة حديث
ثلاثية الاسناد (أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة)

درجة حديثه - روى أبو موسى المدني عن الامام أحمد أنه سئل عن حديث
فقال انظروه فان كان في المسند والا فليس بحجة. كأن الامام يرى صحة كل
ماساقه في مسنده لكن عبارته ليست صريحة في أن كل ما فيه حجة انما هي
صريحة في أن ما ليس فيه ليس بحجة لكن ثم أحاديث مخرجة في الصحيحين
ولست فيه . والحق أن الكتاب فيه كثير من الاحاديث الضعيفة بل ذكر ابن
الجوزي في موضوعاته خمسة عشر حديثاً من المسند لاحت له فيها سمة الوضع
وذكر الحافظ العراقي تسعة . لكن أجاب عن هذه الاحاديث الحافظ ابن حجر
في كتابه (القول المسدد في الذب عن المسند) وقال في كتابه تمجيد المنفعة برجال
الاربعة ليس في المسند حديث لأصل له الا ثلاثة أحاديث او أربعة منها حديث
عبد الرحمن بن عوف أنه يدخل الجنة زحفاً قال ويمتذر عنه لانه مما أصرب بالضرب
عليه فترك سهواً أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . ويمجني ما قاله العلامة

(١) توفي سنة ٣٥٤ (٢) سنة ٣١٦ (٣) سنة ٣١١ (٤) سنة ٣٥٣ (٥) سنة

٣٤٠ «٦» سنة ٣٢١ «٧» سنة ٤٠٢ «٨» سنة ٣١٣ «٩» سنة ٤٣٥

«١٠» سنة ٣٨٥

ابن نيمية في كتابه (منهاج السنة) شرط أحمد في المسند أن لا يروي عن المعروفين بالكذب عندهم وإن كان في ذلك ما هو ضعيف، قال ثم زاد ابن أحمد زيادات على المسند ضمت إليه وكذلك زاد أبو بكر القطيعي وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعة ففنن من لا علم عنده أن ذلك من رواية أحمد في مسنده شرحه واختصاره - شرح المسند أبو الحسن بن عبد الهادي السندي (١) نزيل المدينة المنورة واختصره زين الدين عمر بن أحمد الشجاع الحلبي وسمي مختصره در المنتقد من مسند الإمام أحمد وكذلك اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي (٢)

الجامع الصحيح المسند للإمام البخاري

وصف اجمالي له - هو أول كتاب ألف في الصحيح المجرى وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن الكريم ويقاربه في ذلك صحيح مسلم وذلك لهما لا يخرجان من الحديث إلا ما اتفق على ثقة ناقله إلى الصحابي المشهور مع كونه الإسناد إليه متصلاً غير مقطوع (وذلك ما يسمى بشرط الشيخين) ولقد جمع البخاري صحيحه في ست عشرة سنة وما كان يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يقتل ويصلي ركعتين ويستغفر الله في وضعه . وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن عدة ما فيه من الأحاديث بالمكرر ٧٣٩٢ سوى الملقات والمتابعات والموقوفات (٥) وبغير المكرر من المتون الموصولة ٢٦٠٢ ومن المتون المطلقة المرفوعة التي لم يصلها في موضع آخره ١٥٩ حديثاً فجموع غير المكرر ٢٧٦١ وفيه من الملقات ١٣٤١ حديثاً وفيه من المتابعات والتناهي على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثاً ولم يذكر عدد الموقوفات على الصحابة والمقطوعات الواردة عن التابعين فمن بعدهم بمجملة ما فيه بالمكرر سوى الموقوف والمقطوع ٩٠٨٢ حديثاً . وإنما جمع في صحيحه الأحاديث المطلقة والموقوفة والمقطوعة وليست

١٥ - نور - سنة ١١٢٩ ٤٢٥ - نور - سنة ٨٠٥

(٥) سبق من الحديث ما كان في مسنده فقط من أوله تأخر بقول البخاري عن ابن عمر «رضي» عن النبي «ص» كذا والموقوف ما انتهى مسنده إلى الصحابي ولم يذكر فيه أولاً النبي ولا فلا ولا وصلاً ولا قريراً - والمقطوع ما انتهى مسنده إلى من دون الصحابي أي من روى بطلق على المقطوع موقوف على فلان أي الذي انتهى إليه السند أ

من موضوع كتابه لانه قد فيها الاستثناس والاستشهاد بحسب. ولذلك نأير في سياقها لثمنان

وقد اتقد عليه الحفاظ عشرة أحاديث ومائة منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو ٣٢ حديثاً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨ حديثاً قال الحافظ ابن حجر في مقدمة شرحه (فتح الباري. على صحيح البخاري): وليست عليها كلها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدح فيه مدفوع وبمضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تصف، وقد أوضح ذلك الحافظ مفصلاً في المقدمة. وقد ضعف الحافظ من رجال الجامع للبخاري نحو الثمانين ولكن أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وعرف أحوالهم واطلع على أحاديثهم وميز صحيحها من ضعيفها فهو أعلم بهم وأخبر. وقد روى عن البخاري جامع الصحيح نحو من مائة الف منهم كثير من أئمة الحديث كسلم وأبي زرعة والترمذي وابن خزيمة

شروحه - لم يعتن علماء المسلمين بشيء بمد الكتاب العزيز عنيتهم بالجامع الصحيح للإمام البخاري فإكثر شارحيه والكاشرين في رجاله والمؤلفين في أغراضه والمختصرين لكتاباه وقد عد القاضى ملا كاتب جلي في كتابه كشف الظنون ما ينيف على اثنين وثمانين شرحاً للبخاري في مجاز الجهادة من السنة والاذكياء من الخلف ما بين كامل وناقص، بيد أن منهم من مال إلى الاجمال كالام الحطابى (١) فانه عمل شرحاً سماه (أعلام السنن) في مجلد واحد ومنهم من أتى التطويل فلم يفاد صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بسنده أو متنه الا كتب علي كلالام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي الشيرازي «٢» فانه شرحه شرحاً وافياً سماه «مع الباري بالسيب التسيح البخاري» كل ربع المبادات منه في عشر مجلدات أتى فيه بما لم يسبق إليه. ومنهم من سلك سبيل التوسط مقتصر على ما لا منه في فهم الاحاديث مع تفهيد أو ابده وتذليل شوارده

وهؤلاء على اختلاف مشاربهم وتباين مسالكهم قد فاقوا بمد الكثرة أن المحسنين من الشراح احساناً أربعة نفر

١ الامام بدر الدين محمد بن سيارد الزركشي ٣٠٣ في شرحه التسيح
والعلامة بدر الدين محمود بن أحمد العيني الحنفى ٤٠٤ في شرحه (ممدد البخاري)

«١» توفي سنة ٣٠٨ «٢» سنة ٨١٧ «٣» سنة ٧٩٤ «٤» سنة ٨٥٥

والحافظ جلال الدين السيوطي «١» في شرحه (التوسيع)

وشيخ الاسلام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «٢» في شرحه (فتح الباري) ولمسري أنه لا مير أولئك المحسنين فإن شرحه لا يدانيه شرح ولا يخطئ بحمالة وصف، ولو لم يكن له إلا مقدمته لسكانت كافية في الإشادة بذكره والابانة عن جلالة قدره. ولما طلب من مجتهد اليمن العلامة الشوكاني أن يشرح الجامع الصحيح للبخاري قال : لا هجرة بعد الفتح . وقد بدأ تأليف شرحه الفتح مفتتح سنة ٨١٧ بعد أن أكل مقدمته في سنة ٨١٣ وانهى منه في غرة رجب سنة ٨٤٢ وقد أولم عند ختمه ولية عظيمة لم يتخلف عنها من وجوه المسلمين إلا اليسير اتفق عليها نحو خمسمائة دينار «مائتين وخمسين جنيها مصريا» وقد لقي ما يستحق من الحظوة في عصر مؤلفه حتى طلبه ملوك الاطراف بالاستكتاب واشترى بنحو ثلثمائة دينار «مائة وخمسين جنيها مصريا» وانتشر في الآفاق حتى غطت شهرته سائر الشروح وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا ومقدمته في مجلد ضخيم «وقد طبع بكل من مصر والهند مرتين»

مختصرات الجامع - له مختصرات كثيرة من أشهرها مختصر الامام جمال الدين أحمد بن عمر الانصاري القرظي «٣» ومختصر بدر الدين حسن بن عمر الحلبي «٤» المسمى (ارشاد الساري والقاري) ومختصر الحسين بن المبارك الزبيدي (٥) جرد فيه حديثه من أسانيد وسماه (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح) وقد شرحه شرطا وافيا حسن مديق خان ملك بهوبال بالهند وكذلك شرحه الشيخ عبدالله الشرفاوي

كتب رجاله - منها (أسماء رجال البخاري) للشيخ الامام أحمد بن محمد الكلاباذي «٦» وكتاب (التعديل والتجريح) لرجاله لابن لوليد سليمان بن خلف الباجي «٧» و(الافهام بما وقع في البخاري من الابهام) «٨» لجلال الدين بن عمر الباقيني «٨»

«١» سنة ٩١١ «٢» سنة ٨٥٢ ٣ توفي سنة ٦٥٦ ٤ سنة ٧٨٩ ٥ سنة

٨٩٣ «٦» سنة ٣٩٨ «٧» سنة ٤٧٤ «٨» ابهام الراوي أن لا يذكر اسمه ولا

يقبل حديث المبهم ولولا ابهام تلفظ التعديل على الاصح (٨) سنة ٥٢٤

الجامع الصحيح للامام المافظ مسلم بن الحجاج

هو ثاني الكتب الستة وأحد الصحيحين المشهورين لهما بعلوم الرتبة وقد ذكر النووي في أول شرحه له ان الحسين بن علي النيسابوري قال: ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم وواقفه على ذلك بعض شيوخ المغرب، ولكن الذي لا ينبغي الاضرار فيه رجحان صحيح البخاري عليه لان الصفات التي تدور عليها الصحة في كتاب البخاري أم منها في كتاب مسلم أما من حيث الاتصال فلاشترط البخاري ان يكون الراوي ثبت له لقاء الروي عنه ولو مرة واكتفى مسلم بمطلق الممارسة وما أزم به مسلم البخاري من انه يحتاج الى ان لا يقبل المنعنة (١) أصلا ليس بلازم لان الراوي اذا ثبت له لقاء من روى عنه مرة لايجري في رواياته احتمال ان لا يكون سمع منه لانه يلزم من جريانه ان يكون مدلسا والمسألة مفروضة في غير المدلس. وأما من حيث المدالة والضبط فلان من تكلم فيهم من رجال مسلم ستون ومائة ومن تكلم فيهم من رجال البخاري ثمانون، مع ان الثاني لم يكثر من اخراج حديثهم وأغلبهم من شيوخه الذين أخذ عنهم ومارس حديثهم وأما من جهة عدم الشذوذ والاعلال (٢) فلان ما انتقد على البخاري من الاحاديث مما لم يشاركه فيها مسلم ثمانية وسبعون حديثا وما انتقد على مسلم كذلك ثلاثون ومائة أضف الى هذا ما في البخاري من الاستنباطات الفقهية والدقائق الحكمية مما عري منه كتاب مسلم، هذا الى اتفاق العلماء على ان البخاري كان أجل من مسلم في العلوم وأعرف بصناعة الحديث مه وان مسلما تلميذه وخربجه ولم يزل يستفيد منه ويتبع آثاره حتى قال الدارقطني: لولا البخاري لما راح مسلم ولا جاء. لكن الانصاف يدفعنا الى الاعتراف لمسلم بتلك الميزة الجليلة والطريقة الحكيمة ونعني بها سهولة تناول من كتابه اذ جعل لكل حديث موضعا واحدا يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها وأورد فيه أسانيد المتعددة وألفاظه المختلفة مما يسهل على الطالب النظر في وجوهه واتقاطاف ثماره وتوليه الثقة بجميع الطرق التي لا حديث

١ المنعنة أن يكون في السند لفظه عن كمن فلان عن فلان ٢ الشذوذ مخالفة الثقة من هو ارجح منه والاعلال وجود علة خفية قاذبة في الجند او الحديث

ولم يجم حول ذلك البخاري بل فرق طرق الحديث في الابواب المختلفة
وقد روى عن مسلم ان كتابه أربعة آلاف حديث دون المكرر وبالمكرر
٢٢٧٥ حديثاً

شروحه - شرح صحيح مسلم كثير من العلماء ذكر منها صاحب كشف القانون
نحو خمسة عشر شراح من أشهرها المنهاج للحافظ الامام أبي زكريا يحيى بن شرف
النووي الشافعي «١» وشرح أبي الفرج عيسى بن مسعود الزواوي «٢» وهو شرح
كبير في خمس مجلدات جمع عدة شروح سبقته، واكمال المعلم للامام أبي عبدالله محمد
بن خليفة الابن المالكي «٣» في أربع مجلدات ضمنه شرح المازري وعياض
والقرطبي والنووي مع بعض الزيادات، والابتهاج للشيخ أحمد بن محمد الخطيب
القسطلاني الشافعي «٤» بلغ الى نحو نصفه في ثمانية أجزاء كبار، وشرح الشيخ
علي القاري الهروي زيل مكة المكرمة «٥» في أربع مجلدات

مختصراته - من أشهر مختصراته تلخيص كتاب مسلم وشرحه لاجد بن عمر
القرطبي «٦» ومختصر الامام زكي الدين عبد العظيم المنذري «٧» ومختصر
زوائد مسلم على البخاري لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن الشافعي «٨» وهو
كبير في أربع مجلدات والابن بكر أحمد بن علي الاصبهاني «٩» كتاب في أسماء
رجال مسلم

تصحيح غلط في الجزء الاول

سقط من السطر ١٩ ص ٧ من الجزء الاول جملة والصواب هكذا
(فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) على ان
الاقْتِباس لا يشترط فيه ايراد الآيات بنمائها ولا الترتيب بينها . وفي تلك القائمة
آيات متصلة من مواضع مختلفة، وفيه عطف على محذوف يدرك بالقرينة ووضع
لبعض علامات الوقف في غير مواضعها سهواً

«١» توفي سنة ٦٧٦ «٢» سنة ٧٤٤ «٣» سنة ٨٢٧ «٤» سنة ٩٢٣

«٥» سنة ١٠١٩ «٦» سنة ٦٥٨ «٧» سنة ٦٥٣ «٨» سنة ٨٠٤ «٩» سنة ٢٧٩

فَتَاوَى الْمَنَارِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسع الناس عادة، ونشترد على السائل أن يبين اسمه وتبته وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز له اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ الاقتداء في الصلاة بمنخذي الشمامه عند الله ﴾

(وما يتبع ذلك في حفيقة الاسلام والارتداد عنه)

(ص ٢) جاءنا هذا السؤال من جماعة الموحدين في (دمياط) ومعه عنوان واحد منهم ليجيبه فرأينا أنه يجب نشره والجواب عنه في المنار وهو:
حضرة صاحب الفصيحة الأستاذ الاكبر الشيخ محمد رشيد رضا صاحب ادارة المنار الماهرة

نحية اخلاص نمدوها اليكم روح الاسلام وبعد فلما كانت ثقتنا لاتتمحصر بغير عالميتكم لسة نطلعها بنور الاله الواحد الهادي الى الصراط المستقيم سيما في معضلات الامور التي يتوقف صلاح الدين عليها . رجوناكم لا-سؤال الآتي وهو (هل تصح الصلاة خلف منخذي الشمامه والوصائط من مسلمي هذا الزمان أم لا تصح) وفي الختام ناهج جميعاً بتكرار الرجاء وزودده باسم الدين الاسلامي الحنيف ان لا يرض الاستاذ الامام على طائفة تغلب وجهها في السماء لطفاً بالجواب علي هذا السؤال واقباً . هذا رأينا . يمكن الاستاذ الامام نشر الجواب في المجلة الطائر ذكرها بين أقطار المشرق . الله ربها ورحمها والا فربوبه جميعاً أن لا نحرّم من الرد بالعنوان عليه ولكم من الله تعالى اشكر والاجر ان شاء الله والسلام
الموحدون بدمياط

(ج) الظاهر أن السائلين يعمون بتخذي الشفعاء والوسطاء عند الله من يصدق عليهم قوله تعالى في مشركي العرب (ويبدون من دون مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وانهم يرتابون في الاتداء بهم في الصلاة مع هذا الشرك الصريح لانهم باتونه عن جهل ويحسبون أنه طاعة لله وعمل بدينه وهم مؤمنون اجمالا بالله وبأن كل ما جاء به عن خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق. واما بهم بذلك ايمان اذعان لانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون بيت الله من استطاع منهم اليه سبيلا. فوضع الاشكال على هذا ما يصدر عنهم من العبادة الشركية لعير الله تعالى كدعاء الموتى من الصالحين والتمسح بقبورهم والطواف بها وبعض النباتات والجماد لشفاء الامراض وتفريج الكرب وتوسيع الرزق وغير ذلك من الاعمال والاعتقادات المنافية للتوحيد الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو ان لا يعبد الله وان يخلص له الدين وحده فلا يدعى معه احد - هل هي من أعمال الشرك المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة فلا يعذر الجاهل بها كما يقول المتمكئون والفقهاء أم هي مما يخفى على غير العلماء الاعلام، العارفين بحقيقة ما كان عليه الصدر الاول من قواعد الاسلام، فيعد الجاهل بها والمتأول فيها مذبذبا واسلامه وما يترتب عليه من الاعمال صحيحا؟ ثم اذا تكان أس الدين مما يعذر جاهله وهو توحيد العبادة واخلصها لله تعالى بالتوجه اليه فيها وحده ولا سيما الدعاء الذي هو نغما ولباها فاي قاعدة من قواعد أو ركن من أركانه المبنية على هذا الاس لا يعذر الجاهل بها أو المتأول لها؟ وابن اجماع الامة على أن التوحيد الخالص شرط لصحة الصلاة والصيام وصائر العبادات لا يعتد بشئ منها بدونه مع سائر اصول الايمان

القضية المعلومة من الدين بالضرورة؟

انا نعلم بالاختيار الاقبح ان كثيرا ممن يدعون فخر الله تعالى يجهلون كثيرا من هذه الاصول الاعتقادية والعملية وأن منهم من التاركين لاركان الاسلام كلها أو بعضها والمرتكبين لكبائر الاثم والفواحش المصيرين عليها بدون مبالاة بأمر ولا نهي، ولا انتفاع بذكرى ولا زجر، ومنهم من اعتاد بمض الاعمال الدينية المشروعة

(المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد الحادي والمثرون)

والمبتدعة ابتداء ولكنه لا يعرف المشوع والخوف والرجاء الا عند تلك القبور وذكر اصحابها. أو نحوها بما به ظمون تمظيم عبادة وتدين وان لم يسموه كله أو بعضه عبادة ومن هؤلاء وأولئك الذين يدهون هؤلاء الموثى خاشعين معتقدين أنهم يقضون حوائجهم بأنفسهم ولا يخطر في بالهم غير ذلك، ومنهم من يسقى دهااه تويلا واستشفاعا ولا سيما اذا أنكر عليه. وهذا عين ما حكاها القرآن عن مشركي العرب ولم يمتد بإيمانهم حتى يتركوه وقال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ومن هؤلاء الذين يمدون هذا تاولا المذعنون للامر والنهي المنزعمون للفرائض المتأمنون من المعاصي وفيهم وقع الاشكال فيما يظهر لان تكفير المؤمن المتأول الممين فيه خطر عظيم ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك أكثر أهله علم الدين على الوجه الذي كان مرفوقا عند سلف الامة أهل الحق .

واننا نهد للجواب التفصيلي الثاني ثم بدأ نراه ضروريا فنقول
 (١) ان قواعد العقائد وأصول الايمان واحكام الاسلام والردة المجمع عليها والمسائل الاعتقادية والفردية المختلف فيها كلها مقررة في الكتب وان كل مسلم مكلف أن يعرف الفرائض العينية منها وان يبذل جهده فيما في تطبيق الوقائع والنوازل التي تعرض له على ما عرف ، ومن ذلك الجهد سؤال العارفين واستفتاء الفتنين فيما يشكل عليه من ذلك الى أن يهتدي الى الحكم المنطبق على الواقعة — فهذا اجتهاد عملي بطالب به الموام كالعلماء كالا جتهاد في القبلة في حالة البعد عن الكعبة المشرفة وعدم المحاريب المتواترة. وان لاحوال الزمان والمكان تأثيرا عظيما في هذا الاجتهاد العملي من مظاهره انك ترى الناس يسئرون البدع عند ظهورها أشد الاستنكار ودها بالنوازل في ذلك فجملوا المباح محظورا كالبدع في العادات والمأهون والازياء وكتم بعض المشتغلين بالعلم رسائل وكتبا في تحريم بعض هذه المستجدات في أول العهد بظهورها كالأخذية الشائمة التي تسمى في مصر بالجزم (جمع جزمه) وفي الشام بالكناهر والساتيك ومنها ما يسميه الفر بقان (البوتين) واذا شاعت المنكرات الدينية وعمت تصبر هند الجمهور كالمباحات بل يحملون بعضها في عداد المنكرات والشاثر الدينية ولا سيما في هذا الزمان الذي ترك فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أكثر البلاد

التي يقطنها المسلمون بل صار كثير من المحظوظات المحجيم عليها المعلومة من الدين بالضرورة من المباحات في حكم القانون المتبع كالزنا وشرب الخمر . فمن يعيش في أمثال هذه البلاد لا يكون نظره في تطبيق الاعمال على التواعد والاحكام الشرعية كمن يعيش في بلاد نجد التي لا يكاد يرى فيها شيئاً من أمثال هذه المنكرات فشيأ ما لوقا ولا يسمع فيها بحكم من حاكم غير مستند الى نص من كتب الفقه المعتبرة ، لذلك ينقل هن بعض عوامهم تكفير مرتكب بعض المعاصي ولو غير قطعية وفي مهر لا يكفر التارك لجميع أركان الاسلام والمستبيح لا كبر الفواحش بالاصرار على المجاهرة بها بلا مبالاة (٢) قد اختلف مصنفو الكتب الكلامية والفقهية اختلافا واسم النطاق في مسائل الكفر والردة من حيث الادلة ومن حيث تطبيقها على الاعمال والناس وناهيك بتشديد من ناطقوا هذه المسائل باللوازم القرية والبعيدة للاحكام القطعية أو الظنية القوية كمن كفروا من حقها لا أو قل أو فعل ما ينافي احترام كتاب شرعي أو فتوى شرعية بالالقاء على الارض أو القول بطلان الفتوى أو عدم قبولها اذ عدوا ان اهانة الفقه أو فنواه أو الكتاب تستلزم اهانة الشرع وان عدم الاذعان والاحترام للفتوى يستلزم رفض الشرع والدين ، وقد يدون من الاهانة وعدم الاحترام ما ليس منه في الواقع أو في حرف الفاعل وقصده . ويوجد في هذه الكتب ولا سيما تصانيف المتأخرين من شأن من الاقوال ما لا يمكن اثباته شرعا وفي بعضها تأكيد للبدع الخلة بأصول الدين وفروعه (٣) قد وقع من جراء ما ذكرناه ونشكو منه في هذه البلاد من الفوضى في العلوم الدينية وفي تطبيقها على الاعمال المجردة لاحد المتدين الى طريق المنصوفة الفارقين في البدع على كتابة رد على فتوى لشيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية بالباطل حاول فيه جعل البدعة التي انكرها الشيخ بالدليل دينامتبا وعبادة مشروعة واستدل على ذلك بأحاديث لا تدل عليه ولا هي بصحيفة فيستدل بها على فرض دلالتها على ما ذكر - ونشر رده الباطل في صحيفة يومية مشهورة قرأها ألف من الناس وسكت علماء الازهر على ذلك الى ان انكره على المنصوفي بعض أهل الفيرة من الاسكندرية كما عز ذلك من جزء المنازح الماضي ذلك بأن شيخ الازهر - وان كان رئيس علماء الدين في الازهر وسنة معاهد التعليم الديني في هذا القطر - ليس له ريادة دينية مطاعة عند المسلمين فيها أمر به أو يهين

عنه أو يفتي به وإن وافق الحق لا شرعاً ولا قانوناً ولا مواضعة عرفية وليس من أعمال
 مشيخة الأزهر نشر الدين بتلقين عقائده وآدابه وأحكامه لما مائة المسلمين المكلفين
 بطريقة منتظمة فيكون من أثر ذلك أن السواد الأعظم قد تاق دينه عن مصدر
 واحد موثوق به بحيث نجزم بأن كل ما كان معلوماً من الدين بالضرورة في مصدر
 الإسلام وسائر القرون التي جزم فيها علماء الأصول والفروع بأن من جحد شيئاً مجماً
 عليه من هذه المعلومات يكون كافراً . بل نعلم بالاختيار أن السواد الأعظم من المسلمين
 في هذه البلاد أميون وأن المتعلمين في غير المهاد الدينية من الأهالي أكثر من المتعلمين
 فيها ، فأما الأميون فأكثروهم لم ينلق عقيدته من عالم ولا تعلم بل يسمع بمضمون من
 بعض أقوال وأمثالاً وحكايات بعضها من عقائد الإيمان وبعضها من أضراب أهل
 الكفر وخرافات أهل الشرك ، وأما المتعلمون في المدارس الدنيوية فكثير منهم تعلموا
 في مدارس دعة النصرانية التي انشئت نحو يومهم عن دينهم ، ومنهم من تعلموا في مدارس
 الحكومة وغيرها أو في أروبة . وجميع المدارس الدنيوية يث فيها من التعاليم ما ينافي
 الدين أو يوقم الرب في بعض عقائده ولا يكاد يوجد فيها مدرسة يثن الم فيها أصول
 دينه على الوجه الحق المؤيد بالدلائل التي تدحض الشبهات الواردة عليه من العلوم الأخرى .
 وأما المتعلمون في الأزهر وما يتبعه من المهاد فأكثروهم يجهلون بلاد الأرياف ومزارعها
 من شبراخيت وما عليه العوام من الخرافات والأوهام فتمر عليه السيئ وهو يعالج بما يذنيه
 النحو والفقه التي لا تزرع من نفسه شيئاً من الخرافات والبدع التي عرفها أو الفهم بمحضر
 دروس العقائد المرووفة في هذه المهاد وهي مختصرات أو مخلصات من كتب جدلية
 جافة فيما يجب اعتقاده في الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر محرك الشبهات ولا تكاد تزيد
 مدارسها إيماناً ولا عملاً صالحاً ولا تمييزاً للبدع من السنن ولا ترفيها في طلب رضوان
 الله وترهيا من عقابه ، وقد يوجد في بعضها مدح لاتباع السنة وسيرة السلف وذم
 لما ابتدع بهدم كقول الجوهرية

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ولكن لم يذكروا في شرورهم وحواشيم عليها خلاصة ما حوت دواوين السنة
 من أحاديث الاعتصام وأثار الصحابة فيه ولا ما ورد من السلف من اجتناب البدع

والزجر عنها ، بل لا تخلو أمثال هذه الشروح والحواشي بما يخالف السنة ويؤيد البدعة وأهلها عن قرب أو بعد كاحتجاج الراد على فتوى شيخ الأزهر في هذه الأيام بما في بعضها من قولهم إن «اه» من أسماء الله تعالى كما يوجد ذلك في بعض كتب الفقه والفتاوي أيضا ، ومنه قول بعضهم باستحباب وضع الستور على قبور الصالحين قياسا على منر الكعبة والقائل بهذا ليس من أهل القياس الأصولي الاجتهادي إلا أن يكون القياس الشيطاني القبي يهدم نصوص الكتاب والسنة ، ويبنى باقاضيها صروح البدعة ، فقد صحت الأحاديث بحظر تشريف القبور وبناء المساجد عليها ووضع السرج والمصابيح عليها ولمن الذين إذا مات الرجل الصالح فيهم اتخذوا على قبره مسجداً . ومتنفي هذا القياس أن هذا مشروع محبوب عند الله ورسوله (ص) وتنفي هذه الفتوى أيضا أن الطواف بتلك القبور وتبيلها مشروع ، وكل ذلك من عبادة غير الله تعالى وهل كان الشرك الذي بعث جميع الرسل لهدمه إلا عبادة غير الله تعالى من الملائكة والأنبياء والصالحين بدعاتهم والفلو في تعظيمهم بما لم يأذن به الله وتعظيم ما رضع للتدبير بهم من صور ومائيل وقبور ؟

(٤) لقد كان مشار كل هذه الفوضى والضلالات ما تبم التقليد والتذهب من جمل جاهل الناس كل ، ادون في كة بدينا بقم ولا سيما بعد موت مؤلفه وعند أهل مذهبه أو أهل طريقته إذا كان متمييا الى بعض طرق التصوفة . التقليد نفسه مختلف في هند الأصوليين وأهل النظر والاستدلال والتشديد في منعه في الامور الاعتقادية عظيم جدا حتى قال من قال انه لا يعتد بإيمان المقلد وان وافق الحق وقد ذكر ذلك صاحب الجوهرة في أول عقيدته بقوله

اذ كل من قلده في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد
ففيه بعض القوم بمكي الخلفا وبعضهم حقق فيه الكشفا
فقال أن يجزم بقول الغير كفى والا لم يزل في الضير

وناهيك بحال الختلاف في إيمانه والمباذ بالله تعالى . والتقليد الذي اجازه من اجازته منهم وأوجه صاحب الجوهرة هذا صرا اياه على الائمة الاربعة المشهورين في الفقه وابي القاسم الجليل من الصوفية - اقتبانا منه على الشرع - وهو التقليد في فروع الاعمال وانما

كانوا يفتنون به تقايد الماجز من معرفة الحكم للمجتهد الموثوق به عنده بأخذه منه الحكم بدون دليل، وليس منه في شيء أن يجعل من الدين كل ما ذكر في كتاب ولو جاهل ليس من أهل الاجتهاد المطلق ولا مادونه كالكثير هؤلاء المتأخرين الذين لم يفتنوا قط بالنظر في أدلة الاحكام وإنما تأليفهم عبارة عن نقل كل مؤلف منهم لكلام من قبله مع تصرف يفسد النقل في بعض الأحيان، وأكثر نقل المتأخرين عن قريبي المهديهم ولا يكاد احد منهم ينظر في كلام المجتهدين ولا كلام أهل التخرج والاجتهاد في مذاهيبهم، بل جعلوا الفقهاء طبقات أوصلها بعضهم إلى ست ويقول مثل ابن عابد بن الشير انه من السادسة وأهلها امرى النقل يعني عن قبلهم لا من الكتاب والسنة، ولا من نصوص الأئمة، وهذه الطبقات حجب دون الكتاب والسنة كل طبقة تحجب مادونها عما فوقها، فالحجب بين الطبقة السادسة وبين النور المنزل من عند الله ليستفي به البشر خمسة هي سادستها. وقد ضرب الامام الغزالي مثلاً جهلاً ضوء الشمس يدخل من نافذة فيقع على مرآة وينعكس عنها على جدار مقابل لها ثم ينعكس عنه إلى جدار ثانٍ مقابل له ثم ينعكس عنه إلى جدار ثالث في حجرة أخرى مظلمة من بابها ثم ينعكس ما يقع على هذا الجدار المقابل للباب إلى جدار رابع في حجرتة مقابل له - فالنور الذي يقع على المرآة مثل لصوص الكتاب والسنة عند المتقدمين من الأئمة المجتهدين وغيرهم من السلف لأن الله تعالى شرع دينه وجعل كتابه تبياناً عاماً لا خاصاً بالأئمة وإنما الأئمة أقوى قوماً وأوسع علماً وأهدى سبيلاً في الاهتداء به وتعليقه للناس. والنور المنعكس عن المرآة على الجدار الاول مثل العلم الذي يتلقاه الناس عن الأئمة الذين تولى لهم التدريس ويشرحون لهم ما فيهم وما يستنبط منهم فيقولون قد علمنا من كتاب الله ما نريد وآية ما نريد وإنما ما ينعكس عن هذا النور على الجدار الثاني وما ينعكس عنه من بعض ولا يتبين بها الاشياء بجلاء تعرف به حقيقة ما وصفتهم كما ينبغي بل تشبه وتخفى وما يقع فيها الاشياء (ب) يأبى الله من قد جاءكم رهائن من ربكم وأزله إليكم نورا مبيناً. فوالذين آمنوا بالله وأعتصموا به فبذلك يخرجهم الله من ظلماتهم إلى نورا مبيناً (ع) يفتنوا على أكثر الناس من غير أن يشعروا. فوالذين آمنوا بالله وأعتصموا به فبذلك يخرجهم الله من ظلماتهم إلى نورا مبيناً (د) من أخذ بعضهم بقول الامام بدون معرفة دليله وبين ما نفعه بالاسم من التقليد

الاعمى الذي ترتب عليه ما أشرنا اليه من الفوضى الدينية وقد قلب بعض المقلدين الوضع وعكس القضية فجملوا أقوى حججهم على وجوب التقليد وكونه مصلحة واجهة زعمهم أنه يدفع مفسدة الفوضى في الدين بادعاء الكثيرين للاجتهاد وأتباع الناس لهم وهم غير أهل لذلك فيكونون ضالين مضلين فاقفال باب الاجتهاد قد درأ هذه المفسدة وقد من ليس أهلا للاجتهاد بأتباع أئمة معدودين قد ثبت اجتهادهم ونقلت مذاهيبهم بالتواتر

والحق ان هذه المفسدة التي ذكروها واقعة لا ريب فيها وإنما كان سببها ما سموه اقفال باب الاجتهاد أي اقفال باب الاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ورد كل اختلاف وتزاع اليهما كما أمر الله تعالى. وهذا الاهتداء ليس معناه ان يكون كل مهتد بهما إماما أهلا لاستنباط أي حكم شرعي احتيج اليه منهما فعوام السلف الصالح لم يكونوا أئمة ولا كان الجهات ولا الافراد منهم يلتزمون تقليد فرديين من علمائهم وإنما كانوا كأهم علمين بالضرورة من الدين ومتفانين في علم غيره ومن احتاج منهم الى علم ما لا يملكه في نازلة وقمت له سأل عنها من يثق بعلمه ودينه من أهل العلم أي سأل عن حكم الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (ص) وكان أولئك العلماء الذين هم أهل العلم بالقرآن والسنة يقتونهم بالنصوص ان وجدت والا فبما يستنبطون منها

وأما عوام الخلف الذين حبل بينهم وبين هداية كتاب ربهم وما بينه من سنة نبينهم عليه الصلاة والسلام بنسبها اجتهادا بهجز عنه البشر فهم في فوضى دينية من هذا التقليد الاعمى الذي هو عبارة عن الاخذ بقول كل من يتسمي الى العلم أو يدعيه والى العمل بكل قول يوجد في كتاب مخطوط أو مطبوع ولا ضما كتب التفسيرين الى مذاهيبهم في الفقه أو الكلام أو التصوف ونهايك بكتب المشهورين منهم مهما يكن حسب شهرتهم ومن اخترع المسلمين في الاقطار المختلفة اختيارا صحيحا يجد انه يقل في طلاب العلوم الدينية فيهم من يعرف سيرة الامام الذي ينتمي اليه في علمه ودينه وأصول مذهبه ونصوصه في الفروع، وإنما حظهم من المذهب قراءة بعض الكتب التي ألفها بعض المقلدين المتمين اليه على تفاوت عظيم في فهمها وعلى ما في الخبر منها من الحاط والخطأ والنلط كما أشرنا اليه آنفا، وبالجملة مع هنا يعرفون ما هي الكتب

المتمسدة في مذاهبيهم ويميلون بما صح نقله عن المجتهدين أو من على مقربة منهم ! كلا
ان أكثر العوام يقلد بعضهم بعضا في الدين وآدابه وعباداته فملا وتركا كما علمت ، ولا
يوجد واحد في المئة ولا في الالف منهم تلقى دينه عن أحد من المنتحلين فاعلم الديني على
ما وصفنا من سوء حالهم ومن جهل أكثرهم بنصوص الائمة المجتهدين - كجهلهم بالكتاب
والخبرة ولو كانوا متبحرين لاولئك الائمة الكرام لجلوا أكبر همهم تذكير الناس وتعليمهم
بالكتاب والسنة وارجاع كل أمر اليهما وبذلك وحده ترتفع الفوضى الدينية أو تغل
ونمت البدع أو تضعف. وأقوال المؤلفين المنسوبين الى المذاهب ليس لها من الآثار
على القلوب والاقناع في المقول مثل ما لكلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وكلامهم
متعارض لكثيرتهم فاذا حاججت امرءا بقول مؤلف منهم حاجك بقول آخر بخلافه كما
يحتاج بعض المنسوبيين الى الطريقة الشاذلية شيخ الجامع الازهر بقول كاذبة خاطئة
وجدتها في بعض كتبهم فيما ابتدعوه من التمجيد بما يسمونه اسم الصدر، وهو اخراجهم
من صدرهم صوتا مشتقلا على الحرفين اللذين مخرجهما اقصى الحلق (أه)

بل أقول ان مقال باب الاهداء بالكتاب والسنة وتذكير الناس بهما قد فتح
أبواب الزندقة والبروق من الدين لا باب الفوضى في الدين أو الفسوق فقط ، وأوسع هذه
الابواب اثان الشبهات المادية وتباع بعض الدجالين المنتهين الى التصرف المدعين أنهم
عرفوا الحقيقة أو اتبعوا من عرفها بالكشف، وناهيك بطائفة البكتاشية والملة البابية والبهائية
من أهل هذا الزمان كسافهم الباطنية من الاسماعيلية وغيرهم . كل هذه الدواهي الطامة
جاءت من ابتداع تلقى الدين عن من ينسب الى المذاهب المعروفة والاحد بما يقوله
أو يكتبه كل منهم أو يوجد في كتبهم من غير ان يكون تلقينا للكتاب والسنة وتفسيرا
لما يحتاج الى التفسير منها وجعل هذا التلقين هو الاصل وما قد يحتاج اليه من فتوى
اجتهادية في نازلة جزئية فرعا لا بدعي اليه ولا يجمل سنة متبعة وشرعية ثابتة ولا
يجمل من خالفه الى غيره مبتدعا ولا فاسقا ، ولو فعلوا هذا واستمعوا عليه بما قاله
أهل العلم بالتفسير والحديث لما قطعت الصلة بين الامة وبين النور الذي أنزله الله
اليها ولا أقفل بذلك باب الفوضى التي هي الاخذ بكلام كل من يعد من المعتمدين
والمؤلفين مهما تكن أقوالهم ومصادرها ، وليس هذا هو الاجتهاد المطلق الذي أفتوا به

(٧) بن هذا الدين - ون كان أصله كتاب الله تعالى وما بينه به رسوله في أمثاله وأقواله وأحكامه - يتوقف فهم الخلف أياها على معرفة سيرة السلف الصالح من جمهور الصحابة والتابعين وحفظه السنة ودلائل الأعمار في القرون الثلاثة التي هي خير قرون ، ذلك بأن نصوص القرآن ولا حديث تحمل المعاني المختلفة بضمروب الحجرات والكليات فيمرض الناس فيها من التأويل ما ليس مراداً للشارع ، وإنما كان الصحابة أعلم الناس بهذا الدين لأنهم أعلم بلغة القرآن والحديث التي هي سليقة لهم ، ولما شهدتهم أعمال الرسول (ص) ودوقوفهم على أحكامه في بيانه. ولذلك قال علي كرم الله وجهه لأن سيرة الرسول (ص) من أرسله للحاجة تطوارج : أحلهم على السنة فإن القرآن ذو وجه . والمراد من السنة معناها اللغوي أي سيرة الرسول (ص) وطريقته التيممة من عهده فأنهم عمل لا يمحتمل التأويل كما يحتمله كلامه وكلام الله تعالى وسائر الكلام وقد نهى بعض الحوارج بعضاً عن محاجة ابن عباس بالقرآن بحجة أنه من قر يش الذين قال الله تعالى فيهم (بل هم قوم خصمون) يريدون أنه لا يعلب في المحاجة والمخاصمة لأنه ألحن بالحجة وأبرع في مجال الغلب في الخصومة ، لأنه صاحب الحق بما يثبت به من البرهان ، على أن القوم كانوا مستبدلين ، وفيما أخطأوا فيه متأولين ، وما قالوه هو تكأة المقلدين ، الذين يعذرون أنفسهم في الإصرار على ما ظهر لهم من ضلالهم بحلهم وخذق خصمهم وخلاسته في القول ، والجهل عنذر الجاهل العارف والمعتزف بجهله وعجزه ، لا المستدل الذي يتأفح من دعواه بسيفه ورمحه ،

وعلماء المذاهب التي بدعي الناس اتباعها يقولون أن الجهل عنذر في المسائل التي من شأنها أن نخفي على العامة وإن كانت مجماً عليها كارت بنت الابن مع بنت الصلب السدس تكأة للتائبين الذي جعله الله تعالى في الكلاله فرضاً للتائبين ، ولا يجعلونه هنرا لاحد في المسائل المملومة من الدين بالضرورة - قولوا لا إذا كان قريب عهد بالاسلام أو نشأ في شاق جبل ، وهذا مبني على أن معاشرة المسلمين كافية لمعرفة الضروري من عقائد الاسلام وأحكامه في العبادات والحلال والحرام وذلك كاف في صحة اسلام من يعرفه معرفة ادعان وإن جهل جميع المسائل الاجتهادية والنسب عن الخفية المعجم عليها فكيف بالمسائل المختلف فيها؟ على انه لا بد أن يعرف الكثير منها

ولما قل العلماء ذلك القول كانت مباشرة المسلمين كافية لمعرفة حقيقة الاسلام كما قالوا، ثم تغير الزمان، حتى صار المسلمون أنفسهم حجة على الاسلام، ويعترف بذلك خطباؤهم على منابر جوامعهم في خطب الجمعة، بقولهم «لم يبق من الاسلام الا اسمه»، ولا من القرآن الا رسمه» وبقولهم «صار المعروف منكرا والهنك معروفا» وهذا القول حق واقع، ولكن لا يعتبر به القائل ولا السامع، وقد كان من اثره أن كثيرا من الناس حتى بعض المعصمين منهم لا يطعنون بدين أحد الا المقتضيم بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الامة، ولا سيما اذا دعا الناس الى ذلك وإلى ترك البدع الفاشية، حينئذ يبذونه بالقب وهابي أو عدو الامة الجاهدين، وأولياء الله المقربين، فالجهال قد اتخذوا من أسماء الائمة والصالحين الذين هم اعداؤهم سهاما مسمومة يرمون بها أوليائهم والتابعين لهم في الحقيقة لانهم يريدون بالكتاب والسنة مثلهم، — فالكتاب والسنة ليسا حجة عندهم ولا هداية لهم بل هما يردان بقول كل من الف كتابا كتب في طرته نه الملامة فلان الفلاني مذهبا، والفلاني طريقة أو مشربا، فاتباع الكتاب والسنة عندهم ضلال بل ربما يرمون صاحبه بالكفر أو الزندقة كما بينا ذلك في غير ما موضح من المزار، وهذا من الخزي الذي يعد من أغرب جهل البشر، والتخلل الذي يمل منتهى فساد العقول والفتور، يتبرأ منه ومن اهله أئمة الاثر والفتنة والتصوير، ونحوها، بدلائل مذاهبتهم وطرقهم، وهو ليس من التقليد الذي أجاز به بعض هؤلاء العلماء في شيء فقد كانوا في خبر القرون لا يملكون هامة الامة الا ما نزل الله تعالى اليها وما بينه به رسولا، ولم يكن ثم مذاهب تحمل عليها وإنما كانت مباحث الاجتهاد محصورة في تعليم الخاصة ومجلس القضاء وتوازل الفتوى في الوقائع، ومن قواعد الاصول عندهم هدم جواز الاجتهاد مع وجود نص الكتاب أو السنة في المسألة رانه لا حاجة في كلام أحد غير المعصوم وهم مجمعون على ان الأئمة الاربعة في الفقه وأئمة الصوفية كالجنيد والشبلي والبسطامي وأمثالهم غير معصومين وإنما قال بعض الشيعة بمصمة نفر معروفين من أئمة آل البيت وجميع هؤلاء العلماء يفضلون سلف الامة على خلفها في العلم بحقيقة الدين والعمل به كما تقدم ويحثون على الاقتداء بهم ويردون كل ما خالف هديهم وصيرتهم

ويستدنون به على لا بدع في الدين كما يستدلون بالنصوص - فنحن إذاً محتاجون في التمييز بين السنة والبدعة الى معرفة ما كان عليه جمهور السلف الصالح ونسبته به نرد ما خالفه ولا سيما ما اتفقوا عليه وما كان الخلاف فيه شاذاً أو ضعيف الرواية أو الدلالة، ولكننا نعذر من أخذ بقول أي عالم من أولئك الأئمة لاعتقاده صحة دليله أو أنه هو حكم الله تعالى وإن لم يعرف دليله

ثبت بالمقل والمنقل والاختبار ان العمل بأحكام الدين ومنه القضاء بهما والفتوى في تطبيقها على النوازل الواقعة أقوى بياناً للمراد بها من القول مهما يكن فصيحاً جليلاً فكلام الله أفصح الكلام وأبلغه ومعنى هذا انه أعلاه بياناً وقناعاً وتأثيراً ومع هذا كان بعض الصحابة يخطئ في فهم بعض احكامه وفي تطبيقها على العمل كما أخطأ من تمسك منهم في التراب كما تمسك الصحابة لانه قوم أن التيمم عن الجنبه يجب أن يمتاز عن تيمم الحدث وكما أخطأ من ربط في رحله عقلاً أبيض وعقلاً أسود لينين بالتمييز بينهما طلوع الفجر، ولهذا جعل الله تعالى رسوله (ص) ميثاقاً لكتابه على وصفه اياه بأنه بيان للناس وتبيان لكل شيء - ونور مبين، وتبيين الرسل (ص) بانمائهم وأحكامهم وفتاويهم في النوازل أقوى وأظهر من تبينه بأقواله وإن أنزلت النبوة جوامع الكلام وصار أفصح من نطق بالضاد، لان أقواله ذات رجوع نحو الناريل كما قال الامام علي المرتضى في الكتاب المزيّن بل هي أولى، وتختلف فيها لأفهام كما اختلفت الصحابة رضي الله عنهم في أمره اياهم بان لا يصلوا المصرا الا في بني قريظة ففهم بمصرهم ان المراد عدم التأخر عن الوصول الى بني قريظة في ذلك الوقت فعملوا في الطريق ولم يتأخروا، وعل الآخرون لا، على طاهره، ولان العمل أبسط على القدرة والالتفات وذلك ثبت بالمقل والتجربة، وأظهر وقامه في السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بالتحلل من عورتهم عقب سلاح الحديدية كرا الار بالقول ثلاثاً ولم يمتثلوا فقام عليه الصلاة والسلام وكانت زوجه أم سلمة رضي الله عنها منه فدكر له ذلك فسأته را الحافيه فأشارت عليه أن يفرج اليهم ولا يكلم أحداً حتى يتحد من عورتهم خديه وحق رأيه فعمل فتمه من مسرعين ولم يتم لهذا نظير منهم.

فعلم من هذا أن أحكام الدين لم يبين تمام التبيين لا بالنقل المعنيون الصحة

انفسهم كانوا محتاجين اليها وكان يختلف اجتهودهم في الاقوال اذا لم تبين بها ، بل كان منهم من تأول النص الصريح في مقام الخصومة انتصاراً لنفسه ودفاعاً عنها كما تأول معاوية حديث عمار تقتله الفئة الباغية فقال : انما قتله من أخرجه ، فرد أمير المؤمنين علي هذا القول حين بلغه بان يقتضي ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قتل عمه حمزه أي وجميع من قتل عمه في بدر واحد وسائر الغزوات — فتابين من أعمال الدين بالسنة المتبعة فعلاً وتركافوه الذي لا يسمع احدًا مخالفته ولا يعذره فيه وما سواه يعذر فيه الناس باختلاف الافهام والتأول مع الاعتقاد وحسن التوبة وقد حدث بهما النبي (ص) بن الاحداث والوقائع ما لم يكن في عصره وختلف الاجتهاد في أحكامها من حيث تحقيق المناط وتبج المناط أي من حيث الاستدلال على الحكم ومن حيث تطبيقه على الوقائع بالعمل والقاعدة الأصولية في اجتهاد الافراد من الصحابة وغيرهم انه ليس حجة في الدين وانما يجب على من اجتهد في مسألة أن يعمل بما ظهر له أنه الحق فيها والقائلون بالتقليد يجبرون للماجزع عن الاجتهاد فيما يعرض له مما لا نص فيه أن يأخذ باجتهاد من يثق به من المجتهدين . وأما إجماع الصحابة فهو حجة عند جميع الأئمة والامام أحمد لا يحتاج بإجماع غيرهم وكان الامام مالك يحتاج بإجماع أهل المدينة في زمنه أي زمن التابعين وتابعي التابعين رآه يظهر هذا في اشعار السنن العملية المتبعة لا فيما سبيله الاجتهاد . وجملة القول ان الله تعالى اكمل الدين بكتابه وبيان رسوله وكان أهل الصدر الاول من السلف الصالح هم الذين حملوا البناء هذا الدين كما سمعوه ووعوه بالتأول والعمل ، فمركته متوقفة على معرفة روايتهم له وسيرتهم في العمل به ولا شك أن العمل بالاسلام عبادة ومعاملة وسياسة وقضاء كان في عهد الخلفاء الراشدين رضی الله عنهم على أكل الوجوه ، بل قل بعض علماء الاصول ان إجماع الخلفاء الاربعة حجة واحتجوا لذلك بحديث العرابض بن سارية مرفوعاً « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد^(١) » وانه من يعيش منكم

(١) وفي رواية « ولو عبداً حبساً » وهذا في الامراء والحكام الذين يوليههم الامم الاعنة فلا ينافي أحاديث حصر الأئمة في قريش كما نقله الحافظ ابن رجب وغيره في شرح الحديث وأيدوه بحديث علي عند الحاكم والدارقطني مرفوعاً —

فبيري اختلافاً كثيراً فمليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عنوا عليها
 بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » وفي رواية « فإن كل محدثة
 بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وكذا غيرها
 من وجوه وطرق ، واختاره النووي في الأربعين . بل ذهب بعضهم إلى الاحتجاج
 بسنة الشيخين أبي بكر وعمر ، وببعضهم بالاحتجاج بما صنه عمر أي من في خلافه
 لما ورد في ذلك وبيان وجه هذا مكان آخر يعلم منه أنه ليس على إطلاقه حتى عند
 القائلين به . وذكر الحافظ ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن الإمام
 مالك أنه قال : قال عمر بن عبد العزيز : من رسول الله صلى الله عليه وسلم وولادة
 الأمر من بعده صفاً لاخذها بها اهتمام بكتاب الله وقوة على دين الله ليس لأحد
 تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر خلافها فمن اهتدى بها فهو المهتدي ومن
 استبصر بها فهو المنصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى
 وأصله جهنم وسامت مصيراً (قال) وحكى عبد الله بن عبد الحكم عن مالك أنه
 قال : أعجبني عزم عمر ذلك - يعني هذا الكلام . وروى عبد الرحمن بن
 مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر أنه يجمع بين الراشدين بأن مالك
 كان يرويه تارة ويقول تارة مقرر له في نفسه على غير طريق الرواية - فعمل جمهور
 الصحابة والتابعين وصياغة الخلفاء الأربعة الراشدين وقضاؤهم وأدواتهم لأمور الآ

تتوموقوقاً » وإن أمرت قريش فيكم عبداً حبشياً فاسموا له وانظروا
 وذهب بعض العلماء أنه إنما ذكر العبد الحبشي على طريق ضرب المثل وإن
 يصح وقوعه كما قال في حديث الترغيب في بناء المساجد « من بنى لله مسجداً
 ولو كفتصر قطاعة بنى الله له بيتاً في الجنة » رواه أحمد عن ابن عباس بس
 صحيح ويستحيل أن يكون المسجد كفتصر القطاعة وهو المكان الذي تتحد
 برجلها وتبيض فيه . والامة مجمعة على أن العبد أي المملوك كما هو المتبادر
 هنا لا يجوز أن يكون الإمام الاعظم صاحب التولية العامة على المسلمين ، و
 أن يبي مدون ذلك من ولاية الأمر وفان عتسها ان في هذا الحديث وما
 معناه إشارة إلى ما كان في الامة بعد من ولاية العبد والماليك

في الحرب والسلم ومعاملة المبتدعة وأرباب الأهواء والثوار الخارجين على أئمة الحق والمعدل كل ذلك فبراهن نهتدي به ونعرف حكم الله تعالى فيه ، وحاجتنا اليه في كل زمان ومكان كحاجة الصحابة رضوان الله عليهم في زمن الرسول الى مشاهدة أفعاله وسماع احكامه والوقوف على قضائه وصيرته في الحرب والسلم وسنين ان شاء الله تعالى مزينة كل خليفة من الاربعة وحكمة الله تعالى في ترتيبهم على حسب أعمارهم وما ترتب على ذلك من المصالح

﴿ نتيجة هذه المقدمات - والمقصود من هذه التمهيدات ﴾

مكان مسلمي عصرنا من دينهم

(١) علم مما تقدم ان ما عليه جماهير المسلمين اليوم في أمورهم الدينية مزوج بالبدع والضلالات والفسق وترك الفرائض وفسو الفواجر وكثرة الشبهات الا في بلاد قليلة فباشرة المسلمين لا يمكن أن يعرف منها حقيقة دينهم في مثل القطر المصري أو الحجازي دع مادونهما في العلم والمراقبة في الاسلام وان نجوم هذه البدع بدأ في خلافة عثمان فما كان عليه المسلمون قبلها فهو الاسلام الخالص، وما كان في خلافة علي من معاملة الخارجين عن الاسلام باسم الاسلام، والخارجين من المسلمين على أئمة الحق بالشهوات أو الشبهات، والمبتدعين فيه ما ليس منه بالتأويلات، فهو الحق الذي يهتدى في أمثال هذه المشكلات، والنور الذي يستضاء به في دياجير الظلمات ، وعليه جرى علماء السلف الصالح من حملة السنة وأئمة المترة ورواة الآثار، وأهل الاجتهاد الصحيح من علماء الامصار

مصادر الاسلام وحملة وكتبه

(٢) ان دين الله الاسلام هو كتابه تعالى وما بينه من سنة رسوله بالقول والعمل الذي كان عليه جمهور الصحابة والتابعين وأئمة عترة النبي (ص) قبل حدوث الفتن واحداث البدع وفي أثنائها ، وحملة الى الامة هم الذين حفظوا الكتاب والسنة وصنفوا الكتب في الاخبار والآثار وسيرة أهل الصدر الاول ومبتروا صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وأئمة الامصار في القرون الثلاثة الذين بينوا للناس ملق فهم النصوص والاستنباط منها. فما أجمعوا عليه من أمر الدين فهو الذي لا يسع مسلماً تركه ، وما اختلفوا فيه يرد الى الكتاب

والسنة كما أمر الله تعالى بقوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً) أي مآلاً وعاقبة. والرد في الامور المامة منوط بأولي الامر، وفي الوقائع الخاصة بمثل كل فرد بما ظهر له الدليل على صحته، فان لم يكن من أهل الدليل عمل بما يقتضيه به من يشق بعلمه بالكتاب والسنة ودينه في الاهتداء بهما
عمل جمهور السلف حجة وهدى

(٣) عمل جمهور السلف الصالح حجة فيما يختلف أهل النظر والاستدلال فيه باجتهادهم أو اختلاف أفهامهم وتأويلهم لتعويض ولكننا نعذر المخالف لجمهور السلف بالاجتهاد والتأويل اذا علمنا من حاله انه مؤمن بأن كل ما جاء به الرسول من أمر الدين حق، ومسلم مدعن لذلك على الوجه المبين في المقدمات، وحينئذ تعامله معاملة المسلمين في العيادة معه وفي أحكام النكاح والارث وغير ذلك مع الرد عليه ومجادلته بالتي هي أحسن والتحذير من بدعته اذا كانت مخالفة ابتداعاً أو فسقاً اذا كانت فسقاً، مهتدين في ذلك بما كان أهل السداد الاول يعاملون به المنافقين والمؤلفة قلوبهم من ضملاء المسلمين الذين قبلوا أحكام الاسلام والخوارج والمبتدعة المتأولين، مثال ذلك اننا لانعتد باسلام أحد يكذب القرآن أو يستحل مخالفته وإنما نعذر من يفهم بعض آياته فيما خالفنا لفهم السلف مع التسليم والاذعان النفسي لكل ما فيه ولو بحسب فهمه، ولا نعتد باسلام من يكذب الرسول أو يستحل مخالفته فيما يعتقد هو انه جاء به من دين الله ولكننا نعذر من لم يصدق رواية بعض الأحاديث لشبهة عنده في المتن أو السند فكذب مضمونها أو خالفه لذلك وان صح عندنا، ورد عليه بالتي هي أحسن. فقد أمرنا بدرء الحدود بالشبهات، وأولى الحدود أن يدرأ حد الردة والخروج من الملة

بم يكون الارتداد عن الاسلام

(٤) انما جعل العلماء المتقدمون مدار الارتداد عن الاسلام على جحد الجميع عليه المعلوم بالضرورة من أمر الدين لان الجدل عذر عندهم والمدار في صحة الاسلام الاذعان النفسي والمبني لاحكامه وهو فرع العلم بها ولذلك صرحوا بان من نشأ في ضاهق جبل أو كان حديث عهد بالاسلام يميز حتى يتجذبه المعلوم من الدين بالضرورة عند جمهور المسلمين لانه ليس معلوماً عنده ولم يعقدوا

الناشئ بين المسلمين أو من طال عهد اختلاطه بهم بعد الإسلام إذا جحد شيئاً وادعى الجهل ليتصل من الجحد مثلاً. وقد بينا في المقدمات ان مباشرة المسلمين في أكثر البلاد الإسلامية في هذه الأزمنة لا تقتضي معرفة حقيقة الإسلام في عقائده وعباداته الخالية من البدع وسائر أحكام الحلال والحرام، وإنما يعلم إسلام المرء بأذعانه وخضوعه لما علم أنه من الإسلام، ومن كان هكذا فملاج ما يجمله تعليمه وإقامة الحجبة عليه. وقد جربنا هذا الملاج فشفي به كثيرون من أدواء الشرك والابتداع والشكوك والأوهام، فالسليم النطرة ذو الجهل البسيط يشفي بسرعة عجيبة وإنما يسر شفاء أصحاب الجهل المركب الذين أخذوا شيئاً من قشور الكلام والفقهاء وتأويلات أدعياء الفقه والتصرف فهم يردون بها الآيات الصحيحة والأحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالح (ولاحول ولا قوة بالله العلي العظيم) وهذا هو البلاء المبين الذي أضع الإسلام ولا علاج له إلا الإبناء التعليم الإسلامي في مدارسه وغيرها على التفسير والحديث وسيرة السلف الصالح وتلقين كل مسلم ما تقدم تقريره في ذلك

معاملة المتسدعة والمنافقين والمناسقين

(٥) اتنا على كوننا لأنكفر أحداً من أهل القبلة فيما يأتيه جاهلاً أو متأولاً محتاطاً لديننا فيمن نعلم بالاختبار الشخصي أنهم على شيء من الشرك الجلي أو النفاق من غير أن تفرق الجماعة أو نحدث التمزق بين المسلمين فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وبعض الصحابة كذيفة بن التيمان يعرفون بعض المنافقين بأعيانهم ولا يجبهونهم بذلك ولا يخبرون الناس به رجاء أن يصلحوا ويوقنوا بطول مباشرة المسلمين، وكان علماء الصحابة والتابعين يصلون مقتدين بأئمة الأئمة من بني أمية وعلمهم، والأسوة الكبرى في هذا الباب سيرة علي كرم الله وجهه في الخوارج ومعاوية وأنصاره. واني على هذا لا أصلي مقتدياً بمن أعلم باحتسابه الشخصي أنه مشرك أو كافر بغير الشرك وإن كان يظهر الإسلام ولا أعطيه شيئاً من الزكاة الواجبة إلا إذا كان من المؤلفة قلوبهم. فهذا ما عندي من الجواب عن سؤال الموحدين في دميض كثرهم الله تعالى وبارك فيهم

واني أتبع هذا بيان سيرة السلف الصالح فيما ذكر من أمر الابتداع والاختلاف في الدين وأهله من أصحاب الأهواء وغيرهم ثم اعنى عليها بما أراه نافعا في الاقتداء بهم. عسى أن يهتدي به الغلاة في الدين والمفرطون فيه، والله مدد.

نرح قاعدة « لانكفر أحدا من أهل القبلة بذنوب »

وبيان عدم كفر المبتدع في الدين جاهلا أو متأولا

هذه القاعدة من قواعد أهل السنة والجماعة الذين يصدق عليهم هذا القول لانهم يسمون أنفسهم بهذا الاسم ليميزوا من المعروفين بأسماء أخرى . وهي تذكر في بعض العقائد . وقد رأيت لشيوخ الاسلام ابن تيمية بحقيقا نفيا مطولا فيها ذكره في مباحث نخطئة الرافضة في سب الصحابة (رض) وبيان ان الرد عليهم وعلى كل مخطئ في الدين يجب ان يقصد به بيان الحق وهداية الخلق دون التشفي والانتقام . وذكر ان الكلام في هذا مبني على مسألتين وبيان ذلك بما نصه :

(احداها) ان الذنب لا يوجب كفر صاحبه كما تقوله الخوارج ، بل ولا تجلده في

النار ومنع الشفاعة فيه كما تقوله المعتزلة .

(الثانية) ان المتأول الذي قصد متابعة الرسول لا يكفر ولا يفسق اذا اجتهد فأخطأ

وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفروا المخطئين فيها . وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اللهم باحسان ولا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين وإنما هو في الاصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم (فيها) كالخوارج والمعتزلة والجهمية ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة كعصبة أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم . وقد يسلكون في التكفير ذلك فهم من يكفر أهل البدع مطلقا ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع . وهذا يمينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية . وهذا القول أيضا لا يوجد في طائفة من أصحاب الائمة الاربعة ولا غيرهم وائس فيهم من كفر كل مبتدع ، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك

ولكن قد ينقل عن أحد من الكفر من قول بعض الاقوال ويكون مقصوده ان هذا القول كفر فيحذر ولا يازم اذا كان القول كفرا ان يكفر كل من قاله مع الجهول والتأويل^(١) فان ثبوت الكفر في حق الشخص المين كثبوت الوعيد في الاخرة في

(١) لعل الاصل ولو مع الجهول والتأويل

حقه وذلك له شروط وموانع كما بسطناه في موضعه . وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارا لم يكونوا منافقين ، فيكونون من المؤمنين فيستغفر لهم ويترحم عليهم . وإذا قل للمسلم (ربنا اغترنا ولا أخواننا الذين سبقونا بالإيمان) يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان وإن كان قد أخطأ في تأويل تأويله فخالف السنة أو أذنب ذنبا قاتله من أخوانه الذين سبقوه بالإيمان فدخل في الصوم وإن كان من التتبن والسببين فرقة قاتله طين فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين فيهم ضلال وذنوب يستخون به الوعيد كما يستخه عصاة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام بل جاهد من أتى ولم يقل أنهم يتحدرون في النار

فإن أهل عظيم يعني مراعاته فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قتلوهم بل أول ما خرجوا عليه ونهبوا بهجروا وخرجوا عن الطاعة والجماعة قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن لكم علينا أن لا تمنكم من مساجدنا ولا حاكم من النبي . ثم أرسل إليهم ابن عباس فأنظرهم فرجع نحو نصرهم ثم قاتل الباقي وعظيم ومع هفام بسبب لهم قرية ولا حتم لهم مالا ولا ما فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كسيرة الكذاب وأمثلة بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد من علي ذلك . فلم اتفق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين من دين الإسلام

قال الامام محمد بن نصر البرزعي وقد ولي علي رضي الله عنه قتال أهل النبي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسام مؤمنين وحكم فيهم بأحكام المؤمنين ، وكذلك عمار بن ياسر ، وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحاق بن راهويه حدثنا يحيى بن آدم عن مفضل بن مهلب عن الشيباني عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهروان فقبل له أشركون ثم قال من أشرك فواء قبل أشركون ؛ قال لا تقولوا لا يدرون الله لا قبلا . قلا فاما قال قوم بنوا علينا قد تنافم . وقال محمد بن نصر أيضا حدثنا اسحق حدثنا

وكيع عن مسر عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال قال رجل: من دعي إلى البغلة
 للشبابة يوم قتل المشركون؟ فقال علي من الشرك فروا، قتل المناقون، قال إن المناقين
 لا يذكرون الله إلا قليلا، قال فما هم؟ قال قوم قوما علينا فقاتلناهم فنهرونا عليهم.
 قال أسحق حدثنا وكيع عن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال قالوا لملي حين قتل
 أهل النهروان أمشركون هم؟ قال من الشرك فروا، قيل فذققون؟ قال المناقون
 لا يذكرون الله إلا قليلا، قيل فما هم؟ قال قوم حاربونا فحاربناهم وقاتلناهم فقاتلناهم
 (قلت) الحديث الأول وهذا الحديث ضربان في إن عليا قال هذا القول في

الخوارج الحرورية أهل النهروان الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم في ذمهم والأمر بقتالهم، وهم يكفرون صيانا وعلياً ومن تولاهما
 فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ودارهم دار كفر، فأما دار الإسلام فندم هي
 دارهم. قال الأشعري وغيره: اجتمعت الخوارج على تكفير علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه ومع هذا علي قاتلهم لما بدأوه بالقتال فقتلوا ضد الله بن حباب وطلب علي
 منهم قتله، فقالوا كنا قتله وأغاروا على مائبة قتلوا الناس ولهذا قال فيهم قوم قاتلنا
 فقاتلناهم وحاربونا فحاربناهم، وقال قوم بغوا علينا فقاتلناهم

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء، فانهم بغاة على جميع المسلمين
 سوى من وافقهم على مذمبتهم، وهم يبدون المسلمين بالقتال ولا يندفم شرهم إلا
 بالقتال فكانوا أضمر على المسلمين من قطاع الطريق. فان أولئك إنما مقصودهم المال
 فلو أعطوه لم يقاتلوا وإنما يتعرضون لبعض الناس وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين
 حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم
 الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرح علي رضي عنه بأنهم مؤمنون
 ليسوا كفارا ولا منافقين. وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس كابي أسحق
 الأسفرائيني ومن تبعه يقولون لا نكفر إلا من يكفرتنا، فان الكفر ليس حقا لهم بل
 هو حق لله وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه ولا (إن) يفعل الفاحشة
 بأهل من فعل الفاحشة. أهله بل ولو استكرهه رجل على القواطع لم يكفر له أن يستكرهه
 على ذلك؛ ولو قتله بتجريم خمر أو تلو ط لم يجز قتله بمثل ذلك، لان هذا حرام لحق

الله تعالى. ولو سب النصارى نبينا لم يكن لنا أن نسب المسيح، والرافضة إذا كفرنا
أبا بكر وعمر فليس لنا أن نكفر عليا. وحدث أبي وائل يوافق دينك الحديثين
فالظاهر أنه كان يوم النهروان أيضا
وقد روي عنه في أهل الجبل وصفين قول أحسن من هذا، قال اسحاق بن راهويه
حدثنا ابن نعيم حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سمع علي يوم الجبل ويوم
صفين رجلا يقول في القول فقال لا تقولوا إلا خيرا إنما هم قوم زعموا أنا بغية عليهم
وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم، فذكر لابي جعفر أنه أخذ منهم السلاح فقال ما كان
أغناهم من ذلك. وقال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن خالد
حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوهم عن قتل من أصحاب
معاوية: ما هم؟ قال هم المؤمنون، وبه قال أحمد بن خالد. حدثنا عبد العزيز بن
أبي سلمة عن عبد الواحد بن أبي عون قال مر علي - وهو متكئ على الأضربة - على قتل
صفين فاذا حابس الجاني مقتول فقال الأشتر: أنا لله وأنا إليه راجعون هذا حابس
الجاني مهم يا أمير المؤمنين عليه علامة معاوية أما والله لقد هبته مؤمنا، قال
علي والآن هو مؤمن، قال وكان حابس رجلا من أهل اليمن من أهل العبادة
والاجتهاد. قال محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبيد حدثنا مختار بن نافع عن أبي مطر
(قال) قال علي: متى نبئت أشقاها؟ قيل من أشقاها؟ قال الذي يقتلني. فضر به ابن ملجم
بالسيف فوقع برأس علي رضي الله عنه وهم المسلمون يقتله فقال لا تقتلوا الرجل فإن
برئت فالتجروح قصاص وإن مت فاقتلوه، فقال اذك ميت، قال وما يدريك؟ قال كان
سيفي مسموما - وبه قال محمد بن عبيد: حدثنا الحسن وهو ابن الحكم التميمي عن رباح
بن الحارث قال: أتنا البراءة وان ركبتي لتكاد تمس ربة عمار بن ياسر إذا قبل رجل
فقال كفر والله أهل الشام، فقال عمار لا تزل ذلك فقتلنا واحدة ونبينا واحدا، ولكنهم
قوم مقتونون فتح علينا قتلهم حتى يرجعوا إلى الحق - وبه قال ابن يحيى حدثنا قبيصة
حدثنا سفيان عن الحسن بن الحكم عن رباح بن الحارث عن عمار بن ياسر قال: دينا
واحد وقتلنا واحدة ودعوتنا واحدة ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم. قال ابن يحيى
حدثنا يعلى حدثنا مسعر عن عبد الله بن رباح عن رباح بن الحارث قال قال عمار

ابن ياسر: لا تقولوا كفر أهل الشام، قولوا فسقوا قولوا ظاهوا. قال محمد بن نصر وهذا يدل على أن الخبر الذي روي عن عمار بن ياسر أنه قال ليمان بن علفان: هو كافر. خبر باطل لا يصح لأنه إذا انكر كفر أصحاب معاوية وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون في دم عثمان فهو لتكبير عثمان أشد انكارا (قلت) والمروي في حديث عمار أنه لما قال ذلك انكر عليه علي رضي الله عنه وقال أتكفر برب آمن به عثمان وحديثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولا قد رجع عنه حين تبين له أنه قول باطل

وهما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة كانوا يصلون خلف نجدة الحروري وكانوا أيضا يحدوثونهم ويفتنونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم كما كان عبد الله بن عباس يجب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل وحديثه في البخاري؛ وكما أجاب نافع ابن الأزرق عن مسائل مشهورة وكان نافع يذاظره في أشياء بالقرآن كما يذاظر المسلمان. وما زالت سيرة المسلمين على هذا ما جعلوهم مرتدين كالذين قاتلهم الصديق رضي الله عنه هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهم في الأحاديث الصحيحة وما روي من أنهم شرقتي تحت آدم السماء خير قتيل من قتلوه في الحديث الذي رواه أبو امامة رواه الترمذي وغيره أي أنهم شر على المسلمين من غيرهم فانهم لم يكن أحب شرا على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى فانهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم مستحلين لدماء المسلمين وأولادهم مكرمين لهم وكانوا متدينين بذلك لعظام جهلهم وبدعتهم المضلة، ومع هذا فالصحابة والتابعون لهم باحسان لم يكفروهم ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل بل اتقوا الله فيهم وصاروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والاهواء من الشيعة والمرتنة وغيرهم فن كفر الثنتين والبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وجماع الصحابة والتابعين لهم باحسان مع أن حديث الثنتين والبعين فرقة ليس في الصحيحين وقد ضمنه ابن حزم وغيره لكن حديثه غيره أو صححه كما صححه الحاكم وغيره وقد رواه أهل السنن. وروى من طريق وليس قوله

فثنتان وجبفون في النار وواحدة في الجنة» أعظم من قوله تعالى (ان الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) وقوله (ومن يمل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا) وأمثال ذلك من النصوص الصريحة
بدخول من فعل ذلك النار ومع هذا فلا تشهد لمعين بالنار لا يمكن انه تاب أو كانت
له حسنات محت سيئاته أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم بل المؤمن بالله
ورسوله باطنا وظاهرا الذي قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول إذا اخطأ وام يمرق
الحق كان أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب ، فان هذا عاص
يستحق للمذاب بلا ريب ، وأما ذلك فليس متعمدا للذنب ، بل هو مخطئ والله قد
تجاوز هذه الامة عن الخطأ والذيان ، والمفارقة في الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين
وان كان في الآخرة خيرا ممن لم يعاقب ، كما يعاقب المسلم المتعدي للحدود ولا يعاقب
أهل الذمة من اليهود والنصارى والمسلم في الآخرة خير منهم

وأبضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يميل لهواه لا ديانته ، ويصدق عن
الحق الذي يخالف هواه ، فهذا يعاقبه الله على هواه ومثل هذا يستحق العقوبة في
الدنيا والآخرة ، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم كما روي عن سعد بن أبي رقاد
انه قال (نزل) فيهم قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين) الذين يتقصون هوى الله من
بدمية مائة وبقية علمون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون)
فقد يكون هذا قصده ، لاسيما إذا تفرق الناس فكان منهم من يطلب الرياسة له
ولاصحابه . واذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء ، وذلك
ليس في سبيل الله فكيف يأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها فانهم يفعلون
ذلك شجاعة وحمية ، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهوائهم بهير هدى من الله لا لمجرد الخطأ
الذي اجتهدوا فيه ، ولهذا قال الشافعي : لأن أتكلم في علم يقال لي فيه أخطأت ، أحب
لي من أن أتكلم في علم يقال لي فيه كفرت

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا . ومن مباح أهل العلم انهم يخطئون
ولا يكفرون . وسبب ذلك ان أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفرا ، وقد يكون كفرا
لانه يقين له انه تكذيب للرصول وسبب الاغاليق والآخر لم يقين له ذلك ، فلا يلزم

لذا كان هذا العالم بجحاله يكفر^(١) إذا قاله أن يكفر من لم يعلم بجحاله
والناس لهم فيما يحملونه كفرا طرق متعددة فمنهم من يقول الكفر تكذيب ما علم
بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك. ومنهم
من يقول الكفر هو الجهل بالله، ثم قد يحمل الجهل بالصفة كالجهل بالوصف وقد لا يحمله،
وهم مختلفون في الصفات نفيا وإثباتا. ومنهم من لا يحبه بحمد بل كل ما تبين أنه
تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جملة كفرا —
للى طرق أخر. ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة فتكذيب الرسول كفر.
وبخسه وسبه وعدلونه مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم
بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف إلا الجهم ومن وافقه كالصالحى والأشعري
يغبرهم فأنهم قالوا هذا كفر في الظاهر وأما في الباطن فلا يكون كفرا إلا إذا
استلزم الجهول بحيث لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب وهذا بناء على أن
الإيمان في القلب لا يتفاضل ولا يكون في القلب ببعض من الإيمان. وهو خلاف
التعويض الصريح وخلاف الواقع، وبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه وإذا كان الذنب
متعلقا بالله ورسوله فهو حق محض لله فيجب على الإنسان أن يكون في هذا قاصدا
لوجه الله متبعا لرسوله ليكون عمله خالصا صوابا، قال تعالى (وقولوا لن يدخل الجنة
الذين كان هودا أو نصارى، تلك أمانيهم. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)
على من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
وقال تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا
وأخذ الله إبراهيم خليلا) قال المفسرون وأهل اللغة معنى الآية أخلص دينه وعمله
لله وهو محسن في عمله. وقال الفراء في قوله (قتل أصحاب وجهي لله) أخلصت عملي
وقال الزجاج قصدت بعبادتي إلى الله وهو كما قالوا كما قد ذكر توجيهه في موضع آخر،
وهذا المعنى يدر عليه القرآن فان الله تعالى أمر أن لا يبعد إلاياه وعبادته فعل ما أمر
وبرك ما حظره والاول هو اخلاص الدين والعمل لله، والثاني هو الاحسان والفضل

الصالح، ولهذا كان عمر يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لاحد فيه شيئا، وهذا هو الخالص الصواب كما قال الفضيل بن عياض في قوله (ليلوكم أيكم عملا) قال أخا صه وأصو به، قالوا يا أبا علي ما أخا صه وأصو به؟ قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة، والامر بالسنة والنهي عن البدعة هما أمر بمعروف ونهي عن منكر وهو من أفضل الاعمال الصالحة فيجب ان يتنفي به وجه الله وان يكون مطابقا للامر، وفي الحديث « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغي ان يكون عالما بما يأمر به عالما بما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه » (١) فالعلم قبل الامر والرفق مع الامر والحلم مع الامر فان لم يكن عالما لم يكن له ان يقفوا وليس له به علم وان كان عالما ولم يكن رفيقا كان كاطبيب الذي لا يرفق فيه فيفلأ على المريض فلا يقبل منه، وكا مؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد وقد قال ابا تعالى لموسى وهارون (فقولا له قولنا لعلنا نعلمه يتذكر أو ينحش) ثم اذا أمر أو نهى فلا بد أن يؤذى في المادة فعليه أن يصبر ويحلم كما قال تعالى (وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبرهلى ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) وقد أمر الله نبيه بالصبر

(١) المنار: قوله وفي الحديث الخ لم أر الحديث بهذا اللفظ في شيء من دواوين السنن ولا فيما جمع منها ككثير العمال والمصنف بحر واسع. وفي معناه حديث « من أمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف » رواه البيهقي في شعب الایمان من رواية عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده وفي سننه سالم بن ميمون الخواص ضعيف لا يحتج به ولا يكتب حديثه رواه عن المثني بن الصباح الفارسي وهو ضعيف مختلف فيه قال الامام أحمد لا يسوي حديثه شيئا. وقال ابن ميمون رجل صالح يكتب حديثه ولا يترك. لكن رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس مرفوعا بلفظ « لا ينبغي للرجل ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر عالم بما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى » وذكر في الاحياء للقرظي « لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه » قال الحافظ العراقي لم أجده هكذا. وذكر حديث البيهقي

على اذى المشركين في غير موضع وهو امام الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فان الانسان عليه أولا ان يكون امره لله وقصده طاعة الله فيما امر به وهو يجب صلاح المأمور واقامة الحججة عليه فان فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته وتنقيص غيره كان ذلك خطيئة لا يقبله الله وكذلك اذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم اذا ارد عليه ذلك أو اؤذي أو نسب الى أنه مخطفى وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة اذا كان كل منهم يمتقد أن الحق معه وانه على السنة فان أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم ورياستهم وما نسب اليهم لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي المليا وأن يكون الدين كله لله، بل يفضون على من خالفهم وان كان مجتهداً منذوراً لا يقضب الله عليه، ويرضون عنمن كان يوافقهم وان كان جاهلاً سمي القصد ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا الى أن يحمداوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصيروا الاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله. وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون الا أهواءهم ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا وبلغة المفل هذا « بال » هذا « باغي » لا ينظرون الى موالاته الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) فاذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة، وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله والموالاته لله والمعاداة لله والمباذاة لله والاستمانة بالله والخوف من الله والرجاء لله والمنع لله والاعطاء لله، وهذا انما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله ونهيه نهي الله ومعاداته معاداة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله. وصاحب الهوى يعميه الهوى ويعصيه فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يفض لفض الله ورسوله بل يرضى اذا حصل ما يرضاه بهواه ويفض اذا حصل ما يفض له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين ان الذي يرضى له ويفض له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فاذا قدر أن الذي معه هو الحق المحض دين الاسلام ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي المليا (النار: ج ٢) (١٧) (المجلد الثاني والمشرون)

بل قسد الحمية لنفسه وطلافته أو الرياء ليعظم هو ويثني عليه أو فعل ذلك شجاعة وطبماً أو لغرض من الدنيا لم يكن لله ولم يكن مما هو في سبيل الله فكيف اذا كان الذي يدعى الحق أو السنة هو كغلبه منه حق وباطل وسنة وبدعة وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شعيماً وكفر بعضهم بعضاً وفسق بعضهم بعضاً ولهذا قال تعالى فيهم (وما تفرق الدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء) وقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (وقال تعالى (كان الناس أمة واحدة) فاختلّفوا (١) كما في سورة يونس (١) وكذلك في قراءة بعض الصحابة وهذا على قراءة الجمهور من الصحابة والتابعين انهم كانوا على دين الاسلام وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس انهم كانوا على الكفر وهذا ليس بشيء وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن عباس بل قد ثبت عنه أنه قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وقد قال في سورة يونس (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلّفوا) فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد فعلم أنه كان حقاً والاختلاف في كتاب الله على وجهين (أحدهما) أن يكون كله مذموماً كقوله (وان الدين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) والثاني أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل كقوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) لكن اذا اطلق الاختلاف فالجميع مذموم كقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم » ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بانه كله مذموم ، قال الزهراء في اختلافهم وجهان

(١) يوشك ان يكون قد سقط من هنا شيء ولو لبعض آية البقرة التي اورد جملة منها وهي (كان الناس أمة واحدة) وبمده (فبمئذ الله النبيين مبشرين ومنذرين) أي كان بعضهم بمد الاختلاف الذي سرح به آية يونس وسيدكرها وفي قرامة ابي ابن كعب الذي اُهمار اليه المصنف بقوله بعض الصحابة ولعله قسد بها التفسير (٢) لعل أصلاً تفسير الجمهور أي للامة الواحدة

(أحدهما) كفر بمضمون بكتاب بعض (والثاني) تبديل ما بدلوا، وهو كما قال، فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق وباطل فيكفر بالحق الذي مع الآخر ويصدق بالباطل الذي معه وهو تبديل ما بدل، فالاختلاف لا بد أن يجمع النوعين ولهذا ذكر كل من السلف أنواعاً من هذا (ثم قال المؤلف بعد ذكر ستة أنواع من اختلاف أهل الكتاب حذفناها للاختصار مانعه)

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط (١) فالخارجي يقول ليس الشيعي على شيء والشيعي يقول ليس الخارجي على شيء، والقدري النافي يقول ليس المثبت على شيء والقدري الجبري المثبت يقول ليس القدري النافي على شيء والوعيدية تقول ليست المرجئة على شيء والمرجئة تقول ليست الوعيدية على شيء. بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والتروعية المنتسبين إلى السنة فالكلابي يقول ليس الكرامي على شيء، والكرامي يقول ليس الكلابي على شيء، والأشعري يقول ليس السالمي على شيء والسالمي يقول ليس الأشعري على شيء وضمنف السالمي كابي علي الأهوازي كتاباً في مثالب الأشعري وضمنف الأشعري كابي علي الأهوازي كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية، وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها لآسيا وكثير منهم تلبس ببعض المقالات الأصولية وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط بذهب مالك والشافعي وأحمد شيئاً من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بذهب أبي حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلابية ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة. وهذا من جنس الرفض والتشيع لكنه تشيع في تفضيل بعض الطوائف والعلماة لا تشيع في تفضيل بعض الصحابة

والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله يدور على ذلك ويتبعه أين وجدته ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة فلا فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الهدى الطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الهدى

(١) يريد النمط الأخير الذي حكاه الله تعالى في قوله عنهم (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ،
 فاذا اجتمعوا لم يجتمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فانهم قد
 يجتمعون على خطأ بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأئمة لا يكون الا خطأ
 فان الدين الذي بعث الله به رسوله ليس مسلماً الى عالم واحد وأصحابه ولو كان
 كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيهه
 بقول الرافضة في الامام المصوم ، ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون
 ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب اليهم المذاهب
 في الاصول والتروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاؤا بحق يخالف ما جاء به الرسول
 فان كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول
 ما يخالف الصحابة والتابعين ثم باحسان فان أولئك لم يجتمعوا على ضلاله فلا بد
 أن يكون قوله ان كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل
 قول قيل في دين الاسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد
 منهم بل قالوا خلافه فانه قول باطل

والمقصود هنا ان الله تعالى ذكر ان المختلفين جاعتهم البينة وجاءهم العلم
 وانما اختلفوا بغيا ولهذا ذمهم الله وعاقبهم فانهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين ، بل
 كانوا قاصدين النبي عالمين بالحق معرضين عن القول وعن العمل به ، ونظير هذا
 قوله (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد
 ما جاءهم العلم بغيا بينهم) قال الزجاج اختلفوا للنبي لا لقصد البرهان . وقال
 تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل ميثاقاً صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
 حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) وقال
 تعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من
 الطيبات وفضلناهم على العالمين) وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد
 ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون *
 ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * انهم
 لن يفتنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين * هذا
 بصائر للناس وهدى ورحمة) فهذه المواضع من القرآن تبين ان المختلفين ما اختلفوا
 حتى جاءهم العلم والبيانات فاختلغوا للنبي والظلم ، لا لاجل اشتباه الحق بالباطل
 عليهم . وهذه حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم لا يختلفون الا من
 بعد ان يظهر لهم الحق ويحييهم العلم فيبني بعضهم على بعض . (للبحث بقية)

دعوة عرب الجزيرة العربية الى الوحدة والاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ،
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُنْتَدِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

نبت في القرآن المجيد ثم في التواريخ التي دونها علماء العرب وغيرهم من الامم
قديما وحديثا ومن الماديات (الاثار القديمة) التي اكتشفت في اقطار مختلفة
أن العرب من أقدم أمم الارض حضارة وعمرانا ورسلا وشرائع حتى أنهم
استعمروا أقدم البلاد مدنية كمصر وسورية والمراق ، فلهم في حضارة الفراعنة
والفينيقيين والكلدانيين المرق الراسخ ، والمجد الشامخ ، فان لم تكن تلك
الامم فروعا منهم ، فلها وشائج أرحام مشتبكة بهم ، من قبل أن مزجها الاسلام
في الدين واللغة والنسب بألوف السنين .

فن ذلك ما حكاه في القرآن المجيد عن قوم عاد (ارم ذات المهاد ، التي لم يخلق
مثلها في البلاد) كقول نبيهم هود في مبانهم وقوتهم (أتبنون بكل ريع آية
أعبثون ۝ وتتخذون مسالغ لملككم تغلدون ۝ واذا بطشتم بملثتم جبارين)
وقوله في نسلهم وزرعهم وضرعهم (أمدكم بأنعام وبنين ۝ وجنات وعيون)
وبيانه لهم ان هذه النعم يزيد بها الرجوع الى الله بالايمان وترك المعاصي نماء وقوة

(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويردمكم قوة الى قوتكم) وما حكاه عن نوح وقول رسوله صلح لهم في تذكيره بنعم الله عليهم (هو أنشأكم من الارض واستمرركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه) وقوله (أتتركون فيها ههنا آمنين * في جنات وعيون * وزروع ونخل طلمها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وما قصه لنا عن سبأ في سورتها كجنتهم عن اليمن والشمال ، واتصالها بالقرى المباركة في أرض الشام ، ونظام السير المقدر بالاوقات وحفظ الامن فيها بالعدل والنظام ، وذلك قوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) وناهيكم بقصة ملكتهم مع نبي الله سليمان ، وكونها أوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في ذلك الزمان ، مع القوة والحكم بالشوري دون الاستبداد

ومن ذلك ما أثبتته الذين اكتشفوا آثار السكلدانيين في العراق وشريعة ملكهم حمورابي من كون شريعتهم عربية ودولتهم عربية ، وهذا الملك كان كان يسمى ملك البر والسلام ، وفي سفر التكوين من أسفار التوراة ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أعطاه المشور اذ كان من رعيته وانه بارك ابراهيم . فدل هذا على ان ابراهيم صلى الله عليه وعلى آله كان عربيا أيضا

ومن ذلك ما اكتشفه أحمد بك كمال العالم الاثري المصري من امتزاج اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) باللغة العربية الدال على أحد أمرين اما أن العرب وقدماء المصريين من عرق واحد ، واما أن العرب قد استعمروا مصر وحكموا فيها قبل دولة الرعاة العربية المعروف خبرها في تاريخ مصر فكان لغتهم الاثر الخالد في لغتها هذا الماع تاريخي وجيز لمدينة العرب وقوتهم وعمرانهم في التاريخ القديم منذ ألوف السنين وان في لغتهم الفنية الراقية الواسمة دلائل أخرى على ذلك متعددة المناهج واضحة المسالك

قد ضمنت الامة العربية بعد تلك القوة ، وبدت بعد تلك الحضارة ، وخرب معظم بلادها بعد ذلك العمران ، وغلبت عليها الامية ، وكادت تعمرها الجاهلية الوثنية ، (فكأن من قرية أهلكتناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر ممطلة وقصر مشيد * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وصح على هذا الضعف قرون وتماقت عليه أجيال ، حتى ظن النانون أن هذه

الامة هزمت وقاربت الزوال ، فلا تقوم لها قائمة ولا يتجدد لها شباب ،
ثم جاء الاسلام لجمع شملها بعد فرقة وشتات ، والف بين قلوب قبائلها
وأفرادها بعد عدواة تأرثت بها الاضغان وتحكمت فيها الثارات ، وأخرجها من
ظلمات الجاهلية والامية . الى نور العلم والحكمة والنظام والمدنية ، وجعل لها
المكانة الاولى بين أمم الارض في السيادة والرياسة ، والكلمة العليا في الحكم
والسياسة ، فورثت ملك القياصرة والاكسرة في الشرق ، وامتد سلطانها في
القرن الاول من حدود الهند الى المحيط الغربي وهو آخر ما كان يعرف من
اليابسة في الغرب ، وأحيت في هذه الممالك الواسعة العلوم والفنون وورقت
الصناعة والزراعة ، وسلكت السبل الجديدة للتجارة ، فسادت شريعتها جميع
الشرائع ، وعلت لغتها جميع اللغات ، وفاقت آدابها جميع الآداب
ولكن حفظ جزيرتها من هذا الممران كان قليلا ، ثم دب اليها الخراب وعاد
أكثر أهلها الى البداوة والامية والجاهلية أو ما يقرب منها . بل صاروا دون
الجاهلية في بعض الصفات والمزايا حتى النخعة ، فأن لبدا الجزيرة وحضرها في
هذا العصر بما يقرب من تلك الملكية العليا في النصاحة والبلاغة التي جمعت
لكتاب الله الممجز تلك المكانة من عقوقهم وقويهم ، حتى ان كان أحدهم ليسمع
السورة أو الآية منه فيخرج ساجدا ، وتتحول عقائده وأخلاقه وعاداته
بهديته الى ضدها

عاد أهل الجزيرة الى جاهلية يضرب بعضهم رقاب بعض بمد ألف الاسلام
بينهم فكانوا بنعمة الله اخوانا ، ويرزق قويمهم بسلب ضعيفهم بمد كانوا يؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وفرقوا دينهم فصاروا شيما تكفر كل شيمة
منهم الاخرى أو تفسقها بمد تلك الوحدة العظيمة ، جاهلين أو غافلين عن قول
ربهم لسولهم صلى الله عليه وسلم (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيما لست
منهم في شيء) وما في معناه من الآيات والاحاديث .

ان هداية القرآن هي التي جمعت كلمة العرب على ما كان من تعرقهم وتناديهم
في الجاهلية ، وهي التي جعلتهم أمة الامم في العلم والحكم والآداب والمدل
في أثر اخراجهم من تلك الامية ، وما أصابهم ما أصابهم بعد ذلك من التفرق
والتعادي والجهل والفقر الا بتركها ، ولن تعود اليهم تلك النعم الا بعودهم
اليها ، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ولكن وحي شياطين

التفريق . قد زين بزخرف القول لكل فريق ، ان كل شيمة تجمها راي
 مذهب فانما الواجب عليها ان تعمل بقول علماءه وحكامه ، ولا يجوز لها ان
 تهتدي بكتاب الله وسنة رسوله ، وان اختلفوا في الرأي ، وتنازعوا في الامر
 خلافا لقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) وشبهتها
 هذه المخالفة ان الاهتداء بكتاب الله المنزل ، فتح لباب الاجتهاد المقفل
 فاختلفوا في أصل الاهتداء بالكتاب ، الذي أزاله الله تعالى لازالة الاختلاف
 من غصن داوى بشرب الماء غصته فكيف يفعل من قد غصن بالماء

ان الله تعالى أرسل رسوله لهداية خلقه (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
 الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بنبي
 بينهم) فكيف يؤخذ بقول العلماء أو الامراء الذين يضي بعضهم على بعض ، فيما تنازعوا
 واختلفوا فيه من الامر اذا لم يرجعوا الى الاصل الجامع ، ويحكموه في الخلاف الواقع ،
 وهو يقول (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله
 واليوم الآخر) ثم يطل ذلك تمليلا ، بقوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) أي أحسن
 هاقبة وما آلا من كل ما عداه فكيف لا يكون خيرا من اتباع أهوائهم ، في تحكيم آرائهم ،
 والرد الى أقوال زعمائهم وعلمائهم ، على أن هذا الرد الى كتاب الله وسنة رسوله وذلك
 الاهتداء بهما ، لا يمتازان لاجتهاد الاصولي المطلق الذي أقتلوا بابه ، فقد كان
 عوام السلف الصالح مهتدين بهما ولم يكن كل واحد منهم اماما مجتهدا في استنباط
 جميع الاحكام ، كانتهم المشهورين وهما منهم الاعلام

نعم ان الشيخ محمد عبد الوهاب قد جدد دعوة الدين في بقاع نجد ، فرجم
 الالوف بها عما كانوا عليه من الجاهلية والشرك ، وهدت تفشدهوته في جميع جزيرة
 العرب التي يعمد اصلاحها وجمع كلمتها بغير الدين ، ولو تم ذلك لتجدد امر
 الاسلام في جميع أقطار المسلمين . ولكن حل دون ذلك فتنان (أولاهما) مقاومة
 السياسة لها ، والاخرى فلو الكثير من القائمين بها ، فالاولى اذاعة الرسالة في العالم كله
 ان هذه دعوة ابداع في الدين ، والغلاة أي درا هذه الاذاعة بما اشتهر بهم من الفلج
 ولا سيما تكفير من هداهم من المسلمين ، ولهذا التهمة أصل ، وقد بينا الحقيقة في هذه

المسألة من قبل ، وغرضنا من الايام بذكرها الآن ، بيان امتداد العرب للصلاح والاصلاح بدعوة الايمان ، اذا قام بهامن يدعو اليها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن كما امر القرآن . وتذكير الغلاة من المدينة بأن لا يفلو في دينهم ولا يقولوا على الله الا الحق ، ولا يجرموا ما لم يجرم الله ورسوله بالنص أو اقتضاء النص ، وان يمتدوا كل مخالف لهداية الدين بالتأول أو الجهل ، ويعتمدوا في بث الدعوة على نشر العلم والعمل به على قاعدة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وان لا يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنوبه ، وان يفرقوا بين الجهل بشيء مما يجب الايمان به عن جهل وان عد بعضه الفقهاء كفراردة ، وكفر العناد وتكذيب الرسول الذي كان عليه مشركو الجاهلية في زمن البعثة . فاذا علموا هذا وعملوا به لانثبث البعثة ان نعم الجزيرة وفيرها وبسقط كل من يمارسها حرصا على الزهامة وحب الرياسة . هذا وان لما أصاب الجزيرة من الشقاق والشقاء سببا أصيلا وراء الخلاف الديني للنبي ، وهو حب الرياسة وعلو بعض الزعماء على بعض ، وسببين عارضين وهما الجهل والفقر ، وازالة السببين المارضين من الامور الكسبية القرية المثال ، وأما الشقاء كل الشقاء في الشقاق الناشئ عن حب الرياسة والعلو وخطره المنذر بالهلاك والزوال ان في بلاد العرب من ينايم الثروة ما يكفي لجمل أهلها من أفنى شعوب الارض كما دن الذهب والحديد والحجارة الكريمة والاملاح والزيوت الممدنية وغير ذلك ، وفي كثير من أرضها قابلية لمصوب الزراعة يميز نظيره في غيرها ، وناهيك بمهورة اليمن ونخيل المدينة وفاكة الطائف ، وأهاما أزكى الشعوب وأقواما امتدادا لتجارة حتى ان عوام الحضارة قد زاحوا بها أرقى شعوب هذا المصراعلا ونجربة في بلاد الهند وجاوة ومصر ، فبقايل من العلم والنظام تدخل جزيرة العرب في حياة جديدة من الثروة والعمران ، وتحفظ نقدها من الخطر المحدق بها الآن ، ولكن ذلك يتوقف على ازالة المداء الذي طرأ على أئمتها في هذا الزمان

اذا زال الشقاق وأدبل منه الاتفاق بين أئمة اليمن والمجاز ونجد ، زال في أثره ما منيت به البلاد من الجهل والفقر ، وما يتهددها من فقد الاستقلال والذل ، واذا حل بالجزيرة ما جعله الله تعالى بسنته في البشر ، عقابا لازما لاهل النازع والفشل ،

(المنار : ج ٢) (١٨) (المجلد الثاني والمشرور)

يذل الاسلام ويذل ساطانه من رومن ماثر الامم، وتكون تبعه ذلك على أمراء الجزيرة وأئمتها، وما يظن بأحد منهم انه بحسب أن بلاده بأمن من سيطرة الاجانب بقوتها، أو بجزرها ودهورتها اذ لم يبق (فيما أظن) منهم من يجمل أن الاجانب قد استولوا على ما هو مثاها أو أشدها قوة، وألذع حرا وأصب وعورة، على انه ليس مثاها في كونه جزيرة أو شبه جزيرة، فهذه البلاد يمكن للدول البحرية حصرها من البحر، ومنع السلاح عنها وقطع موارد الرزق، ولا سيما اذا ثبتت سيطرتها على بلاد سورية والمراق، التي يسهل حصرها أيضا اذا هي نجت من تلك السيطرة وايتذكروا جميعا ما أوصى به النبي (ص) في مرض موته بشأن جزيرتهم، وحكمة ما أشار اليه من ان الاسلام سبارز اليها كما تارز الحية الى جحرها وتطبيق ذلك على ما صار اليه أمر المسلمين الآن ان بقاء عز الاسلام يتوقف على استقلال العرب واصلاح شؤونهم كما ثبت

عندنا بالنظر الصحيح، المؤيد لحديث جابر هند أبي يعلى بسند صحيح، وهو قوله عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » ولا هز بغير استقلال ولا استقال الا بالقوة والمال، ولا قوة ولا ثروة، مع الشقاق والفرقة، وإنما كل القوة بالاهتمام والوحدة، فاذا انحدر أمراء الجزيرة وأئمتها حفظوا استقلالهم وأمكنهم نشر العلم وتفجير ينابيع الثروة في بلادهم، بمساعدة أهل البصرة والقادر على تنظيم الادارة والقوة وتدير الثروة من أمتهم، وتسابقت الشعوب الفنية القوية الى موادتهم أو مصانمتهم، للاستفادة من قوتهم وثروتهم. بل هي على وشك الاحتيال اليهم منذ الآن، لما بين غربي أوربة وشرقيها من المقارعة والصدام، الذي يتوقف نتيجة ما يكون عليه الشرق من حكم ونظام، ولا سيما شعوب الاسلام، من المر والترك والفرس والتر والافغان

هذا ما أحكيه لهم عن رأي أهل البصيرة والدين، من صفاء العرب وعلماء المسلمين، الذين يتنفسون الصعداء حزنا، ويحرقون الأرم فيظا واسفا، كما صرخ اسماعيل نبأ تقاتل أمة الجزيرة، للتنازع على بعض الجبال والأودية^(١) مع خراب البلاد، وقر العباد، الذين يزيلها الاتفاق والاتحاد، ويزيدها الاقتراق والجلاد، وأنني بلسان صفوة المخلصين من عقلاء العرب وغيرهم من المسلمين، أدعوم الى عقد الاتفاق والحلف بينهم على الاصول الآتية:

- (١) ابطال الحرب والفرزوين عرب الجزيرة بمضمون مع بعض وحل مشكلات الخلاف بالتحكيم ولو بصفة هدنة مؤقتة الى أن يوضع للبلاد نظام حلقي ثابت
- (٢) حفظ المالة الحاضرة باعتراف كل حكومة مستقلة في قسم الجزيرة باستقلال سائر الحكومات الموجودة فيها اليوم وترك مسائل الحدود الى مجلس التحكيم بحيث لا يعد اعتراف بعضهم باستقلال بعض منضمنا للرضا بالحدود المختلف عليها
- (٣) حرية المذاهب الدينية الموجودة في البلاد في التعليم والعمل والدعوة بشرط عدم طعن أحد في مذهب غيره أو تكفير متبعيه بل ينبع في ذلك قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فلكل أحد أن يبين بالدليل أو بنصوص المذهب المتمددة أحكام الدين والكفر والجلال والحرام ولكن ليس له أن يطلبها على طائفة معينة من أهل القبلة لان التطبيق له شروط ولا يمتد في شأن الطوائف والجماعات التي تقم الشاثر الاسلامية، بل ليس لغير الحاكم الشرعي في الدعوى الشرعية ان يحكم بكفر شخص معين بدعي الاسلام ويقتله بذلك

(١) كجبل سفا الذي يتقاتل عليه صاهبا اليمن وعسير ووادي طربة الى ...
صاهبا الهجاز ونجد

كما ينقل عن بعض الفلاة في بعض البوادي قرب قائل قول أو فاعل عده بعض العلماء كقرا للدلالة عندهم على عدم تصديق الرسول وقائل القول أو فاعل الفعل من المؤمنين الموقنين ولكنه جاهل أو منأول ولو ظهر له الحق في المسألة لقبه مذهنا ورجع عما كان عليه تابعا مستغفرا

(٤) حرية التجارة وحفظ الامن في البلاد وتسهيل طرق المواصلات بينها وتنظيم مصلحة البريد والبرق والمبادرة الى انشاء تليفراف لاسلكي في البلاد ولا يصح اعواصها (٥) ارسال كل حكومة مقصدا الى عاصمة الاخرى يكون وكلاها عندها كما

هو المهود بين جميع الحكومات التي بينها عهود ولها مصالح في بلاد الاخرى (٦) بمد حصول هذه التمهيدات يتألف لهذه الحكومات مجلس حلقي يكون هو

المرجع في حل جميع مسائل الخلاف ووضع الحدود بين البلاد وجميع ما يتعلق بحفظها وترقية شؤونها. وانما من رأينا من أئمة اليمن والحجاز ونجد وها في تنفيذ هذا العمل الذي دعوا اليه جميعا قبل أن تشتد الحاجة اليه بوقوع الحرب العظمى وكثر الحديث فيه فإن عقلاء الأمة العربية في سائر البلاد وأهل الغيرة من مسلمي الاعاجم يمدونهم بأرائهم السديدة ومساعدتهم الرشيدة في تنفيذ الاتفاق الحلفي ونظام مجلسه وسائر ما يحتاجون اليه في ذلك وفيما يترتب عليه من ايجاد وسائل التروية في البلاد فيأبها الائمة المتبعون في بلادكم انكم تعامون انكم مسئولون عند الله تعالى عن كل

ما ينطق بأمر البلاد وأهلها، واملكم لا تعلمون حق العلم قدر اهتمام شعبكم العربي في غير بلادكم واهتمام جميع عقلاء الشعوب الاسلامية الاخرى بأمركم وما يقولون عنكم كما بلغهم شيء من ابناء اختلافكم وتقاتلكم، وما يتمنون لكم من السعادة وحسن الحال الذي يمدونه من اسباب سعادتهم، وما يكذبون اليوم في تاريخكم، مما ينشر قريبا في عسركم، مصححا لما تنشره الجرائد عنكم، الا فاعلموا أن جميع العقلاء منهم ومن غيرهم يعلمون ان الاتفاقكم خير لكل منكم وان بقاء هذا الشقاق بينكم أكبر مصاب تلبكم وعلى شعبكم وأمتكم ومنتمكم (فتقوا الله واصابحوا ذات بينكم) رسالة على من تبع هدى، ورجع المصنعة العائمة على الهوى

الخيال في الشعر العربي

يرتفع شأن الشعر ونقضي لصاحبه بالبراعة والتفوق هل غيره بمقدار ما يحرز من بناء محكم ومعنى بديع . وقد حدى فلاسفة الادب انظارهم الى الوجوه التي تملك بها المعاني شرف منزلتها وحسن طاعتها ، أو تأخذ منها الالفاظ متانة نسجها وصفاء ديباجتها .

ومن أجل الفنون التي يرجع النظر فيها الى جهة المعنى صناعة التخيل ، وهي الغرض الذي جردت القلم للبحث عنه في هذه الصفحات متحرراً أسلوباً لا يشتكي منه القارئ طولاً ولا قصراً

ولا ادعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة فلم يرجوا على مكانه ، أو ضعب عليهم مراسه فلم يسوسوه بفكر ثاقب وبيان فاصل ؛ فإن كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوههم شطره حتى توغلوا في طرائقه ، وكشفوا النقاب عن حقائقه ، ومن أبعدهم نفوذاً في مسالكه الفاضلة وأسلمهم ذوقاً في نقد معانيه وتمييز جيدها من رديئها الامام عبد القاهر الجرجاني صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز . وما كان لي سوى أن أعود الى مباحثه المبتوتة في فنون شتى فاستخلص بقدر ما تسمح به الحال لبابها ، وأولف بين ما تقطع من أسبابها ، ولا تجديني أن شاء الله أحكي مقالهم دون أن أهتد بناصيته أو أبت خلاله أو أضغ في ردفه جملاً تلبسه ثوباً قشياً أو تبتفخ فيه روحاً كانت هادئة

الشعر

يعرف العربي في جاهليته كما عرف بعد أن نزل اليه العلم من كل حدب أن الكلام ينقسم الى شعرونثر . والميزة المحسوسة لكل أحد أن الشاعر لا يبحث عليك الالفاظ جزافاً مثلما يفعل الناثر ، وإنما يلقيها اليك في أوزان تزيد في روتها ، وتوفر لذلك عند سماعها ، ومن هذا ذهب بعضهم في حد الشعر الى أنه كلام مقفى موزون . وهذا مثل من بشرح لك الانسان بأنه حيوان يادي البشرة منتصب القامة . فكل

ما قصر تعريفه على ما يدرك بالحاسة الظاهرة ، ولم يتجاوزها الى المعنى الذي تقوم
الحقيقة ويكون مبدأ لجمالها ، وهو التخييل في الشعر والنطق في الانسان
فالروح التي يمدبها الكلام المنظوم في قبيل الشعراء هي التشايبه والاستعارات
لامثال وغيرها من التصرفات التي يدخل لها الشاعر من باب التخييل . وليس
زن سوى خاصة من خواص اللفظ المنظور اليها في مفهوم الشعر بحيث لا يسميه
رب شعرا الا عند تحققه ، واطلاق الشعر على الكلام الموزون اذا خلا من معنى
منظره النفس لا يصح الا كما يصح لك أن نسي جثة الميت انسانا ، أو تمثال
لميوان المقترس أسدا

والمشور من الكلام يشارك الشعر في اشتماله على الصور الخيالية ولكن نصيب
شعر منها أوفر ، وهو بها أعرف ، كما يمتاز بأحد أنواع التخييل وهو مالا يتوخى به
ماجه وجه الحقيقة ، وإنما يقصد به اختلاب القول ومخادعة النفوس الى التثبث
فيرحق يدعوك كما قال ابن الرومي الى أن تطوي جناحك على جذوة من الحقد
وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى وبعض المزايا ينتسب الى بعض
فحيث ترى حقا على ذي إساءة فتم ترى شكرا على واسمي القرض
وقال آخر — بزین لك أن تدرج نفسك في كفن الذل وتواربها في
حفرة من الخول

لقد بالخول وعذ بالذل ممتصيا بالله تنجو كما أهل النهى صلوا
فالرجح نطم ان هبت هواصفها دوح الثمار وينجو الشبح والرتم
ولاختصاص الشعر بهذا النوع من التخييل أطلق بعض المشركين من العرب
على الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الشاعر ليقوا في أوهم السذج أن كلامه من
نوع ما يصدر عن الشعراء من الأقوال الموهبة والتخييلات الباطلة
فهم يملون أن القرآن بريء من النزوة التي عهد بها الشاعر وهي عرض الباطل
في لباس الحق ، لأنه انما ينطق بالحكمة ، ويجادل بالحجة ، ولا يخفى عليهم أنه مخالف
للشعر في طرقتهم ، فان للشعر هروضا يقف عنده ووزنا ينهي اليه ، والقرآن بصوغ
الموعظة وينفق الحكمة بغير ميزان ، ولكن ضافت عليهم مسائل الجدال وانسدت في

وجوههم طرق المارضة ، فلم يبالوا أن يشبهوا بالدعاري التي يظهر بطلانها الاول رأي ، كما قالوا عنه انه مجنون ، وهم يشهدون في انفسهم انه بلغهم قولاً واقوام حجة وأنطقهم بالحكمة

وأما الآيات التي وافقت بعض الاوزان فهي على بلاستها من بهرج التخييلات لأنجد الموافق منها للموزون قد استقل بنفسه وأعاد المعنى دون أن تصله بكلمات من الآيات السابقة أو اللاحقة ، والكلام المؤلف من الموزون وغير الموزون لا يصح لاحد أن يسميه شعراً ليقدم به في قوله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون)

التخييل عند علماء البلاغة

ينقسم التصرف في الماني على ما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى تحقيق وتخييل ، والفارق بينهما أن المعنى الحقيقي ما يشهد له العقل بالاستقامة وتمتصاف العقلاء من كل أمة على تقريره والعمل به وجبه كقول النبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

فدعى هذا البيت مما تلقاه العقلاء بالقبول ، ووضوه بمقدمة ما يتنافسون فيه من الحكم البالغة ، وكذلك اتخذها الامراء الراشدون قاعدة يشدون بها ظهر سياحتهم ، ويستندون اليها في حياية شموجهم ، ومن الذي يجهل أن حياة الامم إنما تنظم بالوقوف في وجه من يتهاوت به السفه على هدم شرفها والاصنتار بحقوقها ،

والتخييل هو الذي يردده العقل ، ويقضي بعدم انطباقه على الواقع ، اماهلى البديهة كقول بعضهم

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته لما وأبت عليها عقد منتطق

فكل احد يدرك لاول ما يطرق سمعه هذا البيت أن الكواكب لا تنوي ولا تأنطق ولا تخدم ، وأن تلك النجوم المتناسقة في وسط الجوزاء مركبة فيها من قبل أن يصير المدوح شيئاً مذكورا

أو بعد نثار قليل كقول أبي تمام

لا تنكري صطل الكريم من النبي فالسبل حرب له كان العالي

أبى الحاطبة في صدر البيت عن انكارها لفاقة الكرم وفراغ يده من المال
 وأخبر في المبرز بأن السبيل لا يستقر على الاماكن المرتفعة . وهذا المعنى في نفسه
 صحيح ولكن الغاء في قوله « فالسبيل حرب » انصحت بأن السبب في عدم توفر جمام
 الدنيا لدى الكرم هو كون الماء اذا وقع على الاماكن العالية لا يلبث أن ينحدر الى
 ما انخفض منها من وهاد وأغوار ، وهذا إنما وصل الى الذهن بتخييل أن رفعة القدر
 بمنزلة المكان الحسي وان المال بمنزلة الماء الدافق ينساق الى الرجل فيقضي منه وطره
 ثم يرسله ان شاء الى بني الحاجات ، فيكون القول بأن مكانة الكرم لا ارتفاعها جعلت
 المال يمر على يده ثم ينطلق بالبذل والاتفاق يستند الى ان الماء لا يتجمع على ما صعد
 على وجه الارض من أكمت وهضاب ، وهذا القياس ضرب من التخييل لا يجوز في
 العقل الا ريثما ينظر الى ان السبب في عدم استقرار الماء على الاماكن العالية كونه
 جرمًا سيالًا لا تثابك اجزائه وثبت في محل الا اذا أحاط بجوانبه جسم كثيف ،
 وليس للدرام والدنانير هذه الطبيعة حتى يلزم أن تمر على يد الكرم ثم تنصب منها
 الى من كانوا ادنى منه منزلة

ويفهم من وجه التفرقة بين القسمين أن مجرد الاستعارة عندم لا يدخل في
 قسم التخييل وقد صرح الجرجاني بهذا في كتاب اسرار البلاغة ناظرًا الى ان المستعير
 لا يقصد الا اثبات معنى اللفظة المستعارة حتى يكون الكلام مما ينبوعه العقل ، وانما
 يمدد الى اثبات شبه بين امرين في صفة والشابه من المعاني التي لا ينافر العقل في صحتها

التخييل عند الفلاسفة

يقول الفلاسفة ان من بين القوى النفسية قوة تتصرف في صور المعلومات
 بالتركيب تارة والتفصيل مرة أخرى ، ويسمونها فلاسفة العرب اذا لم تخرج عن
 دائرة العقل مفكرة ، ويقال في عملها تفكر ، فان تصرفت بوجه لا يطابق المنطق
 الصحيح سموها تخيلة ، ويقال في عملها تخيل أو تخييل . فمثال ما يأخذ من
 العقل مأخذ القبول قول القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته نهجى وقد وات امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

فالشاعر التفت الى ما في حافظته من الصور المناهضة لمياه زرع أخضر بتخلله

شقائق النعمان وقد أخذت الرياح نهب عليه من جانب فيميل الى آخر ميلانيراي
للمين انه حركة ينتقل بها من مكانه ، فوق خياله على الجيش والملابس الخضراء
والجراحات التي تنال الجيش المقاتل فألف بينها ثم جعل صبره اذبارا وانهراما ليوافق
حالة جيش ظهرت فيه الجرحى بمقدار ما في المزارع الخضراء من شقائق النعمان
ومثال ما لا يثق به النظر ولا يدخل في حساب الاقوال القائمة على التحقيق

قول الشاعر

ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر أحياناً فيليها

فكيف تنكر أن تبلى مماجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

ابصر مماجر من يتحدث عنها وقد اخلقت فحاول ان يلتمس وجهها بجمل ذلك
الاخلاق من شواهد حسننها، أو بسد فم العاذل حتى لا يفض من شأنها، فنصورت طلعة
القمر وانساق اليه ما يدور بين الناس من أن الثياب التي يمج عليها القمر أشفته بسرع
البها البلى ثم ادعى مبالغا في التشبيه أن وجهها قمر وبني على هذا أن تعجب ممن ينكر
تأثيره في ممجرها بالاخلاق، ففي هذا التصرف ادعاء أن وجهها قمر وهذا مما يأنف العقول
لانه بمنزلة التشبيه ولا مفرد من قبوله متى تحقق الوجه الجامع بين طرفيه والمعنى الذي
للعقل أن يلتفت منه انما هو دعوى ان ممجرها أخلاق بعله كونه مطلقا لوجهها المسمى
بالقمر على وجه المجاز

ماذا تريد من التخيل ؟

يفهم من صريح المقالة الفلسفية أن المفكرة والنخلة اسمان لقوة واحدة وهي التي
تصرف في المعلومات بالتفصيل والتركيب وانما تغير اسمها بحسب اختلاف الحال
فعند ما يكون زمامها بغير العقل بسمونها مفكرة وعندما تنفلت منه بسمونها نخلة
واذا عرفت أن التمثيل والاستمارة من عمل هذه القوة باتفاق علماء النفس فهو
جري طائفة من الناس على اطلاق التخيل أو الخيال عند ما تصرف هذه القوة
تصرفا تصوغ به معنى مبتدعا سواء أنس به العقل أو نجاني عنه لم يكونوا صنعوا شيئا
سوى تغير الاصطلاح ودخال القسمين تحت اسم واحد

واما لاق لفظ التخييل أو الخيال في صدد الحديث على المعاني الصادقة والتصورات
 المنقولة لا يحط من قيمتها أو يمس حرمتها بقبضة فان عباد البلاغة انفسهم قد اطلقوه
 على ما ياتي به البليغ في الاستعارة المكبية من الامور الخاصة بالمشبه به ويثبته للمشبه
 فقالوا الاظفار أو اضافةها في قولك « انشبت المنية اظفارها » تخييل أو استعارة تخيلية
 واطلقوه في الغرر الخالصة حين تكلموا على الجامع بين المجتئين وتسموه الى عقلي
 روهي وخيالي والظفر في فن الديدع على تصوير ما يبظر في العيان بصورة المشاهد ولم
 يبالوا في جميع ذلك ان يغيروا لها امثلة من الكتاب المزبور غيره من الاقوال الصادقة
 فيسوغ لنا حينئذ لمن نساير احباء العصر وتوسع في معنى الخيال والتخييل ولا
 يقف عند اصطلاح القدماء من الفلاسفة أو علماء البلاغة حيث خصوا بها مالا يصادق
 عليه العقل والمخالفة في الاصطلاح مادامت الحقائق قائمة والمقاصد ثابتة بحالها لا يبعد
 عن تبديل العبا وتبديل الاسلوب .

يقول الناس عند ما يسمعون بيتا أو آياتا لاحد الشعراء : هذا خيال واسم أو
 هذا تخيل بديع . فيفهم السامع لهذه الكلمات وما ياتها ان اصاحب هذا الشعر قدرة
 على سبك المعاني ومزجها في شكل بديع ، ولو قالوا « ما أضيق هذا الخيال أو ما
 اسخف هذا التخييل » فبغير الالفاظ التي لا قدرة على استخراج المعاني في صورة بتكرة
 يصح لنا ان نأخذ هذا المعنى الذي يحضر في الذهن عند سماع تلك الجمل
 ونشرح به معنى التخييل فيقول هي قوة تتصرف في المعاني المنتزعة منها صوراً بديعة
 وهذه القوة اما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس
 أو الوجدان، وليس في امكانها ان تبدع شيئا من عناصر لم يتقدم للتخييل معرفة بها .
 ومثال هذا من الصور المحسوسة أن قدماء اليونان رمزوا الى صناعة الشعر بصورة فرس
 له جناحان وهي صورة انما انزاعها الخيال بعد ان تصور كلا من الفرس والطير بانفراده
 وقد يجوز في خاطرنا عند ما نرى على قول امرئ القيس

ايقناني والمشرق في مضاجعي ومسونة زرق كأنياب القوال

ان هذا الشاعر قد تخيل لاغوال وانبيها ولم نسبق له معرفة بها اذ لا اثر للقول
 وانيابها ولا لشيء من موادها في العيان فبلوح لك ان هذا يقدر في قولنا ان الخيلة

لا تؤايف الصور الا من مواد هرقتها بوسيلة الحس أو الوجدان
والذي يكشف الشبهة ان كلا من القول وانباها صورة وهمية ولكن لم يجدتها
الخيال من نفسه بل اخذ من الحيوانات الفظيعة المنظر اعضاء متفرقة وأنسابا حادة
وتصرف فيها بالتكبير ثم ركبها في صورة رائعة وهي التي تخطر على الذهن عند ما يذكر
اسم الغول ، حتى ان الناس لا يفتقون فيما أحسب على تصور هذا الامر الموهوم
فكل يخطر له المعنى في أشجع صورة يتمكن خياله من جمعها وتلفيقها
فناية ما صنع الشاعر أن تخيل امرا محسوسا وهي النصال المحددة في صورة أمره وفي
نفسه خيالي أيضا ولكن صورته مأخوذة من مواد كان يعرفها من قبل بطريق الرؤية أو السماع
وتعمد الخيلة على قوة التذكر وهو تداعي المعاني وخطورها على الذهن بسهولة
وبعد ان تترامى لها الصور بوسيلة التذكر تستخلص منها ما يلائم الفرض فتفصل
الحاطرات هن أزمنتها أو امكنتها أو ما يتصل بها مما لا يتعلق به القصد من التخيل ،
ثم تصرف في تلك العناصر بمثل التكبير أو التصغير وتأليف بعضها الى بعض حتى
تظهر في شكل جديد

تداعي المعاني

ترجم الاسباب التي تجمع بين المعاني وتجمعها بحيث يكون حضور بعضها في
النفس بسندى حضور بعض الى ثلاثة أنواع
(أولها) اقتران المعنيين في الذهن حيث يكون تعلقهما أو احساسهما في وقت واحد
أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عندما يحظر بالبال مكانها كما قال ابن الرومي
وحب أوطان الرجال اليهم ما رب قضاها الشباب هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحزوا لذلك
أوزمانها كما قالت الخنساء
يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل منيب شمس
وخصت هذين الوقتين بالتذكير لانهما مظهر لعاملين عظيمين من أعمال صخر
اذ كان يقدو للانفاة التي هي مظهر الشجاعة عند مطلع الشمس ويبذل نظام
اكراما للضيوف وقت الغروب

ومن هذا الوجه نشأت الكليات وبعض أنواع الجوار المرسل أما الكليات
فلاها الدلالة على المعنى باسمه ، يلزمه في الخارج ، وصح هذا نظراً الى ان
حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لازمه في ذهن المخاطب
كقول الحصين بن الحمام

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما
ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

أراد الشاعر أن يفيد ثباتهم في مواقف الحروب وأنه لا يلبثت بهم الفرع
من الموت الى سبة الهزيمة فمير عن هذا المعنى بأن دماءهم لا تقهر على أعتابهم
البتة ، وهذا يقتضي أنهم لا يولون العدو ظهورهم حتى يناها بسيفه كما ان معنى
قبل الدماء على الاقدام يذهب بالسامع الى معنى أنهم يستقبلون العدو بوجوههم
الى ان ينالوا ظفراً أو يلاقوا موتاً شريفاً

وأما بعض أنواع الجوار المرسل فكالملاق اسم الحال على المحل والسبب على
المسبب والكل على الجزء وعكسها ، ومداره على ان ذهن المخاطب ينتقل الى
المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما
في الذهن لان ادراكهما كان في وقت واحد كالحال والمحل والكل والجزء أو
على التعاقب كالسبب والمسبب

(النوع الثاني) من الاسباب التي تتلاحق بها المعاني في الذاكرة التباين
فان الصور التي يكون بينها تضاد لا يكاد بعضها يتخلف عن بعض ، فن تصور
الشجاعة خطر له معنى الجبن ، ومن مرت على باله الصداقة اساق اليه معنى
العداوة ، ولهذا أدخل علماء البلاغة في وجوه اوصول بين الجهلتين ما يقوم بينهما
من التصادم في المعنى وساقوا في أمثله قوله تعالى (ان الارار لفي نميم وان
المنجار لفي جهيم) وان شئت مثلاً من الشعر فقول المتنبي

أزورهم وسواد الليل يشمع لي وانثني وبياض الصبح يغري بي

ومن هذا الوجه أيضا صح لهم ان يعدوا في علاقات الجوار المرسل الضدية
(النوع الثالث) التشابه وهو ان يكون بين المعنيين تماثل في بعض أمور
خاصة كما يرى الرجن المقدم فيتصور الاسد ويسمع الانماط البليغة قد تبرجت
في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناسقة في اسلاكها ، وعلى هذا النوع يقوم فن
التشبيه والاستمارة اللذين هما أوسع مسمار تتسابق فيه قرائح الشعراء والكتاب

لماذا تختلف الأفكار في تداعي المعاني ؟

تختلف الناس فيما يتداعي اليهم من المعاني الى ان ترى صوراً تتوارد على شخص متعاقبة وهي في خيال آخر لا تتقارن البتة ، قال أحد الفلاسفة اني لا أسأل عن السبب في ان معنى من المعاني يدعو آخر ويأخذ بناسيته ولكنني أبحث في شيء آخر وهو ان المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الاشخاص ، ثم قال ويمكن الجواب عن هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشمب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدعو لساحبه ما هو الصق بميله وأقرب الى سمه

وايضاح هذا الجواب ان توالي المعاني يختلف باختلاف الاشخاص لاجد سببين (الاول) ان الدواعي والمواقف النفسية لها مدخل في تجاذب المعاني واسترسالها في الخيال ، فالطمع أو الحاجة أو الرهبة مثلا تستدعي المعاني العائدة الى المدبح أو الاستعطاف ، والغرام يستدعي المعاني الغزلية ، والكتابة والاسف يستدعيان معاني الرثاء أو الشكوى ، والسرور يستدعي المعاني اللائقة بالهناء ، والاعجاب بالنفس أو العشيرة يستدعي معاني الفخر والحماسة ، فالراهد في الدنيا لا يسع خياله من معاني الامراء والملق ما يسعه خيال الخريس عليها ، والخالج من عاطفه الغرام ، لا يخطر على قلبه من معاني التشيب ما يخطر على قلب الشجي المستهام

(الثاني) ما يتفق للانسان في طرز حياته وهو حل المحيط الذي يتقلب فيه فيتوالى على خاطر الناشئ في النعيم والترف ما لا يتوالى على خاطر الناشئ في حال عسرة وبؤس . ويحضر في نفس من شب في الحاضرة ما لا يحضر في نفس الناشئ في البادية ، وينساق الى خيال الناشئ في شمال المسمورة ما لا يدخل في خيال الناشئ في جنوبها ، فالقيم في شمال أوربا مثلاً يذكر الشتاء فتقارنه صورة الثلج وليس بينهما في ذهن المقيم بالجنوب اقتران واتصال نفة مشاهدته للثلج أو عدم وقوع فاره نايه طول حياته ، ولو نظر الى اهللال رجلاق هذا نشأ في الحلية والاخر اتخذ الحصاد حرفة فانشأ أن يتداعي الى لاول صورة السوار وينقل منه الى المعتم أو العياغة ويتداعي الى صورة النعجل وينقل منها الى الزرع أو الحداة (يتبع) محمد الحضرة التونسي

محاربة البدع

تنفة الرد على المعارض على فتوى شيخ الازهر

قول الفخر الرازي في اسم الله الاعظم

(٤) ذكر المعارض أن الفخر الرازي قال في شرح البسمة من تفسيره مانعه:
اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجع عندي أن (أه) هو الاسم الاعظم الذي
إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب لا شمله على سر الاشارة وتكوين الكائنات
وظهور التعليات .

وقال الحافظ ابن حجر عنه أنه نقل عن بعض الصوفية أن الضمير (هو) هو الاسم
الاعظم ونحن ننقل هنا نص عبارته في تفسير القائمة في هذه المسألة ليعلم الناس أن
معارضه المعارض اليه هو خلاف ما ذهب اليه وليعلم المعارض نفسه ان ما اعتمد من
كتب أهل الطريق في هذه المسألة لا يوثق بنقلها ولا يعلم أهلها فقول

ذكر الرازي في المسألة الحادية عشرة من الباب الثالث من أبواب تفسير
البسمة ان الاسم الموضوع لذات الخالق واجب الوجود يجب أن يكون أعظم الامناء
وأشرفها قل : وهو المراد من الكلام المشهور الواقع في الالسنة وهو اسم الله الاعظم
ولو اتفق لملك مقرب أو نبي مرسل التوقف على ذلك الاسم حال ما يكون قد تجلى له
معناه لم يبعد أن يطلبه جميع عوالم الالهية والروحانية . ثم قل :

(المسألة الثانية عشرة) القائلون بان الاسم الاعظم موجودا اختلافا فيه على وجوه
وذكر أن (الاول) ذو الجلال والاكرام وضمفه (الثاني) هو الحي القيوم وضمفه (والثالث)
قول من يقول اسماء الله كلها عظيمة لا يجوز وصف واحد منها بأنه أعظم وضمفه (وتقول
ان ذكره سهل لان التقسيم والاقول شئني لاسم الاعظم والمقائلين به) ثم قل

(القول الرابع) ان الاسم الاعظم هو قولنا (الله) وهذا هو الاقرب عندي لانه
سنتيم الدلالة على أن هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان
كذلك كان دالا على ذاته المحصورة اه بحروفه من الصفحة ٦٢ من الجزء الاول

المطبوع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٧ ومنه يعلم بهض الفرق بين الرازي والحافظ ابن حجر في سمة الاطلاع

ثم إن الرازي جعل الالهاء بحسب دلالتها على ما وضعت له أقساماً فصلاً في أبواب وفصول وجمل الفصل التاسع من الباب السابع (في الالهاء الحاصلة لله تعالى من باب الالهاء المضمرة) وهي انا وانت وهو - عند ما وقع في الكلام دالة على الله تعالى ، وقد أطال في هذا الفصل الكلام في الضمير «هو» بكلام جله من نظريات الصوفية والفلاسفة وذكره احدى عشرة فائدة واستنبط به ذلك ان الذكر به أعظم الاذكار ولكنه لم يقل انه هو الاسم الأعظم ولعله صرح به في كتاب آخر من كتبه . ولكنه لم يذكر أن (أه) من أسماء الله تعالى البتة .

واستنباطه هذا مردود شراً فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الذكر باسماء الله تعالى مفردة غير واقعة في كلام مركب له معنى ، والضمير «هو» ليس من أسماء الله تعالى ولا يدل بنفسه على ذات الله تعالى ولا على صفة من صفاته وإنما يدل على ذلك كما يدل على غيره اذا وقع في الكلام ضميراً راجعاً اليه . وبمسن أن نذكر نظريته وتبين بطلانها وملخصها أن نداء الله تعالى بكل اسم من اسمائه يدل على وصف يتضمن الدعاء والسؤال المتناسب لمعنى ذلك الاسم فمن قال يا رحمن كان معناه ارحم ومن قال يا كريم كان معناه أكرم الخ ثم قال « وقد بينا أن الذكر انما يمظم شرفه اذا كان خالياً عن السؤال والطلب اما اذا قال يا هو كان معناه خالياً عن الاشعار بالسؤال والطلب فوجب ان يكون قولنا «هو» اعظم الاذكار » اه

وتقول ان هذا الكلام باطل مقدماته ونتيجته فليس أشرف الاذكار ما كان خالياً عن دعاء الله تعالى وسؤاله بل الدعاء أعظم العبادة كما صح في الحديث «الدعاء هو العبادة» وقرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) رواه احمد وابن أبي شيبة والبخاري في الادب المفرد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم من حديث النعمان ابن بشير مرفوعاً وصححه الحاكم والترمذي وأبو يعلى في مسنده من حديث البراء ، وهو على حد حديث «الحج عرفة» رواه احمد وأصحاب السنن وصححه ومعناها ان معظم الحج وركنه الاعظم عرفة ومعظم العبادة أروحها ولبابها الدعاء . وبفسره

حديث أنس « الدعاء مع العبادة » رواه الترمذي من طريق عبد الله بن لمية
 قاضي مصر ومحدثها وعالمها وفيه مقل معروف وذلك جملة الحافظ مؤيدا لما
 ذكرناه في تفسيره بعد أن هراه الى الجمهور وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان
 والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة رفته « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء »
 ولما كان الدعاء ركن العبادة الاعظم ومطلبها ومخها صار يطلق ويراد به العبادة
 مطلقا كما قالوه في تفسير كثير من آيات القرآن حتى صار بعض الناس يظن ان
 الصيام يسمى دعاء مثلا . وقد قال الله تعالى (٧ : ١٨٠) والله الاسماء الحسنی
 فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يصلون) أفرايت من
 عمل بهذه الآية فذكر الله داعيا له بلسمه خير أم من الحد فبالتسار يقول هو هو
 هو . أو ياهو ياهو ، وهي عبادة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا رويت عن
 السلف الصالح ، وهي مع ذلك فاسدة في ائمة الكتاب والسنة فان الضمير وحده
 لا يصح كلاما ولا يكفينا حتى الا اذا وقع في كلام يكون له فيه مرجع ومثله ما
 اذا كان جوابا لسؤال يرف فيه المرجع بالتقرينة ، ولا يدخل عليه حرف النداء
 ولا على ضمير مخاطب الذي يوجه اليه النداء . فلا يقال يا أنت وحرف النداء
 يتضمن معنى الدعاء أو النداء وبوول بالفضل ولذلك جعلوا المنادى من المنصوبات
 وكل من أنت وهو ضمير رفع منفصل

ولو صح نداء الغائب من الخلق وعهد في كلامهم بالضمير المنفصل أو غيره
 لما كان ذلك بالذي يصح في نداء الخالق الذي لا يفتب عنهم وقد روى الشيخان
 وأصحاب السنن الاربعة من حديث أبي موسى الاشعري قال : كنا مع النبي
 (ص) في سفر فحمل الناس مجهرون بالتكبير فقال النبي (ص) « أيها الناس انكم
 لا تدعون اسمي ولا غائباء ، انكم تدعون سميما قريبا وهو معكم » والصوفية
 الصادقون العارفون أجدر من غيرهم بتلاخفة هذا الشهود والحضور والرازي
 رحمه الله لم يكن صوفيا وانما ينقل كلامهم وينصرف فيه . ولو سلمنا له قوله ان
 أشرف الذكر ما كان خاليا عن معنى الدعاء ما كان ذلك مستلزما للتسليم له بجعل
 الله كرم بصير انسية — على فرض جوازه وصحته — هو المتميز في تحصيل
 ذلك الذكر بن تقول حينئذ ان المتميز ذكره تعالى باسمه الذي جزم هو تبعا

لعمري بأن اسم علم للذات الواجب الوجود وان جميع الاسماء الحسنى والصفات
 العاليا تجري عليه ورجح هو أنه اسم الله الاعظم كما سبق النقل عنه وهو اسم
 الجلالة (الله) ويتبع فيه المأثور فنجمه بكلمة التوحيد لا مفردا فقد قال النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل الذكر لا اله الا الله » رواه الترمذي والنسائي
 وابن حبان والحاكم بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله . ثم نقول ان
 القرآن قد جمل اسم الرحمن مرادفا لاسم الجلالة في عدة مواضع كقوله تعالى
 (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ايما تدعوا فله الاسماء الحسنى) وذكر في عدة
 آيات في سياق الضر والمذاب في الدنيا والآخرة كقوله تعالى حكاية عن الناصح
 لقومه باتباع المرسلين (ان يردن الرحمن بضر) وقوله في حكاية انذار ابراهيم
 لا ييه (اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن) وقوله (قل من كان في الضلالة
 فليحدد له الرحمن مدا) وهذه أبعدا عن التأويل

نفر الدين الرازي رحمه الله تعالى واسع الاطلاع ولا سيما في العلوم العقلية
 ولكنه كثير الخطأ ولا سيما فيما يختص بعلوم السنة وآثار السلف وكلامه في
 تفسيره المشهور كثير التعارض والتناقض وكثيرا مما تعقبه في تفسيرنا . وانا
 نقل هنا من كلامه ما هو حجة عليه فيما ذكره من تفضيل ذكر الله وندائه
 بتفسير الغيبة وهو قوله في سياق رد قول جهم في مسألة اطلاق مثل كلمة شيء على
 الله تعالى من تفسير قوله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها) قال :

الحق في هذا الباب التفصيل وهو انا نقول : ما المراد من قولك انه تعالى شيء
 وذات وحقيقة ؟ ان عنيت انه تعالى في نفسه ذات وحقيقة وثابت وموجود
 وشيء فهو كذلك من غير شك ولا شبهة ، وان عنيت به انه هل يجوز ان
 ينادى بهذه الالفاظ أم لا فنقول لا يجوز لانا رأينا السلف يقولون يا الله يا الرحمن
 يا رحيم — الى سائر الاسماء الشريفة ، وما رأينا ولا سمعنا ان أحدا يقول :
 يا ذات يا حقيقة يا مفهوم يا معلوم — فكان الامتناع عن مثل هذه الالفاظ في
 معرض النداء والدعاء واجبا له تعالى والله أعلم . اهـ

(ثم قال) المسألة الرابعة — قوله تعالى (والله الاسماء الحسنى فادعوه بها)
 يدل على انه تعالى حصلت له أسماء حسنة وله يجب على الانسان أن يدعو الله بها
 وهذا يدل على أن أسماء الله توفيقية لا انسلابية . وما يؤكد هذا انه يجوز ان
 يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخى ولا ان يقال يا عاقل يا طيب يا فقيه « انتهى
 (المار : ٢٣) (٢٠) (المار : ١١٠)

بنفسه . ونقول ومثله ياهو ياعوفانه لم يقله أحد من السلف الصالح ولا هو جائز في لغة الدين . وأولى منه بالانكار « أه » فانه ليس من هذه اللغة وانما هو من اللغة السريانية كما قيل .

نقول المعتز عن سائر العلماء

(٥) قد تبين مما تقدم ان نقل المعتز عن علي فتوى شيخ الازهر عن صحيحه لم يستدرك الحاكم وعن الفخر الرازي كذب . وفي ما نقله عن حاشية الحفني على الجامع الصغير وشرح العريزي له وعن حاشية الشيخ الامير على متن فرامي صحيح وحاشية الياجوري لجمهرة فتقول فيه - أولا - ان ما نقله عن الاولين هو في شرح حديث الانبياء في المرض وقد علمت انه لا يصح وفي شرح حديث « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى » هكذا ذكر المعتز ولم يذكر تسمية الحديث وهي « دعوة يونس بن متى » وهذه التسمية تنفي ما يزعمه المعتز . وهذا الحديث عزاه السيوطي في الجامع الصغير الى ابن جرير عن سعد وبجانبه علامة الضعف . وأورد قبله حديث « اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب في ثلاث سور من القرآن - في البقرة وآل عمران وبنو اسرائيل - وعزاه الى ابن ماجه والطبراني والحاكم عن أبي امامة وعلم عليه السيوطي في جامعه باصححة وذكر غيره ان في سنده هشام بن عمار وهو مختلف فيه على انه نص في خلاف ما يريد المعتز اثباته .

أما ما ذكره العريزي في شرحه للجامع الصغير فقد نقل عن الملقني عشرين قولاً في الامم الاعظم اولها انكاره وثانها اسمها استأثر الله بعلمه والمشرون الم ويعلم باقيا مما أوردناه عن الحفاظ وليس فيها أن (أه) منها . وتبعه الحفني في ذلك وأما كلامهم في حديث الانبياء فقد قلنا في شرحه عند قوله « فان الانبياء من اسماء الله تعالى » والصواب أي انظر آه من اسماء الله تعالى لكن هذا ابتدائه الصوفية ويذكرون له أسراراً ويريدون قوت من حيث يظهر .

وأما الحفني فقد شرح حديث « اسم الله الاعظم » من حاشيته على الجامع الصغير (ص ٢٧ من الطبعة الاميرية) فنقل عند قوله « دعوه يش » أي بأى بقوله آم . وقال عند قوله « من اسماء الله » أي من أمر بهض اسماء الله كالضار والقهار فإذا تجلى

تعالى على هبدهم هذا الاسم حصل له الضر ، والا فآه لم يرداه من اسمائه تعالى . ه
وأما الشيخ الامير فاستغنى بما ذكره في حاشيته على عبد السلام شارح الجوهره
فقد قال هند قوله « الانين » ينبغي أن يقال آه لانه ورد اسمائه دون آخ لما قبل من
انه من اسماء الشيطان . ونقل الباجوري قوله هذا ولكنه لم يذكر صيغة التمريض في
كون آخ من اسماء الشيطان . وقول المناوي هو الصحيح لانه أعلمهم بالحديث والآثار
وبالتصريف على انهم كانوا كلمة « آه » بالمد ولم يذكر أحد منهم قولاً ما في لفظة
« اه » التي يذهبها المترض فقط كل ما قاله ولم يفده قول أحد منهم بل كهم
حجة عليه لاله . فبالت شعري هل يرجع ذلك الشاذلي الممرض وأمثلة الى الحق
بلد ما تبين له أن كل ما استند اليه أهل طريقته في ذلك باطل عملاً بعنوان اعتراضه
(الرجوع الى الحق فضيلة) الا اذا وافق الهوى التقلبي وان كان كذبا على الله
ورسوله ومخالفاً لما كان عليه السلف الصالح ومختقراً الخلف في ذلك .

﴿ الرحلة السورية الثانية ﴾

٤

طرابلس والقلمون

ما حزنتي من سوء حال بلاد سورية الاجتماعية والادبية شيء كما حزنتي حل
طرابلس والقلمون حيث نشأت وترعرعت فقد كانت طرابلس خير المدن السورية
في العلوم الشرعية والادبية ، والعيشة الراضية الهنية ، كما كانت القلمون خير البلاد
الصفيرة في ذلك ، أو « سيدة القرى والمزارع » كما وصفت في السجل الاعظم (دركنار)
بلاد الدولة العثمانية في الباب المالي كما روي لنا وذلك ان جميع أهلها كانوا سادة
شرفاء ، واتقياء نجباء ، قد ولدت والله الحمد فيها ، ونشأت في بيت الكرم والمجد لا تلبس
منها ، فكانت من أول الهدى بانه ينز ترى العلماء والادباء والحكام ولوجهاً تغشى داره
وتعشوا الى ضره . ورناء بل كنت ترى فيها الصيوف من بلاد الهندية بين يدي
اختلاف ملابهم ومذاهبهم ، وكان مسجدها عماراً دائماً بقامة شعائر العبادة وقررة

واذ كنت أكتب مثل هذا الاعتبار به وليكون تاريخاً تعرف بمثله أسباب التطور الاجتماعي في البلاد فإني أذكر واقعة في هذا الباب هي أكبر ما كان يتحدث به الناس في مدينتنا (طرابلس الشام) ويفخرون به وهي بين مدحت باشا الوزير الشهير ودرويش أفندي الشنبر

كان درويش أفندي هذا رجل طرابلس الكبير بل رجل سورية المناز في مصره بالعلم بالقوانين وحسن الإدارة والتصرف في حل المشكلات، حتى إن أمور إدارة لواء طرابلس كانت بيده يتصرف فيها كما يشاء، وهو عضو في مجلس الإدارة رأيه فيه بحكم القانون كراي غيره من الأعضاء، فكان أصحاب الحاجات يولون وجوههم شطر داره دون أمثاله من الأعضاء بل دون الرؤساء من المتصرف التركي المولى من نظارة الداخلية إلى من دونه من رؤساء الإدارة وكذا رؤساء الجند فيما يقيدون فيه بالإدارة كآخذ المسكر بنظام القرعة المعروف فلم يكونوا يستطيعون أخذ أحد إلا برأيه - لذلك كان له جناد كثيرون فإجاء مدحت باشا واليا على سورية كثرة السعاة بدرويش أفندي الشنبر لديه الذين يرمونه بالاستبداد بأعمال الحكومة وكونه لم يترك لاحد من رجال الدولة اسماً ولا عملاً في لواء طرابلس وأنه هونف نفسه لا يمكنه أن يكون له اسم سمي ولا قدر علي في ذلك اللواء إلا باخراجه من مجلس الإدارة وجعله جلس بيته، وقد أثرت هذه السعاية في نفسه، فلإجاء طرابلس في دورة التفتيش المعتادة كان استقباله لدرويش أفندي استقبال المرتاب المختبر فلما سمع كلامه أحب الخلو به فسمع منه من الأنباء والآراء ما أكبره في عينه، وأحله في أعلى مكان من الثقة به، والكلام مظهر العلم والعقل والرأي (فلما كمل قال أنك اليوم لدينا مكين أمين) ولم يكن يستطيع مفارقه إلا وقت النوم، وكان الوزير مبتلى بشرب الخمر كما كثير رجال الدولة وكان درويش أفندي لا يشربها كسائر وجهاء طرابلس ولا سجا أصحاب الزي الطيب أمثاله فاجتهد مدحت باشا في حمله على الشرب لتطيب له معاشرته ولا يرى نفسه صغيراً أو حقيراً في عينه وعين نفسه بارتكابه لهذا المنكر مع من ينكره في نفسه لئلا يحر به وقد كان مدحت باشا محترماً لديه كما يقال ولكن السكر بلاه فلما يستطيع تركه من ابتلي به - عرض لدرويش أفندي أولاً فتبأله وأعرض كأنه لم يفهم مواده .

فكاد له مكيدة سلم منها بحسن بادرته ، وقوة ارادته : ذلك أهم ما كانا في منزله من
متميزات ضواحي المدينة اسمه (بركة البداوي) فطالب الوزير الحرة فأخذ لنفسه
كأسا وناول درويش افندي كأسا أخرى وقال له نشرب على امم مولانا السلطان
الاعظم فأخذ الكأس درويش افندي وقال على البراهة : كأس من يد افندينا مدحت
باشا باسم مولانا السلطان الاعظم أمير المؤمنين لا ينبغي أن تصب في الجوف وتخالط
القدر بل مكانها الرأس ، وصب الكأس على عمامته البيضاء . فاهجب مدحت باشا
بمنه البداة والكياسة . وزاده هذا الثبات كرامة عنده ومكانة في نفسه

هذه الحالة التي كانت عليها طرابلس الى عهد طليي للحلم فيها وهجرتي منها هي
التي ضاهفت آلامي لما رأيت هذه المرة مارأيت من سوء حالها ، ومريان عدوى
المجاهرة بالتهتك فيها ، وقد بدأ ذلك فيها في أوائل العهد بالحكومة الدستورية الانحدادية
ثم كان لمفاسد الحرب ثم للاحتلال الاجنبي تأثير بعد تأثير في استشراف فسادها كما بيناه
في اليفذة الثالثة من هذه الرحلة (ج ٩ م ٢١) حتى ان طرابلس صارت دون بيروت
ودمشق في الحالة المليية والادبية الاسلامية فقد خلت من تلك الخلفات الواصة
من طلاب العلم ومن تلك المحافل والسماز التي كانت آهلة بأهل الهيبة والوقار من العلماء
والوجهاء من الطبقات المختلفة الذين كانت آرائهم تضطر الغرباء من حكاهم
وغيرهم الى احترامهم دع أهل البلد الذين هم كبراؤه . وكذلك كان شأن شبوخ
أهل يقتضا في القامون بل لم أر مجلس وقار في مكان ما مثل المجالس التي كان
يحضرها كبير أسرنا السيد الشيخ أحمد عم والدي فقد كان أوجه الوجهاء من
علماء طرابلس ورجال الحكومة وفضبرهم بجلونه لما كان عليه من الجد والوقار والتقوى حتى
إنه لم يكن أحد بشد في جلوسه ولا في ضحكه ومزاحه في حضرته بل يلزمون الاعتدال
والادب الشرهي ، وقد انهم رجل صالح من طرابلس بفاحشة أو مقدماتها وكان ممن
يترددون على القامون مع بعض العلماء فلم يتجرأ بعدها أن يترأى امامه طول حياته ،
وماذا أقول عن صاحب تلك الشية الرائعة الذي قال فيه نقادة المعاصر بن الشيخ عبد
الصاح الزعبي نقيب أشرف طرابلس وخطيب جامهها الكبير الى اليوم : آخر من أدركنا
من الصديقين عمي الشيخ أحمد . وأنا لم أكن هنالك استطاع تمتد النظر في وجه

أحد منهم بالفسق ولا السكوت على منكر منذ كنت غلاماً أمرت وقد شذت في حديثه
معي تاجر في طرابلس يقول لا يبد منكرًا شرعاً إذا حدثت فيه النية فتركت الشراء
منه والنظر إلى مكانه بل للزور امامها مادام فيها

نعم انني كنت أول من انتقد من المسلمين ما كان عند الوجهاء من التكلف في
اللقاء والسلام والقعود والقيام وأول من ترك عادة الجلوس على الركب في بدء الجلوس
معهم وان فعل ذلك بهن كبار السن والقدر لاجلي ولكنني أقول الآن ان مجالسهم كانت
خيراً من مجالس أكثر أولادهم وأحفادهم الذين تركوا غير ذلك من آدابهم العالية
ولا التكلف منها فقط مفتونين بزخرف حرية الفسق الذي يخشى أن يضيع عليهم
دينامهم ودينهم فيكونوا من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

اصيبت طرابلس بالمقيم من العلماء والفضلاء والزعماء فلا خلف فيها في العلم
والرشد للشيخ محمود نشابه والشيخ عبد الغني الرافعي والشيخ عبد الرزاق الرافعي
والشيخ عبد الله الصفدي ودرويش أفندي الشيبور والمفتي مصطفى أفندي كرامي
الذين أدركتهم في شيخوختهم ، ولا للشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة
والشيخ نجيب الحامدي والشيخ محمد كامل الرافعي ومحمود أفندي المغربي والمفتي رشيد
أفندي كرامي والشيخ خليل صادق الذين أدركتهم في كهولتهم

وأما بقي أفراد من الطبقة التي قبل طبقتنا أوسعهم علماً وفيها وإفادة الشيخ محمد
ابراهيم الحسيني وقد جهلت مدينته قيمته فلا ينتفع به الا أفراد قليلون من بقايا
الطلاب، ومنهم الشيخ محيي الدين الجفاري والشيخ عبد الطيف نشابه، وأفراد آخرون
من طبقتنا ورفاقنا في الطلب وأكثر هؤلاء، وأولئك قد تركوا الدرس والتدريس، واجتنبوا
الكتابة والتصنيف، ومنهم من يشتمل بأمر الدنيا من تجارة وزراعة لكساد بضاعة العلم
ولم أر في هذه الزورة لطرابلس أحداً من رفاقي لا يزال مفرماً بالمطالعة والكتابة الا الشيخ
محمد رحيم والشيخ عبد المجيد أفندي المغربي، وليس لأحد منهم ما ولي في عمله ولا ظاهر
وأما القلمون فلم يبق فيها أولو بقية يستفيد الناس منهم الا هي أبو عبد الرحمن حامد
فهو يقرأ دروساً في مسجدنا في بعض الاحيان لمن يساهم بوجوده فيه ولكنه في هامة

أوقته معتزلاً فنام لا يكاد أحد يراه الا في صلاة الجماعة وقد انقضى ثلثا أهل القرية وحال الباقيين شر مما كانت عليه ، وقد كنت قبل الهجرة الى مصر أقرأ لهم التفسير ونهاية المحتاج في فقه الشافعية والزواجر وغير ذلك من كتب التوحيد المواظ والرقائق ، وبلغني أنه وجد فيهم رجل يتجراً على المجاهرة بالفواحش وارتكاب منكرات السلب والنهب يستهين هل ذلك برشوة الحكام ، وأما طرابلس فقد صار الكيرون فيها مجاهرون بذلك ومنهم من يدهو الاجانب الى داره ويقدم لهم الخمر فيها ولكن يتقط بعضهم لتدارك الخطر كما بيناه في البند الثالث التي قبل هذا من الرحلة ، فليحفظ الناس هذا وليتظروا عاقبة هذا التغيير فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ونسأل الله تعالى أن يتوب عليهم ويحطهم خيراً مما كان عليه سلفهم ويغير ما بهم الى خيراً منه

تصحيح غلط في الجزء الاول

بيننا في ص ١٥٣ الى حذف جملة من آية وقع في فاتحة المنار وقنا ان الاقتباس لا يشترط فيه ايراد الآيات تامة وان منه آيات في تلك الفاتحة من مواضع مختلفة لم ينصل بينها ، وعطف هل محذوف يمرق بالقرينة. وزيد هنا أن منه حذف في السطر ١٦ من ص ٨ بعد قوله تعالى (ولاذمة) وهو نتم الآية الثامنة من سورة التوبة الى قوله (ولاذمة) قبل فاصلة الآية العاشرة : وكنا وضعنا في هذا الموضع نقطا لتدل هل الحذف فتركت في الطبع سهواً . وقد اضطررنا الى تنقيح تلك الفاتحة والحذف منها اضطراراً ترتب عليه ما ذكر

ووقع في السطر ١٦ ص ١٥ - يونس ١٠ : ٢٨ - وصوابه (الانعام ٦ : ٢٢) وسببه في الاصل أن آية يونس - سقطت من الطبع وبقي عددها وحذف عدد آية سورة الانعام فصارت آيتها بعد عدد سورة يونس ويكتفى الآن بتغير الرقم . وفي ص ١١ ص ١٣ (ديوم - وصوابه ثم يوم) وفي ص ٢٦ ص ١٣ أيضاً تقديم عليهم على حكيم في الجملة القرآنية وتفسيرها والصواب عكسه (حكيم عليهم) وهذا سهو منا نسأل الله أن لا يؤاخذنا به

بوتني الحكمة من يشاء ومن يؤمن الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المسئلة

١٣١٥

فهر عادي الذين يستنون القول فينبون أسئله
أوتك الذين هدامم الله وأوتك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى « ومانارا » كمنار الطريق
مصر ٣٠ جادى الاول ١٣٣٩ - ١٩ (ش ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ فبراير ١٩٢١

وَسَائِلُ الْمَسْئَلَاتِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط
على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى
اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب
غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا
غير مشترك لئلا هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة
واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغثاله

حقيقة التصوف ومكانه من الشرع

(من ٣) من صاحب الامضاء

السلام عليكم ورحمة الله

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

وقم نظري هل بعض الاعمال الديفية في بلدي المسمى بالسبلارين مما من

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له فوائن ونواميس غير ما بينته الشريعة
المحمدية . وإذا كان هو ما جاءت به الخيفة فما الحاجة إليه والقرآن والسنة بين يديه
وان كان مخالفا فن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المتعرج تلك الطرق
التي توصل الى الله (كما يبرون) وامرني إن صح هذا كان لله طريقان طريق
بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى اليه بعض المهتدين
وأما دعائي الى - والكم والامتنارة بناركم ما أخشاه من كسوف شمس شريفنا
في ذلك الأفق (أفق الصوفية) فاني أرى من يسيرون اليه يدعونهم قد ولعوا بمقتضياته
وشغفوا بها حتى أنسهم الاذكار والاوراد التي يتفنون بها في الساحات والأثناء
ومباغاتهم في الشيوخ والاولياء اناسم ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد)
وهذا طبق ما أراه غريزة في بعض النفوس من الشغف بالكلمات وربما صعبت ذبول
النوران على الواجبات فشا منها لأصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا الى أن
وجب عليهم ما ندب اليه الدين ووزجا منها بهم الى زمرة المقربين الذين امتثلوا وأمضوا
أوامر الدين

وان سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم اهادته باختصار وذلك كما تلهون اقرب
عهدنا بالانار لازائم مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

مدرسة القضاء الشرعي

[المزار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفيا أي أحد أفراد
الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الاقوال في المنسوب اليه أنه الصوف لانهم كانوا
يلتزمون لبسه وقيل انه كلمة سوقا أو صوفي اليونانية ومناها الحكمة وذهب الحافظ
ابن الجوزي في كتابه تليس ابليس أنه نسبة الى صوفة وهو لقب الفرس بن مر بن اد
ابن طابجة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع الى الله تعالى
لعبادته هند بينه الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل
منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة ومنى وهي الافاضة
منهما فكانت لا تفيض منهما حتى يفيض صوفة فاذا حانت الاجازة تقول

« أنجبري صوفة » وكان سبب هذه التسمية ان أم الفوث كان لا يعيش لها ولد فذرت لثن عاش لتطفن برأسه صوفة ولتجملنه ريط الكعبة، ففعلت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - نقله عن السائب الكلابي

قال الحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) الى الاسلام والايمان فيقال مسلم وهو من ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة نفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي لخصناها عنه آنفا . ثم قال في تاريخه ومبدأه : هذا الاسم ظهر لأول مرة قبل سنة مئتين ، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بباركات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أن أوائلهم كانوا على ذلك حتى ليس عليهم الشيطان فكان أول تلبسه ان صدمهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطلقوا صباح العلم تخطوا في الظلمات فمنهم من خلا في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الخلق ، ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والمرى والفقير الاختياري، ومنهم من غابت عليهم الخيالات ، حتى قولوا بالحلول والانحاده وكانوا يبنون بالنظافة والتنظم في الطهارة . وراجت عليهم لفة العلم الاحاديث الموضوعية . وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الغلو في الدين والاحاديث الباطلة . ثم انتقل الى بيان ضروب الشيطان عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأثر أو طحال في ذلك . وكتابه هذا جدير بأن يطبع

ولشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرها في ج ١ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة هل حدثها لجميع فقهاء . وقد ضمت فيها القول بنسبتهم الى صوفة لانها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الاسلام رجح نسبتهم الى الصوف وقال ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقال ان أول ظهورهم كان في البصرة لانه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في صائر الامصار ولهذا

كان يقال فقه كوفي وعبادة بهرية . وذكر بعض أحوال الصوفية ووزنها بميزان
 الشرع وسيرة السلف الصالح كما دته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم
 بين ذام يرميهم بالابتداع والخروج عن السنة وبين غال بدعي انهم أفضل انطلق
 بعد الانبياء ، وان الصولب هو الوسط وهو انهم كفبرهم من الطوائف بمحتسبون ففهم
 ظالم لنفسه ومنهم مفهصد ومنهم سابق بالخبرات باذن الله ، ولكن انسب اليهم طوائف
 من أهل البدع والزندقة . ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث
 بدهم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك وبأكلون فيها ما وقف
 على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همم تقليد في اللباس والآداب الوضعية ،
 ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في
 مقدمته ان لم يكن قرأه فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاسناد الامام عيون ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان
 حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ
 أجملناها في ورقين مثل أوراق المنار لمغصها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد
 في الدنيا والعمل للآخرة برياضة النفس وتربية الارادة والأخذ بالمزامم ومحاسبة
 النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكال
 المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى حالمهم من ليس منهم فشا وتليبا ، ولبس لباسهم من
 تناقض حاله حالمهم دعوى وتقليدا — وان رياضة النفس وتزكيتها تهر للصادق فيها
 علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة
 ولا معروفة لغبر أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشف
 مريض وتغير من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها)
 معرفة بعض الأمور من غير طريق الحس أو الفكر وهو ما يسمونه المكشف (ومنها)
 النوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعللها الخ
 ومنها غير ذلك مما لا ساحة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق المسلمين اليه قدماء الهند والصينيين
 واليونان ، وقد سرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

وشماثرهم وشاراتهم (كالتلويح والاعلام) حتى أنهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم . وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى من أصولها التأويل البعدلآيات والاحاديث وطاعة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين شيوعهم وان كان منكرًا وعدم الإنكار عليهم في شيء . وكانت الباطنية تقصد بهذا التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله وازالة ملكه بالصفات التي وضعها عبد الله ابن سبأ اليهودي وجميات الجوس السرية التي بثت في المسلمين دهوة الفلج في التشيع لآل البيت والطمع في أعظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي اتمكن تلك الجميات بذلك من اعادة ملك الجوس وسلطان دينهم الا الذين أزالها العرب بالاسلام . ولولا هذان الاصلان - التأويل والطاعة المطلقة - لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لان اصل طريقها تزكية النفس بالملم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالمعزائم ومحاسبة النفس حتى على انطااطرها ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم : التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف فهو من قواعد الاسلام المنصوصة المعلومه منه بالضرورة انه ولاطاعة في معصية أما الطاعة في المرفوع وهذا اللفظ من حديث مرفوع في الصحابين وفبرهما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لـوله (ص) في آية المبايمة (ولا يعصينك في معروف)

ثم بينا هنالك أنه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولاً ورداً بما يبان أن الضلالات والبدع المتغلظة في كتب الصوفية قسبان - ما أخذها الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للنه والشرع - وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والشمائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صفتها وطريقة أدائها حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط - فترى مثل النزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والنه يرغب (المنار ج ٣) (٢٣) (المجلد الثاني والعشرون)

في بعض العبادات المبتدعة مستدلاً عليها بهذه الأحاديث الروائية أو الموضوعية
دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الخزالي
في الأحياء مستدلاً عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي
في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ولم يكن
النووي أعلم بفقهاء الشافعي من الخزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافعي
والنووي مأخوذة من كتبه التي حرر بها المذهب كما قال فيه وفيها بمضمون :

حرر المذهب حبر أحسن الله خلاصه
بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الخزالي لم يتوسع في علم السنة الا
في آخر عمره (ونصت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيتة واخلاصه له الدين)
ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . ومما أخذوا فيه بالضعيف الراهي — وهو
أكثر — دعاء الوضوء قال في منهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو
يعني الدعاء الذي ذكره الرافعي تبعاً للخزالي . واعتذر الشمس الرملي شارح منهاج
عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضراً لما ورد فيه من
حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يميل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه
فيما له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنة . هذا ما أذكره عنه
بالمضي وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتمد دعاء الوضوء . وأقول ان النووي
نفي ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار
وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه
ابن حبان في ترجمة مجاهد بن صهيب ، وقد قال أبو داود انه صدوق قدرى وقال أحمد
ما كان بجاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا البش
الحال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المهاجرين عن المهاجرين حتى
يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . ووافق منها
هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروى عن حميد عن أنس
بغير طویل في الذكر على الوضوء باطل الخ

أقتصر على هذين الشاهدين من لاحد بالأحاديث الموضوعية والواهبية انصرف
 الفقهاء فيهما وهم الذين يمول الجمهور على كلامهم ويرجعونه على كلام سائر العلماء فيما اختلفوا
 فيه لانهم هم الذين اتدبروا لتحرير فقه الأئمة الذين يدهي الناس تقليدهم وكانت
 الحكام تحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى الا منها حتى صار جماهير المتسبين الى
 طرف الصوفية يبنون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي - وهو العارف بر به العالم
 بدينه العامل به - لا يقلد احدا . وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حق ترجيح أقوالهم على
 أقوال المفسرين والمحدثين ، بله الصوفية والتكلمين ، كما صرح به ابن حجر الهيثمي
 في الفتاوى الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث
 وصحة سلف الأمة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليعينوا لهم حكم الله
 ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم
 تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء
 في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول
 بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم ما صح في التفسير ومن سنة
 الرسول (ص) وسيرة السلف وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الأحاديث وقد يحكمون
 بالقياس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المنتهين الى مذاهبهم وإن لم يعرفوا
 لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد عملوا الله شعثين
 بكتبهم سلاحا يماريون به نصوص الكتاب والسنة اعتذارا بالتقليد فكل كتاب ينتمي
 مصنفه الى مذاهبهم يحتج به عندهم ويميل بما فيه ولكن لا يجوز الاعتداء عليهم
 بالاتباع ولا بالسنة الا من هداه الله ووقفه يوم تفضل أمة من أمم الرسل عن دينها أبدا
 من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وترقيقه الحفاظ لتدوين السنة لتقدر الإصلاح
 ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق لنا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بعطناه في
 الكلام على فتوى شيخ الأزهر في انكار بعض البدع وما فصلناه في الفتوى الأولى
 والثانية من جزئي المنار الذين قبل هذا

وجهة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين
 استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسم في

علم فجاء فيه بما لم يجبي به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة واسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها - وهذا غرض الدين ومقصده فان كانوا قد فعلوا وأتوا ببعض ما يخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ما ينكره الاسلام قائمكاهون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع الخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا العصر من المتحليين لطرق الصوفية فهو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمكالمين فلو صلح حال المشتغلين بعلم الفقه لا يمكنهم إصلاح أهل الطريق ، وأتى بصالح غيره من لم يصالح نفسه ، وأتى بصالح نفسه أو غيره من أخذ علم الدين حرفة للارتزاق به فهو بخدم ويطيع من يمتدأ أو يقطن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فجا يضر ملته وأمته ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتابات شبه القوانين أكثر ما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبمضها بدع تناصق به الصالحا بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلها من مخالفة الكتاب والسنة فيما لم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تسند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالادلة النظرية الفنية التي كانت ألوفة بانشار كتب الفللفة ورد شبهات المخالفين على هذه العقائد - وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في العبادات والمعاملات لايضاح ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته بيمضها - كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأديب والآداب المنصوصة فيهما أو المستنبطة منهما والمفصلة لما فيها من الاجمال . وقد فانا آفا ان واقع في كتب الصوفية من الخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيريتهم وقع مثله في

كتب المتكلمين والفقهاء . يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر، والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين اتزمو تقليد مذاهبهم ويجهلون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بأدبيل أو غير تأدبيل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلمين ويؤلون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين يجب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من صلوك الطريقة تنوقف على هذه الطاعة موقتا لاداءها وأن كلامهم في الحقائق زهوزلا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة انبعاثا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقضية أو بجعل التشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الاصولية ومنها ما احتجوا له بمباراة من حديث صحيح يردون باقية المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد ورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨١ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بمد هذا الفصل فصلا آخر في رد تحريم الأفتاء والحكم في دين الله بما يخالف التصوف وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر اجماع الفقهاء على ذلك » وقد ورد في هذا الفصل ٧٧ مثلا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بنفي الصحيح أو بالتشابه ، وقد ذكر في الوجه الثامن منها بعض شبهاتهم ورد عليها باثني وخمسين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المتعلمين اطرق التصوف والمنتحلين لمذاهب الفقه لا تزبيل بينهم ولا تميز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من هلاء السلف كما كانت والشافعي ، ولا ذلك على هدي أئمة التصوف كالجنيد والشبلي وأمثالهم من جداد السلف . فالحق أن جميع الفرق لها حسنات وسننات (أئمة من الاولين وقبل من الآخرين)

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعملا ولا سيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقم الحدود وتلتزم الشرع ، والبلاد ذات الحكومة الاسلامية هلي قلها بعضها شديدة التعصب المذهب معين كالبلاد الافغانية المتعصبة لمذهب الحنفية وحكومة اليمن المتعصبة لمذهب الزيدية فمذان لا يرجي أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستحالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذلك - وبمضيا شديد الغلو في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لانعرفها ابلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وان كانوا متمسكين الى المذهب الامام أحدهم لا تعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل ما ثبت في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتدهو اليه وترد ما خالفه وان قاله أو كتبه حنبلي . ثم هم ، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال وهم من يكفرهم كما يرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد . وأي بلاء أشد على الاسلام من هذا ؟ واذا قبض الله لهذه البلاد أن يسمع فيها العلم فانما يحيي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم تجد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ . قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غربياً وسيهود غربياً كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً « ان الاسلام بدأ غربياً وسيهود كما بدأ وبأرض بين المسجدين كما تآرز الحية في جحرها » وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصاحون ما أفسد الناس بهدي من سني » رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاد الاسلام غربياً كما بدأ حتى صار المسلم الحق المهبط لسنة قريباً مطعوناً في دينه ، فاذا قوري هؤلاء الغرباء الذين يحبون ما أمات الناس من سنته (ص) واعترضوا بعد ضمهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدءه فان غربته تستنجع المجد والعزة لله ولرسوله ولأمة المؤمنين آخر كما استنبهته أولاً لا اتحاد السبب

ان العالم الاسلامي لبث من ضعف دينه وامتهان شموبه بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمنتحلين اعلم الدين ومن جهل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقمودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانهم الاجتماعية

دلم يروق بأيديهم من مصطلح لامة شئ يعتد به ل وطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بعدم مشاركة غيرهم حتى نالوا فيها - وأنه سيضطرون للازهر وأما لهم من معصي سائر الافطار الى اصلاح الذي كانوا يأمرونه وأما يضطرون الى ذلك باحتقاره لما هم عليه اليوم اذ قرب ان يزول ما كانوا يعتزون به من اتباع السواد الاعظم من الامم لم تقبلهم لا يدعهم وموااتهم بالهدايا والصدقات والوصايا، فهذا اذا قام فيهم مصطلح كالسيد الافندي الحكيم والاشياد الامام هموا في آذان هؤلاء العوام : هذا منزل هذا فيا سوف هذا كافر بر بد أن يفسد عليكم دينكم ، فخافوا على تقاليدكم وموالدكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ النعم - التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زل الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا ما لم يتول من مشيخة الازهر - اضطرب القطار المصري واهتز العالم الاسلامي كله اوت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لا يكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لامة وملته

سبقت الهند مصر وسورية والحجاز في احياء السنة على وعملا وقد تمهدت العقبات امام مصر وبتت طلائع الاصلاح في نابذة الازهر ولكن الحركة فيه لا تزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المماضة والمقاومة لها وحينئذ نجد من طلاب الاصلاح الديني والديني اهلنا وأنصارا نجرتها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الاصلاح الاسلامي الديني المدني وبفاهر صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان يك الازهر لم يصلح بها فقد نأى عن سبل من كان مأى (١)

ونبتت من غرسه نابذة سلام السدع وتراب الثأى

وترفه لحة عن المهد أو بمود جهر الصبح كما كنا (٢)

(١) مأى بالغ وتمق أي بعد عن طرق المناخر بين المنتظمين المتعمقين في مباحث

عبارات الكتب (٢) أي الى أن يعود جحر القصب الذي دخلوا فيه باتباع سنن =

إذا ينال وهو قد أشفى الشفا من مفضل بات به على شما
 تمت ولي المصلحون شطره يحونه من كل فحج ورجا
 ماوردوا حياضه وصدروا الا يفيضون علوما وهدى
 فاحبوا الاسلام في انفس من داناهم بهجره صرف الردي
 فماد أهلا الى موطنه من فربة طال بها عهد النوى
 واستثبت غربته المجد كما كان فماد الامر مثلها بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خالف التصوفة هو من قبيل ترقع الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون سر بها اذا أيده حكومة اسلامية وبطياتا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون التجديد بالتمارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تغلوا من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قطار الا وفيه أفراد منها ففي حديث مؤيد بان في الصحابين وكتب السنن لا تنزل طائفة من أمي ظاهر بن على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ، وفي معناه أحاديث أخرى وأهم القواعد التي يجب بناء الاصلاح عليها هي

(١) الاعتراف باسلام كل مدعى لا أجمع عليه المسلمون من أمر الدين

(٢) بث دهوة لعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح فيما كما أشبهه علماء الحديث بالاسانيد المتمددة وترك ما خالفه من أنظار المتكلمين وآراء الفقهاء ولا يزيد في أمور العبادات والحلال والحرام على ذلك ولا نقص منه ، وقد بينا حجج هذه المسألة مرارا ، وليس معنى هذا ان يكون المرتدي بذلك اماما مجتهدا بل ان يكون على بصيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم وخواصهم مع الاستعانة على فهم النصوص بما فسرها به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعارض كل متبع لمام من أئمة السلف المتقدمين في حكمهم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي من قبلهم واسما بسهولة الحنيفة السمجة، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري المتفق عليه « لتبين سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعهم يومئذ » هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم « حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموم »

والصادق والباقر رآة فقها . لامصار كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد ، وعلاء الصحابة والتابعين بالاولى . ولا تكفر مسامحا مدعيا بذنب ولا بدنة ارتكبا بجهل أو بشبهة اتباع امام أو بتأول . روتى زال التمهيب تكون الماظرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاحترام واثقة الشقاق والتفرق بين المسلمين ، ويتبع دعاة الاصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر . يعني النبي (ص) فلا يتعمدون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا لجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عامه فلا مندوحة من اتباعه وما اختلفوا فيه يرجع فيه ما كان دليله أقوى والآخذون به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر فانه قلما يسلم عالم يحتمد من شذوذ يتفرد به دون الجماعة فيعذر باجتهاده ولا يتبع فيه وامانا نكتب في فرصة اخرى مقالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى .

(٤) الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدنيوي مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مفوض اليها بتلك الهداية التي نصت على أن الله خالق لنا ما في الارض جميعا وامرنا بأن نمد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقل رسواتنا صلى الله عليه وسلم دائما انا بشر مثلكم اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأينا فانما آنا بشره وقال « انتم اعلم بامر دينكم » رواها مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المدار مرارا بل كل المدار في جهته وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامي المبني على اساس اتباع جمهور السلف الصالح في امور الدين رواية وذراية وعملا بلا زيادة ولا نقص . وباليقينا نبلغ مدتهم أو نصيفه . واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبت العلم والاختبار في امور الدنيا مطلقة لاجتمادنا المنان فيه . وهذا اتباع للسلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من - برهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين ونهضة الامم - روتى بين مهم واقفون وانعمل بها . وهو مذهب امام دارالهداية مالك ابن انس رضي الله عنه . شطرنج في شخصه وغيره (ومن يتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

﴿ شرح قاعدة لا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم ينبغي على الآخر فيكفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان اهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه ما منهم الا من تخالف حقاً واتبع باطلاً ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعهم إليه) وقال في الآية الاخرى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً بما تميلون عليه وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبها اتباع كل قوم كتاباً مبتدعاً غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الاخرى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) مسيين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) فنهاه أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني يدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وما قبله توكيد له وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لتمضي بينهم - الى قوله - ولولا ان ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن صل الرحمة لا يختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن ابراهيم
 (اذ قال ربه أسلم قال أسلمت لب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
 يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وقال يوسف (فاطر
 السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)
 (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن
 السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس (رب اني ظلمت
 نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (بحكم بها النبيون الذين أسلموا
 للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذا أوحيت الى الخواريزم ان آمنوا
 بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال « انا معاشر الانبياء ديننا واحد » وتنوع الشرائع لا يمنع ان يكون
 الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بمت الله به محمداً صلى الله عليه وسلم
 فانه هو دين الاسلام أولاً وآخراً، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم
 سارت القبلة الكعبة ، وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا
 سائر ما شرع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً
 وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
 السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقوله (اهدنا الصراط المستقيم » صراط الذي نعمت
 عليهم غير المفضوب عليهم ولا الضالين) وقوله (اجتنبوا وهدانا الى صراط مستقيم)
 وقوله (ويهديك صراطاً مستقيماً) وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الضلالت
 الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الضلالت)
 وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيّد الذي
 قيل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) فهذا قد بين أنه اختلاف
 بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت
 في الصحيح انها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشركين الذين بارزوهم عتبة وشيبة
 والوليد بن عتبة

وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات المسلمين من سلا بجرداً
 مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني
 ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الأقوال كسائر ما سنه أهل الكلام

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم
وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأزل به كتابه وكان عليه سلف الأمة فلا
يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال
والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا
يذكرونه بل لا يعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا
يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره بصرح بالحيرة والشك (١)
إذا لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض وكثير منهم يترك
الجميع ويرجع الى دين العامة الذي عليه المجازز والاعراب كما قال أبو المعالي
وقت السياق: لقد خضت البحر الحضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت
في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي يرحمته فالويل لابن الجويني وها
ان اذا أموت على عقيدة أمة . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف
والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظر أهل الكلام والفلسفة
وسلك ما تيسر له من طرق العبادة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث
بالبخاري ومسلم ، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخير هؤلاء المتكلمين
بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام
وقال: قد أشار على من اشارته غم، وطاعته حتم . ان اذكر له من مشكلات
الاصول ، ما أشكل على ذوي العقول، ولعله استحسن ذاووم . ونفخ في غير ضرم،

لمعري لقد طقت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم

فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن تادم

فاخبر انه لم يجد الا سائراً شاكاً مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطاه
فالاول في الجهل البسيط (كلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكذب بها)
وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهول فندم، ولهذا تجده في المسائل
يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجع شيئاً للحيرة، وكذلك الآمدي
الغالب عليه الوقف في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في
في الموضوع منه ينصرف ولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصرف تقيضه .
ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك ، ولهذا لما ذكر ان أكمل العلوم العلم بالله
(١) المنار: اي الشك في الترجيح بين المسئلة الكلامية والفلسفية لاني أصل الاسلام

وبصفااته وأفعاله ذكر على أن كلا منهما اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشكل عليه وسلي هؤلاء في مواضع فإن الله قد أرسل رسوله بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كل فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعهم السمية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه الى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا انه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب، ومن

الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدم المقول عقلا وأكثر سمي المالمين ضلالا
وأرواحنا في وحشة من جسامنا وحاصل دينانا أذى ووبال
ولم نستفيد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي غليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق لطريقة القرآن - أقرأ في الاثبات (اليه بصمد الكلم الطيب - الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النفي (ليس كنهه شيء وهو السميع البصير - ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به انه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وانه لم يجد فيها ما يشفي غليلا أو يروي غليلا، فان من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فان الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصحيح العقل وفنارة الله التي فطر عليها عباده. وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) وهم مختلفون في الكتاب (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة مستنفة الذم منه في عيبه في رد على الزنادقة

(١) المناج : كسب مستنفة الكتاب في المصيبة الاميرية : هكنا في الاصل بل في الكلام تقصا أو يحرر فااد وتقول لعل الاصل: ذكر أن كلا منها عابه اشكال - أو - ذكر أن على كل منها اشكالا

والجهمية فيما شككت فيه من منشا به القرآن وتأولته على غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموثق، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والسمى؛ فكم من فتيل لا يبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أفتح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم»، وهو كما وصفهم رحمه الله فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام أما نقل مجرداً للأقوال وأما نقلها ومحاوذاً للجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضاً ويرد بعضاً ويحتمل ما يوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تفويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

هذا ما أحيينا نقله من كلام شيخ الإسلام في هذا المقام وقد أطلال بعده في وصف المتكلمين وخلافهم وفضل الأشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضاً. ونسب مذهب السلف بالاعتق والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهولئك نخشنة هذا الرجل لجميع أولئك الأساطين من الفلاسفة والنظار غروراً بشبهة الشيطان أنه لا يعقل أن يكون هو أعلم منهم أو أدكى حتى يكون أحق بالصواب وأولى بالرجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق واشتبه علينا الأمر حتى ترجح قوله على كل منها أو ترجح غيره عليه، بل هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالأدلة العقلية التي اتخذت بنظرياتها كل من شد عنقه قليلاً أو كثيراً، وأساس مذهبهم الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الأمة قبل افتتائها بالظريات التي فرقها بينهم. ونحمد الله أن سطر لها من هدم كل ما خالف السلف من تلك الظريات بأدلة من عندها هي أقوى منها وأثبت بالبرهان أن صريح المعقول لا يتناقض مع صريح المتقول. ويتبين عن اثبات أن هذا الدين من عند الله إذ لو كان من عند الرسول أو غيره لكان في باطن المتكلمين والفلاسفة

وكان المتأخر أسح رأيا فيه من المتقدم
وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين للساف من المنتسبين الى مذاهب
السنة والابتدعة والفلاسفة في كتابه (واقعة سريح المعقول لصحيح المنقول)
وانني انقل منه هنا ما ختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديمهم
العقل على النقل عند التعارض وهو :

(تنفيذ ابن تيمية لقول المتكلمين بتقديم المنزليات العقلية على النصوص السمعية)
والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغ لنا ظريفة أن يمرضوا عن كتاب الله تعالى
ويعارضوه بأرائهم ومقولاتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به هلم ولا هدى
فإن الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يجبرون من نفسه بما يوجب حيرته وشكته والمسلمون
يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقبارة على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم
شهداء الله في الارض انه لم يفتخر من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه ييقن
بطسئ الله ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم مقولا
صريحا يناقض الكتاب قائلهم آخرون من ذوي المقولات فقالوا ان قول هؤلاء
معلوم بطلانه بهربح المعقول فسر وما يدعى معارضة للكتاب من المعقول ليس فيه
ما يحزم بأنه معقول صحيح اما بشهادة اصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم
ظهورا لا ريب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المقولات لهم بل من تدبر
ما يعارضون به الشرع من العقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والناس
اذا تنازعوا في المعقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في
ذلك الى الفطر السامية التي لم تنمير بانتمتد يغير فطرته ولا هوى فاستمع حينئذ أن
يعتمد على ما يعارض الكذب من الاقوال التي يسمونها مقولات وان كان ذلك قد
قاله طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل
فيعتمد على عقل نفسه وما وجده معارضا لاقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه
خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صحت الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر
ضلالا واضطرابا فاذا كان تحول النظر واساطين الفلسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر
الى الغاية وهم لبهم ونهارهم يكذبون في معرفة هذه العقليات ثم لم يصلوا فيها الى

مفتول صريح يناقض الكتاب بل اما الى حيرة وارتباب وازمالات الاختلاف بين الاحزاب فكيف غيره هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في لذهن وانذكار ومعرفة اسلكوه من العقليات فهذا واه مثاله مما يبين ان من اعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه لم يمارضه الا بما هو جهل بسيط او جهل مركب فالاول (كمراب قيمة بحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسبه) وثاني (الحساب) والثاني (كظلمات في بحر لبي يفتشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكدرها ومن لم يجمل الله له نورا فما له من نور) واصحاب القرآن والايمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري بالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا تهدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآيات وقال تعالى (فالذين آمنوا به وهزروه ونصره وانبىوا النور الذي انزل معه اولئك المفلحون) فاهل الجهل البسيط منهم اهل الشك والخبرة من هؤلاء المعاضين للكتاب المرضين عنه، واهل الجهل المركب ارباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون انها عقليات وآخرون ممن يمارضهم بقول مناقض لتلك الاقوال هو العقليات ومعلوم انه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والمالب فساد كلا الاعتقادين لما فيهما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقا وباطلا ومع هؤلاء حقا وباطلا والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي بحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله اعلم اه

[المنار] كل مؤمن سليم الفطرة صحيح العقل اذا قرأ هذا مجرم بأنه الحق، وانه يجب هل المسلمين أن لا يفتروا شهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خالفوا السلف فيما نقله شمس العلماء عنهم من أمر الدين، وانما انذار كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته ادعاءه بالاجتهاد وان قصد تأييد الشرع ولكن لا تتبع أحدا فيها خالف هدي السلف السالط والمؤمن معتمدين على عقل تامة المحدثين دون آراء المخلفين . وهذا منهي فلاصلاح في الدين .

تاريخ فنون الحديث

٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ما أدى اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما مشيراً إلى القسم الأول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم وإلى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الإسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منها على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد خص الحافظ الذهبي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضعيف أو منكر وهو كثير وجمع بجزءه في الأحاديث الموضوعية التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة. قال الذهبي: في المستدرك جملة وافرة على شرطيهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقي وهو نحو الربع فهو من أكبر وأهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الأمر مما يتعجب منه فإن الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد اعترته غفلة وقال الحافظ ابن حجر إنما وقع للحاكم التساهل لأنه سرد الكتاب لينقحه فما جعلته المنية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدثين إن ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبحث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اهـ

١٦ توفي سنة ٤٠٥ هـ (٢٥) قال النووي المراد بقول المحدثين على شرطهما أو على شرط أحدهما أن يكون رجال الإسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لا يمس لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرها (٣) سنة ٧٤٨ هـ (المناج: ج ٣) (٢٥) (المجلد الثاني والمشرون)

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول
الاستخراج أن يمدح حافظ إلى صحيح البخاري مثلاً فيورد أحاديثه واحداً
واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري إلى
أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوقه إذا لم يمكن الاجتماع معه في الأقرب
ونما ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض
رواتها وربما ذكرها من طريق صاحب الأصل وقد احتج كثير من الحفاظ بالتخريج
وقضوا ذلك في الأكثر على الصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن .
وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لانهم لا يلتزمون
الحفاظ المستخرج عليه ومنها على الاسناد إذا رواية الحديث عن صاحب المستخرج
عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالسماع مع
كون الأصل مضمناً أو بتسمية مبهم في الأصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في
المستخرجات بالصحة الا اذا كان سند المستخرج إلى الشيخ الذي التقى فيه م
مصنف الأصل صحيحاً متملاً . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث إلى من
أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه
ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن
عبد الله الاصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (٢)
والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣)
ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخرج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤)
وتخرج ابي عوانة الاسفرائيني (٥) وتخرج ابي نصر الطوسي (٦) والمسند
المستخرج على مسلم للحافظ ابي نعيم الاصبهاني (٦)

المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها إلى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها
صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال ميز لي الصحيح من غيره

١٠. توفي سنة ٤٣٠ هـ . سنة ٣٧١ هـ . سنة ٤٢٥ هـ . سنة ٣١١ هـ . سنة ٣١٦ هـ

٣٠٢ - ٧٠٣٤٤ هـ

فصنف له السنن الضعيفى وسماه المجتبى من السنن
 ودرجته في الحديث بمد الصحيحين لانه أقل السنن بمد ما ضيفاً وأما سننه
 الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه. وإذا
 نسب الى النسائي رواية حديث فأنما يمتنون روايته في مجتبه وقد شرح المجتبى
 شرحاً وجيزاً الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد
 ابن عبد الهادي السدي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج اليه القارئ
 والمدرس من ضبط اللفظ وايضاح الغريب والاعراب شأنه في شرح الكتب
 الستة على أن شرحه أوسع من شرح السيوطي (*) وقد شرح سراج الدين صهر بن
 علي بن الملقن الشافعي زرائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلد

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٣)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا رحمكم الله أن كتاب
 السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول
 من كافة الناس فصار حكمايين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم
 فلكل منه ورد ومنه شرب (**) وعليه معمول أهل العراق وأهل مصر وبلاد
 المغرب وكثير من أقطار الارض. قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله
 (ص) خمسمائة الف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا
 الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ريقاره ويكتفي الانساز لدينه من ذلك أربعة
 أحاديث أحدها قوله (ص) «الاعمال بالنيات» والثاني قوله (ص) «من حسن
 اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» والثالث قوله (ص) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى
 يرضى لآخيه ما يرضى لنفسه» والرابع «الجلال بين والجرام بين» الحديث وقال ما
 ذكرت في كتابي حديثنا أجمع الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وهن شديد
 فقد بينته ومنه ما لا يصح سنده. وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبمضها أصبح
 من بعض، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) الا وهي فيه ولا أعلم
 شيئاً بمد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلاً أن
 لا يكتب من العلم شيئاً بمد ما يكتب هذا الكتاب الى آخر كلامه في رسالته
 (*) طبع المجتبى على شرحه هذين في الهند (**) الشرب بالكسر كالورد وهو معنى
 المتناول أي ما يورد وما يشرب (١) توفي سنة ٩١١ هـ «٢» سنة ١١٢٨ هـ (٣) سنة ٢٧٥ هـ

الى أهل مكة . وقد اشتهر هذا الكتاب بجمعه لاحاديث الاحكام وفيه كثير من
المراسيل وكان محتجج بها من تقدم الشافعي كسفيان الثوري ومالك والاوزاعي
(١) شرحها) شرح هذه السنن كثير من افاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (١)
في كتابه معالم السنن وقلب الدين أبو بكر العيني الشافعي (٢) في أربع مجلدات
كبار وأبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العمري (٣) كتب من شرحه سبع مجلدات
الى أثناء سجد السهو وشرح زوائد على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح
السنن شهاب الدين الرملي (٤)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبي
وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الربا على المجتبي وهذب المختصر ابن قيم الجوزية
الحنبلي (٦) وشرح مذهب شرحا جميلا ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن
في اختصاره فهذبته نحو ما هذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على علل
سكت عنها اذ لم يكملها وتصحيح احاديثه والكلام على متون مشكلة لم يفتح
مقتلها وقد بسطت الكلام على مواضع لعل الناظر لا يجدها في كتاب سواه
قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة
يوجد في بعضها ما ليس في الاخرى

الجامع الصحيح لمحمد أبي عيسى الترمذي (٦)

قال ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز
والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتابي هذا الا
جديتاً قد همل به بعض النقهاء فعلى هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل
بموجبه طامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح لكنه تكلم على درجة الحديث
وبين الصحيح منه والمملول كما ميز الممبول به من المتروك وساق اختلاف العلماء
فكتابه لذلك جليل القدر جم الفائدة كما انه قليل التكرار

(١) شرحه) قد شرحه محمد بن عبد الله الاشبيلي المعروف بابن العربي المالكي (٨)
وأضفى شرحه (عارضة الاحوذى في شرح الترمذي) وشرحه الحافظ محمد بن
محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه وقد كلفه زين الدين

(١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦

(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٧٣٤

عبد الرحيم بن حسين العراقي (١) وشرحه عبدالرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢)
 مختصراته منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي اللؤلؤي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعددها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه الى الخمسة الساتة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحفاظ عبد الفتي (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وإنما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ. قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة (٨) وان كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة. وقد جعل بعض العلماء كرزين السرقسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك المجد بن الاثير في كتاب جامع الأصول وكذا غيره قال الحفاظ المزي ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف ولكن قال الحفاظ ابن حجر انه انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضمف على الرجال

شرح سنن ابن ماجه: شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنها مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم ابن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه مصباح الزجاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المنكر ما كان في سنده كثير الفلعل أو غافل عن الاتساق أو مساق والشاذ ما خالف فيه الثقة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ١٠٥٣٥ سنة ٨٠٨ (١٠) سنة ٨٤١

باقى كتب السنة الصحيحة غير الكتب الستة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك
 الاصول الخمسة أو الستة وان كان الزائد عليها قليلا قال الامام النووي الصواب
 قول من قال انه لم يفت الاصول الخمسة الا النزر اليسير . وهانحن أولاء ندلي اليك
 بباقي الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع
 فيها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمه النيسابوري (١) وصحيحه أعلى مرتبة
 من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه حتى انه يتوقف في التصحيح لأدنى
 كلام في الاسناد . ومنها صحيح أبي حاتم محمد ابن حبان البستي (٢) واسم مصنفه
 التقاسيم والأنواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الابواب
 ولا المايد وقد رتبته ابن الملقن وجرده أبو الحسن الهيثمي زوائده على الصحيحين
 في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التسهيل في التصحيح الا أن تساهله أقل من
 تساهل الحاكم في مستدركه . ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب ابن اسحاق (٣)
 وصحيح المنتقى لابن السكن سميد ابن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن
 عمر البغدادي الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله
 ابن علي «٦» والمنتقى في الآثار لقاسم ابن أصبغ محدث الاندلس «٧»

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر طرفا من الحديث يدل على بقية ونجس أسانيد
 اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فمن ذلك
 أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولابي
 محمد خلف بن محمد الواسطي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنها
 ترتيباً ورصماً وأقلها خطأ ووها . وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات
 — ولابي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفضل أحمد

«١» توفي سنة ٣١١ - «٢» سنة ٣٥٤ - «٣» سنة ٣١٦ - «٤» سنة ٣٥٣

«٥» سنة ٣٨٥ - «٦» سنة ٣٠٧ - «٧» سنة ٣٤٠ - «٨» سنة ٤٠٠ - «٩» سنة

«١٠» سنة ٥١٧

ابن علي بن حجر الملقب وأطراف السنن الأربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسم الأشراف على معرفة الأطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف السجيين والسنن الأربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الأشراف سبرته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والقيته مشتملاً على أوام كثيرة وترتبه مختل. لهذا عمل كتابه الأشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) ورتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي أطراف الفرائد والافراد، وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوام جمعها أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزني الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الأشراف على أطراف السنة .

ولابن حجر أتحاف المهرة بأطراف العشرة يعني الكتب الستة والمسائيد الأربعة في ثمان مجلدات . وقد أفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند الممتلي يقع في مجلدين .

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان لجمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وانزالهم منازلهم وبيان عليل الحديث من ضحيجه كاد يفتحي بانتها القرن الرابع كما انشأت اد ذلك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فاكثر الكتب التي تمجدها بعد ذلك المصير سلكت مسلك التهذيب أو جمع الشئيت وبيان الغريب ، أو نحت منحى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان غالة على مادونه أئمة الحديث في القرون السالفة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت النطن اللبيب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مراعاة الامور الدائمة ولا نلتفت لليسير النادر

«١» توفي سنة ٥٧١ «٢» سنة ٥٠٧ «٣» سنة ٧٦٥ «٤» سنة ٨٤٢ «٥»

أم الكتب الجامعة لمتون الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الافاضل بين صحيح البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزي (١) واسماعيل بن أحمد المعروف بابن القرات (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الاندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الاشبيلي «٧» وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة «٥»

الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن الخراط «٦» وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي «٧» وكتابه مرتب مهذب

وأبو الحسن رزين بن معاوية العبدي السرقسلي «٨» في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحاديث الستة فلما جاء أبو السمات مبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري الشافعي «٩» هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه من الاصول وشرح غريبه وبين مشكل الاعراب وخفي المعنى وحذف اسانيداه ولم يذكر الاراوي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة الا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الاصول لاحاديث الرسول لجاء كتاباً فذا في بابه لم ينسج أحد على منواله فقرب اليها البعيد وسهل علينا المسير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق اليه من يبرزه الى عالم المطبوعات فيسدى بذلك الى طلاب الحديث معروفاً جليلاً. وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي «١٠» وهبة الله ابن عبد الرحيم الحموي «١١» وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني الزبيدي «١٢» وهو احسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي «١٣» زوائد عليه سماها تسهيل الوصول الى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول وان في هذا وما قبله لفنية عن كتب الحديث الاخرى وكفاية

«١» توفي سنة ٣٨٨ «٢» سنة ٤١٤ «٣» سنة ٤٨٨ «٤» سنة ٥١٦ «٥» سنة ٥٨٢ «٦» سنة ٥٨٢ «٧» سنة ٩٩٠ «٨» سنة ٥٣٥ «٩» سنة ٦٠٦ «١٠» سنة ٦٨٢ «١١» سنة ٧١٨ «١٢» سنة ٩٤٤ «١٣» سنة ٨١٧

نقد مشروع تعميم التعليم الاولي

نشرنا في ج ٧ و ٨ من م ٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في نقد تقرير لجنة التعليم الاولي بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقتنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولي في مديرية الجيزة وهو ممن طلب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن تقتبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القطر المصري ووجه الحاجة الى تعميم التعليم الاولي رأينا أن ننشر أولاً هذه الفقرات وهي التي انتقدها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منها فوائده ذات قيمة ثمينة لمن يعنىهم أمر التربية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤-١٢ من تقرير اللجنة

٤ - ونم ما قالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فشوا الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيمياً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم ضرورب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشملهم نعمها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع اعمالها الى أن تسبق بمراحل واسعة حال التعليم التي عليها جمهور الامة . فمنها :

في الزراعة : الوسائل التي تستخدم لمنع قلة محصول القطن — مقاومة دودة القطن ودودة اللوز — اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة — ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد — توسيع نطاق التعاون في الشؤون الزراعية — زيادة العناية بالحوانات — توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

في الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولية بين الناس فيما يتعلق بهم وبتنازلهم والبلدان التي يقطنون بها - تحسين حل المساكن - وضع تصميحات للمدن والقرى - تفرير أنظمة لتنظيف المدن والقرى - اصلاح موارد مياه الشرب - تقليل نسبة الوفيات في الاطفال - تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية - التدابير التي تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعي السرعة في تداركه - استئصال شائفة الامراض المتحصلة في البلاد كالبول الدموي (البهارسيا) والرمذ

في الاشغال العمومية : المصارف - اصلاح البور من الاراضي - تعمير الاراضي غير المسكونة - انفاذ أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

في التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعي والفني

في الامن العام : ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل في ذلك الرشوة - منع اجرام الاحداث وصياتهم من الفسق - منع سم المواشي - مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والمعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) - اصلاح طرق الردع بالعقوبة -

في القضاء : انشاء محاكم الاخطاط وغير ذلك مما له أثر في اصلاح القضاء

في الادارة : توسيع سلطة مجالس المديرات والمجالس البلدية في ادارة شئون البلاد - توسيع نطاق الضرائب المحلية - الاستمارة في المسائل الفنية بمشورة المصالح الاميرية المختصة - الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى - اقناع الجمهور بفوائد التدابير التي تتخذها الحكومة كذاتون حمة الافدنة ونحوه - انشاء حلقات القطن - تحديد مقدار الاراضي التي تخصص بزراعة القطن - تسمير المواد الغذائية - انفاذ أوامر لجنة مراقبة التموين - قانون المستنقعات والبرك الخ

في الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون الفلاحين - مقاومة كثر الاموال بلا تمير - توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية - رفع شان الزراعة والتجار المصريين حتى يستفوا عن الوسطاء من الافرنج - ترقية الصناعات - تاسيس صناعات جديدة الخ
في الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة - الاهتمام بالاطفال - مقاومة الشحاذة والشرود (التشرذم) - تحسين أحوال الممبثة في بلاد الارياق والرغيب فيها

هذه أمثلة عدة - لا تحتاج في سردها الى خبرة خاصة - وهي قليلة من كثير من وجوه الاصلاح الاداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الان . وجرى أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها انما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتقاله (١) من هوة الامية

(٦) وقد جاء في ملحق السير للدن غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تأليف اللورد ملتر بعد ان تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الادارة ما ترجمته «على ان السبب الحقيقي يرجع الى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجح دائم الاثر الا النهوض بالشعب عامة وتهذيبه . وانما يكون ذلك بانتهاج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الخبرة السياسية» (صفحة ٤١٣) (٧) وقال المسيو شارلتي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بتؤمر افريقية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «ان التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول الى هذا التقدم والانتفاع بجزايه الا اذا تربوا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتقربه من أذهانهم . فان مسألة التعليم من أدق الامور وأشقها وخاصة في بلاد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلقتها عصور الجهل المطبق . فاذا لم يتيسر حل هذه المسألة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل باخذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتهذيب والتدوية الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة ابائي بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٢١٤ ما ترجمته: «ان ما لارض مصر من الخصب والقوة لا يزال كامنا دفينا اذ هي لم تخط بعد خطوات تذكري نحو التيام بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية وارسالها الى العالم بأسره..... وما لا يعتبره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الايام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لان به من مختلف الاجواء ما يناسب كل نوع من انواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الجهة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه البقاع ما ستبقى الزراعة فيه أزمانا طويلة الامل على الحال الفطرية التي تشاهد في الغابات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أنفس المحصولات

(١) المنار: النشل والانتقال في العربية أخذ اللحم من القدر وله آلة غفناء تسمى المشال ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا ويستعمله كتاب الجرائد رشا لهم من المعاصرين بمعنى الانتاذ من هلكة حسية أو ممنوية ولهذا المعنى في اللفظة كلمة فصيحة وهي الانتياش قال ابن دريد :

ان ابن ميكال الامر انتاشني من بعد ما قد كنت كالتشيه اللنا

ولمحن الى الآن لم نألف افتتار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة بديمة من توبخ هافانا أو الفلن الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط ملوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تزرع خاصة لاستخراج العقاقير الطبية تكفي لاقتناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها. فالزراعة التي من هذا القبيل - أي الزراعة التي تحتاج الى مهارة فنية - لها في مصر من الاحوال الملازمة ما ليس في مملكة أخرى. وقد برى في بديهة الامر أن في هذا القول شيئاً من الغلو ولكننا لم نقله جرافاً..... ولكن ننتفع مصر بهذه المرايا الطبيعية بحسب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بمقوهم وأيديهم معاً لذلك لانكون مبالغين اذا قلنا بان حاجات المستقبل ستكون كفيلاً بايجاد طائفة جديدة راقية من المصريين أي بايجاد شعب يجمع توفد القرى الى ما كان لاجداده من قوة الاجسام» وليس هذا الانتقال المنتظر في المستقبل مقصوراً على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى المضلية قد فات ونحن الآن في عصر انبثق فيه فجر العقول «
٩- وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألفتا بامرهما: الاولى برئاسة حضرة صاحب المالى اسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة، والثانية برئاسة جناب اللقنت كولوئل بلقور للنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من انفاذها عقبات كبيرة لجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠- فقد جاء في تقرير لجنة توسيع نطاق التجارة والصناعة ما يأتي :
«ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصغرى المصرية لهو حجة قائمة وشاهد نامق على ما بالبلاد من النقص الذي تن منه أنين الشكلى وترزح تحت أثقاله. فان خلوا الاعمال من النظام والترتيب واستهانة المال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق....

«فاذا سأل سائل ما حال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن ما يتبع الآن من الخطط في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الفرض السامى المقصود منها وعن النهوض بها من الوجهة الخلقية. اذ مما لا نزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يبر حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

نقصها وتنكبتها الفرض المنشود بل انها مبنية على أساس فاسد غير وطيد الاركان. فهي بدلا من تمويد النشء النظام وحسن التدبير تولد في نفوسهم الاسراف وسوء الادارة في الاعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاهمال وتصرفهم عن الجهد والنشاط . وهي تفرس فيهم التردد في الامور اوقلة العناية بها وعدم النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من الوجهة المعنوية وبذا تموق تقدمها من الوجهة الحسية أيضاً

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي الى أقصى درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة الى ضرورة الاسراع في انفاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الاولي وتوجيه مزيد العناية اليه . وترى اللجنة أيضاً أن من الواجب عليها التنبيه الى ضرورة بذل مزيد العناية بأمر التربية وتقوم الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الامة بأسرها»

١١- وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولاً موجزاً في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شمس من الشموب الى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه حتما مادام الجو الذي يعيش فيه ملوثاً بالاقذار . فاننا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تملوه الاوساخ وتحيط فيه رحاها الاقذار . فهي كما كانت في قديم الزمان ملطخة بالامراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن بلادهم ما دامت الامراض تثقل عواتقهم وتخيم على رؤسهم . ان نسبة الوفيات في الاملال رائحة فذلك أبناء الامة يموت وهو في سن الطفولة وغضارة الحياة . هذا الى أن انتشار الحشرات والهوام بين النلاحين لم يقل على الرغم مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحيات الراجعة التي تفتك بالاهلين فتكا ذريعاً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شعواء للقضاء على الجهل والتذارة واستئصال سائفة المرض والبؤس» ومما يلفت النظر أنها ذكرت الجهل أولاً . ولم تعلق أملاً كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاحاً وافياً بالفرض بتلقين أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

«فإن الحقائق التي وقفنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يقضوا مع الجيش مدة يضطرون فيها إلى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يجمعون إلى مواطنهم بالقري إلا وهم عائدون إلى سيرتهم الأولى. فتراهم لا يمتدون إلى بث شيء في نفوس قومهم مما تعلموه من أسباب النظافة. وكفى بتاريخ الجيش المصري دليلاً على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء. فإن الجندي المصري بالرغم من تدريبه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق السحية المتبعة في المسكرات والتكنات لا يكاد يرجع إلى قريته إلا وهو مندمج في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم»

وختمت اللجنة قولها في هذا المقام بأن أوضحت أن أنجم وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لأنكون إلا بالبدء بتعليم الطفل «فإن الطفل المتعلم قد يصبح أستاذاً لوالديه غير المتعلمين ويكون بمثابة النواة الأولى التي تنبت منها على مدى الأيام عوامل رقي الفلاح».

١٢ - وقد نشرت جريدة (الاجبار) بمرددها الصادر في ٢٨ ابريل سنة ١٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (علمونا القراءة أولاً) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفاً ممتعاً لا يخلو من المبالغة وبين فيها أن مصر لا تحتاج إلى جامعات جديدة بل إلى نشر التعليم الأولي بين جمهور أهلها. قال مانصه:

«السواد الأعظم من الأمة المصرية من الفلاحين لا يبسي الجلابيب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يملكون القراءة والكتابة. أما الأفراد القلائل المقيحون في هوامم الفطر فلا يمتد بهم لقلّة عددهم بالنسبة لمجموع الأمة. فإذا أرادوا أحد من الفلاحين أن يكتب صكاً أو جواباً لا يجد من يكتبه له فيضطر أن يسافر من قرية إلى أخرى حتى يفتي بشخص يعرف كيف يخط. وكذاة مثل ذلك الشخص لا يفك رموزها إلا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شامبليون الذي تمكن من قراءة الخط الهبروغليفي:

(نحن المصريين لا نعرف من أصول الصحة شيئاً. وكل من ذهب إلى إحدى القرى أو العرب يشتم قبل أن يسأل إليها بيضة أميال الروائح الذكية (في أنوف ساكنيها) الصاعدة من أقدام السائحين الغائبة كاهرام الميزة صنع أجدادنا وهم

تجرباً بالقرية أو العزبة من كل جهاتها . ويرى بخاري جامع القرية ذات المنظر الجبل
تجري الى النرعة التي يشرب منها أهل القرية بدون اسم نواز . ويرى شكل القرى
الكثيب والمنازل المتلاصقة ذات الابواب الضيقة والغرف التي ليس بها منافذ ويرى
الفلاح نائماً هو وأولاده بجانب جاموسته لا فرق بين الجميع .

« ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كلمة عزرائيل عند
المتدينين . فإذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى يخفوا بأسرع من لمح البصر إما
أن يحملوا الى جهة في الفيض بيده أو يدفنوا في قش الارز أو حطب القطن المكوم
على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طبعاً) شيئاً اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لا شيء
أكثر من الماء عند الفلاحين نجد أكثرهم قدرا وسخا وكأنه يخشى أن يخلع ملبسه
فتحملها تلك المخلوقات الشريرة وتهرب بها الكثرة ما يلقها بهرشه وكرشه فهو
دائماً أبداً في قلبها .

« ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين
أو من عهد أينما آدم الا الفلاح المصري . فلو بحث فلاح من أيام الفرائنة لرأى
أخاه فلاح اليوم لم يخن الامانة ولم يبد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه
بتفسير أو تعديل . فالمحراث والشادوف والطنبور والتطالة الخوص كلها بحاتمها العتيقة
كما تركها له . ووجدته أيضاً لم يغير شيئاً من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد
ولم يحسن نوعاً من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طعمة التاجر والمرايبي مها
سنت الحكومة من القوانين لحمايته .

« فهل ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات
التي تدرس الفلسفة والتاريخ او يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ماتريد أن
تعلمه ايام الحكومة بمشوراتهم اولوائحها ؟ فالى أي شيء نحتاج الامة المصرية إذ نترقي
وتعد في مصاف الامم الحية وما هو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة
وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتنتج أذهانها وتعلم وترتقي ؟

« (أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء) »

وهناك جرائد مصرية أخرى ألقت على الحكومة تراوا وصاحت بوجوب الشروع

في تميم التعليم الاولي والمساعدة الى ذلك حتى تستطيع أن تخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل». انتهى نص الفقرات الخمس مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار ويليها ما كتبه عبدالله افندي أمين فيها وهو

التعليم الاولي والاصلاح

قد الفقرات ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الأدلة على ما جاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشو الجهل بين جمهور الأمة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد وإن ضرره لا يقتصر على إضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً جسيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم شروب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشغلهم تفكيرهم لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها » .

»

ومراد اللجنة من هذا الكلام إقناع أولي الامر بوجود الاسراع في تميم التعليم الاولي فحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير انه شغلها مما سواه فقامت أن تفصير الاهالي في قيامهم بتصديدهم من اصلاح الحكومة الاقتصادية والاجتماعي والسياسي اقصور مداركهم ، ليس أكبر من تفصير الحكومة نفسها وهي رشيدة عليمه وبينها وبين الشعب « هوة لا تُمبر » (أنظر ١٤ و ١٥) في قيامها بتصديدها من الاصلاح نفسه ولا شك أن قواعد الاصلاح وأصوله كلها ما كان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها ببعضاً. فلأن الحكومة كانت مثلاً لشعبها فقامت بتصديدها من الاصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

ولغرس هذا النصب في نفوسهم سرورا عظيما به وشوقا الى القيام
بنصيبهم من الاصلاح

ولو أن الحكومة أكثر من مستشفيات الامراض ومستشفيات
الارماد المنقلة والثابتة وانشأت حمامات ومنازل وأحواضا لتخزين المياه
وترويقها في القرى لأقبل عامة الشعب على هذه المنشآت اقبالهم الآن
وقبل الآن على ما أنشئ من مستشفيات الرمد وهو عظيم جدا، ولا أثر لها
على طب السموذة والتجارب الاهلية الناقصة الفاسدة وعلى الاستحمام
وغسل الثياب في مياه الترع والمصارف الراكدة وعلى شرب ماء النيل المكر
وأصلح ذلك من أجسامهم ونفوسهم وعقولهم أكبر اصلاح لما فيه من وسائل
حفظ الصحة ومن الانصراف عن المواد السيئة والتجارب السخيفة
والاعتقاد الفاسد فيها

ولو أن الحكومة قدرت مثلا مكافأة لمن يتدع مادة رخيصة جدا
إذا مزجت بالتراب جعلته صلبا صقيلا ترصف به الارض وتيسر لها
رصف الطرق الزراعية الرئيسية وغرست على جانبيها الاشجار الضخمة
لدفعت عن الشعب عادية التراب وما يحمل من جرائم الامراض المختلفة
وأظلمه فدفعت عنه حرارة الشمس، ولَبَعَثَتْ بذلك في نفوس الاهالي
يقظة وانتباها لا يورهم في أشد الحاجة اليها - انتباهها لا يمكن أن
يكون بالنصح والاوامر وحدها

ان وسائل تربية الشعوب وتهذيبها كثيرة جدا . وكثير من هذه
الوسائل من عمل الحكومات وهي أقدر على القيام بها من الاهالي رأوى
بها منهم . غير أن سكوت الحكومة وتراخيها وحاجة البلاد الظاهرة الى
(المنار ٣٣) (٢٧) (المجلد الثاني والعشرون)

العمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين
 المخلصين الى القيام بما يحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا منتظر المشغول عنها،
 وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استعداد الاهالي أو امتعاض
 الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ما قام به مجلس مديرية الجزيرة المحترم
 من انشائه مستوصفين متنقلين في أنحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئيسته
 المفطور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والعزم والثقة بالنفس
 وحب الاصلاح حضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهد بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتقلين لما كان يتوقعه
 من الآثار الجليلة التي يتركها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم
 وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك! فان الذين عولجوا فيهما يمدون
 بالالوف. ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك. وقد كانت أحق بهذا العمل
 منه غير أنها سكنت ولا تزال ساكنة حتى ملّ الانتظار ونقد الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح البؤس. فقد
 نقلت في الفقرة (٢١) من (المستر الكي) قوله «أجك ان التربية العقلية
 المحضة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال» وتعلم أن الامة لا تغير
 ماها حتى تغير ما بنفوسها، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن
 بينها وبين عامة الشعب «هوية لا تُصبر» من أن تسمى جيد السمي في
 البحث عن الملاج الناجح لتغيير شعبها ما بنفوسه — شعبها المخلص الذي
 ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندي اذ نقلت في الفقرة (١٩) من
 التقرير «وأهني بم الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين
 الأذلاء»

وما تلك الوسائل النافذة؛ تلك الوسائل هي الاصلاح الفعلي كانشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها، لا النصائح التولية والامصار الكنايية التي لاتغير من نفس ولا تحي من عمل. لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة المنيقة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر بالمليم، وتممد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكوز مثالا حسنا في الاصلاح اسمها فتأخذ بنصره أخذاً صحيحاً الى منازل النفع الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من أقرب الطرق وأقومها وألا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتوفي نصيبها من الاصلاح حقه

انها ان ظنت ذلك وعولت في كل ما ترهب من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وأقت المبه كله عليه، خابت الآمال وضاع الوقت سُدَى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكين وجهل المحكومين

تقد الفقرات ٢ و ٢٤ و ١٢٥

استكثرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)^(١) من التقرير ما ينفق على التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٥] ليس الامر مقصودا على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقى الذي لا ينتفع به سوى طائفة صغيرة ممتازة من الامة لا تدفع سوى قسم ضئيل من النفقات التي يتطلبها تعليم أبنائها، أما سكان الاقاليم الذين تنوقف ثروة البلاد على كدهم ونصيبهم، فلا يكادون يخالون قسما من التعليم في مقابل الضرائب

بمجانب ما ينفق على التعليم الاولي. وانكرت في الفقرة (٢٤) ^(١) من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية - وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضع أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لواشها - بتعليمها الطبقة

التي يقع معظمها على كاملهم

وإذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الاولية الاربع وهو ٢٨٨٠٠٢ من الجنيهات وصافي ما ينفق على المدرسة الاولية الراقية للبنين والمدرسة الاولية الراقية للبنات وقدره ٤٠٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الاميرية وهو ١٨٠٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة ببعض مدارس صنايعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠٠ جنيهاً - اذا استثنينا كل هذه المقادير ومجموعها ٦٨٠٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ - ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب. على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية. ثم ان الثمانية والستين من آلاف الجنيهات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب يقابلها ٤٩٠٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والمعار الموقوف للانفاق على المكاتب الالهية. أي أن ما تنفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفقرة ٢٤] قال المستر أسكويث «ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على ما يتوافر لدى أدنا طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية» ويرى أنه لم يبين الحكم على ما وصل اليه القليلون من خيرة أفراد الامة الذين ضربوا في التعليم الراقى بسهم. فإذا أردنا الوقوف على ما يتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الاكواخ الحقيرة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيئته والى شيوع القذارة والاورساخ وفتور الهال والامراض وهلاك ثلث الابناء في طفولتهم وانتشار الامة بحال رائئة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الافراد واقتصار

الراية للأمة التعليم العالى قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولي بلا شك) و عدت عملها هذا عملا مقلوبا وضربت لذلك مثلا قول (السير كلنتن دوكنز) في الفقرة (٢) ^(١) « ان التعليم الاولي في مصر شبيه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل »

كدم على القوت البومي . فهل الى ترقية تلك الاحوال في الامة المصرية من سبيل سوى تسميم التعليم ؟ لا . ومن العبث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقي المنشود بالبده بتعليم الطبقات الراقية قبل هامة الشعب أو بالاعتماد على ما يحدث من النائر الذي ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالتهوض بالتعليم العام وتتطلب نشر نور العرفان في الامة بأسرها .

قال الشاعر بروننج في تصديده المعنونة براسلس مامناه بالعربية

كتبت على لوح الحقيقة حكمة	ان الرقي شريعة الاخياء
مالي ارى الانسان يفضض هيبه	هن نور تلك الحكمة الزهراء
أجد حتى صار أهلا لاسمه	ان حق فخر الناس بالامناء
أم نال ما نصبوا اليه طباعه	من درك أعلى ذروة البلياء
أم أعمل المكنون من قواته	كي يلا الدنيا من النماء
أني يتوج بالكمال ولم يزل	في العلم معظمه من الفقراء
وكان أهل العلم بن سواده	بعض النجوم الزهر في الظلام
أو بضمة من نسل هوج حولهم	جسم من الاقزام والضعفاء

(١) [نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من بادي الامر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلي العالم والسياسي الشهير : « ان مسائل التعليم الاملى كفيها تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفتنا : « قال اللورد كرزن أيام كان حاكم على الهند : « ان طبيب الامة الحقيقي هو ذلك الذي يصف لها ألجم وسيلة لتربية أبنائها » . وتناول كل من اللورد كرورمر في كتابه « ماهر الحديثة »

فكان هذا الاستكثار من اللجنة مع ذلك الانكار المقرون بهذا المثال
 نصلا حادة تناولها الحكومة اذا شاءت ومتى شاءت لتخزبها التعليم العالي
 وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها
 من كبار المستثمرين قد تركت فيها أثرا جعلها ترى التعليم العالي بيمين
 جنبية لا يستطيع أن ترى بها محل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان - مثلي - لا يجد لها فيما
 يتلصق من المآذير الا تذرا واحدا وهو ما يخيل الى المفكر في أول الامر
 من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولي ثم التنقل به بعد ذلك في
 مراحل التعليم الارق موافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك
 حق واضح . لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يقبله كيف يشاء وينقله
 من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسير ألدون غورست في الملحق الذي ذيل به كتاب اللورد مانر وهو « انجلترا في
 مصر » البحث في وجوب اتباع خطة جديدة في التربية ترمي الى تحسين حال الامة
 عامة من الوجهتين العقلية والحلقية (انظر الفقرتين ٦ و ١٥) . وقال السير كاتنن
 دوكنز في ملحقة لكتاب اللورد مانر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر شبيه بمصر
 مقلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المألوبة كانت الى عهد قريب بمنم
 من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعها ومن صد حاجة الامة اليه سدا وافيا
 وقد أوتر اتفاق ما يمكن بذله من المال في هذه السبيل على توسيع نطاق التعليم ذي
 الصبغة الاوربية الذي يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه
 اليه من هناية أولي الامر الا انزرا اليسير . لذلك رأينا أن واجبنا غير مقصور على
 درس موضوع التعليم الاولي من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها بمنزلة هن سواها
 وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطه بالخططة القومية التي تتبع في التعليم بوجه عام .

ليكون اخبر بحاجاته ومذاقه ومضاره

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها ناس كبار العقول
يقودونها الى النماء ويرفعونها الى اوج العظمة . لذلك كان تعليم طبقة
رائية من الامة علما راقيا قبل تعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة
النشوء والارتقاء في الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة
قدمة وحديثة دالة على ان امما كثيرة نهضت من عثارها ونشطت
من عقابها بأفراد منها . فالغاية بتكوين افراد افذاذ في الامة
تكويننا فائقا احق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليما اعظم
ما يقال فيه انه اولي

هذا ما نراه ونشعر به ولم يسعدنا الملاحظ بان سمعنا او قرأنا ان
امة بأسرها امسكت عن التعليم المالي جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاولي
ثم اخذت بمد في اسباب التعليم العالي ، وان اوتيت اوصياء حكماء رحماء
بصراة اقرباء من الاجانب

على ان التعليم المالي لا يزال جنينا في بلادنا ، فأين بضم مدارس
اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم المالية من جامعات كبيرة تدرس
فيها كل علوم البشر امع ان العلم الذي يدرس في مدارسنا المالية لم يكن
له في البلاد من اثر ظاهر نافع الا ما كان من علم الطب

لقد كان للجنة التي رأت حاجتها الشديدة الى النظر في التعليم بوجه
عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تفتش عن حل آخر لا يمكن تفرغ الحكومة
للتعليم الاولي . ذلك بأن ترى مثلا ان في وسع الحكومة ضم مدارسها
المالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة مما في الذنقة عليها على نحو الخطة التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي فيكون دراجة لتقل التعليم المالي كله من يد الحكومة الى يد الاهال فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تنفل نفسها بجأمة لها كما جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لاتبرين الحكوميين والحاكين كما تري اللجنة في الفقرتين (١٥ و١٤) فالذي حضرها انما هو التربية المدرسية لا العلم ذاته. فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه وينزع عنه زي بلاده ويلبس الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبغت بالصبغة الغربية (فقرة ٢ و٨٨) فيممر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحمها الروح الغربي ومعلمين مغربيين او ممن خلموا عنهم رداء الوطنية الصحيحة من قبل، فيشب على عادات واخلاق تزهدده في أمه وأبيه وسائر مماشربه كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الغرور بنفسه. وما أبرد الشقة وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيج له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم فيه روحا من الزمن يفقد فيه لضمفه البقية الباقية له من سجاياء الوطنية حتى الحمودة منها ا

هذه حال نشاهدها كل يوم في اكر الشبان والشواب وقد نسوا جميعا معارفهم وعلومهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها وارادوه فليست الهوة السحيقة البعيدة النور بين الطبقة الراقية من المتعلمين وبين عامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة الراقية النفيسة التي شوهدت بتريبة لاتلائم تقاليدنا وأم: حتنا وعاداتنا

ح . بنا دلائل على ذلك ما نجده فيمن يتخرجون في مدرسة المتعلمين الناصرية ويرتدون الى أوربا بعد أن يكونوا قد صبغوا بصبغة وطنية محضة فانهم يعودون وهم الى آلمهم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم إليها قبل أن يتأدروا بلادهم لأن العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس العاقل الوسوس والاهمام والخطأ الذي يدفع بكتير من ناقصي العلم والمدارك الى استصغارهم أو ظلمهم وآلمهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لسبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تمتع عليهم الحقائق ويحاط عليهم الحابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في الهوة بين الطائفتين لا العلم المالي الذي تخشى اللجنة انتشاره قبل التعليم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال



حضرت مرة مجلساً جمعتني بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زي ظريف ويحمل عصا ونظارة وودبوساكلها من ذهب وأعجب من هذا وذاك انه يلبس سواراً من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احدهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والآخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سناً ومقاماً . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له ابوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده وينفقها كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقداراً هياً . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والادب حاول إغلاقه واستخف بأبيه وهو على مسمع ومرأى منا لا شيء .

آخر سوى الفرق بن زيه وزى أبيه والأزعات النفسية فيهما. أما المعارف
والعلوم فهو منها خالي الوفاض بأدي الانتقاض قد نسي تلكم القشور التي
قد حصلها منها.

فشل هذا سيمود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها
لا سيما إذا عاد ويده شهادة. وأي خير يرجى من مثله لبلاده؟ وأين هذا
الشاب المسكين المفروء بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصفة
وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأتم الدراسة فيها ثم سافر إلى أوروبا؟

الخيال في الشعب العربي

٢

التخييل التحضيري

تداعى الممانى بوسية التذكر للأسباب التي كنا بصدد البحث عنها، ثم
الخيلة تنتخب منها ما يناسب الغرض، وهذا العمل اعنى الانتخاب يسميه علماء
النفس تخيلا تحضيريا لأنه العمل الذي تتمكن به الخيلة من استحضار العناصر
المناسبة للرام

تقتصر الخيلة عند الانتخاب على ما يدعو إليه الغرض حتى أنها تأخذ الجسم
مقطوعا من بعض الأجزاء التي لا يدخل لها في المعنى فتصور الجواد بغير
قوائم كما قال المتنبي

أوك يجرون الحديد كأنما أتوا بجياد ما هن قوائم

والمقرب بغير ذنب كما قال أبو هلال

تبدو الثريا وأسر الذيل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وربما انتزعت المفضو من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هاني اليد فقال

ولاحت نجوم لانريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفى
 وأخذ ابن الممتر القدم فقال
 وارى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد
 واخذ آخر القلب فقال
 نقل الجبال الرواسي من موطنها أخف من رد قلب حين ينصرف

التخييل الابداعي

بعد أن تنتخب الخيلة ما يليق بالفرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف الى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التصرف تخيلا ابداعيا أو اختراعيا ويجري هذا التخييل في التشبيه والاستمارة وغيرها فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
 وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والغاء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني المدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقاص ضوءها وينرب عن الميرون مشهدها عند ما تتجلى الشمس في طلعتها الباهرة
 واما ما تذكر فيه اداة التشبيه فلا استطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لأعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج المقول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة المقول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبدهة أو اخراج الضميف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الاثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت بالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبه الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينظر فيه الباحث عن الحقائق كانه فيلسوف أو الطبيب

فلا اتفق ان وقف قتي بجانب نبي وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفث أحدهما صاحبه قيد شرب فبدا لك أن تتحدثت عنهما فقلت ولوني نظم « كان فلان

في سرعة عدوه كالغزال « لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عقد المشابهة بينهما في هذا الحال يشارك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخييل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ماجربت تسمى ولكن في الهزيمة كالغزال
حيث ان الخيال يبحث عن صورة المشبه به وهو الغزال وانتقاها من بين
سائر الصور المترابكة في المحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه
وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين الغزال
وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخييل والتشبيه الذي هو
حائذ عن طريقته فانظر الى قول الجنون

كأن القلب ليلة قيل ينفدى بيلى المامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تماجله وقد علق الجناح
فترى الخيال هنا قد تجول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع
منها هذه الممانى وهي وقوع القطاة في الشرك وعلق جناحها به ومما جلبها له كي
تتخلص منه وضم بمضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانصقت المشابهة
بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب المامرية فاخذ يرتجف وجل من لوعة الفراق
ولو نظر شاعر الى ازهار مفتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلاً
هذه الازهار في بنظرها وشذاها مثل ازهار الربا
لاستبردت شمره لا ول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر
كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

بيد أن ذلك التشبيه نفسه لو صدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعى ان هذه
الازهار ليس لها لون ولا تفحات عاطرة كالازهار التي تنبت على الربا لاصفيتها اليه
سمنك وتلقيته منه بكل وقار. وما ذاك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً
ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما القاه اليك
في صدد البحث عن الحقيقة فلا تنتظر منه أن يصله شيء من عمل الخيال
والاستمارة يصنع فيها الخيال ما يصنع في التشبيه المجرد من الاداة الا أنها
تمرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا صيف اليها
بعض معان عهد اختصاصها بنوع المشبه به أعني ما يسميه البيانون ترشيحاً ،
ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

من النفر الفر الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر
 اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفرعت الافلاك والتفت الدهر
 اراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدهية
 والسطوة التي يرهبا كل خطير فساق اليك هذا الفرض في صورة تنظر منها الى
 سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى
 فيها الحسام الواحد كيف يسلم من جفنه فترعد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر
 خذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن الفرج الذي ينبعث من مطلع
 سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الأولى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا
 التعبير المألوف الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانون بقولهم استمارة مصرحة
 ثم خيل الملك في صورة من له قلب يفرغ والدهر في صورة من له وجه
 يلتفت، والتصرح باسمهما بعد هذا التخييل يدخل به الكلام فيما يطلقون عليه
 لقب الاستمارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمعان السيوف
 وتألقها المشاهد بالابصار على نمط قول بشر

سللت له الحسام نخلت أني شققت به لدى الظلماء فجرا

ولكنك تضيع من يدك ما أفاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها،
 والنظر مقرون بطالمةا، إذ لا يلزم من لعلها في حواشي الداجية أن تلعب في
 لبتها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المنار) هذان البيتان من قصيدة للبارودي بمرض بها رائية أبي فراس
 المشهورة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد
 المنار السابع وذكرت البيتين وعلفت عليهما بمباراة لا بأس بذكرها هنا لانها في
 الاشارة الى ما فيهما من الخيال وهي :

ويانته ما أرق حاشية قوله «لها في حواشي كل داجية فجر» وما أدق غزل خياله
 فيه . وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع يلاغته السامع حتى يخيل اليه أن الأفلاك
 تصدعت مما تفرعت فيلمس رأسه مخافة أن يصيبه كف منها ويتمثل له الدهر رجلاً
 فجته المعجب ، فالتفت الى السبب، وليكاد يلقه ما يتخيل من التفات الدهر ، ويظن
 به الدهش والذعر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله
 فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنقه وشخص ببصره منب يسر ما يكون
 من فعل ذلك السيف المبتل، في يد ذلك البهمة الامثل ، وجملة ما يقال في البيتين
 السحر الذي ياخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله وحسه .

ومن التخيل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد
لصاحبه بالحدق في الصناعة وأنت تشعر بأنه عرض عليك الموهوم في حلية
المقول كقول الطائي

ولا بروعك إيماض القتير به فان ذلك ابتسام الرأي والادب
أخبر عن الشيب بأنه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان
لكل أحد ابتغاه ان تأنس المين رأيتيه ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس
هذا من قبيل التشبيه اذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يمهده السامع حتى
يقصد الشاعر الى تشبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في
الواقع ولهذا تجدد في نفسك ما يناجيك بان صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق
وان استحكم تأليفها ودق مأخذها

ومنه ما يستلحه الذوق ويسمه نظر المحقق ونجد هذا في قول زهير
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لئالت كفه الافقا
فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لك أن تطرحه من حساب
التخيلات المقبولة، وبلوغ كف الممدوح الافق لا يتفق مع النظر الصحيح
غير أن تمليقه على حصوله لانسان من قبل وايراده عقب حرف الشرط الدال
على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينسذه العقل
الى القضايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من المحافظة على وجوه شتى، ولا
يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فنلم لك بمهمات ما يصلح أن يكون بمنزلة
أصل تنفرع عليه تفاصيلها

أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر فغلا سفيننا

فإنه اضرد في حلية الفخر حتى وصل الى التعبير عن منعة الجانب، والسطوة
التي لا يفوتها هارب، فخطر له أن يثبت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز
ما يرهبون به عدوهم فذكر أنهم ملأوا البر جندا حتى لم يبق فيه متسع ويملاون
ظهر البحر بالمنفآت من السفن ليندل بهذا على أنهم لا يبالون بالعدو من أي

ناحية هجم ولا يتعاصى عليهم ادراكه في أي موطن ضرب بخيامه
والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته
وسفنه حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما
تغص الشكنة بمجنودهم وان البحر يتموج بسفهم كوج السماء المصحبة
بكواكبها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يصف وقمة الاسد حين قسه بالضربة
القاضية على شطرين

فخر مضر جا بدم كاني هدمت به بناء مشمخرا
فقد تخيل عند ما سقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ ونمضه
من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجثة الاسد الى أن
جعلها في العظم بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقا
ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كفى بجسمي نحو لا أنبي رجل لولا مخالفتي اياك لم ترني
وقوله ولوقلم أقيت في شق رأسه وخط به ما غير الخط كاتب
فالسب وان قلب على فراش الهجر أمدا طويلا وأكل الوجد من لحمه حتى
شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يسئل في مخافة الجسم الى أن يسعه شق رأس
القلم أو يخفى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر
ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخالفته للناس هي التي تهديهم الى مكانه
فيصرونه، ولولا ما لبتي محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبالتهم، وادعى في البيت
الثاني أنه لو وقع في شق البراعة وانطلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله
ومنها — جعل الموجود بمنزلة الممدوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كاني لم آتها
وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى واقتحام الاخطار بجنان ثابت وعزم
لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفرع للمتهاها انه لم يكن قد خاض
غمارها، وراها كيف تنشب أظفارها، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن المطلوب
المدحمة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقعتها في مجرى العادة الامن حاد عن ساحتها،
وجذب عنانه عن السير في ناحيتها،
ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولها في هذا المقام أربعة

أحواياها (تخييل المحسوس في صورة المحسوس كما في قول زهير
بحرور البرود وقد تمت حيا الكناس فيهم والنساء
نحوه فاني من أسيرت مقاتلهم ولم تهرق دماء

فهذا الشعر يصور لك من دارت نشوة السكر والنساء برؤسهم، فأجهزت على
البقية من شعورهم، في صورة قتلى لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق
أوسقاء سم دب ديب الحر في مفاصلهم

(ثانيها) تخييل المقول في صورة المحسوس كما في قول الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت هلام تنحب الفتاة
فقلت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا
تصور المروءة في زي فتاة فتسنى له أن يسند إليها البكاء ويصدق بينه وبينها
هذه المحاورة

(ثالثها) تخييل المقول في معنى المقول وهذا كمن تخيل المذلة في معنى الكفر فقال

أمطري لؤلؤا جبال مرنديب وفيضي أجيال تكرور تبرا
منزلي منزل الكرام ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا
(رابعها) تخييل المحسوس في صورة المقول، وهذا لم نمره على مثال في كلام

العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المرثدين بإيراد
المحسوس في معرض المقول كقول التنوخي

فأهض بنار الی فحم كأنهما في المين ظلم وانصاف قد انقما
وقول الفاروق

تمر مع الاتراب بالحيف من منى مرور الماني في مغاور أفكارى
وقد يمد الشاعر الى بعض الماني وينفيه عن أفراد اليهودة و يشبه لأفراد مفهوم
آخر وتجهد هذا في قول بعضهم

ليس من مات فاصراع بميت انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كثيرا كاسفا باله قليل الرجاء
فقد نفي أن يكون من قضى نحبه ميتا وأطلق اسم الميت هلى من فاضت نفسه

كآبة وضاق صدره بأساء على طريقة القصر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع
اسم الميت إنما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصا منه، والذي أخذ
به إلى هذه الدعوى ما تخيله من أن خواص الراحل إلى القبر وهي مفارقة ما كان يتمتع
به من طيبات الحياة وانقطاع أوله منها ونكد يده من العمل فيها توجد باجمها في
الكثيب اليأس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا هلى مطية الذون لانه
يزيد عليهم في الشقاء بأنه يعلى نار الحسرة والاسف بكرة وعشيا
وقد يكون الامر مر بوطا بملة محققة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من
عنده وتجد هذا في قول أبي العباس الضبي

لا تركزن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين تتدل الى الغروب
وتتطفيء بهرئها إنما هو الوجع والحلم من مفارقة الناس الذين طالعت عليهم ذلك اليوم
حيث اتصت بينهم وبينها فيما يزعم عاطفه ألفة وإيتاس
ومما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد ينساقط في حديقة

هز النسيم غصون الروض في سحر كما بهز بنات القادة الوتر
لقد (١) الخفيف على اذن السحاب أما تراه يحشو على أدواحها دررا
وقلت وقد أخذت الريح تصف في روض

قام هذا الروض بشدو مادحا بلسان البلب الزاهي سجايا
وتأدى فاليا في مدحه فحمت في وجهه الريح ترابا
وقلت في حال أشجار تراكم عليها التاج ثم ضربت فيها الشمس فاخذت تقاطر عن جوانبها
انسج الغمام لهذه الأشجار من فزل الثلج براقما وجلايا
والشمس تبعث في الضحى بأشعة تسطو على تلك الثياب نواها
فبكت الكشف حجابها أو ما ترى عبرتها بين الغصون سواكبا
وقلت في حمرة الشفق

فقل اللجى هذا النار ودمه تحت التراب مضرجا بدمائه
(١١١ - ٣) (٢٩) (المجلد الثاني والثمانون)

فخذوا من الشفق الشهادة أنه لطخ من الدم نال ذيل رداؤه (٢).
 ودبما يصاغ التليل في قلب التشبيه كقول أبي تمام
 كأن السحاب الغرقين نحتها حبيبا فلا ترقا لمن مدام
 فلو حذفنا أداة التشبيه هنا لكان الباقي بمنزلة العلة الخيالية لتزول الغيث المتسجم من
 ينابيع السحاب، واقترانه بأداة التشبيه يجعله بحيث بسكت عنه العقل ولا يمانعه من أن
 يدخل في سبيل الماني الصادقة.

ومما نظمت على هذا المثال وكان الجو يتدفع وقت السحر بنثار من الثلج
 تطاول هذا الليل والجو مزبد فضاقت بأواج الثلوج مسالكه
 كأنني أذيب الصبح بالحدق التي يقلبها وجدي وتلك صباثكه
 وقد بقر الشاعر معنى ثم يقابله بأمر أوضح منه عند المخاطب دون أن يصرح
 فيه بأداة تشبيه بل تكون مصدرة بأداة استفهام كقول مسكين الدارمي
 وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح
 أو بأداة التوكيد فقط كقول أبي العتاهية
 ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس
 أو تقرن أداة التوكيد بالفاء كقول بشار
 فلا نجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم
 أو بالفاء وحدها كقول بعضهم

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطير برقص مذبوحة من الألم
 ولنوجه البحث إلى معنى البيت الأول ثم لا يشبهه طيرك بعد تحرير الغرض منه
 إن بقية الآيات جارية بمعنى التمثيل، أو ذاهبة مذهب الاستدلال والتعابيل
 صدر الدارمي البيت بجمل ابن عم المرء بمكان الجناح له، والشطر الثاني ينفي
 عن البازي أن ينهض بغير جناح ومعنى الشطرين لا يتشتم إلا بملاحظة جملة مطوية
 ما بين الصدر والمجز لم يفصح عنها الشاعر بسهولة مأخذها وبعد ملاحظة تلك الجملة
 يكون مفاد البيت أن ابن عم المرء بمنزلة جناحه فلا يقدر أن يقوم بأعباء الحياة أو يدرك
 فيها هاية شريفة إلا بماضته كما أن البازي لا ينهض إلى الطيران إلا إذا ساعده

بجناحه والقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه نعمة جنة البازي الى جناحه وليس القصد الاستدلال حتى يتحقق يبيت أي تمام المسوق فيما سلف للاستشهاد على التخييل الذي يراد منه المحادعة وقول الدماميني

فلا تعجبوا يوماً لكسر جفونها فان اثناء الحمر في الشرع يكسر
فلا اسلوب في نفسه وارد في الفرضين غير ان فخوى الكلام ومجرى الخطاب
وطبيعة المعنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل
وقد يعمد الى أمرين يعدهما الناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيمقد
بينهما تشابهاً وتجد هذا في قول المرعي

وشبيه صوت النمي اذا قيد من بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة ام غنة منت على غضن دوحها المياد

فالمهود ان النفس ترتاع لصوت النمي وتتفلتر حزناً، وترتاح لصوت البشير
وتأنس له طرباً، ولكن الحكيم يفرض في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تصير
اليه من المواقب، فيتراهي له ان ليس في الحياة ما يدعوا الى لذة، او يستثير النفس
الى جزع، فتكون نعمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا
ما بين النواح والحداء (له بقية)

٥- باب الاخبار التاريخية والآراء

تفرق العرب واختلافهم في جزيرة

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استحضار عظيم
عند أولي الرأي والنيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والمشرين
في مسألة الخلاف بين الحجاز ونجد - تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه
المسألة في سورية اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذاك
وأكبر معائب العرب بأئمتهم وأمرائهم انهم قد ازدادوا تفرقا وتماديا
وعندانا وتقائلا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتساق والتواد والتعاون فيما بينهم،
وقد رأينا في جريدة القبلة المكية التي هي لسان حكومة الحجاز ورأيها مقابلا
في التعادي والتقاتل بين العرب السموديين ومن يتصل بهم من عرب نجد

والكويت واليمن وبين عرب عسير الادريسين وعرب اليمن العليا التابعين للإمام يحيى ، وهذه الجريدة تلقي تبعة ذلك على الامام ابن سمود وعلى السيد الادريسي اللذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان نحن عرب نغار على جميع العرب ، ومسلمون تفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب والعجم ونهتم بأمر حفظها وصيانتها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا ، وقد حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليفه ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسوله وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام . فلا يجوز أن يقع في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولا أن يكونا موضعا للنزاعات الحربية ولا السياسية لانها قد تفضي الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى الحكومات الاسلامية العربية المجاورة للحرمين التصدي لاصلاح ذات البين ولو بقتال الفتنة الباغية حتى تهيء الى أمر الله ، ولكن مثل هذا الاقتراح لا ارجى فائدته بالاخلاق الذي يطلبه المسلمون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة بنصر احدي الطائفتين على الاخرى ، واننا نحشى ان نرى الحرمين في يوم قريب ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثناءه وتنتهك فيه حرمة بيت الله تعالى وحرمة أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلتلافي ذلك نعرض على أهل الرأي والحصافة والمكاتب من المسلمين الاقتراح الآتي

اقترح لهيأة الحرمين الشريفين من الحرب

وعمرانها وأمنها

للقطر الحجازي سنة لا يشاركه فيها قطر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواء لاهله الامتياز فيه على غيرهم بالحكم والتصرف في حكمته وأرضه ومرافقه والحكومة أن توالي وتعادي وتعاود وتعاهد من تشاء وتعلم من دخلوا عند الحاجة من تشاء . وتأذن فيه لمن تشاء بحسب قوانينهم والقانون الدولي العام

واما الحجاز فحرم الله وحرم رسوله اللذين حرم الله فيهما ما لم يحرم في

غيرها كأكل العبد وترويمه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من الابدان
 بشره في غيره فوجب على مسلمي جميع الاقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص)
 شد الرحال الى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدم لا يباح لتبرم
 الإقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته، وامتن الله على عباده بجعل جوار
 بيته حرماً آمناً وجهه مثابة للناس وأماناً وقال فيه (ومن دخله كان آمناً) وقال (والمسجد
 الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من
 عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابة والتابعين إن خلق الله فيه
 سواء لا فرق بين المقيم بمكة وغيره ممن يحججه من سائر الاقطان وأنه يجب على أهل مكة
 أن لا يمنعوا أحداً من الحاج مشاركتهم في سكنى بيوتهم وحرم بمضى السلف أخذ الاجرة
 منهم وكرها بمضى آخر بل روى في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي (ص) وإن رسول
 الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت رباح مكة تدعى الاالسوانب
 من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا يهتفون أن يكون لبيوتها أبواب لثلاث يكون
 منها من دخولها. وليس هذا الاقتراح بالذي يتبع لنقل الروايات ومذاهب الائمة
 فيها وربما خصصنا له مقالا بعد

وقد روي عنهم في تفسير الاحاد والظلم في الحرم تشديد عظيم فلم يقتصروا
 بارتكاب ما حرمه الله هنالك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه الا فيه بل جعلوا من
 معناه مضاعفة السببات وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك
 ألم بالسيرة والمزم عليها ولو قبل الوصول الى مكة. وفي الحديث احتكار الطعام بمكة
 الحاد، وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: تجارة الأمير بمكة الحاد
 قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاز فلم يقوموا به حق القيام ولم يتخذوا وصية
 الرسول الاخيرة فيه وهو المقصود الامم من وصيته في جزيرة العرب حتى وهم بعض
 العلماء انه هو المراد بـ اخلافا للمبادر من لفظ الحديث ولا مراة في ان الحاجة الى العناية
 به في هذا الزمان أشد من كل الازمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها
 فاكثرت مسلمي هذا العصر تابعون لحكومات غير اسلامية تهتم بنهايتهم وشؤونهم في
 سفرهم الى الحجاز فاذا وقع فيه قتال فأنتم منهم من اداه فريضة الحج في انحاءها وكان

الحكومة الحجازية والسائر الحكومات من حق قتل المقاتلين الودية وعلان الحرب على أي دولة يقيم بينها وبينها ما يقضي ذلك فان هذا يبيح للدولة الحاربة لها الهجوم على الحرمين والأمدلاء عليهما أو حصرهما ومنع الاقوات وغيرها عنهم كما أنه قد يدور الدول الأجنبية الى منعهن عاباها المسلمين من السفر اليه للحج ولا سيما اذا كانت مما دبتة، وكل هذا ينافي مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنوية ترجح على المفسد الكثيرة التي اكتفينا بالإشارة اليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وأما المصلحة الاسلامية العامة أن يكون الحرمين الشريفان وصياجهما من البلاد قطراً حراً مسلماً لجميع الامم والدول ليكون مصوناً من الاعتداء عليه وانتهك حرمة ويكون ركن الحج من أركان الاسلام قائماً أبداً - بل لينتجق وأما جعل الله تعالى اياه حرماً آمناً وكون من دخله آمناً وكونه لجميع المسلمين سواء المالك فيه والبادي لا تعدي فيه ولا الخاء

فتتفرح على أهل الفجرة الاسلامية من مساعي الحجاز وسائر الاقطار أن يسعوا الى هذه المصلحة صعبا وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام الحكومة الحجازية على أساسه على جعل الحجاز قطراً مسلماً على الحياض لان تكون حكومته خاضعة ولا عدو الدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تمتدي ولا يمتدى عليها ولا يخاف منها، وان تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل النموذ من مسلمي جميع الاقطار الى جعل جميع الحكومات المجاورة لها وسائر الحكومات التي لها رعايا مسلمون يركبون متنون البحار ويشدون الرحال الى الحرمين الشريفين للذبح والعبادة فيهما . وانظن أن جميع الدول تجيب الى هذا ولا تعارض فيه

نعرض هذا لاقتراح مجمل على العالم الاسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشرف الحرمين وعلمائه لبيان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمنار مستعداً لنشر ما يأتيه فيه . وان كان لا بد من التذكير ببعض التفاصيل فيها فإمكن اقتراح انشاء محكمة اسلامية محكمة يكون لكل قلم اسلامي حق تمثيله فيها بمضرم من علماء الشرع المنسبين الى المذاهب الاسلامية التي يستقبل المتبعون لها هذا البيت في صلاتهم ويحجونه لاجل محاكمة من يتعدى في تلك البلاد على مال

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه الطعن في المذاهب فإن ضمان حرية كل منهم إلى مذهب من مذاهب المسالمين في تلك البلاد التي لهم حق أداء النسك فيها يستلزم أن لا يظلم أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الأخطاء في الحرمين بل إذا قيل أنه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الإسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومرافقة إقامة الشعائر فيه مع من العالم كما أن عليهم أن يتعاونوا على كفاية أهله الحاجة وأهنا أعرابه عن التمدد وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المسجدين الأشرفين مثابة للناس في العلم وفي العبادة جميعاً - إذا قيل هذا كله - رجونا أن يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقبول حسن ويتكاتفوا على القيام به حتى القبل لعل الملك حينئذ يقبل هذا الاقتراح ويبادر إلى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يضموا له مشروع النظام وينشر في جريدة القبل ويؤثر به منه نسخ إلى المدن الإسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لأخذ رأي أهل العلم والطبقة فيه ويضرب موسم الحج القابل موهدا لتنفيذه بعد جمع الآراء وتجميعها فيه بمرضاها على لجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الأقطار علماء ورأياء حينئذ يكون سعي هؤلاء المسالمين لموافقة الحكومات على حيادته وأهله مراد النجاح في أقرب وقت

رائنا نرى أن هذا المشروع إذا تم يسهل ما اقترحناه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين أمراء العرب إذا دونه والهدوء الذي ينتج عنه لهم كل عربي بل كل مسلم يفقه الإسلام ويقار على مصالح أهله فإن يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يترتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقها وتكثير موارده وتعمير أهله ونشر العلم فيه وفي ذلك من المصالح والمنافع ، والله الموفق

(كلمة للمصحف الإسلامية)

نرجو من حرفائنا الكرام أصحاب المصحف الإسلامية في جميع الأقطار أن يبينوا رأيهم في هذا الاقتراح ويحتموا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

وثائق تاريخية، في المسألة العربية

لشرنا في مجلدات المنار — ١٩ — ٢٠ عدة وثائق وحوادث يصح ان يرجع اليها في تاريخ ما يسمى المسألة العربية . وسنشر في هذا المجلد وثائق أخرى من رسمية حقيقة أو حكما وغير رسمية ما يعتمد في ذلك ونذكرها بالعدد

١

كتاب من ملك الطجاز الى نائب ملك الانكبار بمصر

هذا الكتاب نشر في العدد ٢٩١ من جريدة (القبلة) الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٢٠ بعد مقدمة وجيزة ويليه تعليق عليه في الافتخار به من قبل الجريدة ونحن ننقله عن هذا العدد وان نشر بعده مرة أخرى . وهذا نص ما جاء فيه تحت عنوان (الامى والحزن)

« اذا تأملنا ما هو واقع في ساحل البلاد على البحر المتوسط وشماله مما تنقله الصحف وترويه البرقيات من الحوادث والبواشع تجد أن قولنا (الامى والحزن) لا يفي عن تصوير تلك الحالة . وليس لنا ما نقوله عنها الا : ينتقم الله من أنور وطلعت واخوانهم ومن نحاحهم وآلمهم وشيبتهم . لنا ولكل سكان الدولة التركية من ساطانها الى راعي غنمها بما جرره على تركيا بانقائها في هاريتهم الخاضرة التي لا يعلم شأن نتيجتها والتي تنقل لنا تفاصيلها صحف العالم بأسره مما يجعلنا في دعة رسكون . أن لا نتكلم أو نبشع هها كانت ترمينا به سهام الاغراض على اختلاف نزعاتها مما يجعلنا أن نقول (وقل اعلموا فبيري الله علمكم ورسوله)

ولحسن الحظ منعنا بالوقوف على صورة تحرير من مولانا المنقذ^(١) بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نفس علينا ما آله شيئا مما نجده عن حالة البلاد العربية وما يقل عن قيامها وخروجها عن المبالك (الانورية) والجنابات (السامانية) وهذه صورة الكتاب
 (صورة تحريرنا لفخامة نائب الملك بمصر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦)
 ما رأيت خصوصا بهذا الاثناء من اعتناء فخامتكم وثأ كيداتها في ازالة أسباب

دراهم سوء التفاهم الذي لا أرتاب بأن المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثر حريات
مخلصكم خاصة . لذا ولما تكونه للواد البسيطة أيضا من ذلك المعنى رأيت أن أتبين
من حكومة جلالة الملك في الأساس المقرر مع ههنا في النهضة وما بنيت عليه من
مواد الاتفاق التقدم بطيه بيانها بأني ما طلبت لبلاد أمام حكومة جلالة الملك ما طلبته
من المواد التي تعهدت ههنا بها رغبتني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لا سنائر
بما كبتها أو حرصا على جاهها أوريها لها لكن عند ما ذهبتى برطانيا إلى ما ذهبتى إليه
وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضا تأمين مصالحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يهني
الإجابة وطالبي أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولا : لحفاظة الكيان للعالم الاسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتوكيا

ثانيا : صيانة العظمة البريطانية من الاستهداف مما سترى به عكس مقاصدها

ثالثا : سلامتي من الاتهام بالتواطى . مع ما ضد الأساس المقصود بالنهضة

نعم أي لم أجد من جناب الفاضل الأديب المشرف «استورس» عند اجتماعي

بمخبرته في السنة الأولى بمجدة ثم بعده بمخبرة الشهم الهمام السبر «مارك سايكس»

ثم في السنة الماضية بالقومندان الهمام «هوغورت» الموقر - ما يشير إلى ما يخالف أو

يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعنا وتتماته الحياتية من الرقة وما

يتصادف من بعض حالات يستدعى سياقها زيادة تعين الامروتا كدالحقيقة عن

الحدود فقط والاباقي المواد فانا لنعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكرا يعملا الخافقين

خصوصا أمر الاعانات عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساسا أو حدث

ما يوجب تعديلها الأمر الذي لأقول أنه يمس كيان العالم الاسلامي ولكني أظن

وبعض الظن اثم أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكري الخصوصي فني

أضفنا عليه تظاهر عجزني بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم علي

الانسحاب من الامر والتنازل عنه لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا

المذكورة بصرف النظر عما في اخلاجه بالغايات المقصودة الاساسية وعرضنا

لمذمر مرادنا الثلاثة آتفة البيان وطمس صحيفة تاريخي فهو ريز ويستقطني من

ثقة واعتماد بلادي وأقوامي الاقرين حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي

أعلنتها لهم وسرحت بها شفاهاً وثمريرا في ظرف هذه المدة وأستغني عن الاعمال

(١١١ : ٣ - ٣) (٣٠) (١١١ : ١١١)

وأكون خدعت نفسي وغششتكم بأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد
 بالفتن والثورات ونحوها مما لا يمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيد
 حزين كل ظن حكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاصي بجزري أن أقول من
 الآن ان مبادي هذه الخطرية على وشك التحسس بها بالنسبة للطلبات المتكررة
 المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أؤدفعهم به الا قولي ان
 استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا
 بأوجه أخر. وعليه فان كان ولا بد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانسحاب
 ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لا تقصد
 عرضي ولا لفكر فرضي ، وانما لا ترتاب في أي وأولادي اصدقائها الذين
 لا تفيزهم الطواري والاهواء. ثم نعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر
 اليها في أول فرصة. وان رأيت ذلك ولكن مشا كل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله
 الى ختامها لحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات أمام ما سيضعف علينا
 من التهمات ونحوه من المموم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالامر
 اليها. أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن
 لاعلاقة لنا به ولا مناسبة بيننا وايه حتى ننتظر منه سلباً أو ايجاباً ولو قرر
 المؤتمر المذكور أضاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلنا ما فنكن
 من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل
 اليه بكل آلائه أن يتولانا جيماً بعنايات رافته الاحدية، وقبول ما أقدمه
 لغضامتك في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم» انتهى

(القبلة) بالطبع انا لا ندري ما كان من الرد على هذا التحرير السامي ولا
 عن مواد الاتفاق ولكننا ندري أنه بادني تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير
 لم يدع نقطة مادية أو مضموية تتعاق أساساً بأساس (النهضة) وسائر محتوياتها
 وما بنيت عليه في ذاتها وما يتعلق بالعالم سواء في الماضي أو الحال أو المستقبل
 . لا . بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل ما يتعلق بها بسائر الواجه ؛
 فإذا عسى أن يقول القائلون في هذا التنبأ السياسي وتزاهة الضمير عن
 الذاتيات والشخصيات في كل ما يتعلق بنفس (النهضة) أو بالعالم
 وكيف لا نقول بهذا التنبأ في التحرير العالي وهو صادر منذ سنتين تقريباً
 يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتنافسون ؛ ولئن فليجمل المتأملون

نعم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجزئية مما
احتواها تحرير مولاه المنقذ ؟
فلا عجب على «القبلة» أن تقول: (لمثل هذا فليعمل الماملون)
ومتى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والخناس
من الجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة « اه
(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه ، ومتى عادت حرية النشر الى ما كانت
عليه نقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها كلمتنا التي نظن أنها لا تخطر لاحد
من محزري جريدة القبلة على بال

٢-٣-٤

حديث الامير فيصل — رواية حكمة مكة عن مامدتها مع

انكلترة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد الدمشقية في الشام يتضمن
ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية المظلي نشرته هذه
الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (الموافق
١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل .
وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لا ريب في ان كل عربي تهمة مصلحة البلاد العامة يتناول الى الوقوف على
سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف
سموه تجاه السياسة الاوربية وجلالة والده الملك الممنم والامة العربية جماء
والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه
لجرى بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره واحاطة
القراء بدقيقه وجليله والى القراء ما دار بينهما .

ابتداءً أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا يا صاحب السمو في العدد
المؤرخ بثامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة المبادرة في مكة المكرمة

اعلانا رسميا بقول به والدمك صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من الحلفاء الكرام تقضي باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالته ينشرها للملا عند الحاجة فهل لسموكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟ سمو الامير - ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد طلبت منه صراحا ان يجعلها سلاحا لي اذا كانت موجودة ولا أعلم ما سبب تأخيره ارسالها لي واكتفاء جلالته برسالة صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك المعاهدة وها أنا اعطيك تلك الصورة ويمكنك نشرها - وهذا نصها بحروفها :

صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى

بشأن النهضة (٥)

(١) - تتمهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل مماني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالاً ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات ويتضمنه مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتمهد هذه الحكومة رعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحمل عنها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد .

(٢) - تتمهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمدد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام حين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي حين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) - تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية حينما يتم للحكومة الخدمية المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النفود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكما فاقصرة في حضن

(٥) تعبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عنها بالنهضة

بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال .
(٤) - تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما يحتاجه ربيبتها الخشنة
العربية من الاسلحة ومهماتا والذخائر والنقود مدة الحرب .
(٥) - تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو خاضع
من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها .
قال سمو الامير : ولكنني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قدمت هذه
الصورة الى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لا يوجد
عهد ولا كتاب كعهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها لنا
رسالة من السر هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السر هنري مكماهون الى جلالة الملك الممقام بمكة

في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة
الى الغرب من مقاطعات دمشق وحمص وحمه وحلب لا يمكن تسميتها عربية
محضة فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي بينتموها - وأنه يمتنفي ههنا
التعديل ومن غير اخلاص بما هداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب تقبل الحدود
على ما ذكرتموه

« ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حربية العمل فيها من غير انفراد
بمصلح حليفتها « فرنسا » فان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطى
التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : -

ان بريطانيا العظمى مستعدة بعد التمديدات المذكورة آنفاً : ان يجرى
باستقلال العرب والاخذ بناصرهم وذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة .
« أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا ارضيهم في بلادنا
العظمى ومعالجتها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتها وحمايتها من كل اعتداء
أجنبي ولا ارتقاء أهاليها والمحافظة على مصالحنا المشتركة فيها (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت نائب تلك المعاهدة من مكة المكرمة
ولكنها وبالاسف لم ترد علي حتى الآن . فهذا لا يمكنني ان أقول ان

التارجية البريطانية مخالفة للحقيقة باقوالها ولا أقول أن حكومة مكة تقول غير الواقع . فاذا كان لدى حكومة مكة المكرمة عهد كهذا فتأخير ابرازه في هذا الوقت الذي وضعت به مسألة العرب على بساط البحث وقد أوشك المؤتمر أن يبت بشأنها مضر جدا لان هذه المعاهدة لم تعقد الا لتبرز في مثل هذا اليوم العصيب ويعمل بموجبها وقد الححت في المدة الاخيرة على جلالة والذي بارسالها وأملتها ستصلني عما قريب فاذا وصلت سيكون لي موقف في النوادي السياسية غير موقفي الحاضر

سؤال : هل دفاعكم في مؤتمر السلم سيكون خاصا في شؤون سورية أم يتناول المسألة العربية كلها (١)

جواب : ان صفتي في مؤتمر السلام هو تمثيل والذي وحكومته الذي قام مدافعا عن حقوق العرب باجمعها فاذا تخليت عن جانب من بلاد العرب المحررة من الاتراك أكون قد نصرت بواجبي السياسي وأخلت بما أودع الي من الوظائف فلذا يتحتم علي أن أضع المسألة العربية برمتها موضع البحث وأدافع عنها باسم جلالة الملك .

سؤال : في كتاب السرمكاهون الذي تقدم الكلام عنه ما يتعلق بفلسطين وبفداد والبصرة ثا رأي سموكم فيها ينطوي عليه وهل صرحت لكم الحكومة البريطانية بشيء بعده

جواب : اذا وجد ذلك العهد الذي أعلن جلالة والذي وجوده فانن الحكومة البريطانية ستكون مسئلة الى تشكيل الوحدة العربية والاعتراف بالاستقلال العربي . وأما اذا لم يوجد فخكومة انكاثرا ملزمة بمقتضى عهدا الوارد في كتاب السرمكاهون أن تؤلف حكومة في العراق تكفل مصالح العرب والبريطانيين معا وأن تعترف بان فلسطين والموصل عربيتان داخلتان في ضمن الحكومة السورية . والصدافة التي بيننا وبين الحكومة البريطانية تجعلني اواصل البحث فيما هو واجب على انكاثرا أجراءه في الملك والبندان التي هي الان تحت أشغالها العسكرية . وأملني عظيم بانها ستقوم بمهودها

سؤال : هل تفكرون برفض ما تدعيه الحكومتان الفرنسية والانكليزية

(١) سبب هذا السؤال أن الامير كان عازما على العودة الى أوروبا لحضور مؤتمر سان ريمو الذي حضره الامير كما حضره الامير الانكليزي والفرنسي والبريطاني والاسباني والبرتغالي

من الحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وما هي خطة سموكم في هذا الأمر؟

جواب: اني لا أتصور أن أقابل جميل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بأن لهما منافع أديية واقتصادية يجب احترامها ولكن في الوقت نفسه أو مل أن ننظر اليها هاتان الحكومتان بنظر الاحترام والى حقوقنا بنظر الانصاف والمدل، وان لا نطالبنا بما يخل باستقلالنا ورفينا المادي والمعنوي وان لا نجبرانا على اتباع تقاليدهما على العمياء بل نأخذ منهما ما طاب من مدينتهما الحديثة ونترك ما هو مخالف لمدينتنا وعصماتنا التاريخية.

سؤال: نشرنا في المفيد برقية منقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فما ترون فيها؟

جواب: ان التوكيل يدافع في قضيته على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم نادلا فلا شك بأن التوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولاً - وأنا في هذه الحالة لافرق بيني وبين وكلاء الدعاوي امام المحاكم فدافعتي تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية، وعلى كل فاني أو مل من رجال الحكومات والامم المتقدمة ان ننظر اليها بعين الحب ولا نهضم لنا حقاً كما تتمكن من خدمة المدينة الحاضرة كما خدم أجدادنا المدينة النابرة.

سؤال: كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى « معاهدة سايكس بيكو » نشرها جمال باشا زاعماً ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عند ما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوروبا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذاً لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الاماكن الرسمية أو اطلتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها؟

جواب: حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والدي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فسأل جلالة الحكومة البريطانية بواسطه معتمده بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكتاب منه: « ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات مؤقتة بين انكلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل او الخبث غير في مقصدها الاساسي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضئ الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ما وقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى «

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن معترفاً بها اعترافاً رسمياً لدى والدي والعرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بتاتاً بحيث أصبحت كأنها لم تكن وتصريحات الحكومات بالغاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لانعترف بتلك المعاهدة . اه

(المنار) هذا ما صرح به الامير فيصل في دمشق قبل نصبه ملكاً على سورية فيها بزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلعاً على شيء غير ما ذكر فيه مما دار بين والده وبريطانية العظمى من الاتفاق الذي حمله على الخروج عن الدولة العثمانية ومحاربتها مع الحلفاء وكان هو القائد لجيش والده في هذه الحرب بل كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتماداً على ان بيده شيئاً وظاهر ان كلا من الروايتين مبين لمصلحة العرب ومناف لحرمتهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانيا العظمى لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للإمبراطورية الانكليزية ويحول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاءت منها بحجة منع الثورات والفتن الداخلية دع اطاعتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين المرهزي مكاهون بالنيابة عن حكومته وبين شريف مكة وأميرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانجليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بمض ما جاء في تلك المعاهدة بالمعنى على ما تذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكولونيل الانكليزي لورانس مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها

المسحاة

١٣١٥

بغير عادي الذين يستعملون القول فينبول أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الآداب

بغير عادي الذين يستعملون القول فينبول أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الآداب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى « ومنارا » كثر الطرق للاسلام

مهر ٢٩ رجب ١٣٣٩ - ١٨ الحبل (١) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٨ مارس ١٩٢١

وَسَيُكَلِّمُكَ فِيهِ الْبَنَاتُ

فصحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسمع الناس عامة، ولشروط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقباب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(النيل والفرات وتمدية التمزية وأهل الفترة)

(ص ٤ - ٦) من صاحب الامضاء في بلدة - الملاقة - مصر

حضرة الاستاذ العلامة صاحب الفضيلة منشيء مجلة المنار الفراء
سلام عليكم ورحمة الله. اما بعد فهذه رسالة نذكركم فيها بما أرسلناه الى
فضيلتكم سابقاً راجين ان تجيبونا عما تتضمنه من الاسئلة بما نمده فيكم من
شافي الجواب وفصل الخطاب

الاول: روى الصحيحان من حديث الاسراء ان النبي (ص) قال فيما يحدث
عن الجنة ان بها نهرين ظاهرين هما النيل والفرات وان منبعا في أعلى صدره
المنتهى ونهرين باطنين ينبعان من أصل الصدر. وقد أصبح مما لا ريب فيه ان
كلا من النيل والفرات له منابع خاصة فلا نستطيع التوفيق بين الحديث وبين
ما اثبتته العلم الحديث حتى لقد قال بعض الناقدين في الحديث من العلماء انه
موضوع اذ ليس بعد البيان من دليل وقوى ذلك اضطراب روايات الحديث
خصوصاً ما روي عن ام هانيء انها صلت مع النبي (ص) المشاء ثم باتت عندها

ومعلوم انه لم يكن قبل الاسراء عشاء مع اتفاق اهل السير على انها لم تسلم الا يوم الفتح او بعده

الثاني : نقلت في احد المجلدين (الرابع او الخامس) عن امام اللغة الشيخ الفنقيطي (رح) ان عزي من التعزية بالميت لا تشمل الامتعية بمن خلافا للشهور من تمديتها بالباء ولكن العرب قد استعملوها متعديه بالباء قال شاعرهم في رثاء محمد بن يحيى (بلسان الندى والجود)

فقالا أفتنا كي نعزي بفقدك مسافة يوم ثم تلوته في غد

الثالث : يكاد اهل السنة يتفقون على ان اهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام فكيف يتفق هذا مع ماورد في صحيح مسلم من عدم الاذن للنبي (ص) في الاستغفار لامة وما ورد في الصحيحين وغيرهما من قوله (ص) لا عمرابي «ان ابي واباك في النار» وهل ما يروونه في تمذيب حاتم وامريء القيس وغيرهما صحيح يمول عليه ام لامع ملاحظة عدم قرينة تدل على تأويل الاب بالعم في الحديث السابق؟ ولماذا لم يكن ابواه (ص) من اهل الفترة الناجين؟ هذا ونرجو من فضيلتكم عدم ارجائها حتى لا نضجونا الى تذكر آخر واقبلوا منا في الحتام التحية والمودة الخالصة الاخ المخلص احمد عطية قرره

[الجواب عن الاول]

(خروج النيل والفرات من سدرة المنتهى وكونهما من الجنة)

في حديث أنس بن مالك بن مسعدة انه (ص) لما ذكر سدرة المنتهى قال «واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبرئيل» قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفي رواية أخرى لحديث المعراج عند البخاري «فاذا في أصلها أربعة أنهار» وفي رواية «ينخرج من أصلها أربعة أنهار» وقد اختلفت الروايات في سدرة المنتهى ففي بعضها أنها في السماء السادسة وفي بعضها أنها في السابعة وفي أخرى أنها في الجنة وقال القاضي عياض هي في الارض . وفي بعض الروايات أن النبي (ص) رفع اليها وفي بعضها أنها من رفعت اليه حتى رأها . وفي رواية شريك لحديث المعراج في كتاب التوحيد من صحيح

البخاري أنه رأى في السماء الدنيا نهرين يتردان فقال له جبريل هما النيل والفرات،
فروايات حديث المراج مضطربة المتن في هذه المسألة وغيرها كثيرة التعارض
والاختلاف كما يناه منذ صنين .

والظاهر أن من أسباب الاضطراب والاختلاف في هذه الأحاديث روايتها
بالمعنى ولم يبرهون العلماء المتقدمين حاجة إلى ردها بالاضطراب ولا تأويل هذه
المسألة فيما أولوا قالوا لأنها لا تنافي العقل وقائهم أنها تخالف ما هو أقوى من
دلالة العقل الذي يكثر غلطه في النظريات وهو الحق فان الألوف من الناس رأوا
منبع النيل والفرات بأعينهم وفي مصر كتاب مطبوع فيه رسم بحيرات النيل التي ينبع
منها ويجراه من أوله إلى مصبه في البحر المتوسط

قال النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على
أن أصل صدرة المنتهى في الأرض خروج النيل والفرات من أصلها زاد الحنفية في
شرح البخاري : وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض فيلزم منه أن يكون أصل الصدرية
في الأرض . ورد النووي قول القاضي بظاهر معنى الحديث وكونه لا يمتنع عقل ولا شرع
ثم ذكر النووي في شرح حديث أبي هريرة عند مسلم في المسألة « سيجان وجيجان
والفرات والنيل كل من أنهار الجنة » ان سيجان وجيجان في بلاد الأرمن
الأول نهر اذنه (اطنه) والثاني نهر المصبصة ثم نقل عن القاضي عياض في تأويل
الحديث ان الأيمان هم بلاد هذه الأنهار وان الأجسام المنغذية بماؤها تهاجرة إلى الجنة
ثم قال والأصح أنها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة واحتج بحديث المراج اه
وقال بعضهم ان المراد يكون النيل والفرات من الجنة هو التشبيه لما هما ماء الجنة في عذوبته
وجيبته وبركته أي فوائده على طريق المبالغة ، وهذا لا يتكلف فيه إذا فسر به
حديث أبي هريرة بأنها من الجنة ولكن الاستعارة لا تظهر في روايات أحاديث
المراج الا بتكلف ولعل سبب ذلك روايتها بالمعنى ويسهل الخطب على القول بأن
حديث المراج كان بياناً لرؤيا منامية أو مثالا لمشاهدة روحية والله اعلم

(مسألة تمدني التعزية بالباء)

البيت الذي ذكره الصائبل في رثاء محمد بن يحيى البرمكي ليس من كلام العرب

بل لا اصدق أنه من كلام أهل ذلك العصر الا اذا وجدته مرويا في كتب المتقدمين
على أن الباء فيه لا يتمين أن تكون لتعديبة بل انظاها أنها للسيبية ، أي أقنا لكي
نمرى بسبب فقهه على أن معاجم اللغة ذكرت الفعل لازما لا متعديا بمن ولا بالباء
ولباء وجه قياسى كما علمت

﴿ أهل الفترة وابوا النبي (ص) ﴾

في نجات أهل الفترة خلاف مشهور وقد استثنى المنتهون لها من ود النص بأنهم
من أهل النار في الاحاديث التي ذكرها السائل وغيرها والأ كانت هذه الاحاديث
حجة عليهم - وقد شرحتنا مسألة أبوي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام في تفسير (واذ قال ابراهيم لايه آزر اتخذ أصناما آلهة) الآية
فراجع في المجلد العشرين من المنار أو المجلد السابع من التفسير

﴿ كعب الاحبار ﴾

(س ٧) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

حضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا المحترم

بمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيدي سؤنا عن العلامة كعب الاحبار الذي نسم بأحاديثه الكثيرة
وكان عالما عند اليهود ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعاش الموز من
معاوية ومات وعمره ٢٠٠ سنة أهو شخص حقيقي أو وهمي
صلاح ناجي الكسادي

(ج) كعب الاحبار شخص حقيقي معروف في كتب الحديث وتوارخنا

وقد استلهموا في تاريخ اسلامه قل الحافظ ابن حجر في الاصابة : والراجع ان
اسلامه كان في خلافه عمر وروي عنه أن سبب تأخير اسلامه أن أباه كان كتب له
كتابا من التوراة وأمره بالعمل به دون غيره وختم على مائر كتبه وعهد اليه الأ
يقض الختم فلما رأى ظهور الاسلام وانتشاره فض الختم فرأى في الكتب صفة النبي
(ص) وأمنه فأسلم. ونقل عن ابن سعد أنه مات سنة ٣٢ وعن ابن حبان في الثقات أنه
مات سنة ٣٤ وأنه بلغ مئة وأربع سنين. وقد عدلوا روايته وذكروا انه روى عنه بمضي
الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية ولكن كل في معاوية : ان

كان لمن أصدق هؤلاء المؤرخين من أهل الكتاب وان تمام ذلك لبلو عليه الكذب. رواه البخاري في صحيحه وأوله بعضهم أن المراد هدم وقروح ما يجبر به لا اخلاقه الكذب

﴿ أفضل النبيين والسؤال بحقه ﴾

(س ٨ و ٩) ومنه

حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا المحترم زيد في مجده سيدي السلام عليك ورحمة الله . وبعد فالرجو من فضيلتكم ان تبين لنا الجواب عن السؤال الآتي وهو :

قد نص القرآن الكريم على افضلية بعض النبيين على بعض في الدرجات ولم نرفه آية تدلنا صريحاً على من هو افضلهم وما هو نوع التفضيل فاذا كان الافضل محمداً فما الدليل وبماذا كان افضل

ثم اذا دعا أحد هكذا (اللهم اني أسألك بحق أو بجاه محمد سيد المرسلين أن تسهل لي رزقي او تغفر لي ذنبي) مثلاً فهل هذا الدعاء جائز شرعاً او يمد ذلك شركاً. أفيدونا أنا بكم الله

(ج) هنا سؤالان لسؤال واحد وانما نجيب ههما باختصار لما سبق لنا في موضوعهما من التفصيل في عدة مواضع

﴿ فضل نبينا على سائر النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام ﴾

الفضل في اللغة الزيادة وأفضل الشئين أو الشخصين مثلاً ذو الزيادة في الصفات والمزايا والخصائص والاعمال الشريفة التي من شأنها الاشتراك فيها فتكون موضوع التفاضل، فالانبياء منهم المرسلون وغير المرسلين والمرسلون أفضل بما خصوا به من الرسالة ، وقد كان كل رسول يرسل الى قومه خاصة بشرع مؤقت يليق بحالهم واستعدادهم للهداية حتى استمد جميع البشر للهداية الكاملة العامة فبعث الله محمداً خاتم النبيين للناس كافة وأكل به دينه الذي بعث به من سبق من رسله وأتم نعمته عليهم فكان رحمة عامة للمالين وانما تكمل الاشياء بخواتيمها فكان افضلهم بموم بمشته وشمول هدايته وكال الدين على لسانه ويده وحفظ كتابه وآيته وهذه مزايا تتعلق بموضوع الرسالة، والقرآن ناطق بكل منها، ولهذا قال من قال في تفسير قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) انه هو المراد بالبعث، والتلخيص قد يختار على التصريح اذا كانت قرائن الحال مميّنة له ، وقال شيخنا

الاستاذ الامام ان نكتة ذكره بين موسى وعيسى عليهم الصلاة في قوله (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كالم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأبدناه روح القدس) هي التفضيل لكونه هو الوسط كما قال انه جمل أمته وسطا - وخير الامور اوسطها - وقد كانت شريعة موسى مشتملة على المبالغة والشدة في الاحكام الجسدية والامور المادية وتعاليم عيسى مشتملة على المبالغة في احكام الزهد والمواعظ الروحية فجاءت شريعة محمد وتعاليمه وسطا في كل منهما كما بيناه بالتفصيل في مواضع من التفسير وغير التفسير من ابواب المنار، ولما كانت أمم الرسل المعروفة في زمن بعثته محصورة في أمة موسى وعيسى كان ذلك من أقوى القرائن اللغوية على ان من رفعه الله درجات هو النبي الذي بعث بعدهما لان جملة على نبي انقرضت أمته ولم يبق أثر لشريعته بعيد وغير مفيد وتنزه بلاغة القرآن وهدايته عن ذلك

﴿ سؤال الله بحق خاتم رسوله وجاهه ﴾

سؤال الله تعالى ودعاؤه هو روح العبادة وركنها الاعظم والقاعدة التي تلي توحيد الله وعدم اشراك أحد معه في العبادة هي ان عبادته تكون بما شرعه سبحانه فقط أي اتباعاً لا ابتداء فيه. ولم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله المتبعة التي صحت بالنقل والعمل عن السلف الصالح ان يسئل سبحانه شيئاً بحق أحد من خلقه عليه وان كان من عباده المكرمين الذين جعل لهم حقاً عليه جزاء على أعمالهم ، ولا يجاهه عنده وان ثبت انه جعل له وجاهة ، فهذا السؤال اذا بدعة ولكنه ليس شركا في هذه العبادة لان السائل قد توجه فيها الى الله ودعاه وحده ولكنه ابتدع في دعائه بدعة أراد ان تكون سبباً لاجابة السؤال ، وهي ادخال شيء في العبادة لم يأذن به الله بنس ولا تحوى بل يدل الشرع والمقل على بطلانه ، ذلك بانه ليس لاحد على الله تعالى حق الا ما جملة هو له بفضله وان كان جزاء على عمله فانابته امييده فضل منه عليهم كما ثبت . وقد ورد في الصحيح من ان حق الله على عباده ان يبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحقهم عليه اذا فعلوا ذلك ان يدخلهم الجنة - فهذا الحق يزيد العابد الخلس لله تعالى لا يسح ان يكون سبباً لاجابة سؤال عمرو وشفاء مرضه أو توسيع رزقه أو مصرة ذنبه لان من أصول دين الله المقولة (ان لا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان

(المنار : ج ٤) (٣٤) (الجلد الثاني والمشروف)

الاباسمى) وكذلك ما جعل الله من الوجاهة بفضله لموسى عليه السلام اذ قال فيه (وكان عند الله وجيهاً) لا يمتثل ان يكون سبباً لمثل ذلك . فالله تعالى قد جعل ليكل شيء سبباً وليست هذه الوجاهة ولا تلك الحقوق من أسباب ما ذكر ، على انها لو كانت منها لما صح ان تدخل في العبادة الا باذن منه تعالى كما اذن بغير زيادة ولا نقص . نعم ان من الجاه او الوجاهة الشفاعة وهي من أسباب المغفرة وذلك ان تسأل الله ان يملك أهلاً للشفاعة رسوله ويفرلك بها ولكن لم يرد أنها سبب لمصالح الدنيا ولم يكن المحابة يطلبون من النبي (ص) عند قبره ولا في حال البعد عنه في حياته ان يشفع لهم في شفاه مرض ولا دفع ضرر ولا نزول مطر ولا يسألون الله ذلك بجاهه (ص) وقد طلبوا من عمه العباس ان يستقي لهم بعمه بدلاً من استسقائه ولو كان هذا من عبادتهم لتواتر عنهم أو اشتهر برواية الشيخين وأصحاب السنن لتوفر الدواعي على ذلك

فان قيل: ان شرع ما لم يأذن به الله قد عد من الشرك وعد من يقبله ويعمل به من متخذي الشركاء والارباب من دون الله في قوله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقوله عز وجل (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) الآية وقد فسر في الحديث المرفوع اتخاذهم اربابا بطاعتهم فيما يحلون لهم ومحرمون عليهم ، وطالما كرر المنار هذه المسألة (وفي تفسير هذا الجزء قول مفصل فيها) قلنا ان السؤال وارد ولكن يفرق في مثله بين تنقيح المناط وتحقيق المناط فان الشيء قد يكون بمقتضى الدليل شركاً أو كفرةً ولا يعد كل من فعله مشركاً أو كافراً كما نقلناه عن شيخ الاسلام (ص ١٢١ ج ٢) ولا يسأل ذلك السؤال من يقوله من المسلمين الا وهو يظن انه مشروع بتقليد أو شبهة دليل على صحته كبعض الاحاديث الموضوعية أو الضعيفة التي لا يثبت بها حكم . وكل البدع الدينية ومسائل المبادات التي لا تدل عليها النصوص من هذا القبيل ولم يكفر السلف مسلميها كما فصلناه في الاجزاء التي قبل هذا ومنهم من يدخل هذه المسألة في باب الاقسام على الخالق بالخلق وقد صرح الحنفية بكراهته قال ابو يوسف واكره ان يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمصغر الحرام . والمراد كراهة التحريم . وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) وهو مطبوع نقلنا بعض أقواله في الجلد الثاني عشر من المنار وغيره فليراجع السائل ذلك في موضعه

ما وراء القبر

حديث مع اديسن عن الحياة والموت

قابل كاتب أميركي المبتدأ اديسن العالم الأميركي المشهور واستطلعه رأيه في نبأ نشرته الصحف الأميركية وخواه انه يبحث ويفتش لعله يفوز برفع الحجاب عن حقيقة ما نصير اليه نفس الانسان بعد الموت ويؤيد ذلك بالدليل العلمي. وقد نشرته خلاصة هذا الحديث في مجلة السينتك اميركان المروفة بتدقيقها العلمي وقدمته بمقدمة من عندها قالت فيها :

« اذا كان رجل في مقام لودج او اديسن بهم بموضوع ما فان الجمهور يتبالغ في الاهتمام بما يقول وبما يرجو ان يفعل. وعليه فلما أذيع منذ ايام ان اديسن يجرب تجارب لمناجاة الموتى فسحت الصحف مجالا واسعا لهذا النبأ يفوق ما يستحقه بالنسبة الى الدرجة العليا التي بلغتها أعمال اديسن من التقدم العلمي. وقد أصابت فيما فعلت لان القراء اهتموا مزيد الاهتمام بمجرد علمهم ان اديسن يشغل بهذه المسئلة ». الى ان قالت « وأهم ما في الامر ان اديسن رغم الاراجيف التي قد تذيها الصحف عن هذه المسئلة وعلاقته بها يسعى ليمود بنا الى الموقف الصحيح في أمر الحياة بعد الموت وبقاء الانفس وامكان مخاطبة الموتى ». وهذه صورة الحديث . قال الكاتب :

« ان اديسن الذي استنبط المصباح الكهربائي والفونو غراف والصور المتحركة وبطرية النكل والحديد والدينامو الكامل وغيرها من المكتشفات والمخترعات التي تدخل أعمالنا اليومية سيوجه سميح وجهه الى أمر يفوق كل اكتشاف واختراع بما لا يقاس . فان في العالم نحو ١٥٠٠ مليون نسمة سيذركهم الموت عاجلا او آجلا ولكنهم يجهلون كل الجهل مصيرهم بعده . ومثل ذلك يقال عن مجيئنا الى هذه الدنيا . وعليه فالحياة والموت لا يزالان سرا من الاسرار ولغزا من الالغاز التي لم يفتح بها على مخلوق

منذ بضعة أسابيع شاع ان هذا المخترع العظيم يمد طريقته او آلة للمخاطبة

(١) نشرت في بعض الصحف المصرية والسورية واعتمدها ترجمة المصنف

منها مع تصحيح لغوي قليل

الذين انتقلوا من هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . فنشرت صحف اميركا واوربا ان توماس اديسن اندمج في صفوف الروحانيين الذين بينهم الآن كثيرون من كبار العلماء والمؤلفين والمخترعين والطبيين والمهندسين ورجال الدين وغيرهم . ووصف الكتاب الفرنسيون الواسع الخيال آلة اديسن بانها محطة تلفونية او مكتب تلفراف او ما أشبه يقصدها الناس ليخاطبوا منها ارواح احبائهم واصدقائهم في العالم الآخر بطريقة عاجلة أكيدة . وليس في الناس احد اشد اسفاً من المستر اديسن على اذاعة اخبار مثل هذه . فقد قال لي في حديثي معه « اني لا أستطيع تصور شيء يسمونه الروح . تصور شيئاً لا ثقل له ولا صورة مادية ولا حجماً . وبمباراة أخرى تصور غير شيء . انا لا أستطيع ان اعتقد ان الارواح يمكن ان ترى في أحوال معينة وتحرك الموائد او تفرغ عليها او تعمل أعمالاً سخرية مثل هذه وكل ما قيل من هذا القبيل حديث خرافة »

واقول هنا انه انما قابلي لازالة ماعلق بالاذهان من الاشاعات التي شاعت عن غرضه من البحث والتنقيب في هذا الموضوع . ولا تزال الآلة التي شاع أنه يصنعها في دور التجربة والامتحان . وقد طلب مني ان أعلن ما يأتي قال : « فكرت منذ مدة في اختراع آلة او اداة يمكن ان يستخدمها او يؤثر فيها الذين غادروا هذا الوجود الى وجود آخر او عالم آخر . والآن أسمع وع ما اقول لك . انا لا ادعي ان شخصياتنا تنتقل الى وجود آخر او منطلقه اخرى . ولا ادعي علم شيء في هذا الموضوع لاني لا اعلم شيئاً فيه ولا احد من الناس يعلم . ولكني ادعي انه يمكن صنع آلة بالغة من الدقة مبلغاً بحيث انه اذا كان اناس في عالم آخر يريدون مخاطبتنا في هذا العالم فان هذه الآلة تكون اوفى بهذا الغرض من تحريك الموائد والنقر عليها او غير ذلك من الوسائل السخرية المعروفة والحق يقال ان سخافة هذه الوسائل هي التي تحملي على الشك في صحة مناجاة الموتى التي يدعونها . فلست أدري لم يضيع الاشخاص الذين في العالم الآخر وقتهم في تحريك مثلث من الخشب على مائدة عليها حروف الهجاء ، وما غرضهم من تحريك الموائد هذا كله يظهر لي أنه من الاعمال الصبانية حتى لا أستطيع ان ابحت فيه بعين الجد والاهتمام . وعندني انه اذا شئنا ان نتقدم تقدماً حقيقياً في البحث العقلي وجب ان نخلص عليه بالآلات العلية وبالطرق ،

العملية كما نفعل في الطب والكهربائية والكيمياء وغيرها
 واما ما اريد ان اعمله فهو ان اجهد الباحثين في المباحث العقلية النفسية
 بآلة تلبس عملهم لباساً علمياً . وهذه الآلة ستكون مثل مصراع او تشبه
 مفتاحاً صغيراً يستطيع به رجل واحد ضعيف القوة ان يفتح مصراعاً تدار
 به آلة قوتها ٥٠ الف حصان . وستكون آتي على هذا المثال حتى ان اصغر
 قوة تكبر بها كثيراً فتساعدنا على بحثنا . ولا اقول اكثر من ذلك عن ماهيتها .
 وقد مضت علي مدة وانا اشتغل بتفاصيلها وكان يماونني في عملي هذا صديق
 فتوفى منذ حين . ولما كان يعلم ما انا ساع اليه فالواجب ان يكون اول من
 يقدم على استعمال هذه الآلة ان استطاع ذلك

واعلم اني لا ادعي اني اعلم شيئاً عن بقاء الشخصيات بعد الموت ولا اعد
 بمخاطبة الذين انتقلوا من هذا الوجود وانما اقول اني ساع في تجهيز الباحثين
 النفسيين بآلة قد تساعدهم في عملهم كما يساعد الكرسيكوب رجال الطب في
 مباحثهم . واذا عجزت هذه الآلة عن ان تكشف لنا شيئاً خارق المادة فاني
 افتقد كل ثقة وایمان ببقاء الشخصيات بعد الموت كما نعرفه في هذا الوجود «
 ومما يقال عن المستر اديسن انه لا يستدق المذاهب المعروفة في الحياة
 والموت لانه يعتقد انها فاسدة الاساس ، قال لي باسطقاً مذهبه فيها « عندي
 ان الحياة كالمادة غير قابلة للفناء . فقد كان في هذا العالم مقدار معين من
 الحياة على الدوام وسيبقى هذا المقدار كما هو على الدوام . فانك لا تستطيع
 خلق الحياة ولا ابادتها ولا مضاعفتها . وفي اعتقادي ان اجسامنا مركبة من
 ملايين من الكائنات المتناهية في صفرها وكل منها حي مفرد ويرتبط بعضها
 ببعض لتكوين الانسان . ونحن نقول عن انفسنا ان كلا منا شخص واحد
 قائم بنفسه وتكلم عن الهرة او الفيل او الحصان او السمكة كأن كلا منها فرد
 قائم برأسه ولكنني أرى ان طريقة التفكير هذه فاسدة الاساس فان هذه
 الاشياء كلها تظهر انها بسيطة مفردة لان الكائنات الحية التي تتألف منها أصغر
 من ان ترى حتى باعظم المكبرات

وقد يمرض على هذا الرأي بانه اذا كانت هذه الكائنات صغيرة الى هذا
 الحد فلا يمكن ان تكون مؤلفة من أعضاء مختلفة تستطيع القيام بالاعمال التي
 سأذكرها . فاقول في الرد على ذلك انه لا احد لصغر الاشياء كما انه لا احد لكبرها

واكتشاف الألكترون خير جواب على مثل هذا الاعتراض. فقد ظهر لي بالحساب انه يمكن وجود حي متقن التركيب والتنظيم مؤلف من ملايين من الالكترونات الصغيرة التي لا ترى بما نعرف من المكبرات . وهناك دلائل كثيرة تدل على اننا نحن الخلائق البشرية نتصرف كل منا تصرف جماعة من الاحياء لا تصرف حي واحد . وهذا ما يحملني على اعتقاد ان كلا منا يحتوي على ملايين من الاحياء وان اجسامنا وعقولنا تمثل افعال الكائنات التي تتألف منها .

ولننظر الآن في السبب الذي يحملني على القول بأنه لا بد ان تكون اجسامنا مؤلفة من هذه الكائنات . فخذ بصمة ابهامك كما يفعل البوليس في بصم ابهام المشبوهين ثم ازل خطوط ابهامك بحرقها بالنار . فتى نما الجلد ثانية تجد ان خطوطه لم تتغير البتة عما كانت قبل احتراقه وقد امتحنت ذلك بنفسي حتى تحققت . هذا سر من الاسرار ما فتى مطلقاً حتى الآن . تقول لي ان هذا عمل الطبيعة . وهو جواب يراد به التفصي لا غير اذ لا معنى له بل هو وسيلة لاسكات السائل بذكر كلمة فارغة مكان الجواب . ان كلمة «طبيعة» ما اقمعتني قط : اما جوابي انا فهو ان الجلد لم يثبت ثانية كما كان أولاً بمجرد الاتفاق بل ان هناك من وضع رسوم التوالثاني وعني بمطابقتها لرسوم التوالثاول من كل وجه . وافت لا تعلم شيئاً من تلك الرسوم فان دماغك لم يشترك في هذا العمل : وهنا تدخل الكائنات المشار اليها وتشترك في العمل . وانا اعتقد جد الاعتقاد انها تحوكم نسيج جلد الابهام بمزيد العناية مستمينة على رسم التفاصيل الدقيقة بتدكرتها المعجبية

ولزيادة الايضاح اقول . لنفرض ان كائناً من سكان المريخ هبط الى هذه الارض ولنفرض ان بصره ليس دقيقاً كبصرنا وان اصفر شيء يمكنه ان يراه بصفيه هو جسر (كبري) مثل جسر بروكلن فهو اذاً لا يرى اجسامنا وقد يحس الجسر المذكور شيئاً طبيعياً كما نحس نحن العشب او الرمل او المعادن وغيرها من الاشياء الطبيعية ، ولنفرض انه هدم جسر بروكلن وذهب ثم عاد بعد سنين فر من هناك فوجد جسراً جديداً مكان القديم وعلى مثاله . فهل يتورده الفكر الصحيح الى افتراض ان الجسر الجديد تما بنعه مكان القديم وعلى مثاله او الى افتراض انه مد ثانية بفعل فاعل عاقل . لا ريب ان الترض الثاني

أقرب الى العقل

هذا هو الموقف الذي يجب ان نقفه نحن بازاء الكائنات الحوية . والمسئلة يكافئ مجرد افتراض وتخمين كما لا يخفى . فقد يكون ٩٥ في المئة من تلك الكائنات التي تتألف أجسامنا منها عمالاً والجملة الباقية مديرة للمعمل وقد يكون غير ذلك . ومهما يكن من الامر فان مجموعها هو الذي يكون شكل أجسامنا الطبيعي وصفاتنا العقلية وشخصياتنا وما اشبه ذلك

وهذه الكائنات هي الحياة بعينها وهي لا تنفأ تعمل وترمم انسجة اجسامها وتشرف على وظائف اعضائها . فاذا أصيب الجسم بطاريء افضى الى موته كأن يكون مرضاً عضالاً او عارضاً او هرماً فان هذه الكائنات تغارقه ولا تترك وراءها الا بناء خاويآ خالياً . ولما كانت عمالاً لا تكمل ولا تعمل فاما ان تدخل جسم انسان آخر او تبدأ العمل في صورة اخرى من صور الحياة واشكالها . وسواء كان هذا او ذاك فان هذه الكائنات محدودة المدد وهي نفسها عملت كل شيء في عالمنا هذا ولكن تعدد التراكيب التي تتألف منها هو الذي اوقفنا في الخطأ فحسبنا ان لكل مولود حياة جديدة

وهذه الكائنات خالدة لا تموت فانك لا تستطيع افناءها كما لا تستطيع افناء المادة وجهد ما هناك انك تستطيع تغيير صورة المادة لا غير . فقد كان مقدار الذهب والحديد والكبريت والأكسجين وغيرها في بدء العالم كما هو الآن بلا زيادة ولا نقصان . نعم اننا نستطيع التغيير في تركيب مركبات هذه العناصر ولكننا لم نغير نسب بعضها الى بعض

وهذا هو حال الكائنات الحوية فاننا لا نستطيع افناءها بل نغير صورها واشكالها . وقدرتها ممتدة الضرور حتى يصعب علينا تمييز أعمالها في كل الاحوال . وعليه لم يستطع العلماء حتى الآن ان يرسموا حداً بين الاشياء الحية وغير الحية . وقد يكون ان هذه الكائنات تمتد الى الجماد وتعمل فيه والا فما الشيء الذي يجعل البلورات تتكون على أشكال هندسية محدودة ؟

والآن نأتي الى مسئلة الشخصية . أنت ليكر بورا (اسم الكاتب) وأنا ديسن لان في كل مناهجنا من كائنات يختلف عن مجموع الآخر . فقد أتيت لطلب باننتين ونماين عملية جراحية شهيرة عملت حتى الآن ان مركز شخصيتنا هو في تلفيف من تلافيف الدماغ اسمه تليف « بروكا » . ومن العقل والصواب

ان نعرض ان مركز مقر الكائنات التي تدير حركاتنا وتشرف عليها انما هو في ذلك التلخيص . فهو الذي يثمرنا بالتأثيرات العقلية وبشخصياتنا . ولقد قلت ان مانسبه الموت انما هو مفارقة تلك الكائنات لابدانتنا . والمسئلة كلها في زعمي هي مسئلة مايجري للكائنات المرشدة التي مقرها في تلخيص « بروكا » . اذ المقبول ان الكائنات الاخرى التي تعمل عملا ميكانيكيا في اجسامنا تنشت وتذهب في جهات مختلفة طلبا للعمل فيها . واما الكائنات التي تتكون منها شخصياتنا فتكون انت بها لسكربورا وأكون انا اديسن ويكون زيد زيدا فاذا يجري بها ؟ هل تبقى مجموعة واحدة او تنفرق في الكون طالبة العمل منفردة لا بمجموعة ؟ فان كانت تنفرق فان شخصياتنا لا تبقى بعد الموت . فقد تقدم القول ان هذه الكائنات تعيش الى الابد وتمنحنا الخلود الذي يرجوه كثير منا ولكن ان كانت تنفرق ثم تتحد بكائنات اخرى لتولف اجساما جديدة منها فان ذلك يضيع علينا شخصياتنا والخلود الذي نرجوه أي خلود تلك الشخصيات بعينها .

ولي الرجاء ان شخصياتنا تبقى . فان كانت تبقى فان الآلة التي انا ساع في اختراعها لا بد ان تفيدنا . وهذا ما يحدوني على الاتهامك بعملها واخراجها على غاية من الدقة . واني انتظر النتيجة بنهاب الصبر .

(المنار) يؤخذ من حديث هذا المخترع الشهير انه يمتقد بنظره العقلي واختباره العلمي جواز ما يجزم به جميع الملمين ايمانا بالغيب وكثير من الفلاسفة والمعلماء الروحيين بالدلائل او الاختبار الذي يعرف باستحضار الارواح ، ويرجو ان يكون ما يجوزه ويقول بإمكانه من الحياة بعد الموت والبقاء بعد فنا هذه الهياكل الجسدية حقا واقما وان كان يرتاب فيه بما شرحه من نظريته الخيالية في سر الحياة وسببها ، وبناء على هذا الرجاء يحاول وضع الآلة الكهربائية التي يرى انها تكون خير وسيلة وأقوى سبب لتأثير ارواح الموتى في الاحياء بمخاطبتها لهم بها ان كان ذلك مما تتوجه اليه وتمنى به كما يدعى أهل المذهب الروحاني الذي عرفه الاقربح في هذا العصر وكان معروفا عند الصوفية في القرون الماضية والمصور الخيالية . فتأمل كيف قربت المادية عالم الغيب من عالم الشهادة . ان في ذلك للمتفكرين ، وقد أفرجه بحسبة الروح ولا غرو (هل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

تاريخ فنون الحديث

٤

الجوامع العامة

« ا » منها جامع المسانيد والالقب لابن الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (١) جمع فيه بين الصحيحين ومسند احمد وجامع الترمذي وقد رتبته احمد بن عبد الله المكي (٢)

« ب » ومنها (جامع المسانيد والسنن الهادي لاقوم سنن) للحافظ اسماعيل بن عمر الوشيي الدمشقي المعروف بابن كثير (٣) جمعه من الصحيحين وسنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ومن مسانيد احمد والبخاري ويعلى والمعجم الكبير للطبراني « ج » ومنها مجمع الزوائد للحافظ أبي الحسن علي الهيثمي (٤) جمع فيه زوائد مسانيد احمد وأبي يعلى والبخاري والترمذي والبيهقي والدارقطني والكتب ثمانية مجلدات، وقد شرع بطبعه من زهاء ٢٠ سنة ولعله تم

« د » ومنها مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود البغوي (٥) جمع فيه ٤٤٨٤ حديثاً من الصحاح والحسان ويعني صاحبها بالصحاح ما أخرجه الشيخان والحسان ما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرها وما كان فيها من ضعيف أو غريب بينه ولا يذكر ما كان منكراً أو موضوعاً وقد اعتنى العلماء بها عناية عظيمة فشرحوها شروحات كثيرة وكلها محمد بن عبد الله الخليلي وذيل أبوابها فذكر الصحابي الذي روى الحديث والكتاب الذي أخرجه وزاد على كل باب من الصحاح والحسان فصلاً ثالثاً عدا بمض الأبواب وكان ذلك سنة ٧٣٧ هـ كتاباً حافلاً واسمها منكاة المصابيح وقد شرح المشكاة كثيرون

« هـ » ومنها جمع الجوامع في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جمع فيه بين الكتب الستة وغيرها وقد قصد في كتابه جمع الأحاديث النبوية بأسرها . قال المناوي انه مات قبل ان يتمه ولقد اشتمل كتابه على كثير من الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة وقد هذب ترتيبه علاء الدين علي بن حسام الهندي المتوفى بمكة سنة ٩٧٥ في كتابه كنز المال في سنن الاقوال والافعال وقد اختصر السيوطي كتابه في الجامع الصغير وزوائده

« و » ومنها تحف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة لاحمد بن أبي بكر

(١) توفي سنة ٥٩٧ (٢) سنة ٦٩٤ (٣) سنة ٧٧٤ (٤) سنة ٨٠٧ (٥) سنة ٥١٦

(المنار : ج ٤) (٣٥) (المنار : ج ٤)

البوصيري (١) أفرد فيه تروائد - مسانيد أبي داود الطيالسي والحميدي ومنسند
 وابن أبي عمرو واسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة واحمد بن منيع وعبد بن
 حميد والحريث بن محمد بن أبي أسامة وأبي يعلى الموصلي - أي مازاد من أحاديثها
 على الكتب الستة وهو مرتب على مائة كتاب
الكتب الجامعة لاحاديث الاحكام

«ا» منها الالمام في أحاديث الاحكام لابن دقيق العيد (٢) جمع فيه متون الاحكام
 وشرحه ولكن لم يكمل شرحه ويقال انه لم يؤلف في هذا النوع أعظم منه
 «ب» ودلائل الاحكام من احاديث النبي (ص) لابن شداد الحلبي (٣)
 تكلم فيه على الاحاديث المستنبطة منها الاحكام في الفروع ويقع في مجلدين
 «ج» ومنتقى الاخبار في الاحكام للمحافظ مجد الدين أبي البركات عبد السلام
 ابن عبد الله بن أبي القاسم الحراني المعروف بابن تيمية الخنبلي (٤) انتقاه من
 صحيح البخاري ومسلم ومنسند الامام احمد وجامع أبي عيسى الترمذي والسنن
 للنسائي وأبي داود وابن ماجه واستغنى بالزواالي هذه المسانيد عن الاطالة
 بذكر الاسانيد وانه لكتاب قيم شرحه الامام المجتهد الشوكاني محدث اليمن (٥)
 شرحاً مسهباً بلغ ثمانية أجزاء جمع فيه من فقه الحديث ما لعله يعز عليك في
 كتاب آخر وقد اسمى شرحه نيل الاوطار - طبع بمصر وتقدت نسخته -
 «د» وبلوغ المرام من أدلة الاحكام للمحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (٦)
 ومن شرحه شرحاً وجيزاً صديق حسن خان (٧) بلغ شرحه مجلدين - طبع
 وتقدت نسخته - وقد اشتمل بلوغ المرام على الف واربعمئة حديث من احاديث
 الاحكام وهو كتاب عظيم القدر طبع في مصر وفي الهند مع حواشي للسيد
 أحمد حسن الدهلوي المعاصر بين فيها علل الاحاديث المعلولة وخلاصة المعنى

كتب أخرى

من الكتب النفيسة في الحديث (المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (٨)
 التزم فيها الصحة فصحح احاديث لم يسبق الى تصحيحها ولم يتم الكتاب وقد
 وجه بعض الحفاظ على مستدرك الحاكم ومنها السنن كتابا الكبير والصغير كتابان
 ل احمد بن حنبل البيهقي (٩) قيل لم يسنف في الاسلام مثلها قال ابن الصلاح ما
 (١) توفي سنة ٨٤٠ (٢) سنة ٧٠٢ (٣) سنة ٦٣٢ (٤) سنة ٦٥٢ (٥) سنة
 ١٢٥٠ (٦) سنة ٨٥٢ (٧) سنة (٨) سنة ٦٤٣ (٩) سنة ٤٥٨

ثم كتاب في السنة اجمع للدلالة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي وكأنه لم يترك في سائر اقطار الارض حديثاً الا وقد وضعه في كتابه - ومنها بحر الاسانيد للإمام الحافظ الحسن بن احمد السمرقندي (١) جمع فيه مائة الف حديث رتبته وهذبه ولم يقع في الاسلام مثله . ومنها الترغيب والترهيب للحافظ المنذري (٢) وهو من أحسن الكتب طريقة في جمع الحديث وبيان درجته وليت كتب الحديث كلها على نمطه - وهو مطبوع -

ترتيب كتب الحديث في الصحة

قد بينا فيما سلف درجة كل كتاب من كتب السنة الشهيرة في الصحة وهانحن أولاء ندلي اليك بفصل جم الفائدة عظيم المائدة ينجلي لك فيه ترتيب كتب السنة من حيث الصحة لتكون على بينة من أمرها فنقول وبالله توفيقنا

قد قسم الجمهور الحديث الصحيح بالنظر الى تفاوت الاوصاف المقتضية للصحة الى سبعة أقسام كل قسم منها اعلى مما بعده فالاول ما أخرجه البخاري ومسلم ويسمى بالمتفق عليه والثاني ما انفرد به البخاري والثالث ما انفرد به مسلم والرابع ما كان على شرطهما مما لم يخرج به واحد منهما والخامس ما كان على شرط البخاري والسادس ما كان على شرط مسلم والسابع ما صححه أحد الائمة المعتمدين وترجيح كل قسم من هذه الاقسام السبعة على ما بعده انما هو من قبيل ترجيح الجملة على الجملة لا ترجيح كل واحد من أفرادها على كل واحد من أفراد الاخر فيسوغ أن يرجح حديث في مسلم على آخر في البخاري اذا وجد موجب الترجيح ولقد كتب الشيخ احمد المروفي بشاه ولي الله المحدث الدهلوي (٣) في كتابه حجة الله البالغة فصلا في طبقات كتب الحديث نورد لك خلاصته قال :

طبقات كتب الحديث أربع فالطبقة الاولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة

كتب الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم
والطبقة الثانية كتب لم تبلغ مبلغ الموطأ والصحيحين ولكنها تتلوها كان مصنفوها معروفين بالوثوق والمدالة والحفظ والتبحر في فنون الحديث ولم يتساهلوا فيها وتلقاها من بعدم القبول واعتنى بها المحدثون " انتهى " وذاعت

بين الناس كسند أبي داود وجامع الترمذي ومجتبى النسائي . وهذه الكتب مع الطبقة الاولى اعتنى بأحاديثها رزين ابن معاوية المبدري السرقسطي في تجريد الصحاح وابن الاثير في جامع الاصول وكاد مسند أحمد يكون من هذه الطبقة . والطبقة الثالثة مسانيد وجوامع ومصنفات صنعت قبل البخاري ومسلم وفي زمانهما وبعدهما جمت بين الصحيح والحسن والضعيف والمعروف والمنكر والغريب والشاذ والخطأ والصواب والثابت والمقلوب (١) ولم تشتهر في العلماء ذلك الاشتهار وان زال عنها اسم النكارة المطلقة ولم يتداول ما تفردت به الفقهاء كثير تداول ولم يفحص عن صحتها وضعفها المحدثون كبير فحص . ومنها ما لم يخدمه لغوي لشرح غريب ولا فقيه بتطبيقه على مذاهب السلف ولا محدث ببيان مشكله ولا مؤرخ بذكر اسماؤه زمانه ، ولا أريد المتأخرين المتسقين والنا كلامي في الأئمة المتقدمين من أهل الحديث فهمي باقية على استنساخها وحرمانها كسند أبي يعلى ومصنف عبد الرزاق ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومسند عبد بن حميد ومسند الطيالسي وكتب البيهقي والطحاوي والطبراني وكان قصدهم جمع ما وجدوه من الحديث لا تلخيصه وتهذيبه وتقريبه من العمل والطبقة الرابعة كتب قصد مصنفوها بعد قرون متساوية جمع ما لم يوجد في الطبقتين الاوليين وكانت في اجماع والمسانيد المختلفة فزوها بأمرها وكانت على السنة من لم يكتب حديثه المحدثون ككثير من الوعاظ المتسدين وأهل الاهواء والضمفاء أو كانت من آثار الصحابة والتابعين أو من كلام الحكماء والوعاظ خلطها الرواة بحديث النبي (ص) سهواً أو عمداً أو كانت من احتملات

(١) الصحيح من الحديث ما رواه عدل تام الضبط بسند متصل غير معارض ولا شاذ وهذا هو الصحيح لذاته فان خف الضبط بالحسن لذاته وبكثرة الطرز يصحح فيسمى الصحيح لغيره والضعيف ما دون الحسن والمعروف ما كان في في سنده ثقة خالف ضعيفاً في حديثه . ومرروي ذلك الضعيف يسمى المنكر ويطلق المنكر أيضاً على حديث في سنده كثير الساط أو غافل عن الاتقان أو فاسق . والغريب ما كان في سنده منفرد بالرواية لم يشاركه فيها أحد أو لم يكن إلا بسند واحد والشاذ ما كان في سنده ثقة حقه من هر جمع منه زعمي راجح يطلق على من تارمه . وبما الضبط والمقرب ما كان فيه تقديم وتيسير كبري كتب وكتب من رة

القرآن والحديث الصحيح فرواها بالمعنى قوم صالحون لا يعرفون غوايض الرواية بجملاوا المماني أحاديث معروفة أو كانت مفهومة من اشارات الكتاب والسنة جملاوها أحاديث منفصلة برأسها عمداً أو كانت جملاشتى في أحاديث مختلفة جملاوها حديثاً واحداً بنسق واحد ومظنة هذه الاحاديث كتاب الضمفاء لابن حبان والكامل لابن عدي وكتب الخطيب وأبي نعيم والجوزقاني وابن عساكر وابن النجار والديلمي وكاد مسند الخوارزمي يكون من هذه الطبقة وأصلح هذه الطبقة ما كان ضميفاً محتملاً وأسوؤها ما كان موضوعاً أو مقلوباً شديد النكارة. وهذه الطبقة مادة كتب الموضوعات لابن الجوزي أما الطبقة الاولى والثانية فعليهما اعتماد المحدثين . وأما الثالثة فلا يباشرها للعمل عليها والقول بها الا النحارير الجهابذة الذين يحفظون اسماء الرجال وعلل الاحاديث، ثم ربما يؤخذ منها المتابعات والشواهد — وقد جعل الله لكل شيء قدراً — وأما الرابعة فالاشتغال بجمعها أو الاستنباط منها نوع تعمق من المتأخرين وان شئت الحق فطوائف المبتدعين من الرافضة وغيرهم يتمكنون بأدنى عناية ان يلخصوا منها شواهد مذاهبهم فالانتصار بها غير صحيح في مترك العلماء بالحديث اهـ

ولابي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (١) مقالة في ترتيب كتب الحديث جرى فيها على ما ظهر له في ذلك ذكرها في كتاب مراتب الديانة وقد أورد السيوطي خلاصتها في كتاب التقريب فقال . وأما ابن حزم فانه قال أولى الكتب الصحيحان ثم صحيح سعيد بن السكن (٢) والمنتقى لابن جارود (٣) والمنتقى لقاسم بن أصبغ (٤) ثم بمد هذه الكتب كتاب أبي داود (٥) وكتاب النسائي (٦) ومصنف قاسم بن أصبغ ومصنف الطحاوي (٧) ومسند أحمد (٨) ومسند البزار (٩) وأبي بكر (١٠) وعثمان (١١) ابني أبي شيبه ومسند ابن راهويه « ١٢ » والعلبالي « ١٣ » والحسن بن سفيان « ١٤ » والمستدرك للحاكم « ١٥ » وكتاب ابن سنجر « ١٦ » ويعقوب بن شيبه « ١٧ » وعلي

- (١) توفي سنة ٤٥٦ (٢) سنة ٣٥٣ (٣) سنة ٣٠٧ (٤) سنة ٣٤٠ (٥) سنة ٢٧٥ (٦) سنة ٣٠٣ * انما لم يذكر سنن ابن ماجه ولا جامع أبي عيسى الترمذي لانه مارآها ولادخلا الاندلس الا بعد وفاته (٧) سنة ٣٢١ (٨) سنة ٢٤١ (٩) سنة ٢٩٢ « ١٠ » سنة ٢٣٥ « ١١ » سنة ٢٣٩ « ١٢ » سنة ٢٣٧ « ١٣ » سنة ٢٠٤ « ١٤ » سنة ٣٠٣ « ١٥ » سنة ٤٠٥ « ١٦ » سنة ٢٥٨ « ١٧ » سنة ٢٦٢

ابن المديني (١) وابن أبي عذرة (٢) وما جرى مجراها من الكتب التي أفردت لكلام رسول الله (ص) ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره. ثم ما كان فيه التصحيح فهو أجل مثل مصنف عبد الرزاق (٣) ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف بقي بن مخلد القرطبي (٤) وكتاب محمد بن نصر المروزي (٥) وكتاب ابن المنذر (٦) ثم مصنف حماد بن سلمة (٧) ومصنف سعيد بن منصور (٨) ومصنف وكيع بن الجراح (٩) ومصنف الرزبالي وموطأ مالك وموطأ ابن أبي ذئب (١٠) وموطأ ابن وهب (١١) ومسانئ أحمد بن حنبل وفقه أبي عبيد (١٢) وفقه أبي ثور (١٣) وما كان من هذا النمط مشهوراً تكذيب شعبة (١٤) وسفيان (١٥) والليث (١٦) والاوزاعي (١٧) والحميدي (١٨) وابن مهدي (١٩) ومسدد «٢٠» وما جرى مجراها فهذه طبقة موطأ مالك بعضها أجمع للصحيح منه وبعضها مثله وبعضها دونه ولقد أحضيت ما في حديث شعبة من الصحيح فوجدته ثمانمائة حديث ونيفاً مسندة ومرسلاً يزيد على المائتين وأحضيت ما في موطأ مالك وما في حديث سفيان بن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند ثمانمائة ونيفاً مسندة وثلاثمائة مرسلاً ونيفاً فيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضمنية وهاها جمهور العلماء

تاريخ علوم الحديث الاخرى

الى هنا كانت العناية موجهة الى تاريخ الحديث من حيث الكتب الجامعة لالفاظه والشارحة لمتونه وان ذلك لغرض من أغراض، وناحية من نواح، فان خيرة المسلمين، وشيوخ المحدثين، كما عنوا بذلك عنوا بالتأليف في شرح غريبه، وبيان ناسخه من منسوخه، واضهار حال رجاله والكشف عن علومه ومصطلحاته

توفي «١» سنة ٢٣٤ «٢» سنة ٢٧٦ «٣» سنة ٢١١ «٤» سنة ٢٧٦ «٥» سنة ٢٩٤ «٦» لا أدري هل هو ابراهيم بن المنذر المتوفى سنة ٢٣٦ أو علي بن المنذر المتوفى سنة ٢٥٦ «٧» سنة ١٦٧ «٨» سنة ٢٢٧ «٩» سنة ١٩٧ «١٠» سنة ١٥٩ «١١» سنة ١٩٧ «١٢» سنة ٢٣٤ «١٣» سنة ٢٤٠ «١٤» سنة ١٦٠ «١٥» سنة ١٩٨ «١٦» سنة ١٧٥ «١٧» سنة ١٥٦ «١٨» سنة ٢١٩ «١٩» سنة ١٩٨ «٢٠» سنة ٢٢٨

من صحيح وعليل ومقبول، مردود ومتواتر ومشهور، الى غير ذلك من جليل
الاعراض ومتنوع الاقسام
وبنقده فصلاً لكل نوع من أنواعه الشيرة نلم فيه بتوضيحه، ونرج
على تاريخه، مقررين ذلك بذكر أحسن المؤلفات فيه حتى يتجلى لك تاريخ
الحديث من جملة نواحيه

علم فريب الحديث

الفريب من الكلام يقال على وجهين أحدهما أن يراد به بريد المعنى غامض
بجيت لا يتناوله الفهم الاعن بعد ومماناة فكر والوجه الآخر أن يراد به كلام
من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب
وهانحن أولاهنكي لك خلاصة ماقاله ابن الاثير في مفتتح نهايته فانه أحسن من
وفي هذا الموضوع قسطه من البيان ضامين اليه ما عثرنا عليه في بطون الكتب
التي تعرضت لهذا الشأن

كان (ص) افصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعرفهم بمواقع الخطاب،
وأهداهم الى طرق الصواب، وكان يخاطب العرب على اختلاف شعوبهم وتباين
لهجاتهم، كلاً منهم بما يفهم، ويحادثه بما يعلم، وكان اصحابه والوفود عليه من
العرب يعرفون أكثر ما يقول وما جهلوه سألوه عنه فيوضحه لهم واستمر
عصره (ص) الى حين وفاته على هذا السن المستقيم وعليه سلك الصحابة في
عصرهم، وكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً من الدخيل الى أن فتحت
الامصار وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبس والنبط وغيرهم
من أنواع الأمم الذين فتحت بلادهم للمسلمين وورفرف عليها علم الموحدين
فاختلطت الفرق وامتزجت اللسان وتداخلت اللغات ونشأ بينهم الاولاد فته لهوا
من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب والمحاورة منه، وتركوا ما عداه للفتيم
عنه واستمر الامر على هذا النهج الى أن اقترض عصر الصحابة — القرن
الاول — وجاء التابعون لهم باحسان فسلخوا سيلهم، وان كانوا في الاتقان
دونهم ولم ينقض زمانهم — سنة ١٥٠ — الا واللسان العربي قد استحال
اعجبياً أو كاد فلأرى المستقل به والمحافظة عليه الا الآطاد جهل الناس من هذا
المهم ما كان يلزمهم معرفته واخبروا منه ما كان يجب عليهم تقدمته، فلما اضلوا

الداء، وعز الدواء، اللهم الله جماعة من اولي المعارف والنهي ان يصرفوا الى هذا الشأن طرفاً من عنايتهم، فشرعوا للناس موارد، وقمدوا لهم قواعده، فقيل ان اول من جمع في هذا الفن شيئاً أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري «١» جمع من الفاظ غريب الحديث والآثر كتباً صغيراً ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث وانما كان ذلك لامرين أحدهما ان كل مبتدع لاصراً لم يسبق اليه فانه يكون قليلاً ثم يكثر والناني أن الناس يومئذ كان فيهم بقية وعندهم معرفة فلم يكن الجهل قد عم. ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المارني «٢» كتاباً اكبر من كتاب أبي عبيدة بسط فيه القول على صغر حججه، ثم جمع عبد الملك ابن قريب الاصمعي وكان في عصر أبي عبيدة وتأخر عنه كتاباً احسن فيه الصنع وأجاد، ونيف على كتابه وزاد، وكذلك محمد بن المستنير المعروف بقطرب «٣» وغيره من أئمة اللغة والفقه جموا احاديث وتكلموا على لغتها ومعناها في اوراق ذوات عدد ولم يكدهم احدٌ ينفرد عن الآخر بكثير حديث لم يذكره الآخر واستمر الحال الى زمن أبي عبيد القاسم بن سلام «٤» وذلك بعد المائتين بجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجليلة. ولقد ظن رحمه الله على كثرة تصبه وطول نصه انه قد أتى على معظم الغريب وما علم ان الشوط بطين، والمهل معين، ولقد بقي كتابه معتد الناس الى عصر أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «٥» فصنف كتابه المشهور ولم يردعه شيئاً من كتاب أبي عبيد الا ما دعت الحاجة اليه من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض لجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكثر منه وقد قال في مقدمته أرجو ان لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال وقد كان في عصره ابراهيم بن اسحاق الحاربي الحافظ «٦» جمع كتاباً في الحديث بلغ خمس مجلدات بسط فيه القول وأطال بذكر المتن وامانيدها ولولم يكن في المتن الا كلمة واحدة من الغريب فهجر الناس لذلك كتابه وان كان جمع الفائدة. ثم اكثر الناس من التصانيف في هذا الفن كالمبرد «٧» وطلب «٨» ومحمد بن قاسم الانباري «٩» وسلمة بن عاصم النهوي وعبد المتك

«١» توفي سنة ٢١٥ هـ «٢» سنة ٢٥٤ هـ «٣» سنة ٢٥٦ هـ «٤» سنة ٢٢٤ هـ

«٥» سنة ٢٧٦ هـ «٦» سنة ٨٥ هـ «٧» سنة ٢٨٥ هـ «٨» سنة ٢٩١ هـ «٩» سنة ٣٢٨ هـ

ابن حبيب المالكي ومحمد بن حبيب البغدادي وغيرهم من أئمة اللغة والنحو والفقهاء والحديث، واستمرت الحال الى عهد الامام محمد بن احمد الخطابي البستي (١) فالف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قتيبة وصرف عنابته فيه الى جمع ما لم يوجد في كتابيهما فاجتمع له من ذلك ما يداني كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والآراء امهات الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس وعليها يعول علماء الامصار الا ان هذه الكتب الثلاثة وغيرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتباً ومقفى يرجع الانسان عند طلب الحديث اليه الا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه الا بعد تعب وعناء، ثم هي مع ذلك متفرقة فيها الاحاديث فلا يعلم الناظر في أيها يوجد الغريب فيحتاج الى البحث في كثير منها حتى يجد غرضه، فلما كان زمن أبي عبيد احمد بن محمد الهروي (٢) وهو من طبقة الخطابي ومما صرح به الف كتابه السائر جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه ترتيباً لم يسبق اليه فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها واثبتها في حروفها مرتباً لها على حروف المعجم ولم يفصمه بالاسانيد والمنون والرواة - شأن ما سبقه من الكتب - فان ذلك له علم مستقل به وقد جمع فيه من غريب الحديث ما في كتب من تقدمه واربي عليه فجاء كتاباً جامعاً في الحسن بين الاطاعة والوضع الا أنه جاء الحديث مفزقاً في حروف كلماته، ولقد ذاع صيت هذا الكتاب بين الناس واتخذوه عمدة في الغريب واقتنى أثره كثيرون واستدرك ما فاته آخرون وما زالت الايام تنقضي عن تصانيف وتبرزت تأليف الى عهد الامام أبي القاسم محمود بن سمر الرنخري (٣) فالف كتابه الفائق في غريب الحديث وأنه لكتاب قيم رتبة على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم ولكن في المثلث على معرفة الغريب منه مشقة وان كانت دون غيره مما سبقه لانه جمع في التنقيح بين ايراد الحديث متروداً جيمه أو بعضه ثم شرح ما فيه من غريب فينجيه شرح كلماته الغريبة في حرف واحد فترد الكلمة في غير حروفها فكان لذلك كتاب الهروي أقرب منه متناولاً وان كانت كلمات الحديث متفرقة في حروفها

ولقد الف أبو بكر محمد بن أبي بكر المديني الاصفهاني (٤) كتاباً جمع فيه

(١) توفي سنة ٣٨٨ (٢) سنة ٤٠١ (٣) سنة ٥٣٨ (٤) سنة ٥٨١

(المنار: ج ٤) (٢٦) (المجلد الثاني والعشرون)

على طريقة الهروي ما فاته من غريب القرآن والحديث، وكذلك صنف أبو الفرج
عبد الرحمن بن علي الجوزي "١" كتاباً في غريب الحديث ساسة نرج فيه منج
الهروي بل كتابه مختصر من كتابه لا يزيد عليه الا الكلمة الشاذة والنقطة
الفاذة بخلاف كتاب أبي موسى المدني فإنه لا يذكر منه الا ما دعت الحاجة اليه
أقول ثم جاء مجد الدين مبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن
الاثير "٢" الذي خصت ما تقدم من مقدمة نهايته فجمع ما في كتاب الهروي
وأبي موسى من غريب الحديث والاثر وأضاف اليه ما عثر عليه في كتب السنة من
صحاح وستن وجوامع ومصنفات ومسانيد - وانه لكثير - سالكا في الترتيب
منج أصله فكان من ذلك كتابه - النهاية في غريب الحديث والاثر - وقد روى
لما في كتاب الهروي باهاء ولما في كتاب أبي موسى المدني بالسين . وقد ذيل النهاية
بمحمود بن أبي بكر الازمعي (٣) واختصرها عيسى بن محمد الصفوي (٤) فيما يقرب
من نصف حجمها وكذلك الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٥)
في كتابه الدر النثير تلخيص نهاية ابن الاثير، وله : التذيل والتذنيب على نهاية
الغريب، وقد طبعت النهاية وعلى هامشها الدر النثير مشكولة وغير مشكولة

علم رجال الحديث

هذا فن جليل القدر عظيم الاثر الحاجة اليه داعية والضرورة به قاضية
وليس من عظيم في الحديث وهو عنه يمد أو باعه فيه قصير وكيف لا يكون
كذلك وهو نصف علم الحديث فإنه سند ومتن والسند عبارة عن الرواة فمعرفة
أحوالهم نصف هذا العلم بل ارب

والكتيب المصنفة فيه كثيرة الانواع متشعبة الاغراض فن مؤلف في أسماء
الضحايا خاصة أو في رواية الحديث عامة ومن خاص بالثقات أو الضعفاء أو
الحنافل أو المدلسين أو الرضاعين ومن مبين للجرح والتمديد والفاظهما ومراتب
كل منها ومن كاشف عن المؤلف والمختلف أو المتفق والمفترق من الاسماء
والانساب ومن قاصر على ذكر الوفيات أو موت رجال كتاب معين أو عدة كتب
مخصوصة وكل كتب فيه المناء فأحسنوا الكتابة وبلغوا فيها الغاية كما ترى بعد

(١) توفي سنة ٥١٤ (٢) سنة ٦٠٦ (٣) سنة ٧٢٣ (٤) سنة ٩٥٣

(٥) سنة ٩١١

١٠ أسماء الصحابة

الصحابي كل من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت ردة في
 الاصح وأول من يعرف عنه التصنيف في هذا النوع أبو عبد الله محمد بن اسماعيل
 البخاري (١) أفرد أسماء الصحابة في مؤلف وجمها مضمومة الى من بعدهم جماعة
 من طبقة مشايخه كخليفة بن الخياط المحدث النسابة (٢) ومحمد بن سعد (٣) الذي بلغ
 مؤلفه خمسة عشر مجلداً ومن قرأه كيقرب بن سفيان (٤) وأبي بكر بن أبي
 خيشمة (٥) وصنف في الصحابة خاصة جمع بعدهم كالحافظ البغوي عبد الله بن محمد
 ابن عبد العزيز (٦) وأبي بكر الحافظ الكبير عبد الله بن أبي داود (٧) ثم علي بن
 السكن (٨) وأبو بكر صهر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٩) وأبو منصور
 البارودي وأبو حاتم الرازي ابن حبان (١٠) وسليمان بن أحمد الطبراني (١١) ضمن
 منجته الكبير ثم عبد الله بن منده (١٢) والحافظ أبو نعيم (١٣) ثم عمر بن
 عبد البر (١٤) الف كتابه الاستيعاب وسماه بذلك لظنه انه استوعب كتب من
 قبله في كتابه ومع ذلك ففاته شيء كثير فذيل عليه أبو بكر بن فتحون ذبيلا
 حافلاً وذيل عليه جماعة في تصانيف لطيفة وذيل أبو موسى المديني (١٥) علي
 ابن منده ذبيلاً كبيراً. وما زال الناس يؤثرون في ذلك الى ان كانت تبشير القرن
 السابع فجمع عز الدين ابن الاثير «١٦» كتاباً حافلاً سماه أسد الغابة جمع فيه
 كثيراً من التصانيف المتقدمة الا انه تبع من قبله غلط من ليس صحابياً بهم
 وأغفل كثيراً من الاوهام الواقعة في كتبهم، ثم جرد الاسماء التي في كتابه مع
 زيادات عليها الحافظ أبو عبد الله الذهبي «١٧» في كتابه التجريد وأعلم لمن ذكر
 غلطاً ولمن لا تصح صحبته ولم يستوعب ذلك ولا قارب ثم جاء الحافظ أحمد بن
 حجر العسقلاني (١٨) فألف كتابه الاصابة في تمييز الصحابة - في ثمانية أجزاء
 صغيرة - جمع فيه ما في الاستيعاب وذيله وأسد الغابة واستدرك عليهم كثيراً
 وقد اختصره تلميذه جلال الدين السيوطي في كتاب سماه عين الاصابة

(١) توفي سنة ٦٢٥ (٢) سنة ٢٤٠ (٣) سنة ٢٣٠ (٤) سنة ٢٧٧ (٥) سنة

٢٧٩ (٦) سنة ٣٣٠ (٧) سنة ٣١٦ «٨» سنة ٣٤٣ «٩» سنة ٣٨٥ «١٠» سنة

٣٥٤ «١١» سنة ٣٦٠ «١٢» سنة ٣٥٥ «١٣» سنة ٤٦٣ «١٤» سنة ١٦١ «١٥»

سنة ١٨١ «١٦» سنة ٦٣٠ «١٧» سنة ٧٤٨ «١٨» سنة ٨٥٢

ومد الف كل من البخاري ومسلم كتاباً في أسماء الوجدان أي الصحابة
الذين ليس لهم الأحاديث واحد وكذلك الف يحيى بن عبد الوهاب بن منده
الاصبهاني (١) كتاباً فيمن عاش من الصحابة عشرين سنة ومائة

«ب» علم الجرح والتعديل

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتمديلهم بالنماط مخصوصة وعن مراتب
بذلك الإنماط والكلام في الرجال جرحاً وتمديلاً ثابتاً عن رسول الله (ص)
ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوز ذلك صوتاً للشرعية لا طعنًا
في النيات وكما جاز الجرح في الشهود جاز في الرواة والتثبت في أمر الدين أولى
من التثبت في الحقوق والأموال فلهمنا افترضوا على أنفسهم الكلام في ذلك
وقد تكلم في الرجال خلق لا يتبأ حصرهم وقد سرد ابن عدي (٢) في مقدمة
كتابه الكامل جماعة إلى زمنه من الصحابة ابن عباس (٣) وعبادة بن الصامت (٤)
وأنس (٥) ومن التابعين الشعبي (٦) وابن سيرين (٧) وسعيد بن المسيب (٨)
وهم قليل بالنسبة لمن بعدهم وذلك لقلّة الضمف فيمن يروون عنهم إذا كثروا
صحابة وهم عدول وغير الصحابة منهم أكثرهم ثقات إذا لا يكاد يوجد في
القرن الأول من الضمفاء الا القليل وأما القرن الثاني فقد كان في أوائله من
اوساط التابعين جماعة من الضمفاء وضمف أكثرهم نشأ غالباً من قبل تحملهم
وضمفهم للحديث فكانوا يرسلون كثيراً ويرفعون الموقوف وكانت لهم أغلاط
وذلك مثل أبي هريرة المبدري ٩ ولما كان آخر عصر التابعين وهو حدود
الخمسين ومائة تكلم في التمديل والتجريح طائفة من الائمة فضمف الاعمش ١٠
جماعة ووثق آخرين ونظر في الرجال شعبة ١١ وكان متنبهاً لا يكاد يروي
الاعن ثقة ومثله مالك ١٢ وعن كان في هذا العصر اذا قال قبل قوله مصر ١٣
وهشام الدستوائي ١٤ والاوزاعي ١٥ وسفيان الثوري ١٦ وابن
الماجنون ١٧ وحماد بن سلمة ١٨ والليث بن سعد ١٩ وبعده هؤلاء طبقة

٤٨٥ نون سنة ٥١١ ٤٢٥ ٣٦٥ ٤٢٥ ٦٨ ٤١٥ ٣٤ ٤١٥ ٤٢٥ ٤٦٥ ٤٦٥ ٤٦٥ ٤٦٥
٥٢٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥
٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥
٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥ ٤٨٥

منهم ابن المبارك «١» وهيثم بن بشير «٢» وأبو اسحاق الفزاري «٣» والمما
 عمران الموصلي «٣» وبشر بن المنفل «٤» وابن عيينة «٥» وقد كان في ز
 طبقة أخرى منهم ابن عليه «٦» وابن وهب «٧» ووكيعة بن الجراح «٧»
 انتدب في ذلك الزمان لتقد الرجال الحافظان الحجتان يحيى بن سعيد القطان
 وعبد الرحمن بن مهدي «٨» وكان للناس وثوق بهما فصار من وثقاهما
 ومن جرحاه مجروحاً ومن اختلفا فيه — وذلك قليل — رجع الناس في
 ما ترجح عندهم ثم ظهرت بعدهم طبقة أخرى يرجع اليهم في ذلك منهم
 ابن هرون «٩» وأبو داود الطيالسي «١٠» وعبد الرارق بن همام «١١»
 عاصم الضحاك النبيل بن مخلد «١٢»

ثم صنفت الكتب في الجرح والتعديل والملل وبينت فيها أحوال
 وكان رؤساء الجرح والتعديل في ذلك الوقت جماعة منهم يحيى بن معين «
 وقد اختلفت آراؤه وعبارته في بعض الرجال كما تختلف آراء النقيب انه
 وعبارته في بعض المسائل التي لا تكاد تخماس من اشكال ومن طبقة اخر
 حنبل «١٤» وقد سأله جماعة من تلامذته عن كثير من الرجال فتكلم فيهم
 بدالوا ولم يخرج بهم عن دائرة الاعتدال. وقد تكلم في هذا الامر محمد بن سعد
 كاتب الواقدي في طبقاته وكلامه جيد ممقول وأبو خيثمة زهير بن حرب
 وله في ذلك كلام كثير وأبو جعفر عبد الله بن محمد النبيل حافظ الجزيرة
 قال فيه أبو داود: لم أر أحفظ منه. وعلي بن المديني (١٧) وله التصانيف الك
 في الملل والرجال ومحمد بن عبد الله بن نمير (١٧) الذي قال فيه أحمد هو
 العراق وأبو بكر بن أبي شيبة (١٨) صاحب المسند وكان آية في الحفظ وعبد
 بن عمرو القواريري (١٨) الذي قال فيه صاحب جرزة هو أعلم من رأيت بما
 أهل البصرة واسحق بن راهويه (١٩) امام خراسان وأبو جعفر محمد بن عبد

- (١) توفي سنة ١٨١ (٢) سنة ١٨٨ (٣) سنة ١٨٥ (٤) سنة ١٨٦ (٥)
 ١٩٧ (٦) سنة ١٩٣ (٧) سنة ١٩٧ (٨) سنة ١٩٨ (٩) سنة ٢٠٦ (١٠)
 ٢٠٤ (١١) سنة ٢١١ (١٢) سنة ٢١٢ «١٣» سنة ٢٢٣ «١٤» سنة ٢٤١ «
 سنة ٢٣٠ «١٦» سنة ٢٣٤ «١٧» سنة ٢٣٤ «١٨» سنة ٢٣٥ «١٩» سنة ٢٣٥

بن عمار الموصلبي الحافظ وله كلام جيد في الجرح والتعديل وأحمد بن صالح (١) حافظ مصر وكان قليل المثل (٢) وهرون بن عبد الله الجمال (٣) وكل هؤلاء من أئمة الجرح والتعديل

ثم خلفتهم طبقة أخرى متصلة بهم منهم اسحق الكوسج (٤) والدارمي (٥) والبخاري (٦) والمجالي الحافظ زيل المغرب (٧) ويتلوهم أبو زرعة (٨) وأبو حاتم (٩) الرازيان، ومسلم (١٠) وأبو داود السجستاني (١١) وبقي بن مخلد «١٢» وأبو زرعة الدمشقي «١٣» ثم من بعدهم جماعة منهم عبد الرحمن بن يوسف البغدادي وله مسنف في الجرح والتعديل وكان كأبي حاتم في قوة النفس وإبراهيم بن اسحاق الحربي «١٤» ومحمد بن وضاح «١٥» حافظ قرطبة وأبو بكر بن أبي عاصم «١٦» وعبد الله بن أحمد «١٧» وصالح جرزة «١٨» وأبو بكر البزار «١٩» ومحمد بن نصر المروزي «٢٠» ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة «٢١» وهو ضئيف لكنه من الأئمة في هذا الامر. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الثريابي والنسائي «٢٢» وأبو يعلى «٢٣» وأبو الحسن سفيان وابن خزيمة «٢٤» وابن جرير الطبري «٢٥» والدولابي «٢٦» وأبو عروبة الجرائي «٢٧» وأبو الحسن أحمد بن عمير وأبو جعفر العقيلي «٢٨» ويتلوهم جماعة منهم ابن أبي حاتم «٢٩» وأحمد بن نصر البغدادي شيخ الدارقطني «٣٠» وآخرون. ثم من بعدهم جماعة منهم أبو حاتم ابن حبان البستي «٣١» والطبراني «٣٢» وابن عدي الجرجاني «٣٣» وكتابه في الرجال إليه المنتهى في الجرح والتعديل

وقد جاء بعد ابن عدي وطبقته جماعة منهم أبو علي الحسين بن محمد النيسابوري (٣٤) وله مسند مغلل في الف جزء وثلاثمائة، وأبو الشيخ ابن حبان (٣٥) وأبو بكر الاسماعيلي (٣٦) وأبو أحمد الحاكم (٣٧) والدارقطني (٣٨) وبه ختمت معرفة الملل. ثم من بعدهم جماعة منهم ابن منده (٣٩) وأبو عبد الله

(١) نوري سنة ٢٤٢ (٢) ٢٤٣ (٣) ٢٤٣ (٤) ٢٤٣ (٥) ٢٤٣ (٦) ٢٤٣ (٧) ٢٤٣ (٨) ٢٤٣ (٩) ٢٤٣ (١٠) ٢٤٣ (١١) ٢٤٣ (١٢) ٢٤٣ (١٣) ٢٤٣ (١٤) ٢٤٣ (١٥) ٢٤٣ (١٦) ٢٤٣ (١٧) ٢٤٣ (١٨) ٢٤٣ (١٩) ٢٤٣ (٢٠) ٢٤٣ (٢١) ٢٤٣ (٢٢) ٢٤٣ (٢٣) ٢٤٣ (٢٤) ٢٤٣ (٢٥) ٢٤٣ (٢٦) ٢٤٣ (٢٧) ٢٤٣ (٢٨) ٢٤٣ (٢٩) ٢٤٣ (٣٠) ٢٤٣ (٣١) ٢٤٣ (٣٢) ٢٤٣ (٣٣) ٢٤٣ (٣٤) ٢٤٣ (٣٥) ٢٤٣ (٣٦) ٢٤٣ (٣٧) ٢٤٣ (٣٨) ٢٤٣ (٣٩) ٢٤٣ (٤٠) ٢٤٣ (٤١) ٢٤٣ (٤٢) ٢٤٣ (٤٣) ٢٤٣ (٤٤) ٢٤٣ (٤٥) ٢٤٣ (٤٦) ٢٤٣ (٤٧) ٢٤٣ (٤٨) ٢٤٣ (٤٩) ٢٤٣ (٥٠) ٢٤٣ (٥١) ٢٤٣ (٥٢) ٢٤٣ (٥٣) ٢٤٣ (٥٤) ٢٤٣ (٥٥) ٢٤٣ (٥٦) ٢٤٣ (٥٧) ٢٤٣ (٥٨) ٢٤٣ (٥٩) ٢٤٣ (٦٠) ٢٤٣ (٦١) ٢٤٣ (٦٢) ٢٤٣ (٦٣) ٢٤٣ (٦٤) ٢٤٣ (٦٥) ٢٤٣ (٦٦) ٢٤٣ (٦٧) ٢٤٣ (٦٨) ٢٤٣ (٦٩) ٢٤٣ (٧٠) ٢٤٣ (٧١) ٢٤٣ (٧٢) ٢٤٣ (٧٣) ٢٤٣ (٧٤) ٢٤٣ (٧٥) ٢٤٣ (٧٦) ٢٤٣ (٧٧) ٢٤٣ (٧٨) ٢٤٣ (٧٩) ٢٤٣ (٨٠) ٢٤٣ (٨١) ٢٤٣ (٨٢) ٢٤٣ (٨٣) ٢٤٣ (٨٤) ٢٤٣ (٨٥) ٢٤٣ (٨٦) ٢٤٣ (٨٧) ٢٤٣ (٨٨) ٢٤٣ (٨٩) ٢٤٣ (٩٠) ٢٤٣ (٩١) ٢٤٣ (٩٢) ٢٤٣ (٩٣) ٢٤٣ (٩٤) ٢٤٣ (٩٥) ٢٤٣ (٩٦) ٢٤٣ (٩٧) ٢٤٣ (٩٨) ٢٤٣ (٩٩) ٢٤٣ (١٠٠) ٢٤٣

الحاكم (١) وأبو نصر الكلاباذي (٢) وعبد الرحمن بن فطيس قاضي قرطبة (-) وله
دلائل السنة وعبد النبي بن سعيد (٤) وأبو بكر بن مردويه الأصفهاني (٥)
ثم من بعدهم جماعة منهم محمد بن أبي الثوراس البغدادي (٦) وأبو بكر
البرقاني (٧) وأبو حاتم العبدي - وقد كتب عنه عشرة آلاف جزء - وخلف بن
محمد الواسطي «٨» وأبو مسعود الدمشقي «٩» وأبو الفضل الفلكي «١٠» وله
كتاب الطبقات في ألف جزء. ثم من بعدهم جماعة منهم الحسن بن محمد الخلال
البغدادي «١١» وأبو يعلى الخليلي «١٢» ثم من بعدهم جماعة منهم ابن عبد البر «١٣»
وإبن حزم «١٤» الأندلسيان والبيهقي «١٥» والخليل «١٦» ثم من بعدهم جماعة
منهم ابن ماكولا «١٧» وأبو الوليد الباجي «١٨» وقد صنّف في الجرح
والتعديل - وأبو عبد الله الحميدي «١٩». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو الفضل
ابن طاهر المقدسي «٢٠» والمؤتمن بن أحمد «٢٠» وشهرويه الديلمي. ثم من
بعدهم جماعة منهم أبو موسى المدني «٢١» وأبو القاسم بن عساكر «٢٢»
وإبن بشكوال «٢٣». ثم من بعدهم جماعة منهم أبو بكر الخازمي «٢٤» وعبد
النبي المقدسي «٢٥» والرهاوي وإبن منفضل المقدسي «٢٦». ثم من بعدهم جماعة
منهم أبو الحسن بن القطان «٢٧» وإبن الأماطي «٢٨» وإبن نقطة «٢٩» ثم من بعدهم
جماعة منهم إبن الصلاح «٣٠» والزي المنذري «٣١» وأبو عبد الله البرذالي «٣٢»
وإبن الأبار وأبو شامة «٣٣» ثم من بعدهم جماعة منهم إبن دقيق العيد «٣٤»
والشرف الميذومي وإبن تيمية «٣٥» ثم من بعدهم جماعة منهم المزني «٣٦» وإبن سيد
الناسي وأبو عبد الله بن أبيك والذهبي «٣٧» والشهاب بن فضل الله «٣٨»
ومغلطاي «٣٩» والشريف الحسيني الدمشقي والزين العراقي «٤٠» ثم من بعدهم
جماعة منهم الولي العراقي والبرهان الحلبي وإبن حجر المسقلاني «٤١» وآخرون
من كل عصر إلا أن المتقدمين كانوا أقرب إلى الاستقامة وأبعد من موجبات الملامة
ولمك سئمت الأكتار من ذكر الأسماء - وإن كان مقتضى الحال وعين
ما يتطلبه المقام - لكن لنا في ذلك غرض جليل ومغزى نبيل وهو أن نكم

١ توفى سنة ١٠٥ - ٢ - ٣٩٨ - ٣ - ٤٠٢ - ٤ - ٤٠٩ - ٥ - ٤١٦ - ٦ - ٤١٢ - ٧ -
٤٢٥ - ٨ - ٤٠١ - ٩ - ٤٠٠ - ١٠ - ٤٣٨ - ١١ - ٤٣٩ - ١٢ - ٤٤٦ - ١٣ - ٤٦٣ -
١٤ - ٤٦٦ - ١٥ - ٤٥٨ - ١٦ - ٤٦٣ - ١٧ - ٤٧٠ - ١٨ - ٤٧٤ - ١٩ - ٤٨٨ - ٢٠ - ٥٠٧ -
٢١ - ٥٨٩ - ٢٢ - ٣٢٣ - ٢٣ - ٥٧٨ - ٢٤ - ٥٨٤ - ٢٥ - ٦٠٠ - ٢٦ - ٦١١ - ٢٧ - ٦٢٨ -
٢٨ - ٦١٩ - ٢٩ - ٥٢٩ - ٣٠ - ٦١٣ - ٣١ - ٦٣٦ - ٣٢ - ٦٢٥ - ٣٣ - ٦٢٥ - ٣٤ - ٧٠٢ -
٨٥٢: ٤١: ٨٠٦: ٤٠: ٧٦٣: ٣٩: ٧٤٩: ٣٨: ٧٤٨: ٣٧: ٧٤٢: ٣٦: ٧٢٨: ٣٥:

أفواه أولئك الذين تقولوا على السنة أنه دخل فيها الفريب عنها إذ قد طال الصهد عليها وتناولتها عصور الجهالة وبصرت منها أحن الزمان وطواريء الحدثان فنحن نقدم لهم دليلاً بيناً وبرهاناً ساطعاً أن السنة خدمها المسلمون خدمة جليلة لم تمهد لدنى أمة من الأمم ولا في مسألة من الملل وإن ذلك كان ديدن المسلمين في كل عصر فلم ينفخوا فترة من الزمن حتى يبعث بها أولو الأغراض، وينال منها ذوو الألقاد، بل لازالت محفوظة من يد المابئين، مخدومة من جهاذة المحدثين، فلهم الكلمة على المتقولين، والشناء من عامة المسلمين

الخيال في الشعر العربي

٣

حال المعنى والتخييل

قد يصوغ الشاعر المعنى لأول الخطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قرينته ورقت حاشية المعية ككثير من الأشعار الواردة على طريق المصيات والألفاظ أو من سبى إليه ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال كبعض المحاورات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض وكتمه عن بعضي إلى حديثهم أو يطالع على رسائهم

وقد بصرح بالمعنى ثم يدخل به في طريق التخييل وهذا إما أن يخرج الصريح بالتخييل فيفصل المعنى ويضع بازاء كل قطعة منه صورة خيالية كما قال العنابي يحصف السحاب

والنجم كالثوب في الأفق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمنا لا فتق فيه فان صالت عزابه قلت الثوب منفتق
إن معمع الرعد فيه قلت منخرق أو لألاً البرق فيه قلت محترق
مثل النجم الضارب في الأفق بالثوب المشور ثم أخذ يقرن كل حال من أحواله بما يقابلها من أحوال الثوب فجعل إمساكه من المطر مظنة الصحة والمتانة، وانسكاب الغيث من خلاله منبتاً بمنطقه، ومعمة الرعد إعلاناً بانخراجه، وببيض البرق شغافياً من

الاهب تؤذن باحتراقه، واما ان يستوفى المعنى بالصراحة ثم يأتي بمثاله الخيالي متواصل الاجزاء وهذا كقول بعضهم

رأيتكم تبدون للحرب عدة ولا يمنع الاسلاب منكم مقاتل
فأتم كمثل النخل بشرع شوكة ولا يمنع الخراف ما هو حامل
استغنى المعنى الصريح وهو تظاهرهم بالاهبة للحرب وقعودهم من قتال عدوهم
واقترانك ما سب من حقوقهم، ثم ضرب له المثل على نسق واحد بالنخل بشرع
نصلا مسنونة من الشوك كالتأهب للذود بها مما يحمل من الثمار فيعمد الخراف لها
ويجتنيها بأجدها دون أن يناله ذلك الشوك بأذى

ومن أبدع ما جاء على هذا النمط قول ابن رشيق انقبرواني

رجوتك للامر المهم وفي يدي بقايا امي النفس فيها الامانيا
وساوت لي الايام حتى اذا تقضت أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنت كأني نازف البئر طالبا لاجامها أو يرجع الماء صافيا
فلا هو أبقى ما أصاب لنفسه ولا هي أعطته الذي كان راجيا
وإما ان يصرح لك بالمحل الذي يجعله مناطا للحديث عنه ثم يسوق القول كله
على طريق التخيل كقول بعضهم

أبي وإياك كالصادي رأى نهلا ودونه هوة يخشى بها التلقا
رأى بينه ماء هز مورده وليس يملك دون الماء منصرفا
فقد أراك أول الثمر انه يريد الحديث عن حاله مع المخاطب ثم المراد في مجال التخيل
الذي أفاد به اذ الحاجة تحته على القرب منه، والخطر المنعرج في سبيله ينصح له
بالاحجام عنه. ومن أبدع الوصف المنسوج على هذا المثال قول شرف الدين التيفاشي

أما ترى الأرض من زلزالها عجا تدعو الى طاعة الرحمن كل تعي
أضحت كوالدة خرقا مرمضة أولادها درئدي حافل غدق
قد مهدتهم ما اذا قبر مضطرب وأفرشتهم فراشا غير ما قاق
حتى اذا تهرت بهن الذي كرمت مما يشق من الاولاد من خلق
(المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الثاني والمثرون)

هزنت بهم مهدهم شيئاً قبيهم
ثم امتشاطت وآل الطبع للخرق
فصكت المهد غضبي وهي لافظة
بعضاً على بعضهم من شدة الترق

أسباب جودة الخيال

لا مباحة ان النفوس تختلف بفطرتها في صحة الذوق وقوة التذكر فيكون من أسباب
الغياوب في جودة الخيال ما هو هائد الى الفطرة، والفرض في هذا المقام انما هو البحث
عن الامور التي تؤثر في جودة الخيال وتبسط في نطاقه من خارج، ومدارها على امرين
(أحدهما) تردد النظر في مظاهر المدينة فان امتلاء حافظه الشاعر من المناظر
المختلفة والصور التي لا تدخل تحت حصر تجمله أغزر مادة حتى اذا هرض له معنى
اقتضى الخيال ابراده في طريقة الخيال لا يعوزه مني التفت الى حافظته وان يلاقه منها
ما يساعده على العمل بسهولة، ثم انه لغزارة مادته وسعة مجاله تكون مخيلته أكثر
عملية في انشاء المباني وابدائها، وكثرة العمل مما ترشح به هذه القوة النفسية فيكون صاحبها
أقدر على صناعة التخييل وأرسخ فيها من كانت بضاعته مزجاة وحافظته في اطلاق
ومن جهة ان غزارة المادة تساعد على كثرة العمل الذي هو الابداع، وكثرة
العمل تقوى بها النفس في صناعة التخييل أمكن للشاعر المدني أن يفوق الشاعر
البدوي، أو القروي في تخيل معاني اشتمكوا في العلم بالعناصر التي تنبع منها الصور الخيالية
يلعب تأثير المدنية في تهذيب المحبلة الى ان يكون الفرق بين عملها في حال البداوة
وعملها بعد ان تجمض صاحبها الحضارة أوضح من نار على علم، فهذا على ابن الجهم
الذي قيل له:

انت كالكلب في حفاظك لهم
د وكاتبس في مراهي الخطوب
هو الذي يقول

فان لنا نحن الالهة اذا
نعي ان ياوي البنا ولا تقري
يد انه قال البيت الاول اياه كان يسكن البادية وقال البيت الثاني بمد ما نزل
بهداد وتراصف في حافظته من العصور والمباني ما نزل به حاشية طبعه وجعل قريحته
تسبح من المعاني البدوية برودا ضافية

(ثانيتها) الحرية اذ لاشبهة ان الاستبداد الاعشى يطبع الناس على الجبن ويقيهم في أفئدتهم رهبة تخلمهم على ان يجعلوا بينهم وبين الاقوال التي تسخط لها الحكومة القاضية حاجزا لا يدنون منه ، فيضيق بذلك مجال الشاعر وربما تنكب الخوض في الاجتماعيات ، حذر الوقوع في السياسيات ، ومن ذا ينكر ان الخيال الذي يصغره صاحبه في كل غرض ويطلق له الضان في كل حلبة يكون أبعد مرمى وأحكم صنفا من خيال الشاعر الذي حصرت السياسة في دائرة ورسمت له خطة لا يفونها ، ولقد كنت أعرف أناسا شبرا تحت ملطة تكره للاديب أن يفتح طياته في الاحوال السياسية فصرفوا معظم حياتهم في التردد على الغزل والمديح والرثاء وفاخت عليهم قرايحهم في هذه الاغراض بعمان رائقة ولما سمح الوقت بالكلام في مقاصد اجتهادية أو سياسية وقف بهم الخيال في عتبة كؤود أو أتوابها في نسج واه وهياة متخاذلة فالخيال حر في عمله لا يملك السلطة المستبدة مرده ولكنها تمنه من ان يتجول على مراكب الالسة والاقلام وهذا ما يثبط الشاعر عن اطلاق خياله للهمل ولا يرخي له العنان الا في افراض يسمه الحال لان يخاطب بها الناس نطقا أو كناية

فذاك سيبان لان يكون الخيال بديع الصنع في كل غرض يتوجه اليه ، وههنا أمر آخر اذا اتفق للشاعر حال تصديه للنظم في غرض يكون له أثر جلي في مهولة التخيل وبعد الرمية الى المعاني الغامضة وهو الاحساس والتأثر

فمن الشعراء من يتكلم عن مشاهدة وتأثر نفسي كأن يرى البطل يلقي بنفسه في مواقع الخطوب أو العالم كيف يتدفق بالحكمة البالغة أو الجواد كيف يبسط يده بالدوان فيشمر باعظامه ويأخذ في مديحه وتمجيدته ، ويرى الجبان كيف يصفر أنامله من ذكر الحرب أو الجمال كيف يتعضض باللغو أو الباطل ، أو البخيل كيف يشد على الدينار دباطا فوق رباط فيشمر في نفسه بمهاتته ويتصدي لهجائه ، ويموت من يمز عليه من قريب أو صديق أو استاذ فيشمر بالتمجيم والاسف عليه وتتفجر قريحته برثائه ، ونحل بصديقه فاجمة فيحس بالاشفاق عليه فيأخذ في تسليته وتهوين وقومها عليه بالعزاء الجليل ، ويدخل الروضة النضياء فيذمغ بمرأى أزهارها وتاهين بلاياها فيهب في صدره ابتهاج وانس ويسترسل في رصفها وذكور ماراقه من مشاهدتها

ومن الشعراء من يسوقه الى الشعر باحث طمع أو خوف أوحيا ومن الجلي ان
الاحساس والتأثر مما يفتح أمام الخيال طرقاً قلما يصر بها من يحمل نفسه على الشعر
المجرد الطمع أو الخوف أو الحياء فانظر ان شئت مثلاً الى قصيدة أبي الحسن الانباري
التي يقول في مطلعها

هل في الحبيبة وفي المات لحق أنت احدي المعجزات

فتمجد فيها تخيلات فائقة ، والذي ساعده على ذلك فيما أحسب انه أنشأها
من تفجع واعظام بالغ لانه رثى فيها الوزير ابن بنية يوم قتله عضد الدولة مصلوباً فظمه
لها - وهو لا يرتجى من وراثتها فائدة بل يوجس في نفسه انطبعة من أن يناله عضد الدولة
بالمقربة هليها - بشر بأن الباعث له على انشائها التلهف والاخلاص

ولو نظرت الى القصائد التي يخاطب بها الشعراء الملوك تهنئة بانتصار أو فتح
وقتها بالقصائد التي يخاطبونهم بها تهنئة بعيد مثلاً أو بمولود أو بناء قصر لوجدت
الاولى أجود خيالاً لان انتصار الدولة مما يندر في نفوس الامة فرحاً وبشر فيها
عاطفة اجلال لمن جرى النصر على يده وليست الثانية بهذه المكانة اذ طلوع العيد
على الامير وازدياد ولد له أو تشييده لقصر لا تهتز له نفس الشاعر حتى تطير به في
جو الخيال، ويقتمس مايلذه الذرق من بدائع الافكاره وانظر ان رمت الوثوق
بهذا الى قصيدة أبي تمام التي هي في المتصم بفتح عمودية

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

فانه ذهب بمحانيها عذائب خيالية لا تطلع له على ما يحاكيها في القصائد التي لم
يسخرها لها غير ما يرجوه من التوال

وكذلك الشاعر الذي يريد أن يتبرأ من جنابة تعزى اليه أو يحاول أن يزيل
ما في نفس السلطان من ضغينة أو نية سيئة فانه يتكبر من المعاني ما لا يتكبره في
القصائد التي يمدحها بها وهو مقبل عليه

وبما يخوض الشاعر في فرض أما دعاه اليه بجماعة غيره ومباراته في مضمار البيان
فيبلغ مبلغ من انفاقوا اليه عن احساس وعاطفة نفسية ويقع على تخيلات جيدة
ولكن أمثال هذه التخيلات تنال على ذي التأثير النفسي بدون تصف حينها يحتاج

الآخر الى أن يحث اليها قريحته وبمجازها وهي كالتعاصبه عنه

بماذا يفضل التخيل ؟

عرف مما سبق ان التخيل يدور على انتقاء مواد متفرقة في المحافظة ثم تأليفها وبرزها في صورة جديدة ، فيرجم فضله والبراعة فيه الى ثلاث مزايا احدها أن يكون وجه المناسبة بين تلك الجواهر - أعني المواد المؤلفة منها صورة المعنى - فامضاً ، فزينة من يتخيل الكواكب أزهاراً باسمه في روضة ناضرة دون مزينة يقول

وضوء الشهب فوق الليل باد كأطراف الأسننة في الدروع
فان المشابهة بين الكواكب والأزهار لا تغيب عن كثير من الناس أما التشابه بين النجوم وبين أطراف الأسننة الالامة عند نفوذها في الدروع لا يحوم عليه الا خيال بارع

ولا فضل لمن يرى الشمعة فيجأ إليها بالرمح اذا قسته بمن ينظر اليها فيقول
كأنها عمر الفتى والنار فيها كالأجل
فان محادثتها بالرمح لا تكاد تخفى على ذي بصر وانما الخيال الفائق هو الذي ينتقل منها الى العمر والأجل حيث يشعر بالمناسبة الدقيقة بينهما وهو ان الأجل يدنو من الانسان حيناً فحيناً ويتقاضى عمره رويداً رويداً الى أن تنقلص عنه أشمة الحياة كهييب الفتيلة يدب في جسم الشمعة وينتقصها قليلاً قليلاً الى أن يأتي على آخرها وتذهب في الجوهاء منتوراً

ثانيتها - أن يكون التخيل مبنياً على ملاحظة أمور متعددة بالصورة التي يراعى في تأليفها ثلاثة ممان مثلا تكون أرجح وزناً وأتقى قبة من الصورة التي تبنى على رعاية معنيين فمن الشعراء من يصور لك الرمح سهاباً ناقباً فهل يحق لك أن تساويه بمن يخيله لك ورؤوس الأعداء منصوبة على طرفه بالفنصن يوم يكون مكلاً بالمار كما قال ابن صهارب مخاطب المعتصم صاحب المرية

أثمرت رمحك من رؤوس كآتهم لما رأيت الفنصن يمشق مشرا
يقف الناس في تصوير الحرب بمعنى الرمح عند قولهم دارت رحي الحرب وكان عمرو بن كلثوم أسطاهم في هذا التخيل باعاً حيث يقول في وصف الحرب متى تنقل الى قوم رحاها يكونون في اللقاء لها ملحيناً

يكون تماها شرقي نجد وهورها قضاة أجمينا
فالتغال ما يبعث تحت الرحي لتساقط عليه الدقيق والهبوة القبضة من
الحب تلقى في فم الرحي لتطحنها وقضاة هي القبيلة التي يهددها هذا الشاعر
بالحرب الطاحنة ، وكانى به عند ما حضر في نفسه معنى الحرب انساق اليه معنى
الرحي لما بينهما من التشابه المهود ثم تنقل نظره من الرحي الى ما هو من
خواصها فوقع على التغال والهبوة ثم انقلب الى معنى الحرب وألقى نظره الى
ما حولها فترأى له ميدانها مبسوطاً كالتغال والرجال الذين يتهافتون عليها
فتتناثر رؤوسهم وتتساقط أشلاؤهم على ذلك الميدان في صورة الهبوة فصاغ
الايات على هذا الوجه الذي يدل على حسن تصرفه في ضم المعاني الى أشكائها
والادباء الذين أروك الحصى في صورة الدر ليسوا بقليل وانما المزية لمن اتسع
في صورة هذا المعنى ونظر في تركيبها الى أمور متعددة فقال يصف وادياً

وقاها لفحة الرمضاء واد مقام مضاعف الخيث العميم
نزلنا دوحه فحننا علينا حنو المرضعات على العظيم
وأرضقنا على ظمأ زلالا ألد من المدامة للنديم
روع حصاه خالية المذارى فتلمس جانب العقد النظيم

كأني بالشاعر عند ما صح فتح جفنه على الحصى وهي في ملاستها وصفاء
مُنظرها انصرف خياله الى ما يحاكيها من الجواهر النفيسة ثم الى حال تناسقها في
هيئة قلادة وتذكر بهذا موقعها من الصور فخرت على قلبه الفتاة وشرع يتصور
كيف تنظر الى تلك الحصى فيهبجم على ظنها بغتة ان قلادتها انقرطت وان ما تراه
من الحصى انما هو اللؤلؤ الذي كان متناسقاً في نحرها قد تساقط الى مواطئة
أقدامها فلا تمانك أن تصرب يدها على العقد حتى تحفظ البقية من السقوط
أو لتتبعن صدق ظنها فتسخر الى التقاطها

تالتها ان يجري الشاعر في استخلاص المعاني وتأليفها على ما يوافق الذوق
السليم فهو الحافظ لنظام المعاني كما ان القواعد المربية تحفظ نظام الالفاظ ،
ومن الشعراء من تأخذ سنة عن هذا الشرط فيضع المعنى الخيالي على مثال
تشمز منه النفس كما أن ناسج الثياب من غزل اختلقت ألوانه اذا لم يكن
صاحب ذوق فائق لم يحكم وضما وأخرجها في صورة تذفها الميون . ومنال
هذا ان أبا القاسم بن فرناس اللند الامير محمداً أبيتاً يقول فيها

رأيت أمير المؤمنين محمداً وفي وجهه بذر المحبة يشر
فقال له مؤمن بن سميد : قبلاً لما ارتكبه جملت وجه الخليفة عرائناً
تشر فيه البذور ، ففضيه الخجل وجعل جوابه عن هذا النقد الصائب سبباً
ووقع في مثل هذه الزلة كثير من كبار الشعراء فهذا أبو تمام يقول في مدح
أجد الأبطال

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت الصجاج تخاله محراناً
فجمل ممدوحه محراناً كما جملة هادياً حين قال
لا زال يهذي بالمكارم والملا حتى ظننا انه محوم
وهذا بشار بن برد يقول

وجدت رقاب الوصل اسياف هجرها وقدت لرجل اللين فملين من خدي
فأثبات الرقاب للوصل والرجل للين من التخيلات المستهجنة
قد يحظر لسائل أن يقول : ان هؤلاء الشعراء براعة مسلمة واذواقاً لا ترقاب
في صحتها وصفائها ، وقد مرت هذه المعاني التي رमितوها بسبب السخافة على
أذواقهم فألقت اليها بالتسليم أفلا يكون رضاهم عنها واستحسانهم لها شاهداً
ببراعتها بما تدعون من سماجة الوضع ومناقرة الذوق ؟
والجواب ان القبح في هذه المعاني وما كان على شاكلتها محقق بما يجسده
الانسان في نفسه من أثر الفكرة لها وعدم الانس لساعيا ، فضلا عن شهادة
فريق عظيم لا تقصر بهم سلامة الذوق والمعرفة بحرفة الادب عن طبقة اولئك
الشعراء . وهذا ابن رشيق يقول عقب اراد البيت الاول من بيتي ابي تمام
« فلعنة الله على المحرات ههنا ما أقبحه واركه » ولم يبق سوى النظر في عدم
تنبيههم لذلك القبح وكيف خفي عنهم وجهه وهو كاشف لثامه حتى لا يحتجروا
بادراكه في بعض الابيات الادباء عن غيرهم

والوجه في هذا ان البصيرة مثل البصر والمشهد للصورة عن عيان قد
يفوت ان يمدق فيها من بعض الجهات فلا يشر بما فيها من عيب . فكذلك
الشاعر قد يصوغ المعنى ولا يأخذ بالنقد من جميع أطرافه فيصبر على خروج
قد يبصر به من هو أضعف بصيرة منه ، والملة في عدم تنبه الشاعر لذلك
الخلل قصر المدة فيما بين انقضاء القصيدة واراتها لللا بحيث لا يتسكن من
بحر يد نظره الى كل بيت وقد معناه من سائر وجوهه

وربما أصيب الشاعر من اعتماده على براعته ومكاته سمته ، اذ كثيراً ما يستفيد الشاعر من المقام والشهرة التي يدرجها بين قومه فيتلقون شعره باستحسان فوق ما يتلقون به شعر غيره بمن لم يقيم لهم صيت وان كان في نفسه أبعد أمداً وأحكم نسجاً ، فكثرة الاجادة وسعة الذكر قد تؤثر في همه الشاعر في بعض الاحيان فيتلقي القصيدة على علاتها ولا يحمل نفسه على التدقيق في تقدها . ومن ثم ترى أكثر الذين يقومون في هذه المثرات ان هم الاكابر الشعراء والمكثرون منهم كما في تمام والمنفي ومن كان في طبقتهم ويؤكد لك أن سيئات الشعراء في هذا الصدد انما لصقت بهم من جهة عدم تقدم المعنى بعد أن تقذفه القريحة نقداً وافياً اما لضيق الوقت أو اغتراراً بما ملكوا من البراعة وأحرزوا من الشهرة ، أن أحدهم قد ترسل قريحته معنى فيقع منه موقع الإعجاب حتى اذا أعاد عليه النظر مرة ثانية انكشف له من مساويه ما يجعله في أسف على اذاعته أو في ارتياح من عدم اطلاع الناس عليه ومن المحتمل أن يصوغ الشاعر المعنى فتأخذ جهة الحسن بقلبه مأخذاً بليغاً ثم يعثر في صورته على وجه من الخلل ولا يتمكن من تلافيه واكمال قصه الا برفض الصورة من أصلها ، وحيث يرى أن جهة الحسن أرجح ويرجو أن تسبل على ذلك المنز فضل رداً فلا يشعر به الناقدون بيبقي صورة المعنى على حالها ويحيزها للرواة وهو بصير بملتها . ولا أخال أن النابغة حين قال

نظرت اليك لحاجة لم تقضها نظر السقيم الى وجوه العمود
لم يחדش عاطفته أن يضع المحبوبة بمنزلة السقيم ولكنه عز عليه أن يضرب
من هذا التشبيه الذي لا يلحق شأوه وان وخزه لفظ السقيم في ضميره وخزات بالغة

الامل والعيال

« وهو فصل من كتاب «الاخلاق والواجبات» للفرنبي »

ذكرنا في الفصول السابقة واجبات الشخص منفرداً . ونريد ان نذكر في الفصول التالية واجباته مجتمعاً مع غيره من أبناء جنسه . وأول اجتماع له من هذا القبيل اجتماعه مع أهله وعياله . وأهله زوجته . وعياله أولاده . واذ كانوا أغنياء انضم اليهم خادم يكفهم مؤونة المصل ويقال للمجموع المؤلف

من هؤلاء الافراد في اللغة العربية «عيل الرجل» - بتشديد الياء - وفسروه بقولهم هم أهل بيته الذين يتكفل بهم ويمونهم من أزواج وأولاد وأتباع . وقد اُستلح كتاب هذا العصر على تسميتهم بالعائلة مع ان كلمة عائلة في أصل وضمها اللغوي بمعنى فقيرة تأنيث (عائل) فقير و (العيلة) الفقرو (عال) افتقر .

وبحث الواجبات العائلية يتضمن بيان ما يجب على الشخص نحو أفراد عائلته المذكورين ويدخل فيهم أحياناً من يموله من غيرهم كإبيه وأمه أو يتيم يكفله أو امرأة تأوي الى كفله ، وتميش على نفقته .

وقد وجدت العائلة على وجه البسيطة من يوم وجدت المرأة بجانب الرجل وولدت له أولاداً والاعمال التي يراد لها كل من الرجل والمرأة في عائلتهما تختلف باختلاف حال الامة التي يعيشان فيها بدعوة وحضارة ، رقياً وانحطاطاً .

ويطلب في الامم المتحضرة ان تكون وظيفة المرأة ادارة الاعمال البيتية . كما تكون وظيفة الرجل العمل خارجه . فهو يشتغل ويتعب ويستثمر أصابه ثم يلقي بهذه الثمرات الى زوجته . ويتكفل في هنائه المائلي وراحته المنزلية عليها . فالزوجة هي الرئيسة العاملة في المنزل . اما الزوج فهو بمثابة رئيس صرف له .

وقد جاء التصريح بذلك في الحديث الشريف مذ قال صلى الله عليه وسلم
 ﴿ كل نفس من بني آدم سيد : فالرجل سيد أهله . والمرأة سيدة بيتها ﴾

فانظر كيف جعل سيادة البيت للمرأة . وخصها بها . وان كان لرجلها سيادة أخرى لا تنكر . واذا كانت المرأة هي سيدة البيت ورئيسته كان من أول واجبات الزوج ان يحسن انتخاب تلك الرئيسة : فيختارها من ذوات العقل والدين والتربية الصالحة فانها اذا توفرت فيها هذه الشروط أصبح المنزل فردوس الرجل . ومظهر كرامته في قومه والمنبت الخصب لتربيته وأولاده .

ومن ثم كان للمنزل والعائلة المقام الاول في نظر علماء الاجتماع . حتى جعلوا نظام الحياة المنزلية أساساً لنظام الحياة الاجتماعية في الامة كلها : فاذا فسد النظام الاول فسد النظام الثاني وانحطت الامة على أثره والمكس بالعكس . قالوا : واذا دخلت احدى المدن كان لك ان تحكم على ارتقاء العائلة فيها بمجرد نظرك الى حالة سكانها وما هم عليه من الاطوار والاخلاق في أسواقهم وحواليتهم ومعالهم وقهاوبهم وسائر مظاهرهم الاجتماعية : فاذا رأيتهم هنا

(المناجح : ج ٤) (٣٨) (المجلد الثاني والمضروب)

على نظام أدبي ثابت حكمت باستحكام النظام الأدبي في بيوتهم وعائلاتهم. لأن هذا أصل ذلك. والا فلا.

قلنا آتقاً ان (المنزل) هو المفرس الاول للنزلة والاولاد. فهم ينقلون منه الى المفرس الثاني أعني (المدرسة) ومنها الى ساحة التجارب والعمل والسعي في خدمة أمهم ووطنهم. فإذا طابت تربية المفرس الاول (العائلة) طابت اذ ذلك ثمار أبناء الأمة. وغزرت محمولات عقولهم وأخلاقهم، وان خبثت تلك التربية خبثت الثمار. وقبحت الآثار. وساءت الاخبار.

وقال بعض علماء الاجتماع المعاصرين « ان أحقر المنازل اذ تولت رئاسته امرأة مدبرة بفروش كان ملؤه الراحة والهناء والسعادة. كان فيه أشرف المواضع العائلية. كان عزيزاً لدى الرجل لما يلتزمه. من دواعي السرور. كان ملاذاً للقلب. وملجأ من عواصف الحياة. كان خير مكان للراحة من عناء الأشغال ومتاع الحياة. كان في الشدة مسلياً. وفي الرخاء فخرأ. وفي كل حال نمياً. فالمنزل الصالح اذن خير معاهد التربية لا للشباب وحده بل للكهل أيضاً. وفيه يتعلم الشاب والكهل البشاشة والصبر وضمبط للنفس وتذكر روح الحياة ومعنى الواجب »

فلتنظر الامم كيف تضم نظام عائلاتها على أساس وطيست ثابت ولينظر الآباء واجبهن الشرعي والاجتماعي من هذا القبيل
 . وأول واجب عليهم حسن اختيار سيده المنزل وقد ورد في الاحاديث النبوية الحث على العناية باختيارها لينجب اولادها. ، ويطيب الميضي معها .
 وقد امتن حكيم من حكماء العرب على اولاده في قيامه بهذا الواجب انجوزهم
 مذ قال :

وأول اصنافي اليكم تحيري لما جده الاعراق باد غناها

. ومن الواجبات العائلية أيضاً العناية بتربية الامل والعيال وتعليمهم ما به صلاح أمرهم . وتثقيف عقولهم . وبهذا المعنى فسروا قوله تعالى .

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)

أي حولوا بينهم وبين شقاء المناب بما تعلمونهم اياه من ضروب الحكمة والعلم النافع . وبهذا المعنى أيضاً ورد قوله صلى الله عليه وسلم
 • اربحوا الى أهليكم فعدوهم

بمخاطب قوماً يريدون ممارسة بعض الاعمال فامرهم بالانصراف عنها الى المطر
هو أهم منها وهو أن يرجعوا الى نساءهم وأولادهم فيظلموهم .
وحض الشارع على التخلق بالاخلاق الفاضلة ان لم يكن لهاها فلا تنة تكون
وسيلة الى تخلق أفراد العائلة بها فقال صلى الله عليه وسلم :

« عفوا تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم
فمن عف عن فعل القبيح كان خليقاً أن تعف نساؤه . ومن بر آباءه كان
جديراً أن تبره أبناؤه .

أما أحاديث الحض على حسن معاملة الامل والميال والرفق بهم وترك
الغلظة عليهم فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم
« خيركم (١) خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي
« ان من أكل (٢) المؤمن إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله
« خير الرجال من أمتي الذين لا يتناولون على اهلهم ويحسنون اليهم
ولا يظلمونهم

« ان الله سائل كل راع عما استراعه : أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل
الرجل عن أهل بيته « أي يسأله كيف كان ضيعه بهم ومعاملته لهم حسنة أم
قبيحة فيجازى بحسب ذلك .

« كان صلى الله عليه وسلم في بيته ألين الناس وكرم الناس ضعفاً كما بساماً
« كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والميال
« من كان له صبي فليتصاب له

أي ليتنزل أن يفعل في ملاعبته قمل الصبيان تطيباً لنفسه . وادخالا
لشروء على قلبه . وروي انه صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه ذات يوم
الى طعام دعوا له فاذا بابن بنته الحسين وهو صبي يلعب مع صبوية في السكة
فاستنزل رسول الله امام القوم (أي اتفرد عنهم وتقدمهم) وأقبل على الحسين .

(١) هذا لفظ الحديث رواه الترمذي عن عائشة وابن ماجه عن ابن عباس
والطبراني في الكبير عن معاوية بسند صحيح ورواه ابن عساکر عن علي بن زياد عن ما أكرم
النساء الا كرم ولا أهانهن الا لئيمه وهو صحيح أيضاً . وذكره المؤلف بلفظ خياركم
الخ وهو حديث آخر ليس فيه وأنا خيركم لاهلي - فلذلك صححهناه (٢) أورده
المؤلف بلفظ أحسن . والرواية أكل وظاهر ان كل ما أوله هذه العلامة « فهو حديث

فطبق يفر مرة هينا ومرة هينا . ورسول الله يضحك . ثم أمسكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فأس رأسه (أي قمار رأسه من تحت قذاله) وأقنعه (أي رقبته) وجعل يقبله وقال :

« أتأمن حسين وحسين مني أحب الله من أحب حسيناً »

أما حسن معاشرته لنسائه الفاضلات فالتسعة مستنبضة به . من ذلك ما روي في الضحاح عن عائشة رضي الله عنها قالت « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرني والحبشة يلعبون بحراهم في المسجد وهو يمتزني بردائه . انظر إلى لعبهم . وكان يقول لي كفى ! فاقول لا حتى اكتفيت . ومن جملة الرفق والحنان بالأهل والعیال ما ورد في الحديث وهو :

« كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحداً من أهله في يوم عيد إلا أخرجه يعني أنه كان في صبيحة أيام الأعياد يخرج كل واحد من أفراد عائلته إلى خارج المدينة حيث يجتمع المسلمون لصلاة العيد في مصلاها الخاص فيصلون ويشاهدون الناس في هذا الاجتماع الحافل فيدخل عليهم السرور والفرح بروية ذلك .

« مشيك إلى المسجد وانصرفت إلى أهلك في الأجر سواء

سوى في الأجر والثواب بين المشيتين مشي الرجل إلى عبادته ومشيها واجماً إلى مسامرة عائلته . وكان الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله هذا يمرض بأولئك القساء الذين لا يحصلون من أوقاتهم نصيباً مفروضاً لمعاشرته عائلاتهم بل ينفقونها جزافاً في أماكن اللهو والبطالة . وبذلك تسوء عيشة المائلات وتتنقص حياتها بل ربما أدى بها الأمر أحياناً إلى التماسد وقبيح الأعمال ومن الواجبات العائلية ترفيه العائلة . والتوسمة عليها بالنفقة، واعداد ما يلزم لها من وسائل الراحة والهناء . ومرافق الحياة والمعيش . وقد حض الشارع صلى الله عليه وسلم على ذلك في أحاديث كثيرة منها :

« ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله »

« شر الناس المضيق على أهله »

« أول ما يوضع في ميزان المرء اتقاه على أهله »

أي إن النفقة عليهم من أول الأعمال التي يناب عليها .

« دينار أتقته في سبيل الله ودينار اتقته في رغبة ودينار تصدقت به على »

ممكن ودينار اتقته على اهلك . اعظمها اجراً ذلك الذي اتقته على اهلك
 * أطمم زوجها اذا طممت واكسها اذا اكتسيت ولا تقبح الوجه
 ولا تضربه (١)

ينهي عن ضربها وكل ما يؤذيها وعن تقبيح وجهها فلا يواجهها بتقبيح القول
 وفضيح الشتم . او المعنى : لا يقول لها « قبح الله وجهك » وهو شتم مألوف
 بينهم نهى الشارع عنه بخصوصه .

* الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر .

في هذا الحديث تحذير لارباب العائلات الذين يجمعون المال حلالاً وحراماً
 صدا لحاجات عائلاتهم . وأشباعاً لنهاتهم : فهو صلى الله عليه وسلم يقول :
 * لتعاسة ذلك الاب الذي يترك عائلته بعد موته في سعة من الرزق ومحبوحة
 العيش من مال جمعه حراماً لهم ثم يقدم على ربه يوم القيامة وهو مثقل بتبلمات
 ذلك المال الذي جمعه وخان الناس فيه فيمذبه الله عليه . ويكون قد اشبه الشمة
 التي تضي للناس وتحرق نفسها . فاذا كانت التوسعة على العيال واجباً عائلياً على
 رب العائلة فان تحريم الاتفاق عليها من المال الحلال هو ايضاً واجب عائلي عليه
 تحذره مراعاته والاتباه ليه .

وأما الأولاد والصبيان فهم ثمرة الحياة ، وريحانة البيت . وأمل العائلة

والغاية المقصودة من الزواج . قال صلى الله عليه وسلم

* بيت لاصبيان فيه لبركة فيه

* ربح الولد من ربح الجنة

* الولد ربحان الجنة

(١) المنار : الحديث لا يوجد بهذا اللفظ في الجامع الصغير الذي استمد منه
 الكاتب معظم ما أورده في كتابه من الاحاديث ويوجد باللفظ الآتي معزواً الى الطبراني
 والحاكم مصححاً ورواه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني وصححه
 وعلقه البخاري في الصحيح عن معاوية بن حيدة مرفوعاً وهو لا حق المرأة على الزوج
 ان يطممها اذا طمم ويكسوها اذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر
 الا في البيت . قالوا أي البيت بان يبيت وحده مؤاخذاً لها على المنشور وهو
 عصيان التزويج ولكن لا يحمل له أن يترك مكالتها

لكن ينبغي للآباء والأمهات ان يعلموا ان اولادهم ليسوا ملكا لهم
كلكم اشياءهم وانه لم تمنحهم العناية الالهية لهم ليكونوا بمثابة متاع او
قطعة زينة في البيت ينافس بها . ويحرص عليها . وتتلذذ النفس بالنظر اليها
فحسب . وانما خلقوا ليقضوا زمن الصبوة في حجر العائلة ثم يخرجوا منها
احراراً مستقلين . ويضافوا مدداً الى الرجال العاملين

فالعائلة اذن مكلفة بتربية الطفل وتهيأته جسماً وتعباً وخلقاً للقيام بوظائفه
المختلفة في خدمة قومه ووطنه . وان المنايه بالاولاد وتربيتهم هذه الترية
الصالحة من أكبر واجبات الابوين التي يفرضها الشرع ونظام الاجتماع عليهم
كما ان اهمالم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنايات التي بمقتها الشرع وتعاقب
عليها القوانين المدنية (١) . قال صلى الله عليه وسلم :

« أكرموا اولادكم واحسنوا آدابهم : فان اولادكم هدية الله اليكم
ولا يخفى أن الشكر على الهدية انما يكون في تقبلها بفرح ثم العناية بها . والمحافظة
عليها . كما أن التفريط فيها كفران لحق من أهداها . وباعت على غضبه وتقصته
* لان يؤدب الرجل ولده خيراً من أن يتصدق بصاع (٢)
* حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه
الا حلالاً طيباً

هذه أهم علوم الرجل (٣) في ذلك العهد . ومنها الرماية بالسهم . أما اليوم
فقد اختلفت الاحوال وتبدلت الاوضاع . واستجدت علوم لم يكن يعنى بها
من قبل ، فالواجب على أولياء الاولاد اليوم أن يمارسوا منها ما هم في حاجة ماسة
اليه ، وان الاسلام ليقدر هذا الاختلاف الزماني قدره كما ورد في الاثر
* خلقوا اولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا زمان غير زمانكم (٤)

(١) النار : لعله أراد السنن الاجتماعية لا المعنى الاصطلاحي عند الحكومات
(٢) في الاصل بصدقة وهو سهو ولذلك صححناه والصاع مكيال معروف
والحديث في الترمذي من طريق ناصح بن عبدالله الحملي وهو كما قال الذهبي
هالك فلذلك أنكر الحفاظ على الترمذي روايته عنه (٣) هذه ليست علوماً بل
الكتابة فن عملي والسباحة والرماية رياضتان ولا يزال هذا من أهم ما يربى عليه
الاولاد ولكن رماية هذا المصير بالرصاص لا بالسهم (٤) هذا ليس بحديث بل هو من كلام
بعض المولدين فلان لفظ التخليق فيه بهذا المعنى عربي فصيح ولا مقتناه شرعي صحيح

فاذا كانت الاخلاق تختلف بين زمن الاب وابنه فكيف يكون مبلغ اختلافها بين زمن السلف وزماننا هذا ؟

* أيما امرأة قدمت على بيت أولادها فهي ممي في الجنة يرشد الشارع صلى الله عليه وسلم المرأة في هذا الحديث الى واجبه في تربية أولادها وهي أجدر بهذا الخطاب الشرعي من الرجل : فهو يقول لها: ان تركها الاشتغال بما لا ينفعها والمكوف على تربية أولادها في بيتها خير وصيلة الى دخول الجنان

* ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن كأن هذا تريض بمن يخص بعض أولاده بالنحل والمطايا وتقيس المتاع وقد ورد النهي عن ذلك صريحا في الاحاديث الاخرى
* اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم
* ان الله يحب أن تمدلوا بين أولادكم حتى في القبل
و(القبل) على وزان غرف جمع قبة وهي التقييلة .

* ساوا بين أولادكم في العطية: فلو كنت مفضلا أحداً لفضلت النساء لعل السبب في استحقاق النساء للتفضيل انهن سريعات التأثر . وقيقات الشعور . شديداً الخيرة : فمن لذلك أجدر بالمطايا . وأنواع البر والالطف (لهدايا) من أخوتهم الذكور . ومع هذا فان الشارع نهى عنه خشية التنافس والتحاسد بين الاولاد . وفي الحديث اشارة لطيفة الى وجوب العناية بالنساء ومراعاة شعورهن وعواطفهن ، ومن هذا القبيل ماورد في الحديث وهو انه صلى الله عليه وسلم .

* كان يكسو بناته خمر القز والابرسم
يفصل ذلك موافاة لرغبتهن ، ومراعاة لميلهن وتناسفهن في لبس الحرير والنفيس من الثياب . والاسلام لا يفرق بين الذكر والانثى في الحب والعناية والتربية كما رأيت وسيأتي في بحث (النساء والايام) زيادة بيان لذلك وان من أهم الاغراض التي جاء الاسلام من أجلها هدم ما كان عليه أهل الجاهلية من هضم المرأة واذلالها . والتفريط أحيانا بحياتها . حتى عابهم القرآن في ذلك . وغيرهم به . مد قال تعالى :

(واذا بشر أحدكم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم)

من ضوء ما بشر به: أعمى على هون أم يدسه في التراب)
 هذا هو حال أهل الجاهلية قبل الإسلام: كانوا إذا ولد لأحدهم انثى
 اكفهر وجهه . واستخفى عن أعين الناس حياءً وخجلاً ثم فكر في كيف يتخلص
 من هذا الضيف الثقيل؟ ايصر عليه؟ أو يئده تحت التراب؟ فجاء الإسلام ناعياً
 عليهم حالتهم هذه . وبشر بالمرأة . ووجوب العناية بها . واعطائها حقها من
 الوجود ونصيبها من الحقوق . ومما قاله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى :

لا تكثر هوا البنات فانهن المؤمنات الغاليات
 وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فتتثبت به (أمامة) ابنة ابنته زينب . فكان
 يحملها على عاتقه: فإذا سجد وضعا وإذا قام حملها .

وانما هي الشارع صلى الله عليه وسلم عن تفضيل بعض الأولاد بالمعوية تفادياً
 من التحاقد والتحاسد بينهم كما مر آنفاً . بل قد يحقدون أحياناً على أبيهم نفسه
 والاب مأمور بأن لا يتعاطى من الأسباب ما يثير شيطان المقوق في نفس ولده
 ومن قوله صلى الله عليه وسلم في ذلك

• رحم الله والداً اعان ولده على بره
 • اعينوا أولادكم على بركم: من شاء استخرج المقوق من ولده
 أي انه في مكنة الاب أن يحمل ابنه على المقوق وترك الطاعة . وذلك
 يكون بتفضيل أخيه عليه بوصية أو عطية أو تقريظ أو ابتسامة أحياناً . فليكن
 الاب حكماً فظناً ضابطاً لمواطنه وتوزيمها بالمدل بين اولاده . والا جر على
 نفسه وعائلته من بئده تعباً وبلاء .

وكما يطالب الولد ببر والده يطالب الوالد نفسه ببر ولده . وبر كل منهما بحسبه .
 وقد وصف صلى الله عليه وسلم أحياناً قوماً من الأبرار فقال :

• انما ساءم الله الأبرار لانهم يروا الآباء والامهات والابناء . كما ان لوالديك
 عليك حقاً كذلك لولدك

ومن جملة بر الوالد لولده ما ذكر صلى الله عليه وسلم في قوله :
 • لا يمد الرجل صبيه ثم لا يفي له
 فان هذا فضلاً عن كونه يحمل الولد على احتقار والده واعتقاد الكذب
 فيه سهل أمر الكذب عليه . ومن شابه اياه فما ظلم . فينبأ كذاباً لا يصدق
 بقول . ولا يفي بمهد .

ومما به إليه الشارع من أمر تربية الأولاد أن لا يتشاهم الوالد بأحد أولاده ولا ييأس منه إذا رآه غنيدا شرسا ذا شرّة وأذى : فقد يتحول كل هذا فيه إذا أحسنت تربيته إلى أخلاق فاضلة كاشجاعة . وقوة الإرادة . وكبر العقل .

والشم وطلب المعالي . قال صلى الله عليه وسلم

« عرام (١) الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره

والمرام الشراسة والأذى والأشر والبطر ومفارقة القصد والخروج عن

الحد . وقيل هو الفساد

ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم أيضا لآباء الأولاد ما جاء في قوله :

« الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة

ومعنى ذلك أن الآباء لفرط حبهم أولادهم وحرصهم على خيرهم قد تتغلب عليهم صفات (الجبن) فتراهم يجبنون عن التعرض للاخطار خشية ان يموتوا فتضيع صفاتهم من بدمهم - و (البخل) فهم يبخلون ويشحون بالمال فلا ينفقونه في وجوهه الواجبة أحيانا لئلا يموتوا بلا ارب يتركونه لفسادهم يستمعون به في كبرهم - و (الحزن) : فهم اذا اعتل الولد وساءت حاله وجوا وحزنوا واستولى عليهم اليأس والقنوط وهذا معنى (مجبنة) (مبخلة) (محزنة) وهي من صيغ المبالغة في الوصف . وما ذكر من هذه الأوصاف وان كان أمرا فطريا أو طبيعيا في الآباء والشارع يعترف به فهو ينيه إلى خطره . ويوصي الآباء بالرفق والاعتدال خشية ان تستحكم فيهم هذه الملكات، فتقودهم إلى الشرور والآفات

ومما ورد في فضل الولد قوله صلى الله عليه وسلم :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به

أو ولد صالح يدعو له بخير

« ان الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول انى لي هذا ؟ فيقال له باستغفار

ولذلك لك

والحنو على الولد والرأفة به والصبر على ما يبدو منه أحيانا من العناد والطيش ودواعي الصبوة امر طبيعي في الآباء محتملونه بصبر ورضا . الا من

(١) المنار: الرواية كما في الجامع الصغير عرامة وهي بالفتح كالمرام بالضم

(المنار: ج ٤) (٣٩) (المجلد الثاني والمشرون)

نذر منهم: فقد رأى الأفرع بن حابس رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولده الحسن فقال له: ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال صلى الله عليه وسلم

* ان من لا يرحم لا يرحم

وقال معاوية رضي الله عنه للأحنف بن قيس: ما تقول في الولد؟ قال: «يا أمير المؤمنين: ثمار قلوبنا . وعمار ظهورنا . ونحن لهم ارض ذليلة . وسماه ظليقة . وبهم نصول على كل جليقة . فان طلبوا فلعطيم . وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم . ويحبوك جهدهم . ولا تكن عليهم فضلاً ثقيلاً . فيملوا حياتك . ويودوا وفاتك . ويكرهوا قربك » فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد أرضيتني ممن سخطت عليه من ولدي . ثم وصله بمطية عظمي

﴿ كلمة المنار في هذا الفصل ﴾

هذا الفصل من كتاب الاخلاق والواجبات للشيخ عبد القادر المغربي صدقنا ورفقنا في طلب العلم بطرابلس الشام ألفه حديثاً لحكومة دمشق الشام ليقرا في مدارسها وهو كما يرى القارئ في حسن أسلوبه وكثرة فوائده الجامعة بين حاجة العصر وهداية اللذين ، ولما أوصل البنا هذا الفصل منه لنشره في المنار كتبنا اليه منتقدين انخالفه تخريج احاديثه وكثرة الضعاف فيها مع امكان الاستغناء عنها بالصحيح فكنت البنا انه قدر ما كتبناه اليه قدره وان عذره الاضطرار الى الاختصار مع كون الكتاب كتاب آداب الا كتاب حديث وان احاديثه منقولة من الجامع الصغير وهي مخرجة فيه «سوى احاديث قليلة مسندة فانبا الى رابعها» وان التصريح بتصف بعض الاحاديث يسقط تأثيرها من النفوس ويظن الطالب ان الضعيف يعني الباطل مع انه ليس الاصطلاحاً للحدثين - وان العلماء تساهلوا في احاديث الفضائل ولا سيما اذا كانت موافقة لاصول الاصلاح الخ

لاجل هذا رجنا عما كنا هزمتا عليه من تخريج احاديث هذا الفصل وديان مراتبها من القوة والضعف في اسانيدها كما دتنا ، وما قاله في ضعف الاحاديث يصدق على الكثير منها ويختلف اصطلاحهم فيها حتى ان الضعيف في مسند الامام أحمد أقوى من الضعيف في زوائد دع الكتب التي يسأل أصحابها في اللدليل تكاين حبان والحاكم ولقد وافق النفاة على الصل بها في احاديث الارشاد والفضائل بشرط تبليها

في النار من قبل أهلها موافقتهما لثابت المتبرر في الدين وعدم اشتداد ضعفها فاز
منها ما سبب ضعفه مخالفة الراوي له لبعض الثقات أو ضعف ضبطه ولو في آخر عمره بل
عد بعضهم كثيرا من رجال الصحيحين في الضعفاء . مثال ذلك حديث « ان الله
سائل كل راع عما استرعاه » في ص ٢٩٩ اخرج النسائي وابن حبان عن انس مر
طريق معاذ ابن هشام وقد عد بمضموم مماذا في الضعفاء وقال ابن معين فيه صدوق
ليس بحجة ، على أنه قد روى عنه الستة

ومنها ما ضعفه شديد يقرب من الموضوع أو يدخل في بابه وقد ذكرنا مثالا
في الجزء الذي قبل هذا في سياق الكلام على التصوف وتساؤل بعض القوم في
الاحاديث الواهية والوضوئية كحديث دعاء الوضوء ومنه في هذا الفصل حديث
« عفوا تعف نساؤكم » الخ نقله في الجامع الصغير عن الطبراني في الاوسه
من حديث عائشة بهذا اللفظ مع تمة وهم عليه بالضعف وعن الحاكم عن ابي هرير
بلفظ « عفوا عن نساء الناس » الخ فالاول الذي اختاره المؤلف في استناده يزيدهم
خاله الضعيف كذاب . قاله الشيخ محمد الحوت وعمدته شرح المناوي على الجامع الصغير
واستند هذا القول الى الهيثمي وليس لهذا الرجل ذكر في ميزان الاعتدال . وقال في
الحديث الآخر : صححه الحاكم ورد عليه الذهبي فيه سويد عن قتاده ضعيف وقال
المنذري هو ابن عبد العزيز واه انتهى ولعل الجواب انه سويد بن ابراهيم الجحدري
ابو حاتم الحنط فانه هو الذي قالوا انه يروي عن قتاده فيخطئ ويأتي به
بالحديث لم يأت بها أحد غيره وهو ضعيف وبالغ ابن حبان في جرحه فقال ا
يروى الموضوعات على الثقات ، وذكر المنذري أن الطبراني رواه من حديث ابي
عمر أيضا باسناد حسن ، فهذه الروايات كان عنده مما يتأدب به ولذلك أورده في
الترغيب والترهيب لان معناه صحيح ، موافق لاصول الشريعة في التربية بالعمل
فلا تغرر مثل هذه الطل .

ومثل ذلك ما كان في سنده انقطاع كحديث « ان من أكل المؤمن
إيمانا أحسنهم خلقا وأطعمهم بأهله » وكذا ما كان في سنده مجهول كحديث بن عامر
في حديث « من كان له صبي فليتهان له » ولكن لا يحتج بها في تشريع بعد

في الأحكام والحلال والحرام ، ولا في أصول العقائد والايان وعالم النبي ، ولا يعتمد بشيء منها إذا خالف النصوص الصحيحة أو القواعد الثابتة في الشرع والأمر الثابتة في الوقائع أو بمتنهي البرهان العقلي أو الدليل القطعي فإن مخالفتها من علامات الوضع . وأكثر اهتمام المتدعين على أمثال هذه الروايات الشاذة أو المنكرة التي لا يثبت لها أصناد

وفي هذه الأحاديث ما ليس في الجامع الصغير ولم يمز إلى كتاب آخر كحديث «ارجعوا إلى أهليكم فمأهروهم» وحديث «كان (ص) في بيته أئبن الناس وأكرم الناس ضحعا كما بساما» ولا أذكر أني رأيت هذا الحديث في الشرائع ولا غيرها وفيه وصفه (ص) بالضحك ولم يكن ضحعا كما وإنما كان ضحكة تبسما : وحديث «أما امرأة قدمت على بيت أولادها» الخ وحديث «لا يمد الرجل صبيه» الخ وهو جزء من حديث رواه ابن أبي الدنيا في الصحمت ولعله في الجامع ولا أذكر أوله لأراجعه فيه ، وفيها ما أورده بغير الفاظه التي في الجامع الصغير كحديث «إذا مات ابن آدم» الخ عزاه في الجامع الصغير إلى البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة عن أبي هريرة بلفظ «إذا الإنسان» وليس في آخره كلمة بخير وحديث «أنا من حسين الخ فإنه فيه بلفظه المشهور «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسين الحسن والحسين سبطان من الأسياط» عزاه إلى البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن يعلى بن مرة ، وحديث «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم» فإنه ذكره بهذا اللفظ وعزاه إلى ابن ماجه عن انس . وقد زاد المروان فيه ما ليس في سنن ابن ماجه ولا الجامع الصغير وهو «فإن أولادكم هدية الله إليكم» ولم يذكر من أي كتاب نقله

ومما اقتصر فيه على الضعاف مع وجود الأحاديث الصحاح ما أورده في المساواة بين الأولاد من حديث النعمان بن بشير «أتوا الله وأعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يروكم» وقد عزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني وأشار إلى ضمنه ، ثم ذكر بعده بحديث حديث «ساووا بين أولادكم» الخ وعزاه في الجامع الصغير إلى الطبراني والبيهقي وأشار إلى ضمنه وذلك أن في إسناده سعيد بن يوسف وهو ضعيف وذكر ابن عدي في الكامل أنه لم يرو له أنكر منه ، وقد ترك حديث النعمان بن بشير

المروي في الصحيحين « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » وفي رواية بين أولادكم وله قصة في انكار النبي (ص) على من ميز أحد لاخرة هل الآخريين . وانما فعل المؤلف هذا لان في الاحاديث التي اختارها زيادة فائدة في المعنى مقصودة في بابها . وقد ذكرت في الحواشي تفسيات أخرى ما أحببت ان تؤخر الى هذه التلطات العامة واتي أحب لصدقتي أن اراجع جميع أحاديث الكتاب وبقابها بالكتب التي نقلها منها ويزكر في حواشي الصحائف مأخذ كل حديث ليس في الجامع الصغير بنصه ، ويصرح بأن كل حديث لم يمره الى كتاب فهو في الجامع الصغير فان هذا ادعى الى ثقة التام بهذه الاحاديث في كل قطر ، وهذا العمل لا يفتني زيادة كثيرة في أوراق الكتاب لقله الاحاديث التي ليست من الجامع الصغير ، وان يدقق النظر في تحرير الالفاظ ولا يتساهل في ذلك اعتمادا على ما ذكره بعض المحدثين من جواز رواية الحديث بالمعنى فان هذا ليس لمن يتقل من الكتب مثلنا وانما هو خاص بمنثل الصحابي أو التابعي يسمع الحديث فيتحرى بيان المعنى الذي فهمه منه فلا يضره اختلاف بعض الالفاظ كقوله « اعدلوا في أولادكم » أو « بين أولادكم »

مختارات من الجرائد الغربية . في حل المسألة الشرقية

جاء في جريدة الباتري (الوطن) في ١٧ مايو سنة ١٩١٩
نهاية الدولة التركية - هدم عقد شروط صلح ١٩١٨ - تقسيم الولايات العثمانية

تقسيم الدولة

قالت النيويورك هيرالد في عددها الصادر هذا الصباح ان من المرجح هدم عقد شروط صلح مع تركيا وان كان ذلك غير مطابق للتواعد المرعية ، لا ان المؤتمر يفكر بكل اهتمام في هذا الامر مرتكنا على ان تركيا لم يمد لها حكومة دولية حقيقة وانه لم يبق للعالم المدني الا الانتفاع بتركة الدولة العثمانية
مثال اليونان أكبر جزء من تركيا أودبه ، وأما الآستانة مع مضائق البحر

فتبعم لعصبة الأمم نحت وصاية أمريكة التي تعطى في هذا الابان نفسه الوكالة على أرمينية الى ان تصير هذه البلاد صالحة لان يحكم نفسها بنفسها
ثم ان اليونان سيصيرها جزء ليس يقبل من آسية الصغرى وأما باقي ولايات هذه الجهة فتكون تحت وكالة فرنسة وإيطاليا بالنيابة عن عصبة الأمم وانكثرة تأخذ بلاد العراق وفرنسة تأخذ سورية أما العرب فقد قرر الحلفاء منحهم الاستقلال

ورائة الخلافة

ان انحلال تركية أوجد مسألة ايلولة الخلافة كما انه وضع حدا لنهاية نفوذ فرنسة في الشرق - لقد كان لنا عدة قرون أكبر نفوذ بسياستنا الودية مع تركية ، وقد حلت ألمانية مجلنا عند ما أهملنا المحافظة على هذا النفوذ ، وكان في امكاننا استرجاع مكانتنا الاولى على أثر صولة النصر الا اننا لم نقتنم هذه الفرصة بل قبلنا تسوية بمحفة بمصالحنا - فما يكون نصيب فرنسة بالنسبة الى البلاد المتسعة التي وضمت تحت وصاية انكثرة وأمريكة ، ان ما خصص لنا انما هي سورية بعد استثناء تلبسبا وفلسطين منها وحرمانها من البوغازين المهمين أعني بهما نفري اسكندرونه وحيفا

وجاء في جريدة لافير (المستقبل) في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

تعديل الخريطة - اعادة نظام النمسة وانحلال تركية

عزم المؤتمر على فحص المسئلة التركية وقد بدأ هذا الفحص بارسال مدرعات وجيوش دولية لاحتلال أزمير التي تقرر ضمها الى اليونان وتم ذلك فعلا
تقرر أيضاً ضم سورية الى فرنسة ولكن لم ينفذ هذا القرار وجعل العراق وفلسطين تابعتين لانكثرة وقد تم ذلك ثم ينتظر الحاق اضاالية وقونية بايطالية والاستانه وأرمينية بامريكة

أما التركي فانه بحسب تحويل الضموب حتى تقرير مصيرها قد صار ازالته من الخريطة والمأمول ان هذه المخالفة لمشروع عصبة الأمم لا تتم لانه ليس من حسن السياسة تحريك عواطف الوحدة الاسلامية في أنحاء العالم واضرارها في الايتانية

كان لدى الدول فرصة وحيدة لوضع تركية تحت سيطرة دولية ثم رؤى اتباع طريقة أخرى وهي تقسيم البلاد وتجنيسها بجنسية الحكومات التي لها عليها حق الوكالة أو الوصاية لاحق التملك الحقيقي
 اننا بتضحية تركية وبتشرح هذه الملكة اوجدنا أوجهاً للنزاع وللشقاق بين دول اوروبية في المستقبل اذ ان الرجل المريض سينقل عدوى مرضه الى اوروبية ولاجل تميم العدوى دخلت ايضا امريكة في المرحح ولنا ان تتاهل ما شأن امريكة في تركية ؟ ولماذا لم تكاف الدول صاحبة الشأن حماية مضايق البحر ؟ هل تدخلنا نحن في مراقبة ترعة بناما ؟
 ان الحل الوحيد هو عدم تخصيص الاستانة لدولة معينة من الدول واذا كان لا بد من وضع مراقبة على تركيه فليس ثمت أحسن طريقة من جعل هذه المراقبة دولية مشتركة، وكل طريقة أخرى تكون مخالفة للعدالة وللروح المصري والصوالح الاوروبية في الشرق

وجاء في جريدة الفيغارو في ١٨ مايو سنة ١٩١٩

الارث العثماني

بعد انكسار المانية المسكري وانهازم دولتي تركية والنمسة والمجر اصبحت هاتان الدولتان الاخيرتان مزععتي الاركان وتولد عن ذلك مسئلة من أصعب المسائل وأعقدها ألا وهي تسوية الارث العثماني
 ان سقوط الدولتين المذكورتين انقذ الشعوب التي ليس لها رغبة ولم يعد لها صبر على احتمال نير الحكم الاستبدادي الذي رزحت تحته اجيالاً طويلة فالذين تولوا اليهم زكة تركية هم أولا اليونان الذين بعد ان تخلصوا من ذلك الملك الظالم انضموا الى قضية الحلفاء = ثم الارمن الذين بسبب السياسة الخرقاء المزعزجة بها من عمال الالمان قاسوا أشد انواع المذاب واوشكوا ان ينقضوا ويلهم السوربون الخ

فاليونان القاطنون في تركية اوروبية سينضمون الى دولتهم التي ستتم كثيراً على أثر هذا الانضمام كما ان ولاية أزمير = حيث يكون العنصر اليوناني = ستضم ايضا الى دولة اليونان بناء على التوكيل الممنح هذه الدولة وبحسب الشروط المصينة لذلك

وأما مشروع انشاء أرمينية الكبرى مع ضم أطنة ومرسين اليها ليكون لها منفذ على البحر المتوسط فالمنظور أن امريكا تكون الوصية على هذه البلاد كي تساعدنا على ارتقاها ونموها كما أنها ستكون على الراجح هي الوصية على الأستانة وعلى المضائق التابعة لها ايضا = فاذا قبل الرئيس ويلسون هذه الوكالة باسم الشعب الامريكى لا يكون قبوله نافذاً ونهائياً الا بعد موافقة مجلس الشيوخ الامريكى عليه

وفرنة تكون الوصية على سورية بالنظر لملاقها القديمة بها لكن لا بد ان تكون هذه الوصاية شاملة للبلاد السورية باكلها وليس على سورية مقسمة ولا ريب في أن المخابرات التي جرت في ذلك كان فيها بعض التراخي من قبل فرنة لكن من الضروري ان تؤيد حقوقنا بكل حزم وعزم

بلاد الاناضول ستمطى لايطاليا مع ميناء اضاليا

ثم ان فلسطين والعراق يكونان تحت مراقبة انجلترا

هذا هو التقسيم الذي تم الاتفاق عليه بادى بدء وبقي في آسية الصغرى جزه مأهول بسكان اتركه يحتوي على بروسة وانقره وقد طلب من فرنة حماية هذا الجزء لان بروسة حيث يقيم السلطان تكون عاصمة المملكة المئانية الجديدة وتحتى ان لا يتبع الحلفاء سياسة التجزئة في آسية الصغرى والذي نراه هو أن تكون دولة تركية المقبلة تحت اشراف مستشارين اوروباويين وبمعاونتهم

(المنار) هذا نموذج مما كان ينشر في جرائد الحلفاء منذ عامين بيان للرأي العام في بلادهم عقب الحرب التي كانوا فيها هم المنتصرين ، وكان أكثر الناس من جميع الامم يظنون ان ماتقوله هذه الجرائد هو القول النصل الذي لامرد له لانه صدى سياسة دولهم المنتصرة التي لها الدهر عبدو الزمان غلام ، وقد وضعوا المعاهدات ليجل تلك الامانى حقوقاً ثابتة ولكن الزمان جاء بما لم يكن في حساب احد من الخطوب والمشكلات التي عجز جميع دهاء السياسة عن حل عقدة واحدة من عقدها الكثيرة وقد جف ريقهم من كثرة ما تشوا فيها ودميت أظافرهم من تكرار محاولتهم لها ، فكان ذلك حجة بالغة على جهل المفرورين بالقوة والمظنة الباطلة الذين يرتكسون في البأس عند سماع كل صيحة هائلة ،
(فأصبروا يا أولي الابصار)

أماني المبشرين ، أو مخادعتهم للموسرين

كتبت إحدى الجرائد التبشيرية الاميريكية مقالا للدكتور صموئيل م زويمر المعروف في مصر تحت هذا العنوان

« الاسلام يرحب بالانصرانية »

ان الجاحدين من أهل الاسلام أصبحوا الآن مبشرين في الشرق الادنى وان دور الاولياء والكهنة قد انقضى فاصبح المسلمون يرحبون بالانجيل المسيحي هذا ما كتبه الدكتور صموئيل زويمر من القاهرة الى (الاتليجنسر) مينا أن الاضطراب السياسي في الشرق الادنى لم يكن ناجماً عن عوامل اقتصادية أو رغبة في الحكم الذاتي بقدر ما كان ناجماً عن عدم القناعة الدينية وقد أقام بهائناً على أقواله ان اللورد رادستوك الموثف في جمعية الشبان المسيحيين YMCA قد ألقى عدة مواعظ دينية في المدن والقرى المصرية ابان الاضطرابات الاخيرة قوبلت بكل ترحيب وحفاوة بالرغم من تلك الاضطرابات السياسية ومن ظهور بزته الافرنجية ، فيدل هذا على ان الفرص سانحة جداً للتبشير بين الطبقات كافة والمسلمين الذين يمتنون الجميع الاعظم خاصة ، وان الابواب التي كانت مستعدة بان تفتح اصبحت الآن مفتوحة على مصراعها لقبول الدعوة لان الابحاث اللاهوتية ابتدأت تأخذ طورا جديداً في الوقت الحاضر واصبحت صفات السيد المسيح تمحصر في الجرائد اليومية . وما يشجع على ذلك اننا نرى اقبالا لم يسبق له مثيل على تعاليم المسيح من تلاميذ المدارس الابتدائية حتى معلمي الجامع الازهر وكافة طبقات الشعب فقد جاء في مؤلف لاحد علماء الاسلام في القاهرة فصل عن السيد المسيح بين فيه الكاتب جلال المسيح وتأثيره العظيم على التاريخ

ان الاسلام لا يعترف رسمياً بتبليغ المسيح وآلامه فاصبحت خشية العليب هي المثرة في سبيل ابحاثهم ولكن هذه التعاليم لم يمد يستفربها عقل المسلم قد نكون عرضة لنسيان أن الشرق الادنى نال قسوته من (جنتيانبي) « مكان في القدس حيث دفن المسيح » فان الحرب قد حفرت حفراً عميقة في حياة البشر وقلوبهم حيث نرى الملايين من الايتام والارامل ونازلي بيتاً في تركيا الا ونشاهد فيه فراغاً .

غلب الاسلام في ساحة الحرب فاصبح مخدوعاً في مظاهره مضطرباً في بر نتيجته
وعليه فانه أصبح ناضجاً مستعداً لقبول التعاليم المسيحية اذ بات يفهم أن الله
لم يعد يحارب لاجل الاسلام كما كان يحارب قبلاً وان تلك الخطط الثورية
والمطالب التي كانوا يلبسونها ستاراً من الوطنية لاذلال غير المسلمين من الشعب
لم تجدم نفعاً فان اليهودي وجمع الى فلسطينه وأصبح المسيحي في مصر وسوريا
يرفع رأسه بعد أن كان ذليلاً مهاناً .

ان المسلمين أنفسهم يدرسون حياة محمد وتعاليمه درس الناقد وان ما جاء
في تفسير القرآن الذي كان ينشر تباعاً في مجلة المنار التي هي من أمهات المجلات
في القاهرة دليل على ما ذكرناه

ان الطلاب الايض ابتداءً يزول فالتعلمون من المسلمين يقرأون الكتب
الافرنسية والانكليزية وعلى الاخص كتابات « لامنس » و « كائتاني »
و « موير » و « ما كوليوت » وغيرهم ثم ان « س خدا باخش » من كلكتا
ترجم مؤخراً كتاب الدكتور ويل في تاريخ الاسلام ونشره باللغة الانكليزية
منتقداً الترية الاسلامية اكثر مما كان ينتقدها في خطابه ومحاضراته الشائقة
غير هباب ولا وجل . وعليه فان الفرصة سانحة للتبشير وبث التعاليم المسيحية
كما نتناش النابتة ونخلص المرأة المستعبدة ثم نبث معنى الحياة الزوجية
قد يرى المبشرون في هذا الجهاد انصاراً لهم من الفئة المتعلمة من المسلمين
الذين أصبحت ميولهم وأفكارهم غير متجانسة مع ديانة آباؤهم .

الرقى قضي عليه والحجاب في حالة القضاء عليه وأما تعدد الزوجات وشريعة
الطلاق فان الظروف الحاضرة كفيلة بزوالها . انتهى

(المنار) يظن على ظننا ان الفرض الاول من هذه الكتابة استنداء الكف
الموسرين من النيورين على تنصير المسلمين ليجودوا بالمال ، ولا يبعد أن يكون
الكاتب مفروراً متمنياً يرى أن أمانيه حقائق ثابتة كالسياسيين الذين يظنون أنهم
قضوا على الاسلام بكسر الدولة العثمانية ، واقتسام البلاد العربية ، والحق ان
المسلمين كانوا قبل الاحداث التي ذكرها أشد تعظيماً للمسيح عليه السلام منهم الآن
وان أوربة قد جنت بهذه الحرب الوحشية وبمماهدات الصلح على المسيحية وعلى
المدنية الغربية أقبح جنابة فاصبحت جميع الامم الشرقية نائرة منها أشد النفور فان
لم يكن الكاتب شمر بهذا الى اليوم — وهو ما لا نظنه — فلينتظر فانا منتظرون

باب الانتقاد على المنار

مسألة فناء النار أو انتهاء عذاب أهلها

راجعنا أفراد من قراء المنار فيما نقلناه عن كتاب (حادي الأرواح) في مسألة الخلاف في فناء النار وبقائها وما رجونا من إقناعه لبعض المنكرين لعدم نهاية عذابها مع عدم تضرر المؤمنين بقول الجمهور به . ورأينا بعضهم فهم من كلام ابن القيم أنه يرجح القول بفناء النار ويختاره وانا وإقناعه على ذلك بما تقينا عليه ، ولم نر أحداً منهم فهم قولنا حق الفهم ولا قوله ، وقد تيسر لنا أفهام من كلمنا في ذلك مشافهة حتى اتقنا فيه رأياً

وكتب الينا بعض اخواتنا في ذلك مستعظماً للاسرافات أنه كلام يهدم الدين ، ويؤيد شبه المرتدين ، ويجري مصاة والنساق على ارتكاب الفواحش والمنكرات ، وقد كتبنا اليه بعض التوضيح لقولنا والتذكير بما لعله ذهل عنه وفتحنا له باب الرد على ما ذكره وازالة شبهات من يظن أنه يفتن به ، فشرع في ذلك ، ثم رأينا ان نبين له ولغيره من القراء المسائل الآتية ونذكرهم ببعض ما سبق لنا من القول في أمثال هذه المسائل

(١) ان المسألة خلافية بين المسامين لاجماعية وقد نقل الامام الطحاوي فيها ثمانية مذاهب في عقيدته عزا اثنين منهما الى أهل السنة أحدهما ان الله تعالى يبقها ما يشاء ثم يفضيها ، والآخر قول الجمهور المشهور ، وابن القيم لم ينقل الا سبعة أقوال ، وقد ذكر الخلاف في كثير من كتب العقائد والتفسير والحديث ، ومقتضى كلام الطحاوي ان مذهب بعض الصوفية فيها كذهب الجهمية ليس من مذاهب السنة (٢) ان الطحاوي لما ذكر القولين اللذين عزاها الى أهل السنة قال :

ولينظر في دليلها . وجاء بمدى ابن القيم وبسط دلائلها ، ولم يجزم بهذا ولا ذلك بل فوض الاصر فيه الى ارادة الله ومشيئته وهو قول له أوه لأهل السنة

(٣) ان المنار لم ينشر مطروياً فالكتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين الناس ولا سيما الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي وشرح عقيدة السفاريني وما زاد حادي الأرواح على غيره الا تلك المسائل الدقيقة في حكم الثواب والعتاب ورحمة الله تعالى وحكمته في الجزاء والفرقة بين مستات الثبات كالحكمة والرحمة وصفات الافعال كالرزاق والمحيي والمميت والمنتقم وهي التي نوهنا بفضله

وانتينا على سبحة علمه ومرفته لأجلها دون أصل المسألة المشهورة قبله -
 (٤) اتنا قد بينا غير مرة في المناج أن المعتقد عندنا في التفسير وأصول
 الدين وفروعه فتراهم النصوص مجتمعة وفي اختلاف العلماء ما كان عليه جمهور
 السلف ان علم بالنقل الصحيح ، واتنا اذا أوردنا في المناج أقوالاً أخرى فانما
 نقصد بذلك دفع بعض الشبهات عن الدين أو تقريب بعض مسائله الى بعض
 من لا يقتضهم غيره بحسب اختبارنا . وعلى هذه القاعدة جرينا في تفسير آية
 الانعام فان فيها بعد ذكر الخلود الاستثناء بمشيئة الله تعالى وتعليل هذا
 الاستثناء بقوله تعالى (ان ربك حكيم عليم) وقد فوضنا اليه سبحانه الامر
 في ذلك وبيننا ان مشيئته في ذلك مجهولة لنا ولا يملكها حق العلم غيره سبحانه
 وانما تملق بما يقتضيه علمه وحكمته وواعدنا بتحرير الدلائل في المسألة عند
 تفسير آية سورة هود فيها

وقد سبق لنا تحقيق مثل هذا التفويض في تفسير قوله تعالى حكاية عن
 عيسى عليه السلام في قومه (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
 العزيز الحكيم) وبيننا فيه ضعف من اضطرر فيه من المفسرين لصراحة العبارة
 في جواز المغفرة لمن اتخذوه وأمه الهين من دون الله ومنه أقوال بعض مفسري
 الاضرية باستحسان غفران الشرك كما شرح : أبو السمود والآلوسي وأطنب
 الرازي في ذلك . وأتى بمدة وجوه في تأييد مذهبهم رددناها عليه أقوى رد
 بفضل الله علينا ، وبيننا وجه تذييل الآية بصنفي العزة والحكمة دون المغفرة
 والرحمة بما لم نطلع على مثله لاحد

(٥) ان قيل انه تعالى بين في سورة النساء انه لا يغفر ان يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء فهذا تقييد للمشيئة ينقض قول الأشعرية . قلنا انما يدل
 هذا على أن العقاب على الشرك حتم مقضي ولكنه لا يدل على أنه سرمدى لا
 نهاية له بل هذه مسألة أخرى ، وجمهور العلماء يقيدون المشيئة بغير هذا النص
 أيضاً اذ صرحوا بأنه لا يغفر لمن يوحد الله ولا يشرك به اذا لم يؤمن بالله
 الله ورسوله واليوم الآخر ، ولا لمن جحد أي أصر مجمع عليه معلوم من دين
 الاسلام بالضرورة ، ويؤولون النص في جواز غفران ما دون الشرك كالنص في
 خلود متمم القتل في جهنم بناء على مذاهبهم فأكثر التأويل لتصحيح المذاهب
 المتبعة لا للجزم بين النصوص وتقديمها على جميع المذاهب ، والآيات تثبت

اخلاق المشيئة الا انها لاتعارض غيرها من صفات الله ومدلول كلامه

(٦) ان مرادنا بقولنا : ان هذا البحث لا يضر المؤمنين بقول الجمهور
مقلدين كانوا أو مستدلين — ظاهر جلي وهو أنهم يردون القول المخالف لم
قلدهم أو لدلائلهم فلا يترتب عليه أثر في أعمالهم، ويزيد على ذلك انه لا يضر
أحداً من المؤمنين مطلقاً وان سلمه لان جواز تعلق مشيئة الله تعالى بانتهاء
عذاب الكفار بعد لبثهم في النار احقاباً لا يصح أن يكون سبباً لترك المؤمن
الصادق لشيء من الواجبات ، ولا لارتكابه لشيء من المحرمات ، ولكن في
كتب الفقه والكلام والمواعظ والادب وخطب المنابر كثيراً من الاقوال التي
ازالت حرمة الاوامر والنواهي من قلوب الجاهل الغفير من الناس وكان من أثرها
ما نراه من ترك الصلاة ومنع الزكاة وانجامة بالقطار في رمضان وفشو السكر
والزنا والقهار . . . كالكلام في تحلف الوعيد والنفو والمفخرة والكفارات
والشفاعات والكرامات ، وقد شرحنا ذلك مراراً ورددنا شبهات الضالين فيها
وبينا ما له أصل منها وما هو موضوع باطل كحديث اعتاق ستائة الف عتيق من النار
في كل ليلة من رمضان . . . ولم يكتب خطباء الفتنه وعلماء التقاليد بتلقين الدهماء
هذه الموضوعات بل تصدى بمنهم لرد ما يرد عليها كأنها من أصول الدين
كقول بعضهم اذا كان عدد عتيق رمضان يزيد على عدد مسامي الارض كلهم
ولا سيما في زمن النبي (ص) فان الله تعالى يكلمه من الجن :

وانني بما اتفق لي من الاختيار الواسع للناس وبقدر ما أوتيت من العقل والفهم
اجزم بأنه يندر أن يكون الخوف من العذاب الابدي سبباً لاستجابة كافر لادعوة
الدين ، بل هذا قلب للمعقول لانه يتوقف على التصديق بالعذاب المذكور قبل
الايثار بالرسول وبما جاء به ، وهذا قلما يقع الا لافراد من المعاندين كبعض كبراء
مشيخة قريش في زمن البعثة .

(٧) لا انكر ان بعض المارقين والملاحدة المشاغبين قد تزيدهم أمثال
هذه المباحث رجساً الى رجسهم من حيث تزيد المؤمنين ايماناً بالله تعالى (ينزل
به كثيراً ويهدي به كثيراً وما ينزل به الا الفاسقين) الذين فسقوا من نور
القطرة والاستعداد للهداية كما تنشق الرطوبة من قشرتها وانما ارجو أن يهتدي
بهذا البحث بعض المرتابين من أهل النشر الذين يؤسرون ان نعلم اهاً عتياً
حكياً ، وربما رؤفاً رحياً ، وان من حكمته الجزاء على الاعمال النفسية والبدنية ،

وان جزاءه عدل وفضل، ويستحيل عليه الجور والظلم، وهم ينظرون ويتفكرون، وإذا ظهر لهم الحق يقبلونه وله يدعون، وأما أولئك المارقون المستهزون من أهل الرقاعة فلا يلتفت إليهم ولا يبالي عاقل بامرهم، إلا ان يشفق عليهم ويحزن لكونهم من امته أو ابناؤه جنسه

(٨) ان الشبهة التي أشرنا إليها ليست ولودة على بقاء دار العقاب التي تسمى النار والجحيم والهاوية وجهن وغير ذلك من الاسماء فقد تبقي وينقلب عذابها عذابا كما زعم الشيخ محيي الدين بن عربي وشيخته أو لتعذيب خلق آخر من المكلفين مثلا - ولا على أصل العقاب فيها فطالما أقتننا المنكرين لهذا بأنه حق وعدل - وانما يقول أصحابها وهم من المنتسبين الى أديان مختلفة : ان المختبر لا حوال البشر يعلم علما يقينيا ان أكثرهم ينشأ متدينا بالدين الذي نشأ عليه بين قومه وأهل ملكه تقليدا لم وتسليا ثم يمرض لبعضهم الشك والريبة في دينه وفي سائر الأديان بالتبع ويتفق لبعض آخر الاطلاع على دين آخر والافتناع بحقيقته فيتبسه، ولكن يقل جدا أن يظهر لاحد حقيقة دين ويجحد به كبرا وعنادا كما وقع لبعض كبراء اقوام الرسل عليهم السلام في عصرهم، ثم ان المتدينين يعملون بما يعلمون من أديانهم على تفاوت عظيم بينهم في العمل سببه تأثير التربية والتقدوة وطريقة التعليم له، ويعلم ايضا ان بعض المرتدين عن اديانهم بشبهات نظرية او علمية يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئا، وان بعض المتدينين بالاديان الكتائية كغيرها يشركون بعبادة الله تعالى اشياء كثيرة من الاحياء والاموات كما ان بعض المرتدين احسن من بعض المتدينين اخلاقا واعمالا وانفع منهم للناس وللأوطان؛ ويقولون اننا مع هذه الحال نرى اهل كل دين يقولون ان الموافقين لهم في دينهم لانهم ولدوا فيهم وتربوا بينهم ثم وحدهم اصحاب النعيم المؤبد الذي لانهاية له وان جميع المخالفين لهم سيكونون في عذاب اليم مؤبدا لانهاية له سواء عرفوا حقيقة دينهم او جهلوا بها، بل يعلم اكثر اهل البصيرة والاختبار ان اكثر المخالفين لهم لا يعرفون حقيقة دينهم؛ وان من يعرف شيئا منه يقلد يعرفه على وجه عندهم؛ وان ليس كل من يعلم شيئا منه على حقيقته يقو عنده الدليل على صحته - ونتيجة ما تقدم ان اكثر افراد البشر مقلدون في دينهم لمن تربوا معهم وتعلموا منهم؛ وان غير الاكثر اهل نظر واستدلال يرجعون ما ثبت عندهم بحسب درجات نظرهم واستدلالهم على غيره في العقائد

والاعمال — فالذي اصاب الحق من المقلدين لافضل له في اصابته اذ لا عمل له فيه ولا اجتهاد ، والمقلدون في هذه الاعصار اما يتبعون جمهوراً متقليداً فلا يكاد يتفق لاحد منهم ان يصيب الحق في جميع المسائل ، واذا كان التقليد حجة لصاحبه فيما وافق الصواب وعذراً فيما خالفه كما يقول اكثر اهل كل ملة في انفسهم فلماذا كان ذلك خاصاً بهم والله رب الجميع وهو الحكم العدل ثم إنهم يقولون لاهل كل دين اتم قد تفرقت في دينكم وكتمت شيئاً تحكم كل شيعة على الاخرى بالكفر أو الابتداع والضلال فاذا كان الواجب على جميع البشر أن يتبعوك وكان كل من لا يدين بدينكم خالداً في العذاب بالمعنى الذي تقولون فاي مذاهب الشيعية يجب عليهم الاخذ به لينجو من الهلاك الابدي ؟ إن تصارى قول كل شيعة بل كل فرد منكم ان من يدين الله بدينه ويموت على عقيدته هو الناجي المذاب بالنعيم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على غير ذلك ، وان كل من مات على غير عقيدته يخلد في العذاب الاليم الابدي وان عاش العمر الطويل قبله على الايمان بالله وحده وبالبعث والحساب وعمل البر والاحسان بتعاليم دين آخر أو باجتهاده فورد الشبهة بعد هذا البيان ان اكثر افراد هذا الانسان الذي خلقه الله في احسن تقويم وكرمه وفضله على كثير من خلقه تفضيلاً اما خلقهم تعالى لاجل ان يطعمهم هذا با شديداً ألبا مهينا أدياً ثم الالوف والملايين من الاحقاب والقرون وهو لا يزداد الا شدة واستمراراًه وان هذا العقاب جزاء عادل على مسائل اعتقادية قليلة كان أكثرهم جاهلاً بها وغافلاً عنها لانهم لم يدعه أحد اليها البتة ، وقد بلغت بعضهم على وجوه مختلفة مذكرة لاهل وجه صحيح بحرك داعية النظر فلم ينظر فيها . وبعضهم نظر وبحث فلم يتبين له أنها الحق . وبعضهم ليس أهلاً للنظر بمرسوخة في تقليد اهل دينه واطمئنتانه به . وان هذا العقاب الاليم لا ينافي حاجت في العنل والنقل من عدل الله تعالى وحكمته وسعة رحمته وكونه أرحم الراحمين بل أرحم من الوالدة الرزوم بانظها الرضيع . هذا ما يقولون انهم لا يفتلونه فيؤمنوا به وليس في طاعتهم ان يعتقدوا صحة دين يحكمهم به ويبحثه

(٩) اني احمد الله تعالى ان وقتي لا تنام كثير من الناس مختلفي الدين والجنس

بحكمة الله وعدله في عقاب المجرمين كما وقتني لاقناع من لا أحصي لهم عددا من المرتدين والمعطلين الماديين بوجود إله خالق واحد وبالرسالة وبكبر من أصول الدين وحكم فروعه وموافقة الدين الاسلامي للعقل ولصالح البشر في دنياهم. واتي ابنيت بمراجعة الناصني في ذلك من أيام طلبي للعلم لانني كنت كثير البحث فيه بالليل الفطري حتى إن بعض الشيوخ في طرابلس الشام كان يراني في السوق فيسألني عن بعض مشكلات الشريعة. ووجه مطابقتها لاعتل أول المصاححة العامة. وحدثني دانش بك الذي كان امين السر لمحمود باشا الدمام اذ والد الامير صباح الدين بك التركي الشهير حين جاء من مصر في أوائل المهدي بهجرتي اليها أن الاستاذ الامام قال له: أنتي لا أعرف أحدا أقدر من هذا الشاب صاحب المنار على التوفيق بين الدين وبين العقل والمدنية. ثم أقول بعد هذا وحمد الله عليه، ودا على بدءه اني لم أعجز عن إقناع منكرشيء من أصول الدين أو حكمه كما عجزت عن إقناع المنكرين لابتداء العذاب الاليم الشديد انكارا شتبا وارتباب لا جمود وهناد، فان الجاحد المساند لهوى في نفسه لا يقتنع بالضروريات بله المشكلات، ولكنني اذا قلت لبعضهم ان بعض الساف والخالف من المسلمين قولوا بانتهاء العذاب وقولا بتفويض الامر في الله تعالى قالوا اننا نجزم بأن عظمة الله تعالى وحكمته ورحمته نجل عن تحذيب هؤلاء العباد الضمفاء الجاهلين الى غير نهاية سخ أي الامرين أجدر هؤلاء بالجزم بأن عدم نهاية العذاب الشديد لمن ذكر من أصول الدين التي بعد غير المؤمن بها مرتدا لا يعتمد باسلامه أم اقناعه بأن اعتقاده لا ينافي الاسلام وان له أسوة بمن سلف من المؤمنين ولو الجهمية الذين لا يكفرهم أهل السنة بما خالفهم فيه من استدلال وتأول؟

(١٠) بعد هذا كله أصرح هنا بأن مسألة فتاء النار أو انتهاء عذابها الاليم الشديد

مع بقائها ليست عندي من المسائل التي ادعو اليها وأناضل عنها ولا أبالي أن أنشر لمن يرد عليها ما يكتبه على علانه من غير نقد لما أراه متوقفا منه بشرط ألا يطيل بما لاحية اليه في اوضح وأما سبق ذكره لأن غير في صحيح التالين بالقول الآخرو، وان يبين صفة من لا ينهي عذابهم ومن لا ينهي نعيمهم التي استحق بها كل منهما ذلك وأنتمي لو يوفق أحده لشيء ينفع من ذكرت، والله الموفق للصواب

الله

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

بوتني الملكة من بيتاه ومن يوت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولوا الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى ٥ ومنارا ٤ كبار الطريق —

٢٩ رمضان ١٣٣٩ - ١٥ الجوزاء (٣) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٦ يونيو سنة ١٩٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة إذ لا يسمع الناس - ممة - وشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله ووظيفته (وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الالسنة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجنبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لما عذر صحيح لانتقاله

أسئلة مغربية ، من عاصمة البلاد الاسبانية

(س ١٢ - ١٤)

الحمد لله

فنية العلامة الاستاذ الشريف السيد محمد رشيد رضا الحسيني حيا كما الله توجد جماعة من المسلمين بأسبانيا دعيت دواعي اقتصادية وسياسية ان يكون لباسها اللباس الافرنجي بسائر أنواعه من البرنيطة وغيرها . ولقد اطلعت على فتوى العلامة المقدس الاستاذ الامام هبتي الديار الاسلامية عصر برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فيعه ، الا ان الجماعة المذكورة على مذهب الامام مالك رضي الله عنه وعمدة كتب المالكية النقية هو مختصر أبي الضياء خليل وما كتب عليه ، والشيخ المذكور يقول في كتاب الردة « وشد زنار » كتب عليه الرقائي ما نفسه : ونحوه مما يحتس بالكافر كلبس

رئيطة نصراني وطرطور يهودي ان سعى بذلك للكنيسة . قال بناني محنيه المراد ملبوس الكفار الخاص بهم ، وكلام المصنف ان فعل ذلك محبة في ذلك الذي وميلا لاهله واما ان فعله هزلا ولمبا فهو محرم هـ
 نحن نريد زيادة ايضاح في المسألة سواء كان ذلك داخل المذهب المالكي أو خارجه من بقية المذاهب الفرعية وذلك فيما يتعلق باللباس لامن جوة الحب فيه والميل لاهله بل من جهة الاقتصاد والتسهيل ليس الا
 كذلك زيد بيان الحكم في مسألة الصيام والافطار على حساب النتائج المصرية والتونسية لتعذر رؤية الهلال علينا هنا في حينه ، والشيخ خليل يقول « لا تمنجم » فهل يجزي الصيام والافطار بمقتضى تلك النتائج أم لا بد من الرؤية أم ماذا

وكذا زيد الحكم في حلق اللحي هل يحل شرنا أم لا ، واذا كان يحل فهل الحديث الوارد في الموطأ الذي من ضمنه « اعنوا اللحي وقصوا الشوارب » صحيح أم لا واذا كان صحيحا فما حجة من بحتمها من المسلمين بما فيهم من حمله الشريعة الاسلامية في جل الافطار :

وحيث شاء الله تعالى انفرادكم في هذا المصير بالوسمة في العلوم الدينية وغيرها وتمكنكم من زمام الفتاوى املنا من فضيلتكم الكريمة ائارة ظلمتنا على صفحات مجلة المثار - اقتونا مأجورين ولكم التفضل سلما ، والله المسؤل ان يديمكم مصباحا يستضاء به (في) الاسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام

مدريد - في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ مخلص الود لكم
 محمد البلقيشي العلوي الحسني

مهيد للاجوبة عن هذه الاسئلة

تشديد العقاب وعاقبة تقليد

اعلم أيدينا الله وإياك روح منه وجعلنا من المتصمين بهداية كتابه وسنة رسوله (ص) وسيرة السلف الصالح من هذه الامة الوسط - أن فقهاء المذاهب كذا قد توسموا في فروع الشريعة بأقيستهم واختلاف افهامهم وتأثير الازمنة والامكنة التي كانوا فيها لجملوا الحيفية السمحة التي رفع الله منها الحرج وبنامها على أساس اليسردون المصم من عصر الشرائع فهما وأنتلها على البشر حملا حتى هجر حل أهلها دراستها وترك أكثرهم العمل بأكثر أحكامها. وما جاء هذا

به الا من توسع هؤلاء المصنفين في تلك الكتب المنسولة في النسخة التي نقل
 بها ذكر القرآن والأحاديث النبوية ويكثر فيها قال فلان وصحح فلان ورجح
 ان . ومن معجزات هذا الدين ان كل ما صحح في كتاب الله تعالى وما بينه من
 نة رسوله (ص) في منتهى اليسر والسماحة ، كما صحح في وصف هذه
 شريعة ، وكل ما أشرنا اليه من المسراتها هو اجتهاد من أولئك المصنفين في
 بقه بعد عصر السلف الصالحين وأكثرهم غير مجتهدين ، ولا على سيرة من
 عوا اتباعهم من المجتهدين ، فن تقييد بتقليد هؤلاء يتعذر أو يتمسر عليه
 لا يكون مسلماً قائماً بأمر دينه كما يجب ، ولقد كان الانرابي في عصر السعادة
 سلم بين يدي الرسول ويتعلم دينه في مجلس واحد ويقسم انه لا يزيد على ما علم
 رجوبه عليه ولا ينقص منه فيقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « أفلح ان
 صدق . أو - دخل الجنة ان صدق » كما ورد في الصحيحين وغيرها

وأنت تعلم أن الائمة المجتهدين من علماء الامصار المتبشرين لم يجيزوا لانفسهم
 ان يكونوا شارعين وان يكون كلامهم ديناً يتبع لان من اتحل هذا فقد جعل
 له شريكاً رب العالمين كما بيناه في التفسير من هذا الجزء والذي قبله . وإنما
 استنبطوا ما استنبطوا لاجل فتح أبواب الفهم في النصوص مع ارشاد الناس
 الى انه لا يجوز لاحد ان يقلدهم فيه ، وإنما يعمل من ظهر له مع النظر في الكتاب
 السنة انه هو الحق الذي شرعه الله ، وقد بين ذلك الهزني صاحب الامام
 الشافعي في أول مختصره الفقهية بقوله بعد البسملة « اختصرت هذا الكتاب من
 ان علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لاقربه على من اراده
 مع اعلاميه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه
 وبالله التوفيق »

وكان جميع الائمة على هذا ولو لم يكونوا عليه لما صحح ان يكونوا ائمة هادين
 مهتدين وقد دخل القمني على الامام مالك وهو في مرض موته فراه يبكي
 فسأله عن سبب بكائه فأخبره أنه ما بلغه من ان الناس يملون بأقواله مع انه
 قد يقول القول ثم يظهر له خلوه فيرجع عنه ، فقد خشى ان يفضل الناس به
 عن شرعهم ونصوص كتاب الله وسنة رسوله (ص)

واذكرك مع عدم بهذا ان مذهب الاجتهاد عبارة عن الطريق الذي سلكه
 في فهم الشريعة من الدلائل وأصول الاستنباط المعروفة في الاسول . فهذا

ما يصح للفقهاء على مذهبه ان يجري عليه اذا كان مقتنعا بصحته وليس معناه ان يأخذ فروع المستنبطة فيجعلها أصولا للدين يستنبط منها أحكاما ويقبس عليها أخرى بحسب فهمه ويسمى هذا شرع الله في الايمان والكفر وعبادة الله والحلال والحرام، مع ما عظم من أمر التشريع وجعل اتحاله واتباع منتحله من الشرك والافتراء على الله. وبهذا تعلم ان هؤلاء المقلدين المؤلفين في الفقه ليسوا متبعين في كل ما قالوه في كتبهم لمذاهب الأئمة الذين يدعون ان هذا الفقه فقههم

مثال ذلك ان مذهب الامام مالك اتبع اصح نصوص الكتاب والسنة في العبادات والوقوف مع ظواهر النصوص وفهم أهل السدر الاول لها ومحلهم بها - ولا سيما أهل المدينة في زمنه - دون الدوران فيها مع الملل والحكم وما يسمونه المعنى المناسب. ومذهبه في أحكام المعاملات والمنازات مراعاة مقاصد الشرع والمصالح العامة المعروفة من أصوله لا مجرد ظواهر الالفاظ كما بينه العلامة الشاطبي في الاعتصام (١) وغيره وهو معروف مشهور عنه - وترى بعض الفقهاء خرجوا عن أصل مذهبه المذكور في مسائل كثيرة من العبادات بحجة اتباعه والتمسك به وأكثروا بناه من الشواهد على ذلك :

رأيت رجلا مالكيًا ممصلاً لأعرفه يذكر لفقهاء مالكي أعرفه ما ذكره هؤلاء من الشروط في مسح الخف وفي الخف الذي يجوز المسح عليه ككونه من الجلد وكونه مخروذاً وأنه اذا كان ملصقاً لا يجوز المسح عليه الخ فقلت له ما الدليل على هذه الشروط في المذهب ؟ قال قاعدة الامام مالك

في الاتباع في العبادات والقرام ما ثبت في الكتاب السنة وهكذا كانت الخفاف في عصر النبي (ص) قلت ان هذا مخالف لمذهب الامام مالك كل مخالفة فإنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ان الخف الذي يجوز المسح عليه يجب ان يكون جلداً وأن يكون مخروذاً، ولا دليل على ان الخفاف كلها كانت كذلك، واذا ثبت كونها كذلك بالتفصيل فذلك لا يدل على الشرطية لا عند أهل الاتباع المحض ولا عند أهل الرأي في التمسك. مثال ذلك المطابق له المسح على الهامة قد ثبت في السنة فهل يشترط في مسحة الهامة أن تكون كهامة الرسول (ص) في صفات نسيجها ككونه من القطن أو الصوف وكونه من نسيج اثنى أو غيرها وكون طولها كذا ذواتها ؟

ان من الاصول التي لا يتارى فيها عاقلان ان أمثال هذه الصفات والاحوال التي كان عليها النبي (ص) وأصحابه في لباسهم وأكلهم وشربهم وهيئاتهم حتى في وقت أداء العبادة لا تمد من فرائض الدين ولا من شروط صحة العبادة ولا من المندوبات الشرعية لمجرد كونهم عليها وإنما يتحقق كون الشيء واجبا أو شرطا أو مندوبا بنفس شرعي يدل عليه دلالة صحيحة والجمهور لا يمدون فعله (ص) دالا على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل

وجهة القول ان جماهير المصنفين من خلف هذه الامة قد خالفوا سلفها وعسروا يسر شريعته حتى أدخلوا الامة في جحر الضب الذي حذرهم منه الرسول (ص) في الحديث المتفق عليه « ولتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذوفا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وقد سبر المسلمون قرونا على الحبس في جحر الضب ثم ضاقوا به ذرعا حتى خرج بعضهم منه من غير الباب الذي دخلوا منه فرقوا من الاسلام وحسبوا انه هو جحر الضب لاسواه وانه لا قبل لهم به - ودعاة الاصلاح يريدون أن يخرجوهم ان حقيقة الاسلام وهو الباب الذي دخلوا منه اذ أوهمهم المصرون انه هو الاسلام - وما الاسلام الا القرآن وسنة الرسول في بيانه على الوجه الذي كان عليه جماعة السلف الذين أمر الرسول بزوم جماعتهم فكان اجماعهم حجة فيما اتفقوا على انه دين

وفي هذا المقام احتج على المقلدين بعلم امام من الائمة المجتهدين واجمله شاهدا ثانيا على ما ذكرته من معنى مذاهبتهم ومخالفة من يدعون اتباعهم لها

قال الامام الشافعي رحمه الله في أول باب الاجماع من رسالته بعد تفصيل الكلام في الكتاب والسنة « وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحمل لمسلم علم كتابا ولا سنة ان يقول بخلاف واحد منهما » فقال لا يحمل لمسلم ولم يقل لجندوه وهو نكرة منفية قيد العموم ثم بين في هذا الباب لمن سأل عن الحجة على العمل بالاجماع ان الجماعة التي أمر الرسول (ص) بزومها هي جماعة الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم الذين لا تعزب سنن رسول الله (ص) عن عامتهم (أي جلتهم وسوادهم الاعظم) وقد تعزب عن بعضهم . وقال في آخر الفصل « فلو يكن لزوم جماعتهم معنى الاماعليه جماعتهم من التحليل والتحرير والطاعة فيهما » وهذا ظاهر كالنفس وهو غير الاجماع الاصولي الذي لا تقوم عليه حجة

اذ تمجد هذا فهناك اجوبة الاسئلة :

(الجواب عن مسألة الزي)

ان مقالته الفصحاء في النار ونحوه لا ينطبق على حالكم في لبس ثياب الافرنج لانها ليست من الزي الديني ولا تلبسونها بالقصد الذي قالوه وتوضح المسألة بيمض ما سبق لنا تفصيله في المجلد الاول والسادس وغيرهما فنقول

ان الاسلام لم يقيد المسلمين بزي خاص فقد كان النبي (ص) يلبس زي قومه الذي كانوا عليه في الجاهلية في عامة أيام رسالته وقد عرض له لبس أزياء غيرهم من الامم فلبسه بيانا للجواز كالجبة الرومية من لباس النصارى كما ثبت في الصحيحين وجبة الليالمة الكسروانية من ملابس الجوس كما ثبت في صحيح مسلم فالاصل في الازياء الاباحة كما مثلها من المبادات وقد تميزها الاحكام الجسمة بما يمرض عليها من دفع ضرر يقيني أو ظني أو وقوعه أو تحصيل نفع كذلك. ومما سبق لنا بيانه غير صرة ان بعض كبار العقول من المسلمين قد تنبهوا ونبهوا لما في مسألة الزي من التأثير السياسي والاجتماعي فكرهوا ان يقلدوا غيرهم من الامم في أزيائهم في أثناء الفتوحات العربية وغيرها لئلا يندغموا في الامم التي فتحوها بلادها بسبب قتلهم فيها ولانهم جاؤا ليكونوا أئمة هادين متبوعين لاتابيين مقلدين، وقد اتبهم الارريون في هذا المعنى

وأول من تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى مسلم انه كتب الى جيشه وهم في أذربيجان مخاطبا قائده : يا عبدة بن فرقد! انه ليس من كد أهلك ولا من كد أمك فاشع المسلمين في رحاطهم مما تشبع منه في وحلك واياكم والتنعم وزي أهل الشرك الخ قال النووي في شرح مسلم : وقد جاء في هذا الحديث زيادة في مسند أبي عوانة الاسفرايني باسناد صحيح قال: أما بعد فأزروا وارقدوا وألقوا الخفاف والسر او يلات وعليكم بلباس أبيكم اصماعيل، واياكم والتنعم وزي الاعاجم، وعليكم بالنمس فانها حمام العرب ومعددوا واخشوشنوا واقطموا الركب (٢) وبرزوا وارموا الاغراضاه وقوله تمعددوا معناه تشبهوا بمعدكم معد بن عدنان في أسباب القوة والصلاة، وهذا نحو مما يعرف في تاريخ اليونان عن الاسبرطيين والتشبه بهم في مصارعة الشدائد.

ثم ان المسلمين لبسوا كل زي في بلاد أهل وفي بلادهم وقد لبسوا في زمن المنصور بأصره فلانس كفلانس الكفار ولم ينكر ذلك أحد من العلماء كما أنكروا

على السلطان محمود المماليقي استبدال زي الأفرنج زي قومه المعروف ثم زال
الانكار ، وللمسلمين في الأقطار المختلفة أزياء كثيرة طبعت مورها حديثا في
صعوبة كبيرة إحدى إدارات الجرائد الانكليزية وفيها يرى الناظر ما يرى من
المشابهة بينها وبين أزياء الملل الأخرى

وما قاله الفقهاء في حكم من لبس ملابس الكفار فهو مبني على مدرك
نقري معروف وهو ان من يلبس ملابس أهل مله مما هو خاص بدينهم تفضيلا
لتلك الملّة على ملته كان مرتدا وهذا اللبس بشروطه دليل على الردة عنها
والانضمام الى غيرها ولكنه غير مطرد واذ اوضح للفقهاء ان يذكره للتنبيه والتذكير
والتنوير فلا يسح للفتي ولا للتاضي أن يأخذ به عند الفتوى او الحكم في التوازل
والشوازي الممينة على علانته ولا يسح بالاولى أن يحمله على نفسه من يلبس
لبس أهل مله لسبب من الأسباب التي لا تنافي الدين ولا تخل بالإيمان
كأسباب العجبة ومنها انتقاء الحر والبرد أو الاقتصادية أو السياسية
كأميون والجواسيس أو العسكرية أو الاجتماعية كمن وجد مع قوم وهو يعلم
انه إذا ظهر زي مخالف لزيهم يتأذى باحتقارهم ايذاء أو تشهيرهم به أو كثرة
التسلع اليه والاستغراب لزيه وقد ورد في السنن النعي عن لبس الشبهة
والوعيد عليه في حديث أبي ذر عند ابن ماجه والنياء وحديث ابن عمر
عند أبي داود وابن ماجه وحسنهما ، وأكثر من يغير زيّه من المسلمين الذين
يذهبون الى أوربة فأما يغيرونها للسبب الأخير ولا سيما التغيير بلبس القبة
المروفة بالبرنيطة فانه لم يبق فارق بين كثير منهم وبين الأوربيين الا فيما يوضع
على الرأس، والبرنيطة هذه ليست شمارا دينيا للأفرنج ولا هي خاصة بهم وقد
فتت ان بعض غرب الجن ضمورها للوقاية من الشمس ويسمونها المظلة ولا يحظر
ببأل أحد من يلبسها من المسلمين أنه فضل على دينه دين القوم فلا وجه اذا لجلها
امارة على الردة ولا للقول بتحريمها بل هذا التحريم شر من لبسها وأشد خطرا
على دين القائل به لأن ممناه ان الله تعالى أزل وجهه بخطاب يقتضي ترك لبسها
اقتضاء جازما ومحبر بأن جزاء من لبسها العتاب في الآخرة. وهذه جرأة على
الافتراء على الله تعالى والنول عليه بغير علم وهذا كفر يتعدى شره الى حمل
الناس على العمل به فهو أعظم من الشرك القاصر ضرره على صاحبه كما قاله
بعض العلماء في تفسير آية (٧ : ٣١) قل انما حرم وبى النواحش ما ظهر منها وما

بطن والائتم والبني بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) اذ قال ان غلظ هذه المحرمات جاء فيها على طريق الترتيب وانما كان الاخير أغلظ مما قبله لانه شرك متمد وما قبله شرك قاصر - وهو اتباع قائله به بغير علم من نبي الوحي فقد اتخذ ربا وشريكا لله كما علم بالتفصيل من تفسير هذا الجزء من المنار والجزء الذي قبله . وقد حققنا مسألة الردة لبعض الفتاوى من أجزاء هذا المجلد وفي مجلدات أخرى من المنار

(الجواب عن مسألة الصيام والنظر

بقول أهل الحساب أصحاب النتائج)

هذا السؤال غريب من مثل سائله الفاضل فهو يعلم ان حكم الشرع في صيام رمضان والافطار منه منوط برؤية الهلال اذا تيسر والافبا كمال عدة شعبان في الصيام وعدة رمضان في الافطار ثلاثين يوما ، وحكمة ذلك جعل العبادة ابتداء وانتهاء مما يتيسر ان علم بموافقته لكل جماعة ولكل فرد من الامة وحكمة عدم نوط هذا التوقيت بالحاسبين من علماء الملك هو ان لا يكون أمر العبادة مترقنا على أصحاب الفنون الذين لا يوجدون في كل مكان وان لا يكون لامثال هؤلاء الافراد حكم فيها ولا رياسة أو شبه رياسة دينية بسببها . ولعله لا يعلم ان اهل مصر وتونس انفسهم لا يعملون بهذه النتائج في الصيام والافطار بل يثبتون رؤية الهلال أو اكمال العدة ولكن قد يستعينون بها على الاستهلال فيرصدون الهلال في الليلة الذي تنص على انه يرى فيها وفي المكان الذي يرى فيه بالنسبة الى مغرب الشمس

وقد استغربنا بناء السؤال على تمدد رؤية الهلال عليهم في أسبابية وهو لم يبين سببه وقد كانت هذه البلاد (الاندلس) في حكم الاسلام وكانوا يرون الهلال فيها ولعل السائل ومن معه يقيمون في فندق أو دار لا يمكنهم الصمود الى سطحها أو لا يرى مكان الهلال من الافق للواقف على سطحها ويتمدد عليهم رؤيته من سطح آخر أو من ضواحي البلد ، فاذا تمدد عليهم ذلك بالفعل فلا يبعد أن يقال انهم يعملون بحسابهم أو حساب من يشقون بعلمه اذا قال ان الهلال في ذلك البلد أو في افقه يولد في وقت كذا ويمكن رؤيته بالابصار في ليلة كذا - فالليلة التي يمكن أن يرى فيها الهلال بالفعل هي اول الشهر الشرعي .

واختلافه المطالع ثابت قطعاً فلا يصح اعتماد من في أسبانية على نتائج مصر أو تونس بجعل أول الشهر فيها هو أول الشهر في مدريد

(الجواب عن مسألة حلق اللحي)

هذه المسألة وامثالها مما سيأتي ليست دينية مما يعبد الله به فملاؤا تركا وانما هي من الامور العادية المتعلقة بالزينة والتجمل والنفقة وقد سميت في الاحاديث الواردة فيها سنن الفطرة أي المادات المتعلقة بحسن الخلقة ففي حديث أبي هريرة عند الجماعة (أحمد والشيخين وأصحاب السنن الأربعة) قال رسول الله (ص) « خمسة من الفطرة الاستحداد (أي حلق العانة) واختان وقص الشارب وتف الأبط وتقليم الأظفار » وفي حديث عائشة مرفوعاً عند أحمد ومسلم والترمذي والنسائي « عشر من الفطرة : قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتف الأبط وحلق العانة وانقاص الماء » أي الاستنجاء قال مصعب بن شيبة راويه : ونسيت الماشرة إلا أن تكون المضمضة

وورد في اللحية والشارب أخبار مطلة بصفة أخرى وهي مخالفة المشركين والمجوس ففي حديث ابن عمر في الصحيحين ومسنده أحمد مرفوعاً « خالفوا المشركين : وفروا اللحي واحضروا الشوارب » زاد البخاري وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه . أي قصه . وفي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم « جزوا الشوارب وارخوا اللحي خالفوا المجوس » وقد كان النبي (ص) في أول الإسلام يحب مخالفة المشركين وموافقة أهل الكتاب ثم صار بعد الهجرة يأمر بمخالفة أهل الكتاب حتى في الامور الاجتماعية والمادية لان المسلمين كانوا في أول الإسلام مع المشركين في مكة فكان يجب أن يمتازوا عنهم وكانوا بعد الهجرة مخالطين لأهل الكتاب فكان يجب ان يمتازوا عنهم . مثال ذلك امره بصبح الشيب ففي حديث ابن عباس في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي « ان اليهود والنصارى لا يصبغون بخالفوهم » وفي لفظ عنه للترمذي « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود »

والامر في مثل هذه الامور العادية ليس لاوجوب الديني والنهي عنها ليس لتحريم كما قال الامام الطبري والظاهر أن الامر فيها للارشاد الذي يتعلق

عنافع الدنيا ومصالحها كحديث « كلوا الزيت وادهنوا به » رواه ابن ماجه
والحاكم عن أبي هريرة بسند صحيح وتتمته « فانه طيب مبارك » وعنه وعن
غيره بأسانيد ضعيفة وتتمة أخرى . هذا ما يوافق أصولهم والمشهور عند
أكثر الفقهاء ان هذه الخصال كلها مستحبة الاختان فقد قالوا بوجوبه للذكور
وقالت المالكية بوجوب اعفاء اللحية وقال الجمهور باستحباب ارسال شعر
الرأس وفرقه واستحباب صبغ الشيب وخضابه لمخالفة الكفار كما ورد . فأما ما
وصف بأنه من سنن الفطرة فالفرض منه أن تكون الامور الفطرية أي أمور
الخلق على أحسن حال في حسن المنظر والنتنافة والصحة . واما ما ذكر لمخالفة أهل
الملل فلاجل ان يكون لصفين مشخصات وعادات حسنة خاصة بهم من
حيث هم أمة جديدة جعلها دينها اماما وقدوة لسائر اهل الملل في اصلاح امور
الدين والدنيا وقد كان التمسك بالدين والاجتماعي عاما في جميع الامم باجماع المؤرخين
اما قص الشارب واكل ما قال الفقهاء فيه ان تظهر الشفتان واكثره
استئصاله ولو بخلقه فحكاه ناهور الفم وجماله ومراناة الصحة والنتنافة فان شعر
الشاربين يملق به الفبار ودمس الطعام وما فيه من جرائم الامراض فاذا شرب صاحبه
من اثناء دخل شعره فيه فيؤثر في الشراب كما يؤثر الشراب فيه وقد يتعذر
الاسراع بتنظيفه كما يؤثر في الملاعق اذا اكل بها مائما ولا يزال اكثر الناس يضطرون
الى الشرب من اثناء واحد والاكل من صحفة واحدة كاهل العصور القديمة
ولا يخفى ما يترتب على ذلك . واما كون اعفاء اللحية من سنن الفطرة فعنايه انه
زينة خص بها الرجل الذي هو اكل من المرأة خائفا فامتاز به عليها كامتياز أكثر
ذكور الحيوان على انثائها، ولم ترد مبالغة في اعفائها كما ورد في احفاء الشارب بل
قال ابن السيد جهل بعضهم قوله « اعفوا الاحى » على الاخذ منها باصلاح ما شذ منها
طولا وعرضا واستشهد بقول زهير * على آثار من ذهب الغفاء * وهو شاذ
وظاهر الرواية ان المراد به ترك حلقها كما كانت تفعل الاعاجم أو قصها قصا
يقرب من الحلق بحيث تزول هذه الزينة وما فيها من المهابة . قال الحافظ في
شرح ما ذكرنا من زيادة البخاري في حديث ابن عمر المذكور آنفاً : الذي يظهر
أن ابن عمر كان لا يخلص هذا التخصيص بالنسك بل كان يحمل الامر بالاعفاء
على غير الحالة التي تتشوه فيها الصورة بافراط طول شعر اللحية أو عرضه فقد
قال الفطري : ذهب قوم الى ظاهر الحديث فكروا تناول شيء من اللحية من

منولها ومن عرضها وقال قوم اذا اراد على الفبضة يؤخذ الزائد - وذكر عنه الاستدلال بحديث ابن عمر وغيره ثم قال - ثم حكى البصري اختلافاً فيها يؤخذ من الاحية هل له حد أم لا فأخذت عن جماعة الافتصار على أخذ الذي يزيد منها على قدر الكف وعن الحسن البصري أنه يؤخذ من طولها وعرضها ما لم ينحش وعن عطاء نحوه قال وحمل هؤلاء النهي على منع ما كانت الامايج تقمته من قصها وتخفيفها قال وكره آخرون التمرض لها الا في حجب أو عمرة وأسندوه عن جماعة واختار قول عطاء وقال ان الرجل لو ترك لحيته لا يمرض لها حتى تحش طولها وعرضها لمرض نفسه لمن يسخر به واستدل بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي (ص) كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها ، وهذا أخرجه الترمذي ونقل عن البخاري أنه قال في راويه عمر بن هارون لا اعلم أنه حديثاً منكرأ الا هذا وقد ضعف عمر بن هارون مطلقاً جماعة . وقال عياض كرهه حاق الاحية وقصها وتحذيقها وأما الاخذ من طولها وعرضها اذا عظمت الحسن بل تكره الشهرة في تعظيمها كما تكره في تقصيرها ، وتعقبه الثوري بأنه خلاف ظاهر الخبر في توفيرها اد المراد منه

وجملة القول ان حديث مالك في المسألة مؤيد بأخبار الصحيحين والسنة فهو صحيح واكثر العناء على كراهة حاق النبي وهدى وترك الثارب الى ستر الشفتين والمسألة عادية دينوية لادينية تتركى بها النفس لتكون أهلاً لجوار الله وثوابه في الآخرة كما قلنا . وان كان فعلها بنية الاتباع وتقوية رابطة الامة ما يثاب عليه كسائر الامادات والمباحات التي تحسن فيها النية، ولكون هذه المسائل غير دينية لم يمن المسلمون بالخضاب وصنع الشمر كما عتوا . بارسال اللحنى مع صحة الاحاديث بالامر به وكونه زينة ومخالفة لاعل الكتاب بل كرهه بعضهم بحرمة آخرون بالسواد، وقد صح أن ابا بكر كان يخبض بالحناء والكتم وفي حديث أبي ذر عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي « ان احسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم » (بوزن الجبل) نبات ينمي بسفح اسود ضارب الى الحمرة ثم صرح كثيرون باستعجاب صنع الشمر بخضابه مطلقاً وبعضهم بما عدا السواد لحديث امره (ص) بتغيير شيب ابني بحافة مع قوته - وجنبوه السواد » ولا حديث اخرى لا يصح منه شيء . يرفوع وقد سبق لنا تحقيق ذلك في المنار وحديث « جنبوه السواد » لا يدل

على تحريم السواد ولكنه لم يستحسنه (ص) لشيخ بلغ من الكبر عتياً كابي
فحافة وكان شعر رأسه ولحيته كالثغامة في بياضه كما قال بعضهم فالملة ذوقية
واضحة كما يأتي عن ابن شهاب قريباً. وذكر الحافظ في الفتح ان الذين اجازوا
الصنغ بالسواد تمسكوا بالأمر المطلق بتغييره مخالفة للاعاجم (ثم قال) وقد
رخص فيه بطائفة من السلف منهم سعد بن ابي وقاص وعقبة ابن عاص والحسن
والحسين وجريز وغير واحد (اي من الصحابة) واختاره ابن ابي عاصم في
كتاب الخضاب له واجاب عن حديث ابن عباس عند ابي داود « يكون قوم
في آخر الزمان يخضبون بالسواد كما وصل الحمام لا يرحون رائحة الجنة » بأنه
الخيار عن قوم هذه صفتهم وذكر عن ابن شهاب انه قال : كنا نخضب بالسواد
اذ كان الوجه جديداً فلما نفض الوجه والاسنان تركناه.

وجملة القول ان اكثر العلماء كرهوا الخضاب بالسواد وجعل النووي
الكراهة للتحريم وهو كثير التشديد وقد حقق ابن الاثير وغيره ان الخضاب
بالحناء والكتم معاً يكون اسود وقد صح استحسان النبي (ص) له قولاً
وقهلاً اذ رأى من خضب به وان ابا بكر كان يخضب بهما ممماً أو منفردين ،
وهل يقتل اذا صح أن - واد خضابه يضرب الى الحمرة ان يكون السواد الحالك
مستبياً للحرمان من رائحة الجنة ؛ أو ليس الموافق لاصول الشريعة ان صح
هذا ان تقول انه علامة لقوم من المبتدعة المجرمين في آخر الزمان محرمون الجنة
باجرامهم لا بخضابهم كما جعل خلق الشعر علامة للخوارج - والا كان سعد بن ابي
وقاص احد المشركين وسيدا شباب اهل الجنة اول من يتناولهم هذا الوعيد الشديد ؛
أوليس من علامة وضع الحديث ترتيب الثواب العظيم أو العقاب الشديد فيه
على التافة من الممل ؛ وقد قال ابن الجوزي بأن هذا الحديث موضوع وخطأه
من مسحوه وحسنوه من حيث السند على ان فيه عبد الكريم غير منسوب
قيل ان كان الجزري فقد روى عنه الشيخان نقول ومنع ابن حبان الاحتجاج
بما يتفرد به كهذا الحديث وان كان ابن ابي الخارق فضيف. وقد اضطرروا الى
تأويل الوعيد فيه بالتكليف

وأما قول السائل اذا كان الحديث صحيحاً فما حجة من يخلق لحيته من
المسلمين بما فيهم من جملة الشريعة - تجوابه ان المسلمين قد ترك الكثيرون
منهم مما هو اعظم شأناً من قص الشارب واعفاء اللحية من السن والآداب

الاسلامية من دنيوية اجتماعية ودينية وكثيرا من الفرائض أيضا. وكان يحتاجون
 لشيء من ذلك الا اذا قال أو عمل به بعض شيوخهم في التقه أو التصوف
 وقد يقولون ان جمهور علمهم يقولون باستحبابه لا وجوبه مثلا والعواب ان كل
 قوم يعملون بما ألفوا واعتادوا من هذه السنن حتى ان بعض السلف تهاونوا
 في بعضها ولاجل هذا توسعنا في المسألة بذكر سنة الخطاب التي لم يتمودها
 الا القليل منهم منذ عصر السلف فقد روي ان الامام أحمد رأى رجلا قد خطب
 لحيته فقال اني لارى رجلا قد أحيا ميتا من السنن وخرج به. وروي عنه في ذلك
 أقوال أخرى. ونضرب له مثلا من المتقبلين منهم من هنا لانه في مسألة عمية
 تتعلق بمقيدة التوحيد وهو ما ورد من حشر النور والشمس والامرين بنسبها وحشر
 تشریف القبور ولا سيما قبور الصالحين واتخاذها مساجد ووضع السرج عليها او الامر
 بتسوية القبور المترفة المرتفعة عن الارض بالتراب - عن ذلك صرح في الاحاديث
 وعلمه انها من أعمال الشرك الوثنية التي سرت الى أهل الكتاب من الوثنيين -
 ولكن المسنين تركوا العناية بالتدوير والدور والتزليل حتى ما لا دخل له
 في الوثنية وأمور الدين بوجه من الوجوه وان كان من أهم منافع الدنيا
 ومصالحها كاللغة والعلم والحرب - وغنوا بتقارب الصالحين حتى اتخذوها مساجد
 وشرفوها ورفعوا بنياتها وحبسوا الأوقاف على من أوقفها ووضع السرج والمصابيح
 عليها وصاروا يشدون الرحال اليها ويألفون بها تدينا فوقموا في كل مناحرم
 الشرع بناءها وتمظيمها لاجله والفقهاء يقرؤونهم على ذلك والقضاة يحكمون
 بصحة أوقافهم وهم يقرؤون الاحاديث الصحيحة في امر من فعل ذلك

أكبر أسباب تهاون المسلمين بأمر دينهم وآدابهم ومشخصاتهم الملية في
 أكثر البلاد أمران (احدهما) ترك العلماء فريضة الدعوة الى الخير والامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر (وثانيهما) عدم وجود حكومة اسلامية تحافظ على الشعار
 الدينية، ومقومات الأمة ومشخصاتها الملية، ولذلك لا ترى مثل هذا التهاون
 في بلاد نجد وبلاد الافغان وكذا بلاد اليمن التي لم يتولى الترك الحكم فيها كجبال
 الريدية ولكن بعض هؤلاء المتدينين قد غلوا في دينهم حتى وقعوا في مثل
 ما انكروا وفيما هو شر منه كتحريم ما لم يحرم الله ورسوله افتراء على الله وقولا
 عليه بغير علم وتكفير المسلمين بما ليس كثيرا ولا محرما

وقد فتن أهل البلاد العثمانية والمصرية بتقليد الافرنج والاتباع بهم كما هو

معروف ومن الجربان كثيراً من الذين يتركون ازبائهم من المسلمين ويلبسون الزي الأجنبي يتم اوتون بأمور الدين ويتجرون على الفسق والنجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة المليية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غيرزيه لاجل التوسل به الى المعاصي كان تغييره ممصية ومن خاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يباليون بهذا اذا كان لعدم اذعان انفسهم للأصم والنوبي فليسوا على شيء من الدين - ولعل هذا ما كان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في العادات ولكن الجرأة على التحريم والتكفير للاشخاص المعينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره ويتكره الفلاة فالافراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجنابة عليه والأضاعة له فنسأل الله الحفظ والسداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة لا عبرة والتاريخ

تمهيد ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية - مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشر في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقريرا جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر الحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذف منه المراقبة الانكليزية ما حذف ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بما لا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السليمة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل ممية من أهمها المسألة العربية والحجاز . على (١) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا نقل بعض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمنار البتة أو بحذف بعضه حتى حذف بعض تقرير مشيخة الازهر الرسمي في انتقاد مشروع التعليم الاولي عند نشرنا اياه تقلا عن الجرائد

أنا راعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الزمان: فسكتنا عن بعض الحقائق وبيننا بعضها بالتصريح، واضطررنا في البعض الآخر إلى الإيحاء والتلميح، وأنتا تذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الفناء المراقبة على الصحف في مصر بعض الحقائق وزججنا بعضها إلى فرصة أخرى، فأصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعظة والذكرى، فنقول

أنتا كنا تتوقع وقوع الحرب الأوربية الكبرى قبل وقوعها بزمن بعيد ولا سيما بعد حرب البلقان خلافاً لجمهير المنكرين الذين كانوا يستبعدونه أو أو يجادلونه ظناً منهم أن الدول المنطوية وصلت إلى درجة الكمال في العقل والتفنية ومراعاة المصالح الإنسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالأساليب السياسية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بإمكان وقوع هذه الحرب إلا بعد اشتغال ناراها بالفعل

وكنا نعتقد أن الدول الأوربية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناماً لفرصة تهور الاتحاديين وتغييرهم للعناصر العثمانية بغلوهم في المعصية التركية، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات العشر التي كتبناها بمنوان (المسألة الشرقية) بمناسبة استيلاء إيطاليا على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المنار، وكان نشرها في المؤيد مثيراً لبعض وكلاء الدول الأوربية وحاملاتهم على مراجعة العميد البريناني بمصر وإيعاز العميد إلى رئيس الوزارة المصرية بإيدان صاحب المؤيد بالأمر ووجوب مطالبته إياي بتخفيف الحملة عن الدول بجملاتها وحذف الكلام في إيطاليا ومسألة طرابلس وقد حملنا في المنار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضعت من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقتهم وذاقتهم إداري لها ومشروع الاتفاق مع فرنسا على مثل ذلك في سورية كما حملنا عليها في اتفاقها السري مع إيطاليا واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في العرب بمداقنا نفوسنا غير واحد من زعمائهم بأنهم يبيموننا ويرقون شعبهم بثمننا، ولأجل هذا اندفع العرب الممانيون إلى طلب الاستقلال الإداري من الدولة لولاياتهم على طريقة اللامركزية

ولما أعلنت المانية الحرب على روسية جزمنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وأن دولتنا ستعصى ناراها مع المانية لما كنا نعلم من الروابط بين زعماء

الاتحاديين وبينها وتوقعنا أن نكون الحرب سبباً لحل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يعنون به العرب من الإصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الأول بباريس ، لأن الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما حدثوه من العصبية الجنسية سبباً للتنازع الموجب للفشل ، ولجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في المنار بوصية الشعب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالاصلاح ويكون مع الترك بدأ واحدة وكلمة واحدة فيما تمتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للثغر ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكيز باستقلال العرب ومساعدتهم

في هذه الاثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عزمت على العطف على العرب ومساعدتهم بنفوذها الادبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الاصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تتظاهر به واما اذا انضمت الى المانية في الحرب فانها تساعد على الاستقلال وتكوين دولة عربية ولما اصطلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نحاف عليه بلادنا العربية لانها حالية من الحدود والمعازل الحربية وبعيدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة ، ولم نلبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق الاحزاب مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانها لا تبغي أخذ شي منها واذا انضمت الى محاربة الترك فيها فانها تترك لهم كل ما تدخله منها بمد اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مسلمين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخذونهم أعداء ، وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان يمثل ما بلغنا بمصر عن بلاغ من لندن . ثم أطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم نر عبارته مفيدة ما وعدونا به بل هي ايهام محض فاقترحنا عليهم أن يصرحوا فيهم بالمراد تصريحاً لا يحتمل التأويل كقولهم يتعهدون باستقلال هذه البلاد اذا ظهر واقع في الحرب وبحمل حشدهم على ذلك وعدم أخذ شي من بلاد العربية لا باسم الفتح والامتلاك ، ولا الحمية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالقوار

البصرة والتي سيدخلونها من بعد بلا شرط ولا قيد . وبعد التشاور بينهم ومراجعة حكومتهم العليا بلندن في ذلك حدثوا هذه التمسود . وكانوا يرجون منا مساعدة بناء على تلك الوعود فكتبنا لهم مذكرة بمد مذكرة في الاحتجاج على ما نهر لنا منهم وبيان خوفه العرب على بلادهم من انكسار دون سواها واعتقادهم أنها هي الخصم لهم وتحذيرهم من الضرر بما كتب جزائدهم وبمض الجرائد المداعنة لهم من وصفهم بأنهم أصلاء العرب وان العرب اسمة وهم . وبيان مكان الدولة العثمانية من الاسلام والمسلمين وماءهم . فونله من عداوة العالم الاسلامي لهم وفي مقدمته مسلموا الهند وجعلهم اليا واحدا عليهم اذا هم استولوا على بلاد العراق وهورية ومنها البلاد المقدسة وما يترب على ذلك من سيرورة الحجاز تحت رحمة تصرفهم مع محاربتهم للدولة التي يترف لها السواد الاعظم من المسلمين بانها دولة الخلافة اذ يمتدون حيث تحية ماتهم به دولتهم من عزمها على ازالة الحكم الاسلامي من الارض . وان السلطة الاسلامية في نظر المسلمين اهم المعينات وثانية عميدة التوحيد لانها سياجها وحفاظها وان عذاهو السبب في تعلق مسلمي الارض بالدولة العثمانية وحبها . وبيتنا لهم في أول تلك المذكرات ان الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا بالمركب المذار بل يحتاج الى قوة برية كبيرة جدا لمنع الثورات الخ

كان غرضنا من هذه المذكرات افناع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها ان تقنع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدوانا على الاسلام وسلطانه لاجل تقليص ظله من الارض بل لتجيزها الى اعدائهم الالمان عليهم وعلى احلافهم الا اذا أعطت المهدي والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد الاسلام وفيها معاهده المقدسة الجرمان الشريفان والمسجد الاقصى في القدس ومعاهد العلم ومشاهد الائمة للشيمسة في النجف وكر بلاه وهي مظهر حضارة الاسلام العربية، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية ، مع بيان ما في ذلك من الفوائد السياسية والاقتصادية والادبية التي شرحناها لهم بالعديق الخالي من شوائب الايهام ، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام ، مم مكتوبات أخرى في المسألة عظمية الشأن

خاب سمينا الى ما سمينا اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم نعتد بالابهامات التي كانت تصدر أحيانا من برقيات روتر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانيا المظلم بالمعطف على العرب وما ينتظر من سعادة البلاد العربية اذا تحررت من سلطنة الترك واعادتها مجدهارون الرشيد والمأمون. وعلما بما دار بيننا وبين وجاهلهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السرمارك ساينكس الذي أرسلته السلطنة المليما من لندن الى مصر والمراق لدرس المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم قابتون على طمسهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بسنين كثيرة ونوهنا به في المنار مراراً وكان لهم ضلع في مساعدتنا اياهم على اقناع العرب بما أشرفا اليه آنفاً ولو بكتابة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لاجل هذا الخداع فخاب أملهم فينا كما خاب أملنا فيهم

ما كان بين الانكليز وأمراء العرب

ولى الانكليز وجوههم شطرت أمراء العرب وزعمائهم في الجزيرة والعراق وسورية للاستمارة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم امام اليمن ووالي الدولة في الحرب كما عامدها في السلم، وواتاهم أمير نجد وسيد عسير على انوف عن الحياد. ووالاهم شريف مكة باعلان استقلال الحجاز ومقاومة طينة الاتحاد والترقي الضاغية الباغية اولاً ثم بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والشام، وقد انخدع أهل سورية والمراق بهذه الموالات والمخالفة وصدقوا التقرير الذي كان يوجه اليهم في المنشورات والجرائد ولا سيما جريدة الكوكب - ووافق ذلك شدة ميّان الاتحاديين وتنكيتهم بعرب سورية والمراق ثقيلاً وطملياً وثريباً وطمديبياً فرجيد المضطهدون منهم مهرباً وماجاً من المذاب ففروا اليه بأمال كبيرة اذ ظنوا أن حوادث الزمان قد مهدت السبيل بهذه الحرب واشتغال الدول الاوربية الطامعة بعضها بمض لا استقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية المالية التي يفتخر بها التاريخ، ولمعري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاه يفتمونها من غير أن يجنوا على الجامعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية

ثورة الحجاز والاتفاق مع بريطانيا

كانت حركة الشريف الاولى في الحجاز من النتائج التي تقضيها المصداق التي سببت لاجتماع وكان يمكن أن يكون أقوى ما يقال فيها ما قلناه عقب حديثهم

اما أن تنفع واما ألا تنفع - واكبر ما يرجي منها ان تتخذ وسيلة لجم كلمة العرب في الجزيرة ونظيم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سيطرة دولة أجنبية اذا غلبت الدولة بالنبح لانكسار حليفتيها الكبيرين المانية والنسة . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع اليه سبيلا من كل هربي وكل مسلم أيضا ولو كان من الترك الذين بهم شأن الاسلام . ولما ذهبت الي الحجاز عقب ثورته لاداء فريضة الحج صرحت لاميعة (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبتني من جعل خروجه وعدائه خاصا بالأتخاديين الذي فرقوا الكلمة ونكسروا بالعرب السوريين وغيرهم في الوقت الذي هم اخرج فيه الى التأييد والاتحاد وما يجب من اتقاء هداة الترك واضماف الدولة وحصر السعي في جمع كلمة العرب وابتجاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ حياتهم والتموض بأمر استقلالهم اذا انكسرت الدولة وحفظ حقوقهم معها اذا هي انتصرت كما يتسنى كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد الامام بنى وتصديقه اباي في كل مقاصدها برهان رسمي على ذلك مطبوع في جريدة القبلة ومجلة المنار (١)

على اني لما عرضت عليه الشروع في مخطبة أئمة الجزيرة حوله الى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك الى أن يستولي على المدينة المنورة لتلايظن جيرانه انه يطلب ودعم خروفا منهم لارجاء وصعبا للمصاحبة العامة - ولم ير ضي هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السعي من قبل بعض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم اذا هم وافقوا فأبى الا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت الى مصر اخبرني واخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم في اليوم يوجد في المدين الامير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذلك - وذكري أمماهم - ولكن هذا الناقل ممن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وهابنا وله وهابيه . وقد يصدق الكذوب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان تقابل مع ابن سعود بدلا من ان يتحدنا

ثم إن الشريف بعد ان بايحه أهل الحجاز باسم ملك العرب واعترف له جلفاؤه

من الإنكليز والفرنسيين بمناك الحجاز فقط - جاهر بمدارة الدولة العثمانية والترك
وبدأ الجهد في قتالهم فغاب املنا في وقوف ثورته عند الحد الأدنى مما رجونا منها
بعد ان رفض السعي الى الحد الأعلى أو السماح به وقد اشرفنا الى ذلك بقواتنا في
بيان الحلة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨١ من المجلد العشرين)
عند الكلام على ما كان يراد من مبايعة الشريف بالخلافة وسمينا الى مقاومة ذلك:
ذبت ليلي أفكر في هذه المسألة... وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي
في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد أكرته لذلك وكان أعجبنى
من منشور به الاوالم جمل هذا وثمة التناهي للثعب التركي كاه ولا للدولة

العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في اول عهدها - هـ

ففهوم هذه الجملة لاخبرة ان الثورة الحجازية نحوات عند كتابة هذه البذة
من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في اول عهدها ومنه الوقت الذي كنت فيه بكه
وهذا كل ما كان يمكن التنبؤ اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة
١٣٣٦ - فبراير سنة ١٩١٨) ولحقت قبله في (ص ٢٨٥) الى الحديث الذي دار
بيني وبين الشريف الامير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بتولي اني ذكرت له رأيي
منصلا تفصيلا، وأقول لأن ان ذلك تمسك كان في بيان محاورات أتجه له لمص
الخلافة وما يرتب عليه من المفاسد مم كونه هو مبايعة لا لاطان محمد رشاد - وحديث
« اذا بويح الخليفين فقتلوا الآخر منهما » (رواه مسلم في صحيحه) - وكون
بيعة أهل الحجاز له لا تصح لانهم ليسوا أهل المل والعتد في الامة الاسلامية وهم خاضعون
لسلطة وحكمه غير أحرار في اختيارهم - وكراهة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز
وقبر هذا مما لم يكن التصريح به ممكنا في عهد المراقبة، وقد كان الشريف يؤمل
أن أفون من أنصار الثورة وأعمال الحجز وكان هذا ما يجب على لوجوت الاعمال هي
ما اعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ويا لم أفعل أظهرت حكومته لي العدا
وأمرت بمنع المار من دخول الحجاز بحجة اني طمنت في رجالها بما يرفع الثقة منها
ونشر ذلك في جريدة القبلة وثمة الحمد - فما علمت به كان أول ما خطر على قلبي
قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) فانه يدفع هي اتهام كثير من الناس اياي

بمشايخ هذه الثورة مطلقا ووردت نشر بلاغ المنهج في لمار فقه مني المراقبة الانكليزية هل انه كان نشر في جريدة (وادي النيل) في الاسكندرية فوحى بعض رجال المكتب العربي في الصالح بحولي على تأويل لما كتبت افترحوه فلم تقبل وتكثرت اشهرت لي سبب ما كتبتنه وغرضي الصحيح منه بما لا يرضى الشريف لي ان غضبه كان اسبب امر والسبب الذي جراً أمير مكة بالأمس وملك الحجاز اليوم على ما فعل وحمله لا ينالي باترك ولا بأمراء جزيرة العرب هو لا اتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى قبل الثورة فانه كان يظن ان سيحكم به جزيرة العرب وسورية وشرق قرة برصاية المقام التي لا تملاها قرة في العالم وقد اشرفت على ذلك في بيان صفته من الرحلة الحجازية بقولنا (ص ٣٥٧ م ٢٠) «ومنها ان ثقتنا بالدولة البريطانية وتقديره لوجها وعظمتها لا حد لها ولا صاها نأشي عليها» فهذا لا يمكن لا احد اقتناعه بغير ما اعتقده وجري عليه لا يبرهن العقل ولا بمجج القل ، وله في جريدة القبلة أقول في ذلك حرية نقلنا بمضاه وفيما لم نقله ما هو أعرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له وأولاده فيصل غير مرة - وهذا الايمان واتسليم لها في حالي الرضا والغضب هو الذي عطفها عليه وعلى أولاده أخيرا كما أي بيانه . هل انه كان يكتم نص هذا الاتفاق حتى عن أولاده حافظا اياه مع المذكرات الرسمية الاخرى في الكيس الازرق الذي لا نله بغير يده . وقد كان بعض البريطانيين اطمنني على نص هذا الاتفاق بالمرية قبل الثورة وسألني عن رأيي فيه فقلت واجامتها : هذا اتفاق لا يرضى به الا هدوا للعرب أو حاروا لا يفهم منهم . فاحمر وجهه ووقفت بيني وبينه . من قصة حادة فيه لا أتى تألت في تقني لجريان كلمة حمار على لساني وما رأيتته قريب مما بلغه الشريف فيصل في دمشق لجريدة المفيد ونشر فيها ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد الا ان فيه تصرحاً بأن غربي سورية ليس عربيا وانه لا يدخل في الاتفاق لما تدعيه فرنسا من الحقوق فيه وانه اعداء من البلاد العربية التي لا يتنازع انكثرة احد في نفوذها فيه هو الذي تنرف باستقلاله يستولي على الشريف منه بشروط منها استثناء ولاية البصرة الخاصة بالانكليز ونزجهم ما يحتاج اليه هذه البلاد التي تستعمل باستيلاء الشريف

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد فاعايطبه من انكفرت -
 واختراقه بجميع ما بينها وبين امراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمساكنات
 (وان لم يسلم على شيء منها) فالشروط خسة هذا مضمونها ولا ادري هل عدل
 شيء منها أم لا ، وقد قيل ان لديه ماهدات ومساكنات أخرى وأما السيرة
 بالميل ، فهو الذي لا ياري أحد فيه ، وسيأتي ذكر ما انتهى الي شروطه وشروط
 أولاده فيه ، هل انه قد ظهرت قوادمه وخوافيه

ما اتهم به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب
 لأجل التشاور في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان
 رأي جمهورهم ان الحلفاء سيكونون هم المتصرين ويمسئولون على بلادنا فينبغي ان
 نخطبهم فيما نحب ان نكون عليه حكومة البلاد في ظلهم احتياطاً اذ يرجي ان يساهلوا
 الآن فيما لا يساهلون بمثله بعد النصر - فعارضت في ذلك جازماً بأنه لا يجوز لنا
 ان نخطب أحداً في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مسئولياً علينا - وقد تكرر
 هذا الاجتماع في عدة مجالس من دورهم تمحست فيها الآراء وكان الرأي الذي
 اتفرد كاتب هذا المقال بمرضه عليهم والاحتجاج على صحته والنضال عنه هو
 وجوب السمي الى الاستقلال التام وتكرين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلفاؤهم
 وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم
 رأي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الأوروبية وتجنسها
 بجنسيتها وتجعلها جزءاً منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة
 أوروبية (الثالث) - وهو رأي المدلل - ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رهاية الدول
 العظمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول. وأنا لم
 أوافق على هذا التمديد لان الاستقلال فيه ضروري لاسميتي ، ولم أقبل في وقت
 من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان ، ثم وجدنا من غير هذه
 الحاجة أفراداً واتمونا على طلب الاستقلال التام المطلق كما سئذ كر بعد

وقد وضع هؤلاء المؤتمرون مواد أساسية لتشكل حكومة البلاد على تقدير استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الإداري تحت الحماية بتقدير وفورها وكتبوا لمشروعين مما مقدّمه ووزعت نسخ ما كتبت في المؤتمرين وبعد مناقشة دارت المناقشة فيها وعدل بمصر موادها. ولما ردت من الاستقلال التام وتكونت دولة عربية في نسختي كتبت في حاشيتها ما يأتي للاطلاع به : ذكرنا سابقاً أن طلاب الانضمام إلى الدولة الأجنبية وطلاب الاستقلال الإداري في ظل دولة أجنبية وهذا نصه :

« ويحتج أصحاب الرأي بأن من وضر نفسه حتى أن يكون تماً لغيره لا يرجح له الارتقاء والتوصل إلى الكمال الاجتماعي كمال الاستقلال والحرية الذي تبذل الأمم دماءها وأموالها في سبيله . وإن هذا الأمر غير متداول في الجنسيات فإذا كانت الأمم المرزونة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى جنس من الأجناس أن يساوي جنسها باختيارها سواء كانت من عناصر دولتها أو استقلال دولتها . وسواء كان مثلها أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية — فهل يمتثل أن ترضى أمة من الأمم أن ترفع شعباً ضعيفاً لتتولى عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها ؟ هذا محال لا مفتح فيه فالواجب على السوريين وهم أرقى الأمة العربية أن يحسروا أنفسهم وأمتهم ما أعطاهم الله وأعطاهها من الاستعداد ، ولا يرتضوا أن يكونوا دون أهل جبل الأسود والبلخار واليونان ، بل يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم إلى أغنى ما تنسبه الأمم من الكمال ، ويبدلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال . فإن نالوا بالسعي الذي فقدتم القصد ، وإن صدمهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة مضمونة كغيرها عندي وتم نسخة عليها تعليق مهم بقلمي عند باشا من باشوات أولئك المؤتمرين . وقد كان ذلك كل ما عمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سمينا إلى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكوين أمة عربية فلم تنجح إلا نفرًا قليلاً من النصاري في مقدمتهم إسكندر بك عموز الحالد الذكر باستقلال فكره وكرم أخلاقه ، وكان هذا قبل تأليف الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بمد جهاد في تأليفه دام عدة أشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه على طلاب الاحتلال

اتفاق سنة ١٩١٦ على قسمة البلاد العربية

وضع هذا الاتفاق كل من السير مارك سايكس المستشرق أحد أعضاء مجلس النواب البريطاني وموسيو جورج بيكو الذي كان قنصل فرنسة الجنرال في بيروت الى عهد اعلان الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وبعد أن أقنعا دولتيهما به التا وفدا وحضرا الى مصر ثم سافرا الى جدة لاجل التمهيد لقبوله عند السوريين وملك الحجار . وقد التا في أوائل رجب سنة ١٣٣٥ وأواخر ابريل سنة ١٩١٧ جمعية من السوريين فيها ثلاثة أو أربعة من المسلمين وواحد من وجهاء الدروز وباقي أعضائها من المسيحيين لاجل الاتفاق بين أبناء ملل البلاد شئ ما سنكون عليه في ظل هذا الاتفاق قبل اعلانه . (وفي هذه المرة لم يطلب السير مارك سايكس مقابلي لانه يئس من استخداي لمقاصده مما دار بيني وبينه الملامه الا ان بمصر سنة ١٩١٥) وعاع في تلك الاثناء أنه قد ألفت جمعية سورية بمصر لاجل السعي لاجتلال فرنسا سواحل سورية وجمعية اخرى لانشاء حكومة مسيحية في سورية تحت اشراف فرنسة ورعايتها او حمايتها

ولدي مذكرات في بعض ما سمعته في تلك الايام من بعض أعضاء جمعية السير مارك سايكس ونبرهاس اعمى بالقرل رجل من اعلم المشتغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) انه فهم من السير مارك سايكس تمسك سوريا وبقاعها سواحل سورية كلها القرلة لانها البلاد التي تكبر املها ونقد احتلوا بها في انفسهم مررب الضريبة المشهورة . واوله في انفسه ان امدان عادات سره وان سراسر من سراج بيكو من ريادة في انفسه ان اشبهت في انفسه عجايب كرهت سواحل سورية لفرنسة وقد ذكر سايكس هدي من اقسى شرب من انفسه بر عمده بذلك ولكنه ما اقترح بزمه ان يتوله لموسيو جورج بيكو فتم به فلم يخالف بحرف منه ، (ولكن هذا الرجل عن مدانه وهمهم انه هو الذي اقنع والحق ان الملك لم يمرض فيما حاج الى اقماع) ثم امد نعمة ايام اخبرني بذلك رجلان آخران ممن كانوا يفتنون سايكس او من أعنائه اللذة التي الفها ثم بعد سماعنا هذا بأسبوع أو أسبوعين بناء القاهرة أحد القواد الذين كانوا مع الامير فيصل فالتفتنا ممتقدا ان الملك وافق الانكليزية والفرنسية على ما قررا في شأن سورية والعراق ، ثم سمعت هنا الخبر بزمه بعد شهر من مصل آخر كان مشغولا بهذا الصل مع اللجان . ثم اخبرنا بعض من كانوا مع الامير فيصل انه رأوا كتابا من والده يذكرفيه ذلك

ويملأه بأن فرنسا تحتفظ له سواحل سورية من التمدي عليها الى ان يصير للدولة العربية اسطول بحريها به على انها تدفع مبلغاً معيناً للدولة العربية في كل عام مادامت محتلة في تلك السواحل

وجملة القول انه قد تألف بمصر في سنة ١٩١٧ جمعيات ولجنين بايمار الانكليز والفرنسيين بعضها لوضع اساس الاتفاق بين السوائف على ما سيكون عليه نظام البلاد بعد تنفيذ ما علم بالاجمال ان الدولتين الحليفتين اتفقت عليه وانه جعل فلسطين وسواحلها لليهود وبمسما لوضع اساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن ههنا الجماعات جمعية فندق ناسيونال ولم يكن فيها الا مسيحية واحداً وقد كنت كل سمعته من أحد خيراً من الاخبار في هذا الشأن اجادته بالتي هي أحسن الا ان يكون مستلماً فانتني اندره سوء عاقبة السعي مع اتساعين في هذه السبيل وما يعقبه من لعنة الملايين لو الى يوم الدين

وفي اول سنة ١٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمقتضاه الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر فبراير منها يريد اوروبا شارحاً ذلك فأمرت المراقبة بحتم الخوض فيه في الجرائد الى ان تمهد له السياسة ما ترجو ان يكون به مقبولاً عند جماهير السوريين المختلني الاحزاب والآراء . وكانت وصلت الي في هذا البريد جريدة المستقبل العربية التي تصدره في باريس جمعية موسيو شكري غانم السورية بنفقة الحكومة الفرنسية مفعلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرناه بعد ذلك في الجزء الاول من مجلة المنار الحادي والعشرين (فليراجعه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المشغولين بالسياسة مع الانكليز كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره « مع أخماس المحبين » في مساء ٢٠ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع ان تكون لتأييد الاتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك مؤثلاً تسمي على الذي من مصر بهذه المقاومة مستمداً لذلك وقدر أيت في المكان ما قوي حدسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأمراداً من المستقلين طلاب الاستقلال . وبعض المراقبين من الضباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك النقيب والاستاذ الكافعي زكريا بك السميد، وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والتماكة اقترح على شاعر

العرب الكافري أن يسمع الحاضرين ما تجود به فربحتهم من الشر الاجتاهي
 واعتذر بانحراف صحته ثم ارتجل أياتنا صفق لها القوم تصفيق الاعجاب مرارا
 لا يذكر منها الآن الا قوله

قد منننا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
 ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم (١) ان يلقي خطابا في
 موضوع الحال الحاضرة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه انه مضطر الى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال
 التي انتهت اليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار الى مدار بين الدولتين
 في مسألة البلاد العربية وقال ان رجالهم المعظم صرحوا بأنهم لا يمكنهم ان
 يتفهموا سورية حول البساط الاخضر في مؤتمر الصلح الا اذا كان زعماءها متفقين
 على امر مستقبلهم فهم يتهموننا بعدم الاتفاق وان الفرصة الآن سانحة لنا اذا أردنا
 اتقاذ بلادنا من حكم الترك واذا فاتت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لنا ولا
 لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول اننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون
 ولا مجال للخلاف في هذا الامر الجوهرى للبلاد وهو انتاذاها من ملغاة الترك
 وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمره سهل متى تم لنا اتقاذ البلاد -
 (وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني فرأيت ان الخلاف بينها وبيننا
 بسيط يمكن تلافيه بتمديد خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال
 لبنان وسورية والمراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم
 فوه بأننا كلنا عرب ومما اجتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالاسباب حاول ان يأخذ قراراً من الحاضرين بالامر
 اللذين زعم المر مارك ساينكس بمخاطبه في الجمعية السورية بباريس انه يمكن
 للسوريين الاحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وازالته -
 واعتماد السوريين على مساعدة فرنسا في السير بأنفسهم في طريق الحياة - أي
 كاعتماد المراقين على انكارة في ذلك : (راجع ص ٣٥ م ٢١) فقال:

وهنا صرحت هنا باسم الخطيب مع الزامي كمان اسماء الافراد في هذا المقام
 ولا سيما من كنت منتقدا لرأيهم وعمامهم في مثلنا في كل ما كتبت لان هذه الخطبة
 قد ذكرت اخيرا في خذل كبير خطب فيه الخطيب وردت عليه كما سياتي

السناكلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الاتراك واخراجهم منها؟ - وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم نعم وسكت الا كثرون - فقال - ليس بعد هذا امر يقتضي الاتفاق عليه من الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلفائنا الكرام ولا سيما انكلترا وفرنسة ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار البعض منا - فن العقل الآن أن نترك البحث في ذلك ومتى صار السوري في سورية واللبناني في لبنان والعراقي في العراق فمعد ذلك يكون المجال امامنا واسعا في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم ومنه قول الكاظمي

قد منعنا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق
وقال ان هذا في غير محله وان حقنا لانا لم يأخذه أحد بنير استحقاق الخ
خطاب الكاتب صاحب المنار

ولما اتم خطابه ظهر لي ان فني في هذا الاجتماع المدير عين اليقين وان المراد منه ان يؤخذ من جمهور زعماء السوريين - وكذا المراقبون على قلتهم هنا - اقرار بما قرره الدولتان كما أخذ من جمعية مود - وغاتم بباريس وهو انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم ويفوضون امرها الى انكلترا وفرنسة - فنهضت في اثره متصديا للرد عليه فصفق الا كثرون - وألقيت خطابا حماسيا تدفق من قلب يقطر دما افتتحته بقولي انني اضطرت الآن الى مواجهة صديق بارد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطرت من قبل الى مواجهة صديق آخر بارد عليه في وجهه لمصلحة الوطن وهو سليمان افندي البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتفال الذي أقيم للبستاني في فندق الكورنتينتال عقب زيارته لسورية ومصر وأرادة العودة الى الآستانة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردني عليه في ذلك الاحتفال) ثم قلت ان صديقنا الخطيب المفوه قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بصراحة غير ممتادة وانا أقول انني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح مما خاطبكم لانه لا ينبغي أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم الذي تعدون أرقى اهلها علما واختبارا كما قلت

في تعليق ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتفال المشهور
قال الخطيب ان الدولتين الخليفتين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين
لها بأنهما لانستطيعان مساعدتنا في مؤتمر السلاح اذا بقي العدو في بلادنا الا
اذا اتفق زعمائنا في أوروبا ومصر وأمريكا على الامر من الاذن ذكرها تبعاً لمر
مارك سايكس أحد ذينك المندوبين وهذا ما كتبه الخطيب عنكم
أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الخليفتين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما
لاستعبادكم باستعمارها فقد جاءني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطامت
فيها على تفصيل هذا الاتفاق (وتلخيصه) وتلخيصه هم كما نشرته بعد في الجزء الاول من
الجهد الحادي والمشرين) فقامتني الدكتور نيرة ثلا انهم صرحوا بأنهم لا يعاملوننا
بالضغط والتوسع الاستعماري وواقفه الدكتور شهبندر فقات للدكتور عمر
لاقتاطمني فاني ما اذنتك - قال أريد تفسير العبارة وايضاها كما قيات . قلت
أخر ما تريد ان تقوله الى أن أم كلامي - قال سحبت كلامي . فضيت في كلامي
وهذا ما خسه

ان الترك ضمهاه وجاهلون مثلنا فلا يستأمنون ان يستبدونا اذا نحن تنبهنا
لحقوقنا وأما انكثرة وفرنسة فهما أقوى منا في كل شيء فلا نستطيع أن نتفدى
من عقابها اذا هما استولتا علينا - هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال
هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب - وذاكرت الجيوش والسلاح
والاساطيل البحرية والجوية - فاني لنا أن نتفدى من سلطانهم القاهر ؟
نعم قد قالوا أنهم لا يريدون أن يثقتوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان
فرنسة تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تفعل بريطانيا في العراق
ولعل مرادهم أنهم يحملون لنا اميراً منا وكثيراً من المستخدمين، وهذا تصرح
بأنهم يريدون استعمار بلادنا والزيادة علينا وانما يهونون علينا الخطب بأنه
استعمار هين لين لا قاس شديد . ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين، لا عبيداً
مسيودين، سواء علينا أكان السيد رحماً بعبيده أم لا . على أن هذه الطريقة اللينة
في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهتمتوا اليها بالتجربة واكتنوا امثل وخير لهم
لا للشعوب التي يسودونها، فانها تخدر اعصاب الجماهير وتخدع عامة الامة بأن
حكماها منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها، وبدلك يتمخر على الزعماء
العارفين الدفاع عنها والمطالبه بحقوقها، لانهم لقاتهم تسهل مراقبتهم وانزال

قالبهم ، اذا لم تكن وراهم امة تؤيدهم . قال الفونس اسكروس في
 ابه اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة الالينة
 بل ذلك بنحو مما اشرفنا من تحذيرها لاسباب الامة حتى لا يبقى لها مجال
 كرفي الخروج مما هي فيه ، وانشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق
 لغرب ظاهرة جليلة كتونس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند .
 بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم
 معنى الاستقلال والتفكر فيه دع الاستعداد له والسعي اليه ، وعلت ان رؤساء
 لكروماتها اطوع للانكليز من ظلمهم واشد قبولا لكل ما يقترح عليهم . واما
 لولايات التي يدير امرها الانكليز بأنفسهم فهي التي تناضل وتنتقد وترجو
 استقلال وتستمد له وتمتد ان ستنا له في يوم من الايام

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يدعون تحرير الامم والشعوب وانهم
 يدون باقتسام بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر الجميل ؛
 سون الحقائق باسماء الاضداد ، وما ادري بأي مقود اورسن يريدون انية ودونا
 بالاستقلال الذي لا نصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والورود على النار ؛ ومنى
 انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كما تقاد الدواب حاملة الاتقال ؛ يا خبزون منا
 نالك ويجودون علينا بالانفاظ والاسماء التي تخفف وقمها على قلوب الجاهلين ،
 كالحمية والرعاية والاستشارة والمساعدة والاتداب وغيرها)

(وقلت) اني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من
 هؤلاء الناس اعطي حق المراقبة على حكومتها وسمي عبد السورين او عبد
 حرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستعبدة له .
 حرية والاستقلال معنى واحد يقابله المبودية وهي حقيقة واحدة لا يتغير
 معناها بتغيير اسمائها . ولو انهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلالاً
 ما في سياستها شؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها لنساعدكم عليه
 بتجهيز باتفاقكم لسكان لهذا الطلب معنى ، وانكم انفقوا على اغتيالها وامرونا
 نة نتفق على طلب هذا منهم لتكون حجة على انفسنا باننا بنحمننا انفسنا بأيدينا ثم
 سمي الحرب حياة والاستمباد استقلالاً . اما والامر كذلك فالالين بكرامتنا
 الواجب على كل مسان يقبع في كسريته (أى في زمن الحرب والحكومة
 المنارة: ج ٦) (٤٨) (المجلد الثاني والمشرون)

العرفية) وبتنظر الصريح من الله تعالى

وانني اُختم خطابي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوبها الفكاهي مخفياً لمرارة ما سمعتم من تهديد الخطر الاكبر لوطنكم : حكى أن رجلاً مسلماً تنصر في جبل لبنان وذهب الى (دير قزحيا) الشهير وانتقم في سلك رهبانه، واتفق أن كان الرجل مترفاً وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يجد من الطعام الا العدس المسلوق ونحوه من التمرح الخالي من السم فاشتد به القرم (شهوة اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد أن نام الرهبان فاتفق أن مر بعضهم وشم الرائحة من حجرتة فطرق بابها وكلمه فلم يجبه فشكاه الى الرئيس بناءً الرئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا، قال من اين جاء السمك في جرح الليل من البحر البعيد الى هذا الجبل . قال أما قال سيدنا يسوع بالايمان يكون لكم كل شيء قال الرئيس بلى وانما نحب أن نرى هذه السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع لتزداد ايماناً بمشاهدة هذه العجيبة — وكشف القدر فرأى الدجاجة، قال هذه دجاجة يا أخ حنا لا سمكة، قال قل سمكة يا سيدنا . قال كيف أقول سمكة وأنا أراها دجاجة وهل يغير الحقائق تغيير الاسماء قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبانا، قال نعم لا يغير حقيقة المسمى، قال اذاً ماذا كان اسمي انا؟ قال محمد . قال وما اسمي الآن؟ قال حنا . قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول وآكل الدجاجة واستقر من الدير صباحاً — فاذا كانت الدجاجة انقلبت سمكة فاستعباد المقتسمين لبلادكم ينقلب استقلالاً والسلام

فضحك الحاضرون وصفقوا تعميماً شديداً وانصرفت وقال لي بعض من شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحمتنا بكشف الخبايا وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاوره مع ضابطه بريطاني

بعد مرور سبوع في هذا الايام في بيروت الكثيرون من حاضريه يتوجهون الى القنصلية في بيروت مع سبق سافر واي معر الساسة المسكرة التي هي مبنية لاجل رسالة الله للشارع في بيروت تمر لي منه وشارع في بين ضابطه بريطاني في بيروت المكتب محاوره كان هو السائل فيها والاشيخ أخلصها لي (قال) هل سلمت على مادار باريس بشأن سورية وخليفة السر ماورد

سايكس ؟ قات نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولا سيما المسلمين وعلقت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة . قال كان الفرض من تلك الخراب والتهمير بحاجات ارضاء السوريين فهل جاءت بضد المراد منها ؟ قات انها جاءت بالاثر الطبيعي الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراد ضد — قال : ان المر مارك سايكس صرح في خطابه بان الحجاز قد استقل فلا يعقل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قات هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكلترا وفرنسة اتفقتا على اقتسام بلادنا ... قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قات لا معنى لهذا وقد اقتسمتم البلاد الا انكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار اللين اللطيف . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعنوه عليم) فأجاب جواباً ذكر فيه القسمة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرنسة :

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرنسة يراد بها مناطق التمرد المالي بمن أن أحدنا لا يمارض الآخر في منطقتيه بالاعمال المالية وقد صرح وزراء فرنسة رسمياً بأن حكومتهم لا تنوي فتح أي من البلاد ولا قهر شعب على الخضوع لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعدة صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لاقامة الحجبة على الفريق الآخر ولا قناع الاحرار والاشتراكيين حتى من امهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونه — ولاجل هذا تطالبون منا بتبويض أمرنا اليكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يغتاب منا مساعدته على تحرير نفسه ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة طلبه حبا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرضاكم ؟ قات لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لعرفنا كيف رضينا لنا ، ذلك بأن تقولوا اننا قررنا ان تكون البلاد العربية دولة مستقلة كبلجيكا واننا لانعقد السلع الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرنسة لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال . ماذا تريد ان تفعل لنثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز أن يتمكن من الرجف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

الفقر والضعف وان كثيراً من رجالها الاحياء منقبون ومهاجرون فهل تأمن اذ
 تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في الفوضى والاختلال وزيادة
 الحاجة والفتن؟ - قلت ان الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ما جاء وقته لانكم
 لم تفتحوها ولو فتحتوها وسألتوني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ ما
 ان اقول اتركوها ففيها من الرجال من يقوم بأمرها وأما ان اطلب مساعدة مالية
 موقته، ولكننا نرى ان ما تخافون وقوعه من الفتن في سورية ان تركت وشأنها
 وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لا أمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف
 (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انهم لا يقبلون من المانية دعوى ابقاء جنودها
 فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الامن واعادة النظام مع أن البلاد الروسية
 متاخمة للبلاد الجرمانية وبمخشي أن تنتقل العدوى منها اليها - فسكت وانتهت
 المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجلة القول ان السوريين المقيمين بمصر واللاجئين اليها كانوا من الحرب في
 امر صريح وقد عثت الاجانب باكثر الذين يترسون بالسياسة منهم فكانوا
 يخدمونهم بكل ما يريدون وقد خائنا اكثر الذين كانوا هادونا وأقسموا اغلظ الايمان
 على السعي لاستقلال البلاد المربية وعدم الرضا باحتلال الاجانب لشيء ما منها فارتد
 افراد من اشهر الاستقاليين وآمن افراد من الاحتلاليين وتذبذب آخرون ممن كان
 يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقالي يرى أنه ينبغي مشايمة الاجبي على
 أخذ بعض البلاد المربية في مقابلة مساعدته ايانا على استقلال البعض الآخر غافلا عن
 استحالة ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام الناجز بصدق وثبات على كثرة
 ما تالف من اللجان والجمعيات الاجمية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات
 الاحتلالية حمية الاستقلال. وكان مما سمته باذني من اثنين من مؤسسيها في (٢٥
 و٢١ ربيع الاخر سنة ١٣٣٥ و١٢ و١٣ فبراير سنة ١٩١٧) انها امرا مع آخرين
 بالذهاب الى سورية من طريق المريش لتأليب العرب وحملهم على الثورة والخروج
 على الترك فكثبت الجمعية تقريرا بينت فيه انه يجب العمل في سورية باسم الشريف
 سواء كان بدعوة البدو الى القتال أو بغير ذلك فان لم يفعل الانكليز ذلك وقموا
 في مثل القلعة الذي ارتكبوه في المراق فادى الى قتال العرب لهم وتأخير فتحه
 وان العرب في سورية سيفعلون ذلك اذا لم يكن محملهم باسم الشريف . وكان

المتكلم من صنف الضباط قال وانا اقنعناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام
- وصدقه رفيقه وهو ممن جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبل وارسل الى
بلاد الدروز مرتين لاستمالتهم الى الانكليز وكنا قبل ذلك غششنا به واعطيناه
اعتمادا فكان من الخائنين واراد ان يتوسل بالاعتماد للايقاع بنا
المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سعي مشترك مع جماعة للاستقلال التام بعد ما بيناه من الجهاد
السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان
العمل وندائه بجمهورية الامم وقمها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك
عمون والدكتور مشافه والدكتور شهبندر وخالد بك الحكيم بينا فيها ان
البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل
غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها
الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء
استفتاء اللجنة الاميريكية بمد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا ننشرها بمد
عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية
وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بمد كسر الروس وعقد الصلح
معهوم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيباستبول تخافت انكثرة
ان تكون وجهته العراق فكان من أعمالهم الاحتيالية بذلك ان أقنع بعض
المشتغلين بالسياسية منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسعوا الى
مساعدتهم على تكوين قوة حربية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتعهد
بريطانية المظلي بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون
مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الالمانية الى العراق سكت الانكليز عن
هذا العمل وأعرضوا عنه

فصل ثان في المسألة العربية بمد انتصار الختاه

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الخلفاء وتمهيدهم السبل لاستثمار البلاد
العربية كان في اثناء الحرب التي كانت كتمتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم
أقوى من الرجاء لهم ولذلك كانوا يحاولون اقرار أهل البلاد ايام ومساعدتهم

لهم على استعبادهم مع الشكر لهم على ذلك لانهم سموه تحريرا للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سائبين لشيء من أملاكهم ولا حربتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع معرية ورحمة من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فظائع بغاة الانحاديين الاخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لسكان ذنوب الترك كلها سلبية أي اهم ليسوا معمرين ولا صرقيين اشموب دولتهم في العلوم والفنون والاعمال ولا محسنين لمهارة الارض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المنارج (١) ومقالة في (المسألة السورية والاحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الامريكية لاهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المختلط فيها دوة نق تاريخية تراجع في مجلدي المنارج ٢٠ و ٢١. وقد نثرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكا الشمالية والجنوبية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبمعه ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا تزال في اردباد — واعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكا على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكا للعراق وما كان من زحف الجنرال غورو على دمشق واخراجه لفيصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته كما نقلت عن رقيات أوربية وجرائدها بمض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاوم أكثر من مئة ألف جندي من الماسكر البريطانية واضطرار انكلترا بذلك الى المدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية واعلانها العزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأليف حكومة وطنية موقنة فيه والاستعداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة النابتة وتختار الامير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل للعراق وبث الدعوة له، وتأليف حكومة جديدة في شرق الاردن نابتة لحكومة القدس الصهيونية الانكليزية

(١) راجع ص ٦ من فائحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (ص ٢٣٧)

(٢) ص ١٩٧ منه (٣) (ص ٤٣٤) منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستمداد لاجراج فرنسا من سورية وبت الدعوة لذلك وجدد المبايعة لاخيه «الملك فيصل» كل ذلك مروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وستريده هنايانا وتحقيقالم نسبق الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه كسابقه حجة بينة على اتنا كنا على الحق والصواب فيما كنا نصرح به في مصر في أثناء الحرب وبمدها وفي سورية مدة السنة التي أقناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكاز والفرنسيس بمساعدة الشريفين على استعمار بلادنا السورية والمراقية على ما بينهم من التنازع والخلاف السري والعلني في ذلك. وقد انردنا بالسبق الى معرفة ذلك والجاهرة به والتعرض بذلك للخطر وعدم انخداعنا لاحد في ذلك ولا خداعنا لاحد بل كنا نقول الحق ونصح باتباعه لقومنا ولخمسومنا. وهذه منة من أكبر من الله تعالى علينا ما كنا لولا فضله وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحننا للانكاز والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحننا للانكاز قولاً وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كامتين بيننا له فيها ان ما كنا نصحننا به لجاهلهم بمصر قد ظهر صدقه وان ماجروا عليه مع حكومتهم في المسألة المريبة مخالفا له كان هو الخطأ - بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند - وان انكلترة ستكون هي المنقبوة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بمداوة الشرق وحسد الغرب لها وان عداوة اكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقارا لهم بضعفهم ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والابوثة - وانهم سيكونون به اتحادا ايلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لمداوة أكثر شعوب أوربة. وان الخير لامتهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال الشعوب المريبة (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا... ونصحننا لرجال فرنسا في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وما نطلب منهم الاستقلال سورية ورجح صداقة الامة المريبة كلها بذلك واتقاءه يقع عليهم من الفبن بمداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وقب

قال لنا موسيور وبيردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو المكنات دون الخيالات ولكنه يحتاج الى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثر البعث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ولصحنا للشريف الاكبر - كما تقدم - ثم لنجمله الامير فيصل - فاما الاول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويمجري عليه وما لا يمكن ان يقبله واما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقرا ويثق بآرائه بأنه أقنعه بشيء وان كان غير المختبر له يظن أنه أقنمه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرا موالاته وقلة معارضته وكرهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب هو سريع التوبة بعد الغضب وقد عاشرتة زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا وانكسرة من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع احدهما وخدمة البلاد لساعدها في ظل وصايتها والاستماتة بموادتها على تخفيف وطأتها على انه لا صرح بهذا تصريحاً جليلاً وهذه نظرية كل من وانوا الاجانب في هذا الطور الذي نحن فيه كحكي بك المظم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير فيصل والامير عبد الله وان كان أتباع الاميرين يمدون هذين من الخائنين منهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف فيصل وسيرته في سورية يجمل حقيقته مائة لكل قارى

جاء الامير فيصل سورية من فرنسا (في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٣٨) بناير (١١ سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد انه بانفاقه مع كاپيتانصو على قبول الوصاية نسبة مع تخفيف شروطها قد خدم سورية اجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يقدم به الخاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول ان يرف حزباً من المحافظين بين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي النزعة الذي بالحزب الرطاني ولكنه لم يستطع مساعده ولا الاستماتة به بمدان تعرف اليه

لما لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميراً مؤقتاً من سورية من قبل الخلفاء ثم ملكاً عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة الشام ثم مهاجر اسيا في اوروبا ثم مرشحاً من بريطانيا العظمى لدولة العراق

وتكر لجزبه وظال سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانة على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة رحله على قبول اعلان استقلال سورية وجمله ملكا عليها وارضاه بمجمل ملكها ارثا في ذريته وبجمل الراية الحجازية راية لسورية مع زيادة نجم ابيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرقية مكة فيها وجمل القواعد التي نفي عاها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على اساس الاعتراف بانه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لاجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان ينشده احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الحلفاء ولذلك عززوه بتصریحات وزراء الحلفاء التي كانوا يفوضون بها في ايام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضمون تقرار المؤتمر من اعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظلمة والنواشي التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفوا كل احد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشمالية. بدل على ذلك ما كان يلتمس في المؤتمر السوري العام بدمشق من الحزب في انكار تلك الاعمال والاطمن فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزارتيه مما نلم به بعد واتقد هم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال شبهة أسبابها او قدامها بمد ممارسة الحوادث ان فيصلا قائد للحلفاء وكول اليه حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد - وانه قوة رسمية ومالية فان الانفكاك كانوا يذمفون له رائبا وكانوا يطارونه حصة المنطقة الشرقية من جمرك حيفا وصار الفرنسيين يطارونه مثل ذلك من جمرك بيروت بمدا المواده وقطعوه عند الحادة - وانه ياتس من الاستقلال التام الناجز وان كان أولى من غيره بحبه - وانه ابن سلس كان في أول المهديس في البلاد كإيشاء البريطانيون ثم جاءها أخبارا من فرنة يدعو الى الاتفاق مع الفرنسيين - فارادوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة وضمف بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالها المنطقة الشرقية باسمه ونمحت قيادته باعلان الاستقلال التام لسورية المنحدرة بجميع مناطقها ايجملوا الحلفاء تجاه أمر واقع بسنة مسلة لهم معروفة بفضاهم والكيه قد من قواد حلفهم (المنار: ج ٦) (٥٩) (المجلد الثاني والمشرون)

فإن ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فإن حال البلاد مهم بعده لا يخفى
 أن يكون شرا مما كان قبله ، وذلك أنهم حينئذ ينفذون الاستعمار الذي سموه انتدابا
 بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاصابية ولعاهدة
 الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الأمم المصرح فيه بأن البلاد المشروط في
 استقلالها قبول الانتداب يجب أن يكون لأهلها الحق الأول في اختيار الدولة
 المنتدبة وشكل الحكومة التي ترضاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون للبلاد الحق
 الذي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة . وأما إذا قبل الشعب الانتداب باختياره
 فإنه يكون قد قتل نفسه بيده

بجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة قاهرة المثال وبلغ أمر اعلانه للدول فجعله الحلفاء محلا للنظر
 وكان جواب انكسار لفصل أنها تعترف له بصفته حاكم على رأس حكومة مستقلة
 لكن يجب أن تقرر الصفة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان
 ريمو) فتردد أولا لان الرأي العام لم يرنح الى سفره وفي مقدمته المؤتمر السوري الذي
 كان يليح عليه بوجود الاستعداد للدفاع عن البلاد وتأييده جميع الأحزاب . ثم اتفق
 الاكثرون باستحسان السفر بعد إلحاح انكسار به وقد طالب من الجنرال غورو في
 ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تنقله الى أوزة فاجابه بأنه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى
 مطالب طلبها من من أهمها اباحة استعمال الحط الحديدي من ريباق الى حلب لقتل الجنود
 الفرنسية والذخائر الحربية وانذره أنه اذا صفر قبل تنفيذ هذه المطالب مرطيق آخر فإن
 فرنسا تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تقوي بعض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب
 والفرنسيين والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كايانصو

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه
 الخمس وهي الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط
 الحديدي المذكور آفقا لسلطة العسكرية الفرنسية - والنا: الخدمة العسكرية الاجبارية
 وجمل عدد الجيش المنطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود - وتماقية

المجرمين المؤتمريين - بن المصائب والمخرضين على فراسة - وقبول ورق البنك السوري الذي سته فراسة بجملة نقدا وطنيا رسميا، وجملة آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وضع الملك فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري العام والاحزاب السياسية كلها كانت لغير راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامها معه بما يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفع عنه ولهذا اضطره الى اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ثم رأوا ان وزارة هاشم بك الانامي التي خلفتها لم تكن قوى منها فحاولوا اسقاطها، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهمال رسوا الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج الى مآثر طبقات الاهالي الذين اندفعوا الى الانتعاض للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملك فيصل جهرا ويتحدثون بلا يتبع به حتى انه وضع من كان لديه من الجنود المجازي حول داره لحمايتها - وسمى الى الجنرال غورو ملتصا منه تمديد مطالبه فأنى -

وفي فترة ذي القعدة - ١٧ بوايو كتب الي رئيس الوزارة بان الملك يرغب ان آقاء مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فأجبتا الطلب وقابلته مع وزرته فشرح لنا المخرج الذي وصلت اليه حال البلاد ونهيج الهوام بغير عقل وخذلان انكثرة حتى لا يرجو منها أقل مساعدة كما أبقى اليه محمد بك رسم من لندن وان الحكومة حجج على الجنرال غورو لا تستطيع الادلاء بها في اربعة وله عليها حجج مضاه حق وبعضها باطل بنشرها حيث شاء. ثم طالب من الاعضاء ان يكتب له كل منهم برأيه على حديثه في كتب مخنومة وعامدهم على انه يعمل بها ولا يطلع احداً عليها، فانصرفوا وهو بحسب ان سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد ان يمتنع به على قبوله للمطالب الفرنسية ويجعل التهمة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ بوايو - تموز) اجتماعا سرا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في الطعن في الحكومة لانه دمتم قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظت مكان المستمعين بحضورها من الوجوه رؤساء الاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالإجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووحدهما ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا نقض بعض
 نقض كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يتد بماهد
 لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة
 وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ٢٠ يوليو) أصدر أمره بأجل عقد المؤتمر شهرين لا
 الخمس أنيابية تقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية الأمر على
 المؤتمر وكان معه رئيس الوزارة وانصرفوا جميعين ممنتمين، وكان بعض الأعضاء يريد عد
 امتثال هذا الأمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر وأني سررت به ولولاه لا اقترحه
 على الأعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء انفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الحيل
 والسخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكلهم
 يرجون من المؤتمر ما لا قبل له به - وما ثم الا الإزام الملك والوزارة برحمة ان
 الجنرال فورو والدفاع عن البلد أن هوجمت بفياء وعندوانا او اسقاطهم واقامة حاكم
 عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة، ولا يوجد
 البلد من هو أهل انموط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترب على ذلك
 من الفوائل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت انما ولا ادخر في الخدمة وسع
 وقد أصبحت الأمة كلها اراضية منه بعد ان كادت الدساتير تغيرها عليه، وانني علم
 أن التجديد الاجباري الذي قرره الحكومة بضغط المؤتمر والحاجه قد كان عم
 سوريا وانها لم تقصد به الا إيهام الأمة مايرضيها وايهام فرنسا ما يحملها الى التناهد
 فيما تطلبه ويطلب منها

انفض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال فورو على قبول موا
 انذاره متصلة فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء بتسريح الجيش
 السوري من ثكناته ومواقفه الحربية واهما مضيق مجدل فنجح الحصين في طريق
 جيش الجنرال فورو الزاحف على الشام فسرح الجيش بغير نظام فترتب على ذلك أ
 نهب الاسلحة والذخائر وحدث ثورة في شوارع دمشق وهاج الشعب هاجا شديدا
 وكثر التصريح في الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسب الملك فيصل وأبيه والنهيد
 بخبائنه ورجوب قتله وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجنود لحفظ الامن ان تقا

اثورة بالسلاح حتى انها استعملت لدفع الرشاشة في ذلك وقتل كثيرين
- قتل ٥٠ وقيل ٧٠ - وجرح كثيرين - قتل ١٥٠

قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية
بلا شرط ولا قيد فاصبحت بذلك صاقطة مع ملكها غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا.
ثم انها علمت في اليوم التالي بتسريحها الجيش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال
غورو زاحمة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه ان حجته على الزحف
ان جواب القبول تأخر عن مواعده وهو الساعة الثانية عشرة من نصف الليل وكان قد
أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه اية فة بعد وقد احتل المواقع الحصينة كجدل
عنه جز - وهي تقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لامر
التدابير بمدان وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عايله ، وان سبب تأخر
برقية التفصيل القماعات الملك البرقي باستعمال الجيش الفرنسي له

نظام الخطاب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك
الشروط التخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية
وخدمتها بما كانوا عليه بمدان قالوا في عدم امكان قبولها متولوا من المبالغات ونبذ فيصل
من يقبلها بأقبح الالقاء - وعلموا انهم خسروا كل شيء - وظهر لهم ان القتل والكباسة
في التسليم ان يكون آخر ما ينفذ من الشروط تسريح الجيش - فصدر الامر لباقي
الجيش بالتوقف عن الانسحاب فوقف غربي (خان يديون) ووقف الجيش
الفرنسي الراحف وراه على بعد رمي القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئذف
المفاوضة في ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصري (وزير
المعارف) فسافر الى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا

وفي يوم الخميس (٦ ذى القعدة - ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع
المتطوعة وحثهم على الجهاد وكان جمع الزعماء ورؤساء الاحزاب وبلغهم انه أعلن
الحرب رسميا ونشر ذلك في الجرائد ولى الجمعة في يومها في الجامع الاموي وسمي المنبر
بهد السلاة وحث الناس على الجهاد معه لحماية الدين والوطن - فقل كثير من الناس
انه يريد بهذا استمادة مكاتبه وكان الناس في هياج عظيم وانبال على التطوع

وبذل اكل ما يلزم للدفاع من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يعد ينسعمل مفيد
ثم ذهب فيصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه ارسل
أمنته الخاصة وذخائره الى (درعا) وان الحكومة أرسلت أوراقها ودقاترها اليها أيضا.
ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكسوة بمن معه من وزرائه وخواصه ومنهم
بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك اليوسف وذلك بعد انتهاء
مركبة خان سيلون التي قتل فيها وزير حرمته يوسف بك العظمة وقرقت الطيارات
شمل من كان معه من العسكر النظامي ويقال أنهم كانوا زهاء خمسمائة جندي .
وعاد في المساء جميل بك الاشبي حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو كوس (الذي
كان ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية
للانتداب مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه باسم الملك على صفة دخول
دمشق وقد عاد معه في سيارته مبهجا مسرورا .

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذي القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد
فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ وبمسكر في
(اللمزة) من ضواحي البلد وان الملك يدخل الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف
ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو الميالين الى فراسة رئيسها علاء الدين
بك المدروني ، وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب . ورأيت نوري باشا في صباح
الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يعرفون
بالملاك . فقلت له وكيف نلتتم به الى العاصمة ؟ .. قل لم يكن هذا رأيي وانما هو
وأى جماعة الدين وطلوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان - وفي يوم الثلاثاء بلغته السلطة
المختلة وجرب الخروج من الشام قبل نصف الليل . باقي ذلك بمساء العشاء
فذهبت الى داره لوداعه هل ما كان وقع من الجلاء بيننا من قبل الانذار الفرنسي ،
الذي لا علاقة له بالوادة الشخصية فوجدت في الدار أفرادا من الشرطة باقفي انهم
حرس على اثاث الدار لئلا يورخشيء منهم الا وكذا في نصف ساعة أعجبني فيها
صبره وأمله ، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ايلوا وقد خرج بعد وداعي له بنصف
ساعة وحمله قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت ممجبا بما أوتي من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته من قبل. هذا للحكومة العربية في بيروت الى ان عين وزيراً للحربية باقتراح رسمي من بعض الاخوان. استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى هن رئيس الوزارة بل يعني الامر الاتي الملك فيما اظن ولما اشتدت لازمة - أنه هل هو مستمد للدفاع؟ قل نعم اذ اذرق الملك واذا خالته ما تخشى ان ياجأ الى الاجانب. ولما عين ياسين باشا المشي قنصلاً لموقع العاصمة هتب الانذار وأظهر لوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان يقول ثم اندرأق الوزارة على قرار التسليم بما طاب غورور - بعد هذا كما رأيت في بيت الملك مع الوزراء فكلمته ووجدته كلاماً شديداً وذكراً بيمض كلامه فقال روجه ممنوع كوجه البيت اني مذنب وأتعمل توبة عملي وكنت البارحة انهر من انعم فلا تزد علي . ولما خرج الى الدفاع عن بقي معه من قايما جيشه تزين ولبس ملابس الرصينة ووطن نفسه على الموت - فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيثر ذليلاً بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمراً جليلاً لا يجهله مثله ولا مثلي ممن لا يعلم من الحرب شيئاً ولذلك رغب الي الكشيبون ان اخطب في التطوعيين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فانهتمت - كما أبيت مرارا أن اخطب في لاجتماعات السياسة - وقلت لبعض الحوالم انني لا أعش أحداً ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يند - هل ان ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريفاً ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغرور

وخلاصة الخلاصة ان فيصلاً كان بمنقذ ان الوصاية على البلاد أمر متضي وان لا يمكن إيجاد قوة وطنية تحفظنا لاسقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وتأثير الميدان بضم الحطة والتمرار الاخير الذي كان يرى انه قادر على السعي الى حمل وطأة الوصاية فيه خفيفة، ولذلك لم يهتم أمر الاستعداد للدفاع بتظيم قوى المشتر ولا بالجيشين

النظامي ولم يكن يعتقد انه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع - فهو لم يستعد للقتال ولو دافعها وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش نظام بادر الى تسربحه عند الحاجة اليه ، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى ، أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وأنه أخطأ لعدم الاضداد بتفنيذ ما كان يراه بالقوة . وقد صرح بخطئه وعمله مرارا في أوردية وبلغنا انه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا .

وأما زعماء الامة الذين خالفوه فقد بينا انهم علموا به بطول الاختبار ان الدولتين شرهتا في تنفيذ ما اتفقنا عليه من استعمار بلادهم فالاولى أن تقارنهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفوسها اذاها جوهها بالقوة ليكون مركزهم فيما مر كرامته تسب وقبول الانتداب يجعله شرعا . وأما الجنرال فوروك كانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مها تكتن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصائب والمشائهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين انكسارته التي يعدونه من صنائها المخلصين لها - فهو قد حارب الامير فيصل القائد الحجازي الذي يمدد اجنبيا عن سورية لانقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية ، بعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية ، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والكتابات الرسمية .

الطور الاخير للمسألة العربية

ان ما تفاقم على الدولة البريطانية من مضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيانها دون حل عقدها أو عقده منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لامراتها مع اصطناع من أمكن اصطناعه منهم والتمديد للتدخل الاقتصادي والفني بالتدريج ثم الاستمارة بأولياؤها ملاك الحجاز واولادها في سورية وفلسطين والمراق بعد الاهراض عنهم وعدم المبالاة بصراخ حريده الزبارة بمكة بالاستمطاف والاستمارة والتذكير « باليهود والوعود والنجابة والحسبات البريطانية » وعدا عنها الملك الخروج من مرضاتها مساويا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتثله في ندامتها بقول الشاعر

• فان كنت مأكولا فكان انت آكلي •

والغرض الأول من هذه السياسة والادارة الموقنة تخفيف النفقات عن كاهل
دافعي الضرائب في بريطانيا العظمى الى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل
القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثاني دفع إغارة العرب من
وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على اليهود الصهيونيين ، والثالث إخضاع
العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق
وبولشفيك الروس اذا اصرروا على تنفيذ فكرة الجامعة لاسلامية ومقاومة الاستعمار
الانكليزي في البلاد العربية والمجبية . وبلغنا انهم أعادوا الراتب الشهري الملك
الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الاخيرة الى لندن فجملوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي
ونظر في مسألة حفاظ الطيران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي
استحضر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والمسكرية ثم سافر الى فلسطين
فأذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعده بلفور بجمعها وطنا
قريباً لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكماً لشرق
الاردن بائع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من ممتددا السامي واعطاه من القوة
المسكرية والطائرات ما يمكنه من إخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما
يراد بها ونأمن ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل
القوة وأولها محطة التلفراف اللاسلكي وحظيرة الطائرات ، وبلي ذلك مد السكة
الجديدة العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطائه حصه جرك حيفا
للدخلة وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكريم وجيه عراقي لجمفر باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي جمفر باشا العسكري الذي كان احد قواد الشريف
فيصل في حرب فلسطين وسورية وعهد اليه الانكليز في العراق بتأسيس الجيش
الوطني بمد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لاجل الشريف فيصل ملكا للعراق
وكان قد تجاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايخين للانكليز وهو
(المنار: ج ٦) (٦٠) (المجلد الثاني والمشرفه)

(عبد القادر بك آل باش اعيان) وقد دعا هذا الوجيه طائفة من وجهاء مصر وسورية والعراق الى مجلة شامي في فندق شبرد تكريماً لجمهور باشا في ١٨ مارس ولما جاءني رقعة الدعوة خطرت لي انه ربما كان لها معنى سياسي ولما جئت الفندق دعينا الى حديثه لاجل تصويرنا مع المعتدل به بمحتامين فأبيت ذلك مع أفراد آخرين وبعد شرب الشاي استنشد شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكافعي فارتجول قصيدة تناسب المقام ، واثني عليه اممدا اندي دغر الشاعر السوري المصري بأبيات من مجلة في المجلس ثم دعى الدكتور فارس افندي عمر أحد أصحاب المنظم الى المطالبة فأجاب

خطاب الدكتور عمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب باثناء على الدولة البريطانية والشهادة لها بالرغبة في ترقية الشعوب وتحريرها والاحلاص للعرب فيها وضروه من يدسة الانتداب قال ولدتني على هذا الاعتقاد فيهم قد انتقدت عليهم تقسيم سورية واثبتت منه ورأيت ضاراً بالسوريين مفرقاً لهم ولم اكنم ذلك عنهم بل ثابت عليه واضع اساسه السير مارك مايبكس المحب المخلص للعرب ولكنه بذلك في هذا الفندق الذي نحن فيه فاجابني قائلاننا فعلنا هذا لمصلحة العرب أيضاً لانهم اذا ظلمهم احد الفر يقين وشدد عليهم الوطأة احتجوا عليه بلين الفريق الاخر وحسن ادارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والعراق وعزم الانكليز على منعهما الاستقلال وما يجب من بذ كل خلاف في هذه السبيل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين تؤسسان في القطرين لانهما نجربة اذا فشلت قضى على الامة العربية والشرق كله بأنه فبر أهل للاستقلال بنفسه . ثم ختم الخطاب بقوله انه يعتقد ان جميع الحاضرين على رأيه - فصفق له بعض الحاضرين وتوقف به بالرد عليه:

خطبة الكاتب في المسألة

افتتحت خطبتي بقولي انني متعطل بالخطابية لم ادع اليها ثم قلت : انه كان الظاهر من هذه الدعوة انها شخصية يريدونها المحتفل تكريم صدق له لاسياسية كما ظهر من خطاب الدكتور عمر ولون الخسب بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول حمل الحاضرين على اقراره عليه وسلب الموافقة عليه بالاجماع لكننا في سعة من السكوت ولكنه قال انه يظن ان الجميع على رأيه وقد صفق

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار، والاجماع السكوتي مختلف فيه عند علماء الاصول بعضهم يقول انه حجة بشرطه والآخرون يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحضرة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على ما قاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اثر اعلان الحائنه وهو مطالبتهم ببلد الترك من بلادنا وتفويض امرها اليهم وتحسين الظن بهم فانضطرت الى معارضته وقتئذ كما اضطرت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك الحقل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا زال على رأيه الاول بعد ان مزق الحلفاء شمل سورية وجعلوها بضمة ممالك أو دول دينية فاق ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التزييق والتكليل في بلاد أعدائهم.

وأغرب ما جاء في خطابه الآن ما نقله عن السير مارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بانه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستمبارها، وهو ان هذه القصة التي قال الخطيب انه كان قد استأه منها لم يبعثهم عليها الا شدة حب العرب ومراساة مصالحهم بما تكون قسمة بلادهم بين سيدين مالكين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهمما وظلم، بفعل من أحسن ورحم، ولكن ماذا يملون اذا اتفق الفريقان على الاسائة والظلم؟ وهما نحن اولاه نرى ومائة بريطانية المظلم في القسم الجنوبي من سورية اشهد من ولماة فرنسة في القسم الشمالي منها خلافا لله، وود المشهور في الاستعمار الذي يشهد فيلسوف فرنسة الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المنهج البريطاني فيه على المنهج الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بأن بريطانيا زادت على ما شاركت فيه فرنسة من الاستئثار بادارة البلاد أن جعلتها وطنا قوميا لغرباء اليهود الصهيونيين وقررت تملكهم رقية ارض البلاد باعطائهم الاراضي الاميرية فيها التي هي ملك بيت مال المسلمين وأملاك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الأتتالي وتريد أن تجعلهم أكثر اهل البلاد بالتدرج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد نجت اصوات اهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فالتفت عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع السير مارك سايكس في هذا الفندق عات منه ما يسرون ببلادنا وأما مشروع تأسيس حكومة وطنية في المراق تابعة لوزارة المستعمرات

الانكليزية فهو لا يفر أحداً من العرب لانهم يطلبون الاستقلال لا الاستعمار الاجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استعمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن المعارضة للحكومة فيه .

قرن الخليل مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يطلبه الوفد المصري وأين هو منه ؟ ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخليتها وخارجيتها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤولة لديه وسفراء وقناصل في الممالك الاجنبية وأن يمقد بينها وبين انكلترا اتفاق أو بحالفة تحفظ هذه بها مصالحها وتكون بمثابة غيرها من الدول فاذا كانت انكلترا تسمع بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جداً بأن يقبل بالتحفظ الواجب

(ثم بينت ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تتخضع بخلافة الانفاذ ولا يمزوها الا جمع الكلمة واتحاد كاتحاد الشعب المصري بين ابناء الملل والمذاهب والا أضاعت نفسها)

قلت : واني أذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير الخبارات البريطانية بدمشق اذ كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عند جلسته مع بديع افندي الحوراني - ولعله مناهنا - ودار الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أرى ان سورية تستفي عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء وال عمران الى الدرجة التي تجرئه على القول بأنها تستفي عن مساعدة فلا مندوحة له عن الاعتراف بحاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الوصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالافراد لا يستفي بعضها عن مساعدة بعض - فهذه بريطانيا العظمى التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسعة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترف ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بانها محتاجة الى مساعدة رجال من الالمان على تنظيمها - روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتس ورك) قالت انه شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في محاورها معه بضمه لان أخته (غليوم) عاقل الالمان ففني ذلك وذكر لها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام ونظمي

لو أن معه رجالاً منهم يتولون إدارة بلاده فإن والكمهم إذا جاؤا لا يرحبون، وقد
ترجمت هذه المقالة بالعربية وشررت في مجلة الثقافة المصرية (١) فإذا كان منكم
يقول بأنكم تحتاجون إلى مساعدة أمة أخرى فهل أقول أما انتالانتاج إلى مساعدة
غيرنا ممن نعرف بأنهم أعلم منا وأرق في تفكيره ولا والله أقول إن المسألة مسألة تمنع
للمساعدة، انكم تعلمون في استعمار بلادنا والسيادة عليها وتسمون ذلك
مساعدة لإقامة الحجة وتبرير الخطاب علينا. إن المساعدة بمنهاها اللغوي المبرور
من أعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فإذا ساعدت فقيراً
على مدينته بأعطائه جنبها فلا اقاروم ولا اخصم من يعطيه جنبها أو ينير
جنبها. فما بالكم تختصمون وتندرعون في قصة البلاد التي تدعون الرغبة
في مساعدتها؟ ثم إن الاقناع بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح
فما بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المسماة بجميع أنواع الأسلحة وتفتكون بمن
لا يخضع لكم من شعوبها.

ثم سألت بشرفه واستقلاله الكسوي أي المنطقتين خيري في حفظ الأمن
العام والحرية الشخصية وعدم التعصب الدينية والمذهبية؛ المنطقة الشرقية
التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالادارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها
الفرنسيين؟ فأعترف بتفضيل المنطقة الشرقية في ذلك؛ فقلت إذا كان
الفرق إلى المساعدة تماماً إلى مساعدتهم فسحكك وضحكنا

وقد كنت أحب أن أظيد القول في هذا الخطاب بما أشرت إليه من
الالتقاء والتعاون بين شعوبنا والشعوب بالتحاد الشعب المصري الذي صر بتمسه
مثلاً لياً للشعب السوري وبما ينقضي من وحدة الزعامة ولكن خشيت من
الحاضرين الذين فوجئوا من السياسة بما لم يكن ينتظروه أكثرهم، ورأيت أن
أترك وقتاً لغيري فأكتفيت بالإشارة

وفي تمام ما عني حينئذ في كامل الخطاب الكتاب المصري المشهور فألقى خطاباً
بليغاً، فيه ما يكفي القاص للغة مما كنت أحب السلام فيه من وجوب التعاون
ولولا عين الشعب المصري الممتاز لخصت به الكثرة قلوب سائر الشعوب العربية

(١) راجع ج ١٩١٦ من المجلدات أوج ١٩١٦ من المنازل. وليس
عبارة الملك المترجمة «ويجبنا لوحكمنا الأمان لمدة السكوية لإصلاح ادارتنا»
والنكس المصيبة انهم إذا أتوا ليحكرونا نأتمدر علينا الخلامن منهم»

وتوسع أيضا في السياسة الانكليزية وما لها من المصلحة والمنفعة في اجابة الشعب
المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بحقها في الاستقلال التام - فكان خطابه
تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الوطر فتكلم في المسألة
الاولى وأجاد

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالشكر المعتاد وشرع الحفل المجتمع
في الانصراف وقفت الدكتور عبد الرحمن شاهيندر على كرسي واستوقف الناس
لسماع كلمة منه فوقفوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يغلب عليه التشاؤم
وهو يجب ترجيح التفاؤل، ثم انني نرى المصريين ومصره لاجأ الاحرار بما رجح
ان يزيد الولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاد

وانني اعترف بسدق كلمة صديقي الدكتور شاهيندر وان كنت انكرت
في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول انني كنت منذ اشتغلت بالسياسة
غيدارا في السياسة الاوربية والمسامح الاستعمارية (الفيدار هو الذي يسيء
الظن فيصيب) يملب علي التشاؤم من مساعيهم ولم أرفيها بحسب الا
للتشاؤل وحس الظن كما شرحت في هذا المثال ، وانني لم اختلف مع صديقي
الدكتور شاهيندر في مسألة من المسائل التي كنت فيها متشائماً وكان متفائلاً الا
وشهر انني كنت السبب فليتذكر أول الخلاف في اثر قدومه من العراق الى مصر
وأوسطه وآخره في دعوته اباي مع آخرين الى امضاء تقريره الممهور، وفي
موتنا في هذا الاحتفال

ختم المقال بالتفاؤل بالمآل

واختم هذا المقال بقولي انني مؤمن برى اليأس من روح الله والقدر من رحمته
كفرا، وانني لا يمني التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سعي فاما لا ازال
أرجو اقتناع الدولتين المقتسمتين لبلادنا الهاضمتين لحقوقنا بأن الخير لها وللمدنية
والانسانية ان يتركونا احرارا في بلادنا حاكين في شعوبنا وان يساعدونا على
ما يريد من مهران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية
والادبية. ومن سوء الحظ ان كان سمي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ،
وأرجو ان أوفق للسمي مع احرار المصنفين منهم وهم والله الحمد كثيرون
وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حقيقة أمور الشرق من احرار اهد ولا يكتبوا
بيانات السياسة الاستعمارية وما يختزله أهلها من أقوال مديري الخبايا لهم

أود لو يعلم أحرار فرنسا الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يعتبرون
الامة العربية بل السواد الاعظم من العرب ومن مسلمي الاطاحم غير راسين
عنهم وأنه ليس من مصلحة فرنسا معاداة هذه الامة في هذا البيت منها ولا
بجعلها خصما للترك ، وأنه لا يمكن أن تنال دولتهم عطف العالم الاسلامي مع
مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكلترا ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يفتروا باستخدام
مستعمرهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة
ويرضونها باستعمار بريطانيا لبلادهم على أن الايام ستملهم ما لم يكونوا يطمون
وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا مناه لم يعصر
أمراً مقضياً ، وأن عصبة الامم لن تكون العوبة بيد المستعمرين ، وان الرجاء
في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على
أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين على
المستضعفين رجاء قوي يزيده العلم به والسعي اليه قوة ولا بقاء للممران
بدونه — (فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكت في الارض ،
كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبرائها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه
الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة حلفية يحفظ بها استقلال كل منهم ويعود به
مجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بجمعها
بين الرقاهة المتصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم اجابوا داعي شيطان
تفسد التفريق وتفريره لهم بالمال والمآل (يمدم ويمنيهم وما يمدم الشيطان الا غرورا)
ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعونه باسم الله تعالى لما
بجيبهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض
مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم المصيبة الدينية والمذهبية ، وليمتدوا بانخواتهم
الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والحق . كيف تحولت حالهم بجمع
الكلمة . والدفاع عن البيضة . الى ان صار الحلفاء القاهرون لهم ولا خلافهم الذين
كانوا أقوى وأعز منهم يمدونهم خطرا عليهم ، ويتساقون الى لادن معهم أو
التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفخار . ولم يوجد
في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والمار ، (فاعتبروا يا اولي الابصار)

قرار لهيئة الأمم في الانتداب

قررت لجنة عصبة الأمم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة العثمانية في ٨ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقدمها للهيئة العامة وهي

(١) لا يسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة لزيادة قواتها العسكرية
(٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لا تستخدم القوة التي يمنحها اياها الانتداب لتمتد هي أو أصدؤها بموارد البلاد الطبيعية وتستعمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم

(٣) يوضع تنظيم أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنظر فيه عصبة الأمم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه

(٤) يجب أن تنشر جميع مذكورات الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها

مصابنا بولندا اللهم

لجئنا في الليلة الرابعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدنا الصغير (الههم) بعد مرض طويل بل امراض متوالية أوها وعكة برد ورطوبة تلاها سعال عاذي انقلب سمالاً ديكياً حرمة المنام والنظام عدة أسابيع اذ كان يقى ماياً كله غالباً فتضعف جسمه وقل احتمالها واصابته في هذه الحال الحصية وانتهت بانثأثير المجهود لها في الامعاء وكل ذلك من مواعيد قبول الغذاء، وبقي أياماً كثيرة لا يطلب الا الماء؛ فله ما أخذ وشه ما أعطى، ان العين ندمع، والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرضي ربنا، وانا برفاقتك يا (ههم) لحر ونون «انا لله وانا اليه راجعون. اللهم اجزني في مصيبتى واخلف لي خيراً منها» اللهم اجعله فرطاً لنا وذخراً، واجعل مصابنا به أجراً ورحمة، ولا تجعله فتنة. واجعلنا من الصابرين المهتدين
(تاريخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف السحرة ومرض جميع الاولاد وسهرنا على تمريضهم ثم وفاة صغيرهم اللهم ما اقتضى تأخير صدوره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من الجلد أربعة أجزاء صدر ان شاء الله تعالى في أواخر الأشهر الآتية ذي القعدة وذو الحجة والمغرب وسائر فيكون أول جزء من الجلد الثالث والمشرين في ربيع الاول كما صدر أول جزء من هذا الجلد فيه

المسحاة

فبشر عسادي الدين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

بموتى الملكة من يقاه ومن يقوت الملكة
فقد أوتى خيرا كثيرا وما به
الإلا أولوا الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوي « ومانرا » كثار الطريق —

٢٩ ذي القعدة ١٣٣٩ - ١١ الاسد (ص ٢) سنة ١٢٩٩ هـ ش ٢ أغسطس سنة ١٩٢١

الخيال في الشعر العربي

٦

الفرض من التخيل

عادة النفس الارتياح للأمر تشاهده في زي غير الذي تمهده به ، والتخيل يأتيها من هذا الطريق فيعرض عليها المماني في لباس جديد ويجليها في مظهر غير مألوف

فللتخيل فائدة عامة لا تتخلى عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقى المعنى بأرتياح له واقبال عليه ولو كان من قبيل الحديث المألوف أو المعلوم بالبدهة . والظر ان رمت الثقة بهذا الى قول الشاعر

أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المعنى الإباسح
فالمعنى الذي صيغ البيت لتأذيتنا أخذنا تتناوب الحديث والإبل لتسير
(المنار: ج ٧) (٦٢) (المجلد الثاني)

مسرعة في الاطاح . وهذا كما رأيت معنى مبذول وحديث لا يختص به طار
سبيل دون آخر ولو لا ان الشاعر اورد في هذه الصورة التي خيلت اليك بطا
تندفق بسيل من اعناق المطايا لم ينل عندك هذا الموقع من الخطوة والامتحان
قد يكون للمنى في ذاته وجه يدهو تنس السامع الى التنوير عنه ، وصناعة
التخيل تبقي له أثر الديدان في النفس فتأتيها اللذة من ناحية غير الناحية التي
يجي منها التنوير ، فلو سمع اشياخ ابن بنية قول عمارة اليميني شامتاً به وهو مصلوب
ونكس رأسه لمتاب قلب دعاه الى الفوابة والضلال

لوجدوا لهذا البيت في أنفسهم ألماً بليغاً يدخل عليها من جهة القدرح في
كرامة رجل امتلأت صدورهم باجلاله ، وهذا الالم لا يمنع من ان يبقى للبيت
في نفوسهم أثر لذة تسرى اليها من جهة التخيل وان كانوا لها كارهين . وما
قلت في بعض الخطرات: قد يهذب السياسي حاشية ظله فيكون كالبيت البليغ
يؤثر في نفس من يهجي به لذة وألماً

قد يبدو لك ان هذه الفائدة العامة انما تتحقق فيما اذا كان المنى معروفاً
للسامع من قبل التخيل كوصف حال القمر والكواكب والبرق والسحاب
والرياض والانهار ، والمقلة والشمر والقلم والدواة ، او حال الرجل من كرم وشجاعة
وعلم وغيرها من الخصال اذ يصح ان يقال ان التخيل قد مرض على السامع
هذه المعاني في صور حديثة . واما الوقائع والاحوال المجهولة فلم يعرفوا لها
صورة من قبل حتى تعد الصورة الخيالية جديدة وتحدث في النفس لذة زائدة
من لذة العلم بأصل المنى

والجواب ان المنى الذي تتلقاه من الشاعر دون ان تسبق لك معرفة به
قد يلقيه اليك بوجه صريح ثم يدخل به في الخيال كما هي الطريقة الشائعة في
التشبيه والتمثيل ، وعد التخيل في هذا صورة جديدة بالنسبة الى الصورة التي
تقبلها التصريح أولاً مما لا تستريك فيه شبهة

وقد يلقيه لأول الخطاب في صورة خيالية وهذا مما يصح عده في الصور
المتعددة اذ للمعاني صور اصلية وهي التي ترسم في النفس لأول ما تدرك
للمنى بمفاهمة او وجدان فالنفس تشر حال تلقيها للصورة الخيالية ان للمنى
الذي تحمله اليها صورة أخرى هي الصورة البسيطة التي يمر عنها القول الصريح
وليك قول بصد هذا ان صور المعاني تختلف ما اختلفت العبارات

سواء كانت تصريحية او تخيلية فالصورة التي يعطيها قولك: زيد يكتب غير الصورة التي يفصح عنها قولك زيد يخط بالقلم على القرباس ، وكل منهما صريح لا مدخل فيه للتخيل واذا كان التخيل يلذ للنفس من جهة انه يكسر المعنى لباساً جديداً فيمكن لنا ان نصوغ للمعنى عبارة صريحة غير التي يعرفها المخاطب فيأخذ بها صورة جديدة، ولا يفوز التخيل بهذه الفائدة ويختص بهادون التصريح والجواب ان الصور التي تنشأ من العبارات الصريحة وان تفاوتت في مواقع البلاغة واختلفت بالايجاز والاطناب لا تمد كما تمد الصورة الخيالية غريبة عن المعنى المراد، الا ترى انك ترض المعنى الواحد في صور خيالية متعددة والضمير واحد فيجد السامع عند كل صورة داعية لذة ، ولو اقيمت المعنى في عبارة صريحة ثم بدالك ان تخرجه في عبارة أخرى تشاكلها في الصراحة والمخاطب وأحد لقيت في نفس المخاطب سامة لانك لم توافقها بصورة غريبة تخيل بها انك تعبر عن معنى غير ما أقيمت عليها أولاً

فلا انكر ان الصور في العبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف العبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما يشتمل عليه من المعاني الزائدة عن اصل المراد وان هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة وانما اذهب الى ان تلك الصور وان احكت فسقتها واصنت اليها من المعاني ما يرتفع به شأنها لانه يبعث في نفس السامع هزة الطرب التي تثيرها العبارات الخيالية فالعبارات الخيالية تشارك العبارات الصريحة في جودة نسجها واشتمالها على المعاني التي ترتقي بها في مدارج البلاغة ويزيد عليها بآراء تلك المعنى في صورة بدئية تتمشقا للنفس وتهتز لوقعها طرباً

ثم ان التخيل لا يخلو في أكثر احواله من صوغ المعنى في صورة ما تكون معرفة المخاطب له أقوى وفهمه اليه أسرع ، وهذا مما يجعل الناس النفس أوفر ، وارتياحها له أكمل

ولا احسبك تعلم من هذا الوجه في شبهة او تقف في حيرة حين ترى الوجه السابق يقتضي ان لذة التخيل جاءت من غرابة الصورة وهذا يقتضي ان ابتسامة النفس لها جاء من جهة ألفها وكثرة التردد عليها فان غرابتها بالنظر الى المعنى المراد لاننا في ان تكون معرفتها بهياتها او عناصرها اجل لدى المخاطب في ذاتها . فالشاعر الذي يقول

كان شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع
 دنانير في كف الاشل يضيها لقبض قهوي من فروج الاضالع
 قد خيل اليك حال تدفق الاشعة وقت الغداة وتجليها على الاوراق في صبوتها
 الصفراء في صورة دنانير يضم عليها الاشل يده ليقبض عليها فتسابد من بين
 أصابعه متساقطة الى الارض . وهذه الصورة بالنظر الى مسلك الحديث وهو
 حال الاشعة غريبة ولكنها في نفسها جليلة اذ السامع للبيتين وان لم ينظما من
 قبلها دنانير تتناثر من يد الاشل فان المواد المؤلفة منها الصورة كلالا نير ويده
 المرتعش من اوضح معلوماته

وللتخيل بمد هذا اغراض خاصة يرمي اليها الادباء ويتفاوتون في التمكن
 منها ولا يسر هذا المقال سوى ان نذكر بمهاتها فنقول
 قد يقصد الشاعر من التخيل تقوية الداعية الى الاخذ بالثبوت حيث يصوره
 بصورة مالا يستغنى عنه كما قال بشار

فلا تجمل الشورى عليك غضاضة فان الخواقي قوة القوادم

ضرب المثل للشورى في تثبيت الرأي واقامته على وجه السداد بالخواقي
 من الجوانح حيث تساعد القوادم على الطيران ، وهذا التمثيل يلقي في نفس
 السامع انه محتاج الى الشورى حاجة القوادم الى الخواقي ويؤكد داعيته الى
 العمل على سنتها او الحث على الثبات والصبر على الامر حيث يخرج في مثال
 مالا يمكن بطبيعة هذه الحياة الخلاص منه كما قال بشار ايضا

اذا كنت في كل الامور معاتبيا صديقك لم تلق الذي لاتعاتبه

فمض واحدا او صل اناك فانه مقارن ذنب مرة ومجانبه

اذا انت لم تشرب مراهرا على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فالايات موقوفة في الإرشاد الى تحمل ما يصدر عن الاخوان من جفاء او
 هفوة فضرب لم المثل بالشارب حيث لا مندوحة للانسان عن ورودها وهي
 لاتصفو له سائر حياته بل يصادفها في بعض الاحيان كاشفة له عن وجه كالح
 وماء كدر، يلجئه الظما الى الشرب منها، واغضاه الجفن عن اقتدائها، فهذا
 التمثيل يريك انك لاتستطيع ان تعيش مستقلا عن الاخوان وان ليس في طبيعتهم
 ان يسروا في مرضاتك بحيث لاتلاقي منهم طول حياتك الا ما يلائم طبيعتك
 ويوافق بفتيتك، ومقتضى هذا ان تمد يدك بعري صحتهم وتقضي مما يرضي

لم في بعض الاوقات من جناء او يزولن فيه من عثرات
او التحذير. مما يرغب فيه كما قال ابو نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

لو ذهب الى ذم الدنيا صراحة وهي حلوة خضرة لم يأخذه السامع بما أخذ التسليم
والكفران يكون في لذيقها المذاق جميل المنظر ما يجب الحذر منه فعدل الى اخراج
الذم في مثال يرسمه كيف يتزى الشريزي الخير ويظهر المؤذي في بهيمة ما يمد فافعا،
او تخفيف الرغبة فيه وتقليل الاهتمام به كما قال المعري

وان كان في لبس القمي شرف له فا سيف الا غمده والحمائل

فن تمثلت له الملابس بمنزلة الغمد والحمائل من السيف لم يطمح بنظره الى
تنسيقها او مجهد سميها في اتخاذها من النسيج الفاخر وانما يصرف همه الى
ما تسمو به النفس من علم وفضيلة كما ان البطل لا يمسأ بالغمد والحمائل وانما يقبل
على السيف فينتق وسعه في اجادة صنعه وارهاف حده

او التسلية كقول صاحبنا الامير شبيب يسلي البارودي وهو في المنفى

ان يحجبوك فما ضر التجوم دجى ولا زري السيف يوما ملي اغمد

الاباس ان طال نجر السمد موعده فاعذب الماء شربا في فم الصادي

اراد ان ينفث في نفس مراسله كلمة تحمل منها عقده الضجر وتطرد عنها
غم الوحشة فذكره بأن ماجرى عليه من التفرير والاحناء من أعين من القوه
والفهم قد ابتليت بمنته الكواكب فلم يمسا بنقيصة ومنيت به السيوف فلم
يضع من قيمتها فتلا . ورام بمد هذا تخفيف ماعناه ان يساور قلبه من لوعة
الحنين الى الوطن، والهجر بما سال عليه من الامد، فقام له مثالا من حل الماء
حيث يكون مذاقه في فم من بمد عهده به - وهو الطارن - الذواشحي

ومما صنعت في غرض التسلية

بنثت شعاع علمك في نفوس تسوق اليك ما استطاعت خسوفاً

كذا الاقمار تكسو الارض نورا ولولا الارض ما لقيت خسوفاً

او ازالة ما يخالف النفس من النور عن الامر او عده عيبا كما قال الفرزدق

تفارق شيب في شباب نواع وما حين ليل ليس فيه نجوم

ضرب المثل بنشر الاسود تتخلله شعرات من الشيب بحال ليل داج تتألق

في سمائه الكواكب ليخيران الشيب مما يحدث في الخلقه حسنا ويريد هابهجة

حتى يضع الانس به مكان التجافي عنه . ومن هذا القبيل قول قابوس
 ياذا الذي بصروف الدهر غيرنا هل عائد الدهر الا من له خطر
 أما ترى البحر تطفر فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
 وفي السماء نجوم لاعداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر
 او الدلالة على ان الذي تحكى عنه صفة قد بلغ فيها غاية قصوى لتستدعي
 له في نفس المخاطب اجلالا واشفاقا او تحقيرا له او جفاء عنه ، ويرجم الى هذا
 الفرض كثير من التخيلات الواردة على طريق المبالغة في المديح والتعزير والاعتذار
 والمجاء والوشاية وامثلها كثيرة الدوران في كتب الادب والبيان
 وقد يكون المعنى مما لم تتداوله الافكار وليس من البعيد ان يلاقيه
 المخاطب بالتعجب الذي هو مطية الانكار ، فيجيبه التخيل عقب هذا لازالة
 التعجب منه ويبان ان وقوعه داخل في حوزة الامكان وهذا كما يقول أبو
 تمام الاندلسي

لا يفخر السيف والاقلام في يده قد صار قطع سيوف الهند للقصب
 فان يكن أصلها لم يقو قوتها فان في الحجر معنى ليس في العنب
 ادعى في البيت الاول ان القطم الذي عهدت به السيوف قد انتقل الى
 الاقلام التي تهزها يد ممدوحه فلم يبق للسيوف خلة تفاخر بها ، وليست هذه
 الدعوى من الجلاء بحيث تفتح لها النفوس باب القبول بسرعة واول ما يطمئن
 فيها ان الاقلام منتقة من القصب وهي اوهن من المصارع السيف ومضاه
 فاحتاج الى تأييدها بما يدغم الشبهة ومحورها في زمرة الأقوال المسلمة فضرب
 لها المثل في البيت الثاني بالحجر التي هي عصارة العنب وقد امتازت عن بقية
 المصير بالطفاء نور المقل واطلاق الساكن بحبط في فلاة الهندو خبط عشواء فصارت
 بهذه الخاصية حقيقة قائمة بنفسها ومالكة لقوة لم تكن في جنبها

وقد يكون المعنى مما تألفه المنقول ولا يتثبت به في سياقه ما يجير السامع
 الى ارتياب او محمله على انكار وانما يقصد الشاعر الى ايراده في مثال واضح حتى
 يقع من نفوس السامعين في قرار مكين ومثال هذا قول سيف الدين بن المشد
 ان ترقى الى المال اولو القضا ل وساخت تحت الترى البغواء
 فحباب المدام يملو على الكا س محلا وترب الاقضاء
 فارتفع الفضلاء الى المراتب العالية وهبوط أهل البغواء الى ما تحت الترى

ليس في نفسه بأمر يتمجب منه او يتلقى بانتكار لمحاكاة بارتفاع الحباب على وجه السكاس وزول الاقذاه الى اسفله انما كانت مؤكدة له ومنسجمة عن مناسبتة للحكمة والطباقة على سنة الله الجارية بارتفاع العناصر النقية ورسوب الاجرام المتفنة . وما صفت على هذا النمط

لا يألّف المرز شبا لمج في وسن من الخلاعة لا مسمى ولا أملا
كلا ر يزهو على صدر الفتاة وان دب النحاس الى اجفانها اعترلا

ومن الدواعي الى التخييل تخصيص بعض الساممين او القارئين بفهم المعنى اما لفضل المعية او لان في يده من القرائن المساعدة له على التنبه ما ليس في يد غيره فلو حاورك انسان في أمة من الناس اقاموا على فريق من أموالهم رقباء فأردت ان تذكره ان أولئك الرقباء لم يحرصوها بمين الامانة حتى تناولها فرم ملاءوا منها حقائبهم وتروها في سبيل شهواتهم فكتبت اليه على مثال ما كنت قلت

يارياضا خاها الحراس اذ غرقت احداقهم في وسن
مرقت ربح الصبا منك شدى طاب وانسابت به في الدمن
لم يستطع فهم ما أردت من الكلام الامن دارت بيدك وبينه تلك المحاورة
وقد يذهب الشاعر الى التخييل لقصد التهم كما قال المعري يتهم بمن يحكي ان
أول من شاب ابراهيم عليه السلام

ما اقبح المين قلم لم يشب أحد حتى أتى الشيب ابراهيم عن أم
كذبتم ونجوم الليل شاهدة ان المشيب قدما حل في الامم
فكانه يقول هذه الرواية الملتفة ليست اهلا لان تقابل بغير هذا الرذ
القائم على الخيال . ويقرب من تخييل نجوم الليل بالمشيب قول احمد بن دراج
القسطلي يصف الجبرة

وقد خيلت طروق الجبرة انها على مفرق الليل البهيم فقير
وربما لا يمجّد الشاعر داعيا الى مسلك التخييل بمدبسط النفس سوى التنبه
على ما بين الممانى من المناسبات الخفية او مجازاة البلغاء واقامة الشاهد على
الحدق في هذه الصناعة ، وما يرمي الى أحدهذين الفرخين ما يمتلئ به الامام في
وصف بعض المناظر المطرية كالسكواكب والحدائق او الصناعية كالشمعة والسفينة
محمد الخضر

الطور الجديد للمسألة المصرية

بدأنا مرة بعد أخرى بكتابة مقال مفصل في المسألة المصرية ثم كنا نترك نشره لسبق الجرائد اليومية أيانا إلى نشر مقالات كثيرة في معنى ما كتبنا ما غادرت متردما، بل جاؤا بالذرة، وأذن الجريدة - كما قيل في المنزل - بأن كان أكثر ما كتب لم يخل من تحريف لجلده أو تحيز إلى فئة فذلك أحرى باستيعاب أصول المسألة وفروعها - فنكتفي إذا باستخلاص الزبد من الخيض واستنباط النتيجة من المقدمات، بكلمات وجيزة نحر في المفصل، ونعطي قارئها من المعرفة والاعتبار والحكم ما لمه لا يجده كله في غيرها

مقدمة وتعميد

(١) قد سبق الذكاء الفرنسي الدهاء الانكليزي إلى معرفة مكانة مصر من ارتباط الشرق بالغرب وما فيها من ينابيع الثروة فد إليها حنطه نابليون الأول نابغة عصره في الذكاء والاقدام، ولكن الدهاء الانكليزي قطع ذلك الساعد الذي مد الحسام، ثم اعانت العلوم والفنون الفرنسية محمد علي الكبير على تكوين دولة جديدة مربية، فمارضتها انكلترا بنفوذ الدولة التركية، حتى وقفت مدهاء وأرجمتها إلى ما وراء حدها، ثم تعاون الدولتان على ارهاق مصر في زمن اسماعيل، ثم سبقت اداهما إلى احتلالها في عهد توفيق باشا.

(٢) كانت نهضة مصر في عهد محمد علي مادية محضه الحانكم الأعلى لها شارع ومنفذ ومالك متصرف في البلاد وأهلها تصرف السيد المالك بماله وعبيده، وما كان يرجى ان تتكون في ظل هذا الحكم بهذا العصرامة، ولا ان تمتاز دولة، بل يهدم مستبد منفسد، ما يناه مستبد مصلح، كما هدم اسماعيل المبذر، ما أسسه محمد علي المعمر. حدثني المرحوم حسن عبد الرازق باشا ان قيمة اطيان القطر المصري كلها ما كانت تزيد في آخر مدة اسماعيل عما كان عليه وعلى البلاد من الدين للاجانب

(٣) ان غايات الاضداد تتصل بمبادئها فني عهد اسماعيل الذي انتهى إليه الاستبداد في محق ثروة البلاد وافساد الاخلاق - ررع ونبت غرس الاصلاح الاجتهادي والسياسي والادبي بأرشاد حكيم الشرق وموقفه السيد جمال الدين

الافغاني مؤسس الحزب الوطني الاول في مصر ومعلم الكتابة والخطابة والسياسة والفلسفة ، ولكن بريطانية المعلمى كانت بالمرصاد لهذا الاصلاح المنعوي ، فنأواه كما نأوت ذلك الاصلاح المادي ، فأغرقت توفيق باشا بنفي السيد جمال الدين من البلاد بمد ان كان قد عاهدته - وهو ولي العهد - على العمل بما اقترحه من الاصلاح ، ومنه جعل حكومة البلاد نيابية وتعميم التعليم وغير ذلك ، ولكنه قال عند خروجه من مصر انه ترك فيها من يتم ما بدأ وهو سريره الذي احاط بمبادئه ومقاصده الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(٤) تجدد في البلاد عهد الاصلاح المادي والمنعوي معا في اول اماره توفيق اذ تولى الوزارة مصطفى رياض باشا ذوالنظرة الباهرة والوطنية الصادقة التي لم تمصر في تاريخها الحديث وزيرا يدانيه في مجموع اخلاقه وفضائله واستقلاله وعدله واصلاحه الاداري وان وجد فيها من الوزراء وغيرهم ألوف فاقوه في العلوم القانونية بأنواعها مع المشاركة في بعض التمنون التي لم يكن يعرفها - فقام هو باصلاح المالية والادارة خير قيام . وولى الشيخ محمد عبده ادارة المطبوعات ورئاسة تحرير الجريدة الرسمية فتوسل الشيخ بهذا الى اصلاح لجنة الصحف والدواوين ثم الى اصلاح التعليم الرسمي وغير الرسمي كما فصلناه في ترجمته وترجمة رياض باشا ولكن كان من سوء حظ مصر ان وقف سير هذا الاصلاح بالشورة المرابية المشؤومة بانتهاها بالاحتلال الاجمبي قابل الاسم ومفسد الشعوب ومذل البشر

(٥) توسل الانكليز الى الاحتلال بطلب أمير البلاد توفيق واستدراج السلطان صاحب السيادة عليها واستخدام اسمه ونفوذه ، وخداع اوربة بايهامها أنهم يقصدون حماية رعاياها وحفظ أموالها ومصالحها ، وطلبوا مؤلاء وأوثنت بأن الاحتلال موقت لا تقصد بريطانيا المعلمى فيه لنفسها نفعاً . ولا تنوي سيادة ولا أثره ، وانما تنوي خدمة مصر واوربة والانسانية . وباسلما خدعوا البشر بمثل هذا الايهام . ولم تعرف عامة أمم الارض رباهم وخداعهم الا في هذه الايام ، ثم طمقرا يتمكنون نفوذهم بالتدريج ، ويسيطرون على الادارة والنصاء والتعليم ، ويمسسون اخلاق العامة بالاباحة التي يسوسها الحرمة السنية . واخلاق الخاصة بخدمة الحكومة ذات الرواتب العظيمة ، ويؤون على الشعب بأنهم المنقذون له من ظلم الترك واعوانهم ، والمدعون له بالاستقلال الذاتي

حتى إذا ما استتمت له ترابوا له بلادهم فبصرهم ساعدوا ما كانت البلاد متوجهة إليه من اسلح الرمي وترقية الزراعة لتكون البلاد ينبوع ثروة لهم ، ولكنهم ندموا أخيرا أنهم لم يحولوا دون تعصيل بعض الاهداء للثروة الواسعة في بلادهم كما يعلم مما يأتي

(٦) ظل الانكليز يهدون السيول انهم مصر الى مستعمراتهم مدة ثلاث قرن و ينتظرون الفرص كدأ بهم ، حتى اذا ما اشتملت نار حرب المادية الملعونة واذتوا الدولة العثمانية بالحرب ، انزلوا لانفسهم ما كان لها من السيادة على مصر ، واعلنوا حمايتهم عليها ، وانفقوا ايدئهم في رجالها ، وأموالها وغلطها ، وحيرها وجمالها ، بل تصرفوا في كل شيء للحكومة وللأمة واستخدموه في حرب الدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على البلاد التي لم تكن تستخدم في سيادتها أحدا في نفسه ولا تصادر في شيء من ماله ، حتى اذا الحملة التي وجهت الى فتح فلسطين في آخر حرب صليبية — كما وصفها رئيس الوزارة البريطانية (لويدي جورج) — قد سبوا الحلة المصرية ، وقد كانت هذه التسمية حقا وان قصد بها معنى آخر خفي — وهو الاخذ بنار قلب الاسد وسائر الصليبيين الذين كسروهم مسلمو مصر وغيرنا بقيادة صلاح الدين (قدس الله روحه) وانتزاع البلاد المقدسة من المذموم نخلة مصرية جن العوامين فيها من شيان مسلمي مصر وجل المائ الذي سبق دبرها على السكك الحديدية وغيرها من مال مسلمي مصر — كما أنه تم تصاعد أشهر الامراء المنسويين الى نبي الاسلام ، عليه وآله من دونهم السلام والسلام . ولو فسدوا بالتسمية معناها الحق ، لما صح ان يجازوا المصريين باسمهم ، بل لوجب ان يشاركوهم بهذا التمتع وبجملته ألهم سبعا من حكم الله الذي جعلها كالحمد والابدية مثل هذا اللفظ بل انكر منه في حكم السودان لعدم مشاركتهم في فتحها الثاني له بعد اجبارها على تركها ليد ، وان كان حيا فبصرهم في عهده للشركاء بالعلم ، وحملوا المسير فيها العرب ، كما ينادي بمقالة سبعا على اثر الاتفاق على هذا الشرط بينهم وبين البريطانيين ، كما اني كتبت في مصر ، وان كان هناك بعد ان امتنعوا عن تسليمها فبصرهم رئيس الوزراء في مصر ، وان كان بعد ان تجس النصارى في هذا حتى سبوا عثمانيين في سنة ١٩١٤ حتى البلاد وسبوا ، وكان هذا الاذماع أن مصرية مندس في الشاويين على شره

وزايمته واستقلاله ، على ما كان من زعمف ارادته معهم واستسلامه
الحماة البريطانية والوزارذ الرشدية

(٧) أعلنت بريطانيا العناني الحماية على مصر بالاتفاق والمواطاة مع وزارة
رشدي باشا التي كان عدلي باشا أحد أركانها. وهذه الوزارة هي التي مكنت
للانكليز في البلاد، ومكنتهم من استخدام كل ما تملك الحكومة والامة من
الاعياز والمنافع والاباني والدواب والالنام، ولولاها لما استطاع الانكليز ان
يستخدموا زهاء ألف شاب مصري وينتموا بما يقدر بألوف الالوف الكشيرة
من الجنهات، وقد نقل عنها انها لم تفعل ذلك الا عن وعدة وعدوها اياها وهي
منح البلاد الاستقلال الاداري بعد انتهاء الحرب، وما كان رجالها اول من خدعته
الوعود البريطانية فنقول انهم لا يفقهون السياسة وأخاديمها — ولما انتهت
الحرب وزال الخطر عن بريطانيا العناني واحلافها، وشمرت بأن أزمة سياسة
العالم صارت في قبضة يديها، قلبت لمصر ظهر الحن وشمرت تمهد السبيل لضمها
الى املاكها، والاجهاز على لغتها العربية التي طالت عاربهم لها واستبدال اللغة
الانكليزية بها، وجعل السلطان الغالب في هيئتي حكومتها التشريعية والتنفيذية
للانكليز وغيرهم من الاوروبيين، والتبعض على ناحية الثروة والمواصلات التي
هي شرايين الحياة الادارية والمالية في الامة — وقد ظهرت مبادي هذه
المقاصد في عمل اللجنة التي أنفت لوضع نظام لالغاء الامتيازات الاجنبية
وحصر النفوذ الاجنبي في البريطانيين وقد كان عدلي باشا عضوا فيها فلما
رأت ذلك وزارة رشدي ظهر لها ان هلاك مصر بالاستعباد للانكليز واقع على
يديها، فكبر عليها الامر، وسددت في وجهها منافذ الحيل. حتى ظهرت مبادي
النهضة الوطنية الجديدة على يد سعد باشا زغلول ورجاله
تأليف سعد الوفاء بمساعدة رشدي وعدلي

(٨) ان خبر تأليف سعد باشا للجنة وطنية تسمى لاستقلال مصر باسم
الوفد المصري معروف، ومشايمه وزارة رشدي باشا لا غير مجهولة، وقد كانت
قيمة مساعدتها حق السابية ثمينة، وأمن بالابية منهم مقاومته عند أخذ وثائق
التوكيل من ممثلي الامة للوفد بطاب الاستقلال التام. وقد طارل مستشار
الداخلية الانكليزي منح هذه الوثائق فلما لم يستطع استخدام الوزارة
فيه كان عمله أبترا ناقسا فكان هذا من اظهر الشواهد على عجز الانكليز عن

التصرف في الامة بأنفسهم، فهم لم يعملوا شيئاً ضاراً ولا نافعا الا بأيدي المصريين . ولم تكن مساعدة الوزارة لسعد باشا عن توائم وتعاهد على السعي معه الى الاستقلال التام الذي التزمه اذ لم تكن ترجوهذا وانما رأيت ان قيامه بهذا الامر يكون وسيلة لها الى أحد الامرين اما الحصول على استقلال اداري واسع مع الارتباط بالامبراطورية بالحماية أو السيادة على ما كانت وعدت به عند اعلان الحماية - واما اثبات وطنية افرادها لتعلم الامة أن وافقتها للدولة البريطانية على اعلان الحماية ومساعدتها ايها على استخدام قوى الحكومة والامة في الحرب كان عن اجتهاد في خدمة البلاد يفقر لها خطأها فيه حسن النية والتكفير عنه بمساعدة الامة على طلب الاستقلال

الاستمداد للاستقلال وأسبابه

(٩) ان استمداد الامم للانقلابات الاجتماعية التي يظهر بها اتقاطها من طور الى طور انما يتم بأعمال شتى في أزمنة مختلفة تكون كالمقدمات للنتيجة فلا يعلم عند النظر في كل منها منفردا ما سيفضي اليه او ما سيرتب عليه عند اتصاله بغيره على وجه مخصوص ، وان رجال الاستعمار من الافرنج يراقبون الشعوب التي يسودونها ليحولوا بينها وبين الاعمال التي تجتمع بها كما انها فتكون أمة مستقلة بالاستمداد بالقوة، الذي لا بد ان يتبعه الاستقلال بالتفصيل فيصرفونها عن هذه الاعمال ويشغلونها بغيرها بقدر علمهم واجتهادهم ، وقد يخونهم العلم فيمملون بأنفسهم لاعداد الامة للاستقلال ما لا تستطيع عمله او ما لا يأتي منها وهم لا يشعرون ، فلم يكن لورد كرومر (وقد كان اوسع انكباير مصر علما وخبرا وحرما) يعلم بأن اباحته للمصريين حرية الانتقاد على حكومتهم وأهظم رجالها سيكون سببا من أسباب جمع كلمتها اذ كانت الحكومات هي السالبة لاستمداد الشعب بمصر والحائلة دون جملة أمة - وانما كان منتهى اجتهاده في ذلك ان سقوط هيئة الحكومة الوطنية وزوال سلطانها يجمل المصريين خاضعين للانكباير حالمين لهيبتهم وخدمهم ، وهم الذين لا يطلع أحد في اضعاف سلطانهم - ولم تكن السلطة العسكرية البريطانية تعلم ان ذلك التصرف في أموال الفلاحين وسائر الطبقات الواضحة وفي أنفسهم بولد عنسدهم من المنم بصدد السلطة الاجنبية والشعور بكرهاتها وعداوتها ما تشارك به أعلى الطبقات علما وأشد هم شعورا فتجمل الامة كتلة واحدة وكلمة واحدة - بل أقول ان الحكومة البريطانية

العلياء في لندن كانت تجهل ما تلده لها الدعوة (البوربفنده) التي نشرتها في العالم كله طول سني الحرب لاقتناع الامم كلها بأنها مع حلفائها يقاثلون لتحرير الامم والشعوب وازالة ما يريد الالمان وحلفاؤهم من جعل السلطان للقوة دون الحق - وهو توجه أفسر الشعوب المستعمرة او المستعبدة بالإسماء المختلفة الى الحرية والاستقلال وبنض المستبد واحتقاره والخروج عليه مما تكن النسبة بعيدة بين قوة وضمفها - كما كانت تجهل بالاولى ان تهي صمد باشا زغلول ورفاقه من مصر عند اظهارهم الاستعداد لطلب الاستقلال يولد في مهنرثورة اجتماعية طامة . كيف وقد سمعت هذه الحكومة ممن كانت تعده اعلم رجالها بحال المصريين - وهو مستشار الداخلية السابق - قوله : اذا اشتملت نار ثورة في مصر فهو يطفئها ببصقة من فه !
الوحدة المصرية وما حدث من صدها

(١٠) ظهرت مبادئ استعداد الوحدة المصرية للاستقلال ونبذ السلطة الانكليزية بعد وقوع اسبابه التي اشرنا الى بعضها في زهاء ثلث قرن فكانت كلما قاموا الانكليز تزداد قوة لانها حقيقية لا صورية مدبرة كما ظنوا بادي ذي بدء ، ولو علموا انها حقيقية لما لجوها بالالين والخذعة ، لا بالشدة والصراحة ، ولكن هذه الوحدة لم تنشأ أكثر من عامين حتى فت في عضدها التفرق والانقسام ، ومن العجيب أن أعظم مظاهر الاعتصام والوحدة ، قد كان هو نفسه أعظم مظاهر الانقسام والفرقة ، الا وهو الوفد المصري الذي اجتمعت الامة على الثقة به وجعلت في تصرفه مئآت الالوف من الجنهيات ، لقد جنى الوفد على نفسه بما جنى على الامة فخابت فيه الآمال ، وغلب ياسر الجمهور على الرجاء ، وآخرون متحيرون يقولون ما عدا بما بدا ؟ وهل لمصر من موسى يأتيها بخبر او يجيد على هذه النار هدى ؟ وقد يجبرون لقول مثلي بعد هذا التفرق الذي اشرب المدهاء ، ولم يسلم من الهجر والبناء ، على أكابر الزعماء والرؤساء : ان الوحدة المصرية حقيقية ، ولم تكن خدعة صورية ، نعم اني قلت ما قلت على علم ، وانني اثبت رأبي بالدليل : لا تتمحص الحقائق الا بدخولها في جميع الاطوار التي من شأنها التطور بها فاطهر من التفرق والانقسام في الوحدة المصرية التي اكبرها العالم مدة سنتين يشبه ما كان من اكبار العالم للاتقلاب المئاني الذي هتفت له الشعوب المئانية على اختلاف مللها ونحلها ، ولما تهاوت ربيتها ، ولما هتت وتآخت

لاجل تنفيذ قانونه ، ثم لم تلبث جمعية الاتحاد والترقي التي احدثته ان هدمته بيدها ، وكذلك هدم الوفد المصري ما حدث على يديه من الوحدة المصرية واجتماع الكلمة عند نفي رئيسه وثلاثة من أعضائه المؤسسين الى مالطة - ثم عند اطلاقهم من اعتقالهم - ثم في مقاطعة لجنة لورد ملنر واجماع الامة على ردها الى الوفد المصري - ثم في استقبال لجنة الوفد التي جاءت لاستشارة الامة في تقرير لورد ملنر - ثم في استقبال الرئيس سعد باشا زغلول بحفاوة عامة اشترك فيها القطر المصري من أدناه الى أقصاه باحتفالات وزينات وخطب وقصائد وما دأب لم يسبق لها نظير : ولم يبق أحد يجهد ان اتحاد الامم هو أعظم قوة لها تثمها سائر القوى اذا ثبتت ، وبنتك فتل كل ما يوجد منها اذا نكنت ، فاسبب هذا التفرق بعد ظهور ثمرة الاجتماع بجنوح بريطانيا العظمى الى استمالة مصر وارضائها برفع الحماية عنها والاعتراف بالاستقلال لها ، مقيدا ذلك بقيود تحفظ بها مصالحها ؟

موضوع الاتفاق وسبب الافتراق

(١١) ان ما كان من الوحدة والاتفاق كان على أمر مجمل توجه اليه استمداد جميع طبقات الشعب وهذا التفرق لم يزد الا قوة ولكن الشعب (لما اتفق على طلب الاستقلال التام كان أهل الرأي منه يجهلون أن الكمال يقصد في أول السعي وقدما ينال الا في آخره . وان المسافة بين الاول والآخر في اعمال الامم قد تكون قريبة تحسب بالسنين وقد تكون بليظة تعد بالاحقاب ، ومنهم من كان يرى مع هذا أن كل ما يؤخذ من الغاصب فهو ربح ، ومن يرى ان أخذ بمنز المنصوب قد يتضمن الاعتراف للغاصب بالبعض الاخر فالواجب الانتظار لاخذ الحق كله ولو بعد حين - فكان هذا خلافا يداخل الاتفاق وان لم يذكر في الوقت الذي لم يظهر من الغاصب فيه جنوح ما الى الاعتراف بشيء من الحق لصاحبه ، دع الوعد ببذله كله او بفضه ، فلما اتمر سعي الوفد بقوة وحدة الامة التي تؤيده جنح الانكليز لارضاء المصريين بالاعتراف لهم بحقوقهم في ادارة بلادهم واستقلالهم فيها (بشرط اعترافهم هم لبريطانية العظمى بمرزمية ان في البلاد تحفظ به مصالحها ومنافع اوروبا بما ان نسبتها من الاهلية لهذا الامتياز بالاحتلال المضرب الذي خدمت البلاد فيه ورتت موارد الثروة فيها وغير ذلك مما تدعيه مواه كان مسلما أم لا) ودعي الوفد المصري من باريس

الى لندن لاجل المفاوضة في التقرير الذي وضعه لورد ملز وزير المستعمرات
للبريطانية لحل اشكال القضية المصرية - لما كان ذلك - ظهر في المسرح عدلي
باشا يكن أحد أركان الوزارة الرشدية التي استقلت في سبيل تأييد الوفد
فكان وسيطا بين الوفد ولجنة ملز التي فوضت الحكومة البريطانية بها امر
المفاوضة وسرعان ما غرور الوفد - وظهرت بتلك الوساطة مبادئ الخلاف الكامن الذي
أشرفنا اليه ، وانتهى بالتفرق والشقاق الذي نشكونه ، فاثم شي جديد، الاوله
أصل تليد، كان يتخال بذور الاستقلال المطلق بذور الاستقلال المقيد بقيد
الامبراطورية فثبت ذلك اولاً في مصر ونبت هذه بعمقه في أوربة ثم في مصر ،
فكان كارتوان بين القمح

لقد فتن الجمهور المصري تبعا لوفده بمشروع ملز ويمد طول البحث فيه
والتحريض له استقر رأي سعد باشا على أنه «حماية مقنعة» العرض منه جعل مركز
الناصب المبتل شرعياً بقبول الامة المصرية هذه الحماية المقنعة - ورأي عدلي
باشا أنه مشروع جدير بأن يبني عليه الاتفاق بين انكلترا ومصر وانه يمكن
تعديل بعض ما يشتم سعد باشا في انكاره منه - وكان سعد باشا يرى عدم
المفاوضة في هذا المشروع - ثم رأي بعد مفاوضة لجنة ملز التي استدرج اليها انه
لا يجوز جعلها أصلاً للاتفاق بين مصر وانكلترا ولا أساساً للمفاوضات الرسمية
الا اذا ألقيت الحماية وقبلت التحفظات التي وضعها الوفد بعد مشاوره الامة
والاطلاع على رأيها . واشتد النزاع بينه وبين ملز مرارا حتى هم بقطع
المفاوضات وكان عدلي باشا يميل المياه الى مجاريها بلفظه وكياسته فأرضى بذلك
الانكليز وعلقوا آمالهم به وأغضب سعد باشا ، وسعد شديد الشكينة حديد
المزاج اذا غضب جرح فادى ، وعدلي باشا رقيق الطبع من أبعاد الناس عن التصال
والخيام ، ولكن مال اليه بعض اعضاء الوفد وآروه على رئيسهم في شخصه وفي
طريقته ، فاجتهدوا أولاً في التآليف بينهما ، ولولا ذلك لظهر ما نجم من الشقاق
بينهما في أوربة . على ان سعد باشا انبأ لجنة الوفد بمصر بريقة من باريس
بأن عدلي باشا معاق للوفد فلم تنشر ذلك اللجنة وتدارك ذلك الاعضاء
هنالك فاصلحوا بينهما اصلاً التزم فيه عدلي بالأيسر مملاً الا بالاتفاق
مع الوفد . وحمل سعد على كتابة برقية تنسخ البرقية الاولى فنشرت هذه
دون تلك . ويقال انهم أفضعوا سعداً بأن يؤلف عدلي وزارة تتولى المفاوضات

مع انكسرة ويكون الوفد بالمرصاد لما يقرره الفريقان فان كان مرضيا أيده والا
استأنف جهاده وضميه

ثم ظهر الخلاف بين سعد والشايخين لمدلي من أعضاء وفده ففادره خمسة
منهم وحادوا الى مصر فسبقهم اليها نبأ منه بمخالفتهم له فاستقبلهم جند الوطنية
من الشبان اسوأ استقبال منذ بلغوا مرفأ الاسكندرية الى أن أووا الى بيوتهم
واسمورهم اذى كثيرا مشوا بالوعيد والنذر، وأخذوا منهم كتابا بأنهم على رأي
الرئيس ومعه ، ولكن لم يمنهم ذلك من بث الدعوة لمدلي باشا والظمن في
سعد باشا والتنفير والصد عنه وكان منهم الغالي والمعتدل في ذلك

الوزارة المدلية

(١٢) من القضايا التي صارت معروفة للجمهور ومسلمة بين الخصوم أنه لما
كان الوفد المصري وعدلي باشا في لندن تقرر لدى الحكومة البريطانية ان
يؤلف عدلي باشا بمد عودته الى مصر وزارة تتولى التفاوضة الرسمية وعقد
الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر على أساس تقرير ملتر بشرط الفاء الحماية
فقط ، والشائع ان أعضاء الوفد الذين تحولوا ثمة عن سعد الى مشايعة عدلي
قد تواطؤا معه هناك على تأييد الوفد له اما بمجذب سعد اليهم واما بنبذ
بأكثر الآراء ، ولولا هذا التواطؤ لم يقبل عدلي باشا ان يدخل في هذه
المهمة وينقض عهده فانه رجل شديد الاحتياط في حفظ كرامته وشرفه واتقاء القيل
والقال ، دح الاستهداف للظمن والنضال ، وانهم حاولوا هذا هنا فلما لم يستطيعوا
اليه سبيلا محيزوا الى عدلي جهاراً ، واتنا تلخص خبر الوزارة بموجز من القول
سبق ان ذكرنا في المنار الصفة الرسمية لتأليف الوزارة وانها كانت بسبب
البلاغ البريطاني لمظنة السلطان في شأن التفاوضة باستبدال علاقة أخرى
بالحماية البريطانية على مصر تربطها بالامبراطورية وقد اشهر ان السلطان كان
يرغب ان تتولى وزارة محمد توفيق باشا نسيم ذلك لانها كانت احظى الوزارات
هنده ولما استقلت لاجل هذا العمل عهد الى محمد مظلوم باشا بتأليف الوزارة
المطلوبة فلم يمكن ، ويقال انه ذكر غيره ثم علم انه لا يمكن ان يقوم بهذا الامر
الا عدلي باشا

ولما ألق عدلي باشا الوزارة ذكر في جوابه عن الامر السلطاني بتأليفها
خطتها السياسية الناطقة انها لا تتجمل نصب عينيها في المهمة السياسية التي

ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر والوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك في استقلال مصر . وستجري في هذه المهمة متشعبة بما تنوق اليه البلاد ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة وستدعو الوفد المصري الذي يرأسه سعد باشا زغلول الى الاشتراك في العمل لتحقيق هذا المرض . وقع هذا القول على ابهام عبارته واضطرابها (١) أحسن موقع من الامة فان آمالها كانت محصورة في الوفد الذي ينطق باسمها فرأت أنه قد وجدت في البلاد حكومة تؤيد الوفد وتعمل معه فأصبحت الامة والحكومة كلمة واحدة ويبدأ واحدة بمد ان كانت الحكومة خصما للامة منذ تمكن الاحتلال الانكليزي وأنشأ برائنه فيها الى هذا العهد، لاجل هذا صفت الامة لهذه الوزارة وقابلتها بمظاهرات الثقة بها والاهتاف لها مع الاهتاف للوفد ولرئيسه سعد باشا

التفرق والشقاق بين المصريين

(١٣) ثم ان الوزارة أذنت لسعد باشا - وهو في باريس - بتأليفها وخيلتها وطلبت منه الحضور الى مصر للتعاون معها على العمل فبادر فقابلته الامة من أعلى طبقاتها الى أدناها في جميع البلاد من أدناها الى أقصاها ، بمظاهر من الحناوة والتكريم ، لم يسبق لها شبه ولا نظير ، فسكانت الامة كالجمعة على ما قامت به جميع هيئاتها النظامية المنتخبة وسائر ممثلها من تكريمه واعلان الثقة به في المحافل العامة والمآدب الخاصة ، ولكن هذا الاجماع لم يكن تاما تاما سلما من الشذوذ الخفي بل كان بعض أعضاء الوفد الذين خرجوا من أوربة مفاضبين وبعض الحاسدين الذين زادهم مارا أو حسدا يخفون في أنفسهم ما لا يبشرون للناس فلهذا تعذر التوفيق بين الوفد والوزارة أو بين رئيسيها ظهر ما كان خفيا وصار أعضاء الوفد المفاضبون لرئيسهم يتسللون من (بيت الامة) (٤) لو اذا ، وينفضون الى الوزارة نبات وافرادا ، ثم استمالوا هم والوزارة اليهم آخرين منهم ، وجمي

(١) ان نفي ايجاد محل للشك في الاستقلال في الاتفاق لا يقتضي ان يكون اتفاقا على الاستقلال التام المطلوب فانه نفي بينه وبين استقلال مبهم ثلاث مراتب - الجمل والمحل والشك - فاذا كان الاتفاق على ان تكون مصر ك بعض امارات الهند أو الجزائر التي تسمى مستمرات مستقلة فانه يسدق عليه ما ذكره والاسترشاد بما رسمته ارادة الامة لا يقتضي اتباع ادارتها وعدم تجاوزه

(٢) بيت الامة لقب وضع لدار سعد باشا زغلول

وطيس الخلاف والجدل ؛ وصرح رئيس الوفد بعدم الثقة بتولي الوزارة للمفاوضة مع الحكومة الانكليزية والاتفاق معها على مستقبل مصر، فعارضته الوزارة وقاومته بكل مالمدى الحكومة من حول وقوة ؛ وتظاهرها في ذلك السلطة المحتلة، ومن وراثتها الامة البريطانية بحكومتها وجرائدها، وبالها من قوى هائلة تمتصت من هو لها الامم، وتخشى صولتها كبرى الدول، فظهر بذلك صدق ما قيل من انه قد تقرر في انكلترا ان يتولى عدلي باشا الوزارة ويؤيده الوفد ثم يكون هو الذي يمتد الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر على قواعد تقرير ملز بشرط النفاء الحماية واستبدال علاقة بريطانية أخرى بها فوقع بذلك الشقاق في الامة ؛ وانشقت عصا تلك الوحدة التي ليس لمصر من دونها حول ولا قوة ؛ فكان هذا أول طلوع الظفر البريطاني الذي يغالب جميع الخطوب بالصبر والجلد، مع الدأب في العمل

وقل من جد في أمر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر
فقيم كان هذا الشقاق الذي شوه تلك السمعة الشريفة التي نالها مصر في العالم كله بوحدها واتفاق كلمتها مدمرة عامين ؟ هل هو شقاق في المذهب السياسي ام تنازع على الزعامة والرياسة بين الافراد وانتصار كل فريق لرعيه لتفضيله اياه في الزعامة للمصلحة العامة او المنفعة الخاصة ؟ ومن المذهب المسؤول ؟ وأي الحزبين هو الظاهر وأيهم المفضون ؟
موضوع الشقاق وزعيما

(١٤) من القضايا التي صارت معروفة لكل أحد ان وحدة الامة المصرية التي كان يمثلها سعد باشا زغلول رئيس الوفد المصري قد انصدعت فصارت الامة في طريق السبي الى استقلالها فريقين - وأن زعيم الفريق الاكبر او الاكثر هو سعد باشا ويمبر عن افراد حزبه بالسعديين، وان زعيم الفريق الاصغر او الاقل هو عدلي باشا ويمبر عن افراد حزبه بالمديليين، وان كل قوة سعد مستمدة من الامة، وان جل قوة عدلي مستمدة من الحكومة المصرية التي هو رئيسها والسلطة البريطانية الموحدة لهذه الحكومة - وان هذا الصدع قد كان من قبل الزعماء الذين أسسوا بناء الوحدة بما كان من استعداد الامة له وهم زعماء هذه الوزارة وزعماء الوفد الذي تأسس بمساعدتها بما وقع من الخلاف بينهم فهم المسؤولون - وان التنازع على رئاسة الوفد الرسمي الذي يتولى عقد الاتفاق

بين بريطانيا العظمى ومصر اذا أمكن قد كان من أسباب هذا الخلاف هذه قضايا لاسراء فيها والمدليون يتهمون سعدا بأنه لا عذر له في الامتناع من تأييد الوزارة الاحب للرئاسة وقد اذاع كتابهم في جرائدهم وغيرها أن المسألة شخصية، وهذا جار كبير على الامة بأسرها . وسعد باشا يحتاج بأنه يجب ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي لانه هو الممثل للامة التي وعدت الحكومة باتباع ارادتها في قضيتها السياسية والوزارة الحاضرة ليست الا وزارة الحماية الانكليزية فهي تظهر السلطة البريطانية فاذا كانت هي التي تتولى ادارة المفاوضات ثم الاتفاق مع بريطانيا فكان ملك الانكليز هو الذي يتفق مع نفسه، وأن ما تقتدر به الوزارة أو تمنح به على ما تحرص عليه من جعل رئاسة الوفد الرسمي رئيسها - وهوان التقاليد المتبعة في جميع الدول ان رئيس الحكومة هو الذي يرأس كل جماعة رسمية يكون فيها وهو الذي يمتد المحادثات والاتفاقات مع الحكومات الاخرى - عذر باطل وحجة داحضة فان ما ذكره من تقاليد الحكومات المستقلة النيابية التي يمثل رئيسها الحكومة والامة جميعا اذ لا يكون رئيسها الا بتأييد مجلس نوابها الممثل للامة ، وهذا مبين طلال الوزارة المصرية

ويقول المدليون ان الوزارة اجابت سعد باشا الى جميع ما اشترطه لتأييد الوفد بل الامسالة الزيادة فيها يكن له من حجة هل طلب هذه الرئاسة لنفسه، فليس له أن يوقع الشقاق في الامة لاجله، وناهيك بقبول كون أكثر أعضاء الوفد الرسمي من أعضاء وفد الامة الذين يختارهم رئيسه وكون الثقة بشخص عدلي باشا لا يزرع فيها - وسعد باشا وحزبه يردون هذا القول بكلام لم ينشروه كله في الجرائد فيفكرون اجابة ما عدا شرط الرياضة من شروط الوفد فقد كان أهم الشروط اصدار المرسوم السلطاني ناطقا بتحديد الاساس الذي تجري به المفاوضات على ما يتفق مع مطلب الامة ومبادئ الوفد كالنص على إلغاء الحماية البريطانية على مصر حتى امام الدول الاجنبية وعلى الاستقلال الدولي التام المطلق في الداخل والخارج ، وبإبلاغ شرط إلغاء الحكومة العرفية والرقابة على الصحف لتكون الامة وصحفا حرة في افواهها وافعالها لا مسيطر عليهم في ابداء رأيها الا القانون، فلم يقدمني من ذلك -

ويقولون أيضا ان الرئيس لم تبق له ثقة باقتدار عدلي باشا هلى لتحقيق مقصد الامة المصرية بعد ان تمحست قضيتهم لانه برضى بدون ما ترضاه، ولا ثقة له بأعضاء الوفد للتحيزين اليه فهذا كله مما كتب. وهو يفيد أنه لم يبدأ شروط كون أكثرية الوفد الرسمي من أعضاء الوفد غير الرسمي مفيدا، فإذا ألف عدلي الوفد الرسمي لجمل ثلثهم من رجال الحكومة الذين هلى رأيه والثلثين من أعضاء الوفد غير الرسمي وكان نصفهم من التحيزين اليه تكون بيده الا أكثرية الساحقة، وإذا كان مع هذا هو الرئيس الذي يتولى ادارة المفاوضات فلا يبقى لرأي سعد باشا معه تأثير - فلماذا اشترط ان يكون هو الرئيس للوفد الرسمي للمجرد حب الرياسة فانه ليس فوق ما خوته إياه الامة من الزعامة فيها والرياسة لها غاية تطلب

وتظهر حجة لبعض المدليين، رضيا ببعض المتدلين، هي ان الوفد الرسمي الذي ترضى بريطانيا العظمى أن تتفق معه لا بد أن يكون من قبل عظمة السلطان فإذا جاز ان يرسم السلطان لغير رئيس حكومته بتأليفه فلا يجوز ان يجمل سعد باشا هو الرئيس له اذ لا صلة بينه وبينه يعرف بها رأيه وفكره ودرجة اخلاصه له وهو لا يتكروا على سعد باشا عدم زيارته للسلطان عقب هودته، وهو يعلم أيضا ان الحكومة البريطانية لا ترضى برئاسة سعد باشا - فإذا كان الامر كذلك فلا ينبغي لسعد باشا ان يوجه كل نفوذه في الامة الى منع ما اتفقت عليه الحكومتان بمحاولة اصقاط عدلي باشا والجاهه الى استعمال نفوذ حزبه ونفوذ الحكومة الى جزائه على عمله بمثله الذي ادى الى شق عصا الوحدة وخسارته بل خسارة البلاد ما كان من اجماع الامة على زعيم واحد وهو هو (سعد باشا) وكان يكفيه الا يؤيده ولا يشاركه في المعارضة ويقف له ولو فده الرسمي بالمرصاد فان جاء بالاستقلال التام الذي يرضاه هو والامة لم يكن عليه أدنى غشاضة في قبول ذلك وتوجيه نفوذ زعامته الى النهوض باعباء هذا الاستقلال الذي يشهد الجميع بأنه كان حجير الزاوية له، وان وقع الاتفاق الرسمي باسم من كان هونا له لا خهما. وان جاء بحماية مقنعة او استقلال صوري مقيد بقبود الامبراطورية البريطانية وهغال باهلالها فليحمل عليه بحمل الامة على رد هذا الاتفاق وعدم التصديق عليه، فإذا لم ينفذ الاتفاق حينئذ

نكون باقين في موقفنا بل أقوى مما كنا بعد اعتراف انكسرة لنا بما اعترفت به ،
 واذا نفذ نكون قد ربحنا ما تركته لنا من حقوقنا من حيث لم تقبل الامة بالاعتراف
 لها بشيء . باثباتنا حينئذ ان الوفد الرسمي المفاوض لا يمثل الامة اولم تقره الامة
 على ما عقده

والسعديون يردون على هؤلاء بأنهم موقنون بان عدلي لا يأتي الا بالحماية المقننة ،
 وبأن السكوت او ترك المعارضة يفضي الى نجاح الوزارة في اقصاء الثقة بها من الامة
 بنفوذ الحكومة المعز بالرجال والمال ثم الى التصديق على ما تعاقد عليه مع الحكومة
 البريطانية فاذا اجتمعت القوتان على ادعاء هذا التصديق والاقرار له وكونه مبنيًا على
 تلك الثقة والتفويض فاذا فضل الامة الضميمة بعد ذلك — فهذه صفة حجاج الفريقين
 في جوهر الموضوع وموضع النزاع وما نحن لما هذا ذلك من المراء والجدل بناظرين
 الموازنة بين الرئيسين

(١٥) عدلي باشا يكن — وجل عزيز النفس كريم التحيزة مهذب الاخلاق
 رقيق الطبع أبي مترفع في غير كبرياء ، مبالغ في حفظ كرامة نفسه ، مع المراعاة
 لكرامة مباشره وجليسه ، واسع الحلم ، نزيه النفس واللسان ، قابل الكلام ، وهو
 كبير بيت يكن الذي هو أكبر بيوتات السلائل التركية في مصر بل هو البيت
 الاول بعد بيت الامارة ممن تولوا الاحكام والمناصب العالية — وهو كبير في نفسه
 كما أنه كبير في بيته ، حريص على حفظ شرفه — فهو بهذه الصفات جدير بمنصب
 السفارة والوزارة وبرئاسة الوزراء ، وقد أوتي من العلم العمري ما يحتاج اليه المنصب
 وقتها يوجد بمصر من يفسر كبراء الافرنج حتى الانكسار منهم على احترامه مثله ، بل
 هو قوي الشبه بكبراء الانكليز في ترفقه وآدابه وشماله

ولكنه لم يوث من طلاقة اللسان في الخطابة ، ومن بلاغة القول في الكتابة ،
 ومن الاقدام على مكافحة الخطوب ومصارعة الاخطار ما يؤهله لزعمة الامة أو
 التأثير فيها والسبر بها في سبل الارتقاء الاجتماعي ، ولا تقبيلها في مبادئ الجهاد
 السياسي ، بل هو غير مستعد للتصدي لاحداث أدنى تأثير في الامة بنفسه ، وامله
 لولا الناصب العالية التي تولاهها — كادارة الارواق العامة وتحافظلة المصاحبة

والوزارة — ما كان يعرفه الا القليل من طبقات الامة الوسطى دع الدنيا ، وهو لا يعرفهم بالأولى

سعد باشا زغلول — هو رجل من بيت وسط من مديرية الغربية عربي السلالة — كما أخبرني صديقي المرحوم عبد الرحمن زغلول ابن أخي سعد باشا — طالب في حداثة العلم في الأزهر وكان من حسن الحظ ان اتصل في أثناء ذلك بالاستاذ الامام وتلقى عنه وهاشم زمار تخرج به فهو استاذة الاول ومريه هلى ما خاق مستعدا له من الاستقلال في الرأي والفهم وقوة الارادة والشجاعة وصناعة الحجية وحب الحق ، وادرك أيام موقف الشرق ومصالح مصر السيد جمال الدين الافغانى وحضر بمضى أنديته وسناره ، ولما تولى الاستاذ الامام ادارة المطبوعات ورياسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) جملة محررا في القسم الادبى الاصلاحى القدي زاده فيها فهدون على الكتابة في المسائل الاجتماعية والسياسة والادبية والاقتصادية واطلع على جميع شؤون الحكومة ، فان ادارة المطبوعات كانت في ذلك العهد مسيطرة على الجرائد وسائر المطبوعات ومراقبة هلى الحكومة تنفذ جميع اعمالها في جميع فروعها — ، وفي اثناء ذلك حدثت الثورة العراقية — فهو قد نشأ وترعرع وشب في حبر العلم والسياسة والانقلاب الفكرى والاجتماعى والسبامى ثم اشتغل بالمحاماة والتزم فيها جانب الحق فكان لا يقبل الوكالة في دهورى يرى ان صاحبها مبطل ، فبرع في الخطابة واقامة الحجية والاطلاع على القوانين والخبرة بشؤون الناس وأخلاقهم ومعايشهم وحيلها ثم صار قاضيا في أعلى مناصب القضاء الاهلى فاشهر بدهته في التحقيق واستقلاله في الرأي وعدله في الاحكام حتى شهد له مستشارو الاستئناف من الاجانب والوطنيين كتابة بأنه رقى المحاماة وشرف القضاء بجله واستقلاله. وهي شهادة لم يثابها فيما نعلم أحد من صفته ، ثم صار وزيرا لاهل هارف ثم وزيرا للحقانية ثم وكلامتهغبا للجمعية التشريعية

وكان في كل منصب من هذه المناصب الكفو الكريم والممتازين أهله فيه ، ولا نعرف أحدا في وطنه يشاركه في هذه المجموعة من المزايا بل قل ان يوجد له ندى يضارعه في فرد من أفرادها — فهو بها أجدر افراد هذه الامة بزعامتها الاجتماعية والسياسة

الا أنه بقصه من صفات الزعماء السياسيين - كما يقولون - ما يسمونه المرونة السياسية وهي تشمل سمة الصدر والحلم والقدرة والتؤويه والهدوء وان شئت قلت والبراعة في الافك والكذب الذي يجهل التأويلات الكثيرة والتعلق والبراعة في الاصطالة والتزلف عند الحاجة. وهو لفظة ملكة القضاء على كل ملكاته لا يستطيع كل ذلك ولو تكلفا فهو لا يبالي بمن خالفه فيما يعتقد ولا يحمل بعباؤنه له. كما يكن عظيماء وقد كان الاستاذ الامام يقول ان سدا خلق ليكون قاضيا ، ووصف سيرته في القضاء واستقصاه فيه للدلائل ودقته في الاستنباط وحرمة على المدل. وخصومه يسمون هذه الملكة حفاظة وكبرا أو يطلقون أمثال هذه السمات على بعض لوازمها . وقد زادوا في هذه الايام في نعته انه مستبد لا يخضع للشورى فهو يعمل باسم الوفد ما يراه وان خالف قرار الاكثرين . وهذا خلاف ما عرف فيه وتمهد منه ، فاذا أردنا انصاف القائمين بهذا يحمل كلامهم على الصدق ولا سيما فيما ينقلونه من الوقائع المعينة فلا نرى جامعا يجمع بينه وبين ما هو معروف عنه من الانصاف والاستقلال ومعرفة قيمة النظام ومراعاة الفوازين الا ما حدث في الوفد من الشقاق واختلاف النيات والافان مثل سعد لا يخفى عليه ان شعبة الذي يفتخر بحق بارتهائه وأهليته لتولي أمور ننته بنفسه في حكم دستوري لا يمكن أن يقبل في عمل من أعماله رئيسا مستبدا لا يجري على نظام الشورى ولا متكبرا لا يحترم آراء من معه وان هذان المطلقان لا يخفيان على أحد

على اننا قد سمعنا بآذاننا وسمع الجماهير مثلنا خطبه في المحافل والجامع المعظمية وقرأها أكثر من صموها فهم يشهدون بأنه كان يمزو فيها كل عمل الى أعضاء الوفد ويذكرهم بتعنى الادب والاحترام ويقدمهم احيانا على نفسه ، وعلما انه زار من لم يزره ممن عادوا من أوروبا قبله مناضبين له مع العلم بأنه كان أشد من زوايه عليه وصداقه ، وفضله على نفسه في احدى خطاب الجماع الحفافة ، ولم يكن هذا بمجاذب لذلك المصطفى الوفائق بل لم يزد الا حقدا وضغنا ، واعراضا وطمنا

الحكم في الشقاق بين أعضاء الوفد ورئيسه

(١٦) اني أعرف بعض أعضاء الوفد المصري معرفة بحبه وموادته وأعرف بعضهم

معرفة مواجهة ومحاولة، وأجهل حال غير المشهورين منهم جهالة تامة، فأنا احكم بصدق
الوطنية ليهضمهم على علم وخبر، واحكم به الآخريين على قاعدتي أصل البراءة وحسن الظن،
وقد سمعت ما قاله المنافرون على رئيسهم سعد باشا وقرأت ما كتبوا - فرأيت انهم
قد اخطأوا في اجتهادهم، حتى على نسايم جميع أقوالهم، فكيف اذا كان القول الوسط
المقبول في هذا الاختلاف هو القول في كل اختلاف بين فريقين في أمر من الأمور
العامّة والمصالح السياسيّة والمسائل الاجتهادية التي تختلف فيها الآراء والانظار، وهو
ان يكون لكل فريق مخطئا في بعض ما اختفوا فيه وهيبيا في بعض، فان جاز عقلا ان
يكون أحدهما مصيبا في كل ما خالف فيه الآخر - فأبي الفريقين هنا أجدد بأن
يحكم له بالصواب، والفريق الذي يخطئه السواد الأعظم من الأمة بعد معرفة كل
ما أدلى به من الحجج وما أدلى به خصمه؟ ولا يؤيده الا نفر قليل جدا، أكثرهم من
أصدقاء افراده او من اتباع أصحاب المصيبة منهم؟ أم الفريق الذي يؤيده السواد
الأعظم ويرمي مخالفه بأشنع التهم وينبزه بأفظم الانقلاب؟

أقول ان المؤيدين لأعضاء الوفد الذين شاقوا الرئيس نفر قابل جدا في مجموع الأمة
مع العلم بأن الذين أيدوا الوزارة المدلية كثيرون جدا، فان الذين أيدوا الوزارة لا يؤيد
جيبهم ولا أكثرهم أعضاء الوفد المشايخين لها، بل أكثرهم يرى ان سعد باشا هو
زعيم الأمة بحق وانه هو المرجع الذي يعول عليه عند تحكيم الأمة فيما يأتي به وفد
الحكومة الرسمي من الاتفاق مع الحكومة البريطانية، واثن كان المشاقون لسعد أول من
أيد عدلي ويتقد أهل الرأي انه لولا هم لما كان ما كان - فان المؤيدين له بعد ان أصر
على السير في القضية بدون اتفاق مع سعد والوفد انما أيدوا أكثرهم بنفوذ الحكومة
لا بنفوذ هؤلاء الاعضاء - فهم قد نزلوا بمشاقتهم لسعد عن مقام الزعامة العامة في الأمة
الى أدنى ما كانوا عليه قبلها فان كانوا تركوا سعدا لحفظ كرامتهم الشخصية التي تقلوعه
أنه لم يكن يطمحها حقها، ولأيد المصلحة العامة التي قالوا انهم رأوه باستبداده غير
أهل لها - فقد كانت خسارتهم الشخصية بهذا الترك أعظم، وصاروا عن القيام
بخدمة المصلحة العامة أجهز - فهذا هو وجه مخطئتي لاجتهادهم حتى على تقدير تسليم
جميع أقوالهم، وانما اكتب هذا لاجل التذكير وبيان وجه العبارة لمن يعتبر من

مؤلفه أمنا بما كان من افراط الزعماء واعلاء بالمصلحة العامة فيما نستقبله من حياتنا
 النسيانية التي لانزال فيها اطفالا بالنسبة الى الامم التي طال عهدهم بالتمرس بأعمالها
 والجهاد في مبادئها.
 يقولون ان الصل معه صار متقدرا. فان لم نقل ان التبادر انه خطر علينا
 المشاقة اذ كان يتيسر اقبلها قلنا ان الاخلاص في العمل للامة والحرص على وحدتها
 لا يمكن ان يكون بهر جهاد شاق وصبر واحتمال وايثار، وقد قيل في المثل ان صح
 ملك الهوى ارشدت له جبل . فملي هذا لم يكن من المنذر ان يقع بعضهم
 بعضا بالناصر والتظاهر على الرئيس - ومعه - فيما يروونه منه بخلا بكرامة
 بعضهم، او الاستفداد بالامر دونهم، كما تظاهروا عليه في الانتقاد الصريح في اجرائد
 والخروج من الرصد، فان كانوا توهموا انه كان الممكن اسقاطه واستبدل غيره به
 قبل هيبته من اورية وما قابلته به جميع طبقات الامة من اذن البلاه الى اقصاها
 من الحضارة والفكر لقي كاد يكون من العبادة، فوقع هذا التوهم بعد ذلك نكاه
 من اغرب الخطأ ولا سيما من هؤلاء الاذكياء العلماء بأخلاق الامم وسنن الاجتماع
 لقد كان زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذين شبهناهم بهم في اول المقل اهدى
 سبيلا منهم في المحافظة على زعامتهم ونفوذ جماعتهم في الدولة والامة، فقد كان ينكر
 بعضهم على بعض فيما ظنوا في الانكار، ولكن لم يكن ذلك ليمتدى انديتهم سولا
 ليقرق جماعتهم، وبذلك كلن لهم الفوز على جميع الاحزاب المناوئة لهم على قوتها،
 والوفد المصري لم يكن له في الامة خصوم يتدبهم ويخشي عليه منهم، حتى كلنوا
 هم الذين شقوا عصام بأيديهم، وسنجد الوفا من العاذلين لاهل هذه الطريقة -
 ولا تناسى الى منصب القضاء فنقول هذه الرأفة - الرأفة في الحكم عليهم، اولئك
 الذين يتهمونهم بأنهم قصدوا بذلك لخدمة انفسهم، وما نحن لهذه التهمة بشرحين،
 لانا نكتب لوعظ والارشاد، لا لانحيز الى الزعماء والتحرف للاحزاب.

مكاة الزعامة في الامة ومكان سمد منها

(١٦) ان اجتماع كلمة السواد الامم من الامة على زعيم يمثلها ليس من الهنات
 الهبات، ولا من المقاصد التي تنال بدمي الافراد او الجماعات، الا بمصلحة الزمان

بوقائمه وأحداثه وإشعاره الامة ، وفي الزعامة والحاجة اليها ، واهداده لرهيم الكفو
 بالهنوض بها ، وتمثيل وحدتها فيما استعدت له وتوجهت اليه ، فاذا وفقت الامة لثقفة
 بزعم كفو للزعامة وجب على جميع أهل الرأي والمكانة فيها أن يؤيدوه في العمل ،
 ويقبلوا أمرته اذا أمر ، ويقوموا عوجه اذا زاغ وانحرف ، وان لا يشترطوا في المحافظة
 على زعامة العصبة ، فان الكمال المطلق لله وحده ، فبذلك يرجى نفعه ، ويؤمن
 بضرر خطاه وضممه ، ولا يحل لهم ان يؤاخذوه على ما ينقون منه بخذله ولا بالظن
 بهي . كفايته بما يقب ذلك من تنكث قوى الوحدة ، وصدع بناء الزعامة ، ورب
 تنكث يتعدى ابرامه ، ورب صدع لا يرجى انتشامه ،

وقد سبق القول بأن زعامة سعد كانت بالاكثريه الساحقة من السواد الاعظم ،
 ولم تكن اجهاها سالما من الشذوذ كما كان ينوهم ، لان اجماع الامة التام على رجل
 واحد في الظاهر والباطن محال في سنن الاجتماع وأخلاق البشر ، وقد رأينا ان ظاهرات
 الخفاوة بقدم سعد كانت تحجب عن الابصار ما على بعض الوجوه من وجوم اكتاب ،
 وأن صبغات المناف له كانت تشغل الآذان عما يتفات من اللسنة من هيمنة إنكاره ،
 بل كان يتخلل تلك الخفلات ، ما يشير الى ما سيكون بعدها من الخفلات ، وقد سمعت
 في بعض المظاهرات اعتراضات فلسفية عليها ، وشهدت احتفالاين أقامه اجيرانا وجهاه
 قصور القديمة صرح في أكبرها بما اختصره وان كان من لباب الموضوع ،
 وذهبت الى الخطابة في هذا الاحتفال فأبقت لرهدي في الطهور على مثل هذه
 المناجز التي يتزاحم عليها طلاب الشهرة ، ورفعتي عن الكلام في السياسة في محافل
 أكثر شهرة من العامة ، وهجرني عن الاطراء ، الذي يأنه الجمهور في هذا
 الشأن . وكان من الخطباء فيه القمص مرجيوس خليب قسوس القبط المشهور
 ، فبالضجيج الخطباء والشعراء الذين أخلصوا المدح والاطراء للرئيس سعد باشا بما
 جاء به من اللزيج وأمشاج القول المتضمن لتوقيع الخلاف بين سعد وعدلي ووصف
 سعد بالناد والصلابة والاشارة الى علاج ما يتوقع فارأى ان تقتدي فيه الامة المصرية
 بتبصرة (البلتيكان) عند انتخاب البابا وهي أن الكردنيالات الذين لهم حق
 الانتخاب يخبون في حجرة بوضع لهم فيها قوت قليل ولا يسمح لهم بالخروج منها

لا بعد الاتفاق على انتخاب أحد المرشحين
 ولما سمعت خطابه آذنت الذين كانوا يراجموني في اقتراح القاء نبي في الحفلة
 بأنني قبلت فدميت فصعدت المنبر وألقيت خطاباً بينت فيه تحقق تكوين الزمان
 للأمة المصرية بالعضوية القومية ، وإن أعماد الكثرة ، إنما يحصل إذا مثلها جهة واحدة ،
 وهي ما يسمونه الرعامة والرياسة ، متى تكونت الأمة وشمرت بنفسها هداها
 هذا الشعور إلى الزعيم الذي يمثلها ، كما يثبت الرأس في الجبين عند تمام تكوين أعضائه
 وكما ينشأ في الأمة من رجال جديرين بالزعامة ولا تعرف الأمة قيمتهم ولا بها
 ليست أمة إلا بالصورة الظاهرة كما تسمى صورة الأسد في الورق أو الجدار أسداً ،
 وقد كان الأستاذ الامام يقول يا ويح الرجل الذي ليس له أمة ، ولا يحفل أن توجد
 أمة رائدة لا يوجد فيها رجل بل رجال حقيقيون بالزعامة فيها ، وقد كان الأستاذ
 الامام من الرجال الذين يقل في الامم الراقية أمثالهم ، بل قل فيه الأستاذ الدكتور
 براون من أكبر علماء الانكليز المدرسين في إحدى جامعاتهم الكبرى (كبرديج) :
 انني لم أرفي الشرق ولا في الغرب مثله ، ولم تكن الأمة قد تكونت في عهده نكوننا تعرف
 به كنه قيمته ، وتعمل بلرشاده وزعامته ، وهذا تلميذه الزعيم الكبير الذي تحفل به
 اليوم قد كلن أهلاً لهذه الزعامة منذ سنين كثيرة ولم تكن الأمة تعرف فيه ذلك على
 شهرته ، لأنها لم تكن تعرف نفسها قدر زعيمها ، ثم ذكرت من صفات سخطها انهاء
 المقام ، وهو في معنى ما تقدم في موضعه من هذا المقال ،

وهنا تلطفت في الإشارة إلى الرد على ما رماه به القمص مرجيوس من العناد
 والتعصب لرأيه ، وقلت ان الذي نهده منه بالاختيار الاستقلال في الرأي واحترام
 الحقيقة والاعتراف بها اذا ظهرت له ، وطالما شهدنا له في دلوه محاورات في مسائل علمية
 واجتهادية كلن ينصف فيها مناظره ومحارريه بكل ارياح ، ويمترف بصحة رأيهم
 اذا ظهر له انه الصواب ، وربما كنا منهم أو معهم في بعض الاحيان
 واستطردت في الخطاب إلى الرد على من ينكرون فائدة هذه الاستقلالات
 والمظاهرات بأنها هي الذريعة الوحيدة إلى جعل عبادة الاستقلال شموراً عاماً شاملاً
 لقلوب جميع أفراد الأمة من جميع طبقاتها في زمن قصير ، ولكي نرى بلطناً لها

ونابتها عليها ، فان هتاف الالف الكثيرة من الرجال والنساء والاطفال في المهام
والشوارع والبيوت للاستقلال التام ولصراحة وازهيمها المطالب باستقلالها وحريتها
والوفد العاهل معه قد علم جميع الاميين من الطبقات الدنيا واشهرهم بما لم يكن يعلمه
ويشعر به الا اهل التعليم العالي والتربية الاجتماعية السياسية
ان وانتقلت من هذا الى بحث قلت انه اشبه بالدرس منه بالخطابة ، وهو ما يجب
على الامة من العمل للمحافظة على دوام وحدتها وتكاملها في سبيل المطالبة باستقلالها
وهو واجب لا يفتى الاستقلال والنهوض باعبائه اذا ناله وأهم ذلك وأعلام ما يسمى المهارة
الاقتصادية وحفظ ثروة الامة ، وليس هذا من موضوع مقالنا هذا فنلخص فيه
ما تقدم في ذلك الخطاب وطالما كررناه في المنار وفي بعض المقالات التي نشرناها في المؤيد
والجريدة ومن أشهر هذه المقالات ما عنوانه (الى أي شيء أت يا مصر أحمج)
وبجملته القول إن مكانة الزعيم الذي يمثل وحدة الامة في اول العهد بتكونها
السياسي ودخولها في ميدان الجهاد القومي للحرية والاستقلال لها شأن عظيم في جهادها
فيجب ان يحرص على تقويتها لئلا ينهدع بناء الوحدة في أشد اوقات الحاجة اليه
ولا يخفى على أهل البصيرة ان تقويم عوج في الزعيم المؤثرق به من السواد الاعظم
اسبر من لبقائه واستبدال غيره به ، وان تأييد الوحدة به على ضعف وهو ج فيه ،
خير من ثوق به ماها بخذله والتفرق عنه

فان استطاع خصوم سعد اسقاطه من مكانته ، باقاع الامة يهدم كفايته فمن
ذال الذي يستطيع اقتابها بكفاية زعيم آخر من بعده ، اذا فرضنا انه يوجد فيها
كثيرون من مثله ومثل كثير في الانام قليل ومن ذا الذي يستطيع في
كل وقت ان يحدث لها احداثا كلاحداث التي مهدت السبيل لزهامة سعد ، كغفلة
رقباء الشحوب وحراسها ، ورعاة الامم وسواسها ، وقطاع طرق الاستقلال والحرية
عليها ، تلك الغفلة التي اوقعت انكسارها فيها سكرة الحرب أولا ونشوة الظفر آخرها
فكلنا من أثر السكرتين في رجالها مصر ما رجعوا فيه من الافلاط الابحائية والسياسية
التي هجمت كلمة الشعب مع حكومته اول مرة في تاريخ الاحتلال . وقد أشرنا في هذا
المقال الى ما كان من فائدة ذلك في تكوين الوحدة المصرية وجمع الكلمة على حدفهم

وزيادة شمسي، وقد تم ذلك وكل في وزارة عدلي التي هي وزارة رشدي حينها في وقت آخر وترتيب آخر، اذا اولاه هذه الوزارة لما امكن الشعب ان يحتفل بهودة سعد الى البلاد تلك الاحتفالات العامة التي لم يسبق لها نظير، ولكن والبقاء قد صدق في هذا المقام قول الشاعر الخاتم في بيا نقصه على ائمة هذا التمام وما تلاه من التمس ائمة، كذا في طور واحد من اطوار حياة هذا الشعب الاجتماعية وفي فصل من فصول تاريخه، فيسوي ان يفتده بهمة تقيه ان يلدغ من حجر سموتين، وخبرة فنجمل بالفوز من قلبه قوسين

جهاد سعد الاخير

١٤١٠ هـ، علم سعد باشا بما كان من التجربة الاخيرة والاختيار ان الامة التي اجتمعت كلمتها على طلب الحرية والاستقلال ورحمته لسانها الناطق، وقلها الخافق ولم يمكنها اعلان رأها واظهار شعورها، الا بموافقة الحكومة الوطنية ليا، وانذنا نهر الحكام في انفس هذا الشعب وما ورثه وترى عليه من الخضوع لم يند التاريخ بتقديم لايزول كله في اول نهضة قومية جديدة، وان وافق اصول شرعها الالمى (وامرهم شورى بينهم) واصول الحقوق المصرية التي بسمونها الديمقراطية الحديثة، والله لم يقدر هذا يقدر، كما ينبغي الا بعد الجهاد الاخيرة، اذ لم يكن يحظر يبال احد ان يهد عنه نفوذ الوزارة الالوف الكثرة، حتى من اولئك الذين اقاموا الوأ كبر الخافل، وانتهى للآدي، وان يشابههم على ذلك أكبر الجرائد، فلماذا وجه كل عناية الى تقوية روح شخصية الامة والفكرة الديمقراطية فيها بحملاته الشديدة على الوزارة العديلة في خبله البليغة، وبلافااته واجتهاداته المختلفة على سلوكها فيما ساء، اغتصاب الثقة من الامة.

فيوم يمثل للامة وزارة عدلي باشا منقطة مع الدولة البريطانية على جعل مواطنها (أي حكمها وسلطتها) على مصر شرعيا بمقد مااهدة على اصول مشروع ملتر الذي رفضه هو الية يلقى فيها لفظ الحماية ويقرر بمناه بصفة شرعية، بعد ان كلن هدوانا تبطله الحقوق الاساسية والقوانين الدولية، وترضى فيها البلاد بضرب من الاستقلال في الإدارة بتعذر تنفيذها لما وضع في سبيله من الوثائق والعقوبات الكأداء، على

أنه هزيمة للالقاء أو الاسترداد ، مادامت قوة الاخلال العسكرية راسخة لاقدام في البلاد ، وثأبك بما أنشأوا فيها من ميادين الطيران الحربية والتجارية ، لجعلها ملتقى جميع قوى الامبراطورية البريطانية .
 وأقول إن من أقوى حجبته له على ان الانكباب يريدون خداع مصر وارضاءها باستقلال صوري - حظا منه دون حفظ سائر مستمراتها المستقلة تنظيمهم لشأن حادثة الاسكندرية التي يمكن حدوث مثلها في كل بلد من البلاد يوجد فيه اجناس مختلفون او احدائه ببذل قليل من المال ، فقد هيجوا جاليات الاجانب والدول الاوروبية ، بها على المصريين وخوفهم منهم هل ارواحهم وأموالهم ، اذا لم تكن الجيوش البريطانية بمدافعها وطياراتها حامية لهم ، واتخذتها برقياتهم وجرائدهم اياها حجة بالغة على ان المصريين غير أهل للاستقلال بالادارة والحكم

حادثة الاسكندرية ، وما ادراك ما حادثة الاسكندرية ، هي الحادثة الزافرة التي هظم شأنها خلافة الاستعمار بكيدهم وهبهم بالامم والدول ، ولعبهم بها كاسبب الصيان بالكرة ، حتى جعلوها من أعظم حوادث الكون التي يقضي الملل بأن تكون القاضية على حرية الامة المصرية بأسرها - وهي ان بعض السوقة والموام مروا في مظاهرة وطاية بعض بيوت الروم (اليونانيين) وكانوا يهتفون لمصطفى باشا كمال بساطنة الوجدان الديني الذي لا يدع هددا من جريدة اسلامية في تونس خالوا من الاشارة بذكره ، والتمظيم لامره ، فأطلق عليهم الرصاص بعض اليونانيين فأصاب بعضهم وجرح ذلك الى تشاجر بين الوطنيين واليونانيين ومن يشبه بهم من الغربيين قتل به أفراد من الفريقين وجرح آخرون والمصابون من الوطنيين أكثر ، وقد استنكر ذلك واظهر الاسف لوقوعه جميع المصريين من جميع البلاد في جميع الجرائد ، وصادر الزعيم الاكبر سعد باشا زغلول وصية للامة بأن تبالغ في مجاملة الاجانب وحسن معاملتهم ولا تمتدي عليهم وان هم اعتدوا عليها

لكن السياسة التي نتحل كل منكر في سبيل نظامها جعلت هذه الحادثة برهاناً قاطعاً على بعض جميع المصريين الذين استنكروها وقبحوها لجميع الاجانب وتصعبهم عليهم ونزولهم بهم الدوائر لفتكوا بهم ، ولو كان المصريون متحسين هل

الاجانب وواقفين لهم ، اظهر أثر ذلك في كل بلد فيه اجانب ليس لهم من القوة
 ههنا ما للاجانب في الاسكندرية التي تكاد تكون بلدا اجنبية ولا سيما في اثناء
 ثورة سنة ١٩١٩. هل الانكليز انفسهم ، والمهجوم على رشاشاتهم ومدافعهم ، وقد
 كانت السلطة في كفاير من البلاد امانة الامة في تلك الاثناء لا للحكومة الوطنية ولا
 للمخيلين — ولو كان المصريون كذلك لما نال اليونان في بلادهم هذه العروة الواسعة
 التي ليس لهم ههنا في بلادهم ولقد كانوا قبل الاحتلال مع جائر الاجانب اعظم
 كبا واقوي نفوذا ، ولو كان المصريون كما ذكر لاممكنهم ان يلغوا من الكتابة
 باليونان بمقاطعة تجارتهم وزراعتهم مالا يلغوه الاعتداء على اشخاصهم

لحق لكل مصري ان يمد سلوك الانكليز في تكبير هذه الحادثة دليلا على
 نيتهم فيهم ، وهم يلمون انه اذا كانت الاستقلال يتوقف في وجوده او بقائه على
 استهانة وقوع مثل هذه الحادثة فلامطمح لان هذا مما يمكن حدوثه واحدا منه في كل آن.
 ومن فرائب ثم ائت هؤلاء البارعين في تصوير الحوادث بغير صورها والاستفادة
 منها في كل زمن بحسبه ان حادثة الاسكندرية كانت في الزمن الذي تروي لنا
 برقيات انكسرة وجرائدها ابناء الارلنديين (السين فين) اخدان المصريين في
 رفض العبودية البريطانية في تدميرهم للسباني التجارية وغيرها واغتيالهم لمن استطاعوا
 اغتياله من السالين لحرثهم ، ولم نسمع ان احدا منهم اخرج بهذه الافعال العظيمة بمثل
 ما احدثوا على المصريين في حادثة تمد بالنسبة اليها ضئيلة ويكثر وقوع. ثلثا في كل امة،
 ولكن هل عرض هذا التهوريل في الحادثة تثير من عقلاء اليونان وغيرهم من فضلاء لاورويين
 وشهدوا حقا بتسامح المصريين واكرامهم للاجانب وحسن معاملتهم لهم ، ولو سكت
 هؤلاء او جروا في اباطيل تيار السياسة الكاذبة لفرسوا في قلوب المصريين وسائر
 الشرقيين من بعض الاورويين وسوا الافتقاد فيهم مالا يمكن ان يتلافى مستقبله
 الاخلال العسكري للبلاد بل لا يزيد الا اشتعالا ، وهل يوجد بشر يحب الانسانية
 يوفد هذا وبراءة

وجهة القول ان جهاد صمد باشا موجه لان لتقوية الامة واهداده الراد ما يتوقع
 من تقيد وقد الحكومة البلاد به يضمها الى الامبراطورية البريطانية بأي اسم من

الاسماء وهي شكل من اشكال الحكم الذاتي بحيث يكون الاتفاق الجديد بين الحكومتين إن نفذت قاهرا من مظاهر القوة لاشبة فيه من الحق وتستمر الامة على جبهاتها له حتى تنال حريتها تامة كاملة باذن الله وقرته التي لا تملوها قوة ورحمة التي لا تضيق حقا الا على من فرط في حقه وترك الجهاد في سبيله فكان هو المضميم له في مخالفة لسنن الله في العمران

لهذا الذي شرحناه كنا نعتجب جدا المعجب من طلب سعد لرئاسة الوفد الرسمي وتولي المفاوضات لاننا نعتقد أنه لا يخفى عليه ان الدولة البريطانية يستحيل ان تسمح بحرية مصر واستقلالها التام مجرد المفاوضات السياسية وتقول في انفسنا لم يريدنا ان نرضى نفسه لا نزل واذا كان لا يرضى بجمل الحاية شهرية باسم آخر ؟ أم يظن ان الاتفاق على تولية امر المفاوضات كان في جمل ذلك الحال السياسي مما كنا واقفا ورأيا اقرضنا بعض الكعاب كأميين بك الرافعي على دخوله في المفاوضات الرسمية كنا محبطين لرأيه اذا كان يحسن رأينا الى ان صار شقة قائلهم الامة لان الزعامة المثلثة لوحة فوق كل شيء في هذا المقام . ولم نجد مخرجا من هذا المعجب والخيرة الا بما جاءتنا به الجرائد الانكليزية من التصريح برفض سعد لمشروع ما تربرمه وعدم الرجاء بمقد اتفاق معه يرضى بريطانيا المظالم من قاطر لنا من ذلك انه كان يخفي في نفسه شيئا وسم احقة هذه دائرة الجدل وبحال الشقاق لان اظهاره يفسد الخطبة التي كان يرى انه لا بد منها وهي في الخطاة — اما حمل الحكومة بقوة وحدة الامة على تقوية نفسها بالرسوم الساطاني الذي طلبه حتى تكون الحكومة والامة كلمة واحدة لا يخشى من يفرق الدهاء الانكليزي لينا لمراده من جعل مركزه في مصر شرعيا — واما جعل الحكومة عاجزة عن عقد اتفاق مع الدولة البريطانية لارضاء الامة ويكون حجة عليها ولو تحقق الشق الاول من خطاه كانت الامة المصرية وحكومتها وطلقاتها كتلة واحدة كاتمة واحدة ، واذ لم يتم فنايبد الوفد الرسمي والوزارة بحبط الشق الثاني — فنصبت مراضتها ، ولم يكن التصريح بذلك لارضاء الوفد المتقين مع هدلي باختر من قبل يمكننا كالحلم مما خبق من التفصيل ، بل لم يكن من الممكن ايضا ان يصرخ سعد للامة وتب هو دونه ان الدولة البريطانية تريد منا كذا وكذا وترى انها لن نجد اليه سبيلا

الاجفة حكومة وطنية تصدع بناء الوحدة التي هي قوتنا في اظهار حقنا امام قواها
الكثيرة التي تعتمد عليها في سلب هذا الحق من لان هذا التصريح ينافي الخطة التي
استبطنها على كونه غير معقول — فان مناه دعوة الحكومة جبراً من أصلها الى
أدائها الى مقارمة الدرلة البريطانية ، وهو تصريح لا يأتي من هاقل

النتيجة

(١٨) هذا ما ظهر لنا من سياسة سعد باشا وخطة بعد التروي والتحصن ، ولعل
هذا قد خفي على الالف من الناس بضروب الجدل والمطاحن ، واكثر من أيد وفد
الوزارة الرسمي انما أيدوه في طاب الاستقلال التام المطلق لمصر والسودان الذي
هو جزء من المملكة المصرية لا يقبل الانفصال وكثير منهم يتقدون أن مطلب
سعد وعدلي واحد وان عدلي اذا لم يوفق الى هذا المطلب فانه يقطع المفاوضات ويعود
بالوفد الرسمي ادراجه خلافا لما يعتقد السديدون كافة . فالاحتمالات في نتيجة سمي
الوفد الرسمي ثلاثة أو أربعة لكل منها عاقبة

الاحتمال الاول — عند الاتفاق مع الحكومة البريطانية على اعترافها باستقلال
مصر مع السودان استقلالاً دواياً تاماً ، مطلقاً من كل قيد ينافيه مع مخالفة بين الدولتين
أساسها مبادلة المنافع كسائر المعاملات الدولية ، فان رفق الوفد لهذا فان الامة تتقاء
بالقبول والثناء وتكرمه بمثل ما كرمت به سعد باشا بل أعظم ويكون ذلك اجاماً
صحيحاً من الامة — وان فرض أن شد سعد باشا عنها في ذلك وغلى صارخا عدلي
باشا فانها تنبذ منظره با ونحكم عليه بأنه يعمل لنفسه لا لها

في ادارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
الاحتمال الثاني — أن يياس عدلي باشا من الاستقلال التام للبين في الاحتمال
الاول او ما يقرب منه فيقطع المفاوضات ويعود بالوفد ادراجه — وعاقبة هذا انه يعود
وحدة الامة الى خبر مما كانت عليه وتتأنف الجهاد السياسي في سبيل حريتها ،
ويتفق سعد وعدلي ورشدي ثانية في ذلك ويكون الرجاء في النجاح ضليماً ، فان
يد الله على الجماعة كما صبح في الحديث ويد الله لا تملىب . وقد رأيت من الحسنين
للظن في هؤلاء الكبراء كاهم من كان يعتقد ان الخلاف بينهم صورته توالحوا

هناك لأجل المصاحبة ، ويتوقع كثير من المعارفين بأخلاق عدلي باشا وطنيته ان
 يعظم الأمة رضى بل يرجعون ذلك على نجاحه فيها
 الاحتمال الثالث - ان يصح رأي سمد ويعقد الوفد الرسمي الاتفاق الذي
 يقيد مصر وينظامها في ملك الامبراطورية البريطانية باسم من الائمةاء المعروفة
 والمعتبرة . وعاقبة هذا ان تتحول قلوب أكثر الذين كانوا يحسنون الظن بعدلي
 أورشدي عظمها ويكبر حزب سمد بل تكون الامة كلها معه الا من لا يذكر من طلاب
 الوظائف والمندفع من الحكومة ولكن لا يعلم أحد الا الله ما يترتب على اصطدام
 قوة الامة وقوة الحكومة المؤبدة بقوة الاحتلال اذا حاولت الوزارة تأييد الاتفاق
 بالقوة ، ولا يخاف أحد يعرف قيمة عدلي ورشدي بأنهما يفعلان ذلك ولكن قد
 يتفلسف في حال الاحتمال الرابع المذبذب بين هذا وبين الاول وهو :
 (الاحتمال الرابع) ان يعقد الاتفاق على اعتراف افكترة باستقلال سياسي
 دولي تام لمصر في داخلها وخارجيتها وحقوق في السودان لا تتبع مصر في الادارة
 وأرناط بالامبراطورية بماقده لا يمرض مصر للخطر في سلم ولا حرب . وأعظم
 الخراب هو انه مصر بأن تجعل قواها ومواصلاتها تحت تصرف الجيش البريطاني وهو ما
 سبق المتكلم جميع الجرائد الى بيانه . فمني مثل هذه الحالة نجد الوزارة من الانصار ما تقاوم
 به السواد الأعظم الذي يقوده سمد باشا ونسأل الله حسن العاقبة واتقاه هذه البلاد
 من كل مخنة انه صبيح محب

السياسة ورجال الدين في مصر

وإنما رجال الاستعمار ما لا يعلم رجال الدين في البلاد المستعمرة بالفعل ، او بالقوة
 من سلطان الدين على الارواح ، وأثيره في الارادة الباعثة على الاعمال ، فهم
 يثرون أدق العناية في كل شعب يظله سلطانهم بازهاق روح دين الشعب الذي
 على غير دينهم ، أو نحو بله من مذهبه اذا كان مخالفا لمذهبهم ويثرون فيه دعاء
 مذهبهم الديني ويؤيدونهم بما لديهم من حول وقوة ، ومن مناهضتهم لدين الشعب
 وأجناد رجاله عن أعمال الحكومة ومناصبها ونحري جمل أصحاب الوظائف الشرعية

الشرع ومنفرا عن الدين، واما رجل زكي ميل للإصلاح يشغلونه بالوظيفة ورائها
ورجاء الترقى فيها عن عمل حر لا ينهل مراقبته فيه وصده عنه - ولا يقبلون مثل
هذا إذا كان لهم مندوحة عنه - واما رجل مشهور بصلاح أو علم ولكنه فقير جبان
حريص على رزقه ، فيستفيدون من شهرته عند الحاجة

كذلك يحولون بين المستمكين بعروة الدين والذيرة عليه وبين الترقى في
مناصب الحكومة إذا انتظموا في سلكها بمقتضى نظام البلاد من حيث يكون أمر
مناهضة التحليم الديني ومراقبة المتدينين من عمال الحكومة ولا سيما أعمال وزارة المعارف
إلى أهل الدين المتعصبين له منهم ، ولا يثقون إلا بمن يظهر لهم عدم البلاهة بدينه
ويؤتيهم فيما يعلم من مقاصد مدينتهم في ذلك

ومن الشواهد على ذلك أن مسر دنلوب الذي جعلوه مسيطرا على وزارة
المعارف في معانم عهد الاحتلال هو قسيس من رجال المذهب البروتستانتي ، وهو
يطعم عالم من الأزهر بأن يكون وزيراً بجانبه ورئيس إدارة أو قلم تحت سيطرته إلا
ومن الشواهد الجلية أيضاً من مجلة المنار من السودان ومصادرة نسخها التي أرسلت
مسجلة واحرقها بالنار وذلك قبل الحرب التي أوجدت في زمنها المراقبة على الضعيف
في كل مكان ، وقد علمنا من الثقات الذين كانوا في السودان أن المنع كان اجابة
لرغبة بعض المبشرين ، وقد شكونا الأمر إلى السرونجت باشا إذ كان الحاكم العام
للسودان فما أشكنا وهو المدود من أوسع الانكباب صدرا وأبغيم هويكنا
وأكرهم مداراة واستمالة للناس

، وأكبر الشواهد عندنا على ذلك ما نقلت من قلم لورد كرومر في كتابه (عباسين
الثاني) وهو هو الواسع الصدر الذي ضمن الحرية الشخصية في طول مدته خمائنا
تماما كان من أكبر أسباب شهرة الانكباب المسنة في الشرق كله ، نقلت من قوله
في هذا الكتاب ما شاف عما كان منبورا عليه من التعصب الديني الذي كان يخفجه
بالرياء الغربي التي يوصف به البريطانيون واظهر للناس ان من أسوأ خباياهم
ظلم كل مسلم تربيته اسلامية وتخلق باخلاق الاسلام بايمانه عن مناصب الحكم
في بلاده وحصر هذه المنصب في انفرادهم بامر بية الأوروبية الذين رعام للورد

فنه في كتابه (مصر الحديثة) بأبجح التعوت ونبزم بشر الاقاب، وهالك نصرته
منه في ذلك

كل الورد في أواخر الفصل الرابع من كتابه هذا بمناسبة الكلام على استقالة
وزارة رياض باشا الأخيرة ما ترجمته : « ان فشل تجربة رياض باشا تقني درسا هو
ان لا تفتد من محاولة قيادة الرأي العام الاسلامي في مصر بواسطة رجل مثل رياض
باشا . هل لآن التجربة كانت في غير محلها فلو انها نجحت لكانت الحالة السياسية
تغيرت تغيرا حسنا الا انها لوه الحفظ فشلت فشلا تاما
« ولو اجربت مرة ثانية تكون نتيجتها فشلا ثانيا فان من الواضح ان المسلم غير
المتخلق بأخلاق الاوروبيين لا يقوى على حكم مصر في هذه الايام لذلك سيكون
المستقبل الوزاري للمصريين المترين تربية اوردية . فهذا قوله في رياض باشا الذي
لم يتول الوزارة في هذا العصر رجل مثله في عدله وحسن ادارته واخلاصه وقد اتى
عليه لورد كرومر في خطبته الشهيرة (بالاديرة الخديوية) وفي احوال اخرى بما لم
يشن على غيره ، ولكن ذنبه هذه انه كان يراعي الشهور الاسلامي ويحافظ على كرامة
كرامة الاسلام

وقد اضرت مجلة المقتطف من تعريض الورد في كتابه هذا بمثل هذا الكلام
— ولم تذكره — بأنه كتب كتابه هذا قهوه ولم يخطر بباله عند كتابته انه سينشر
في مصر وفيها من بلاد الشرق

وهذه السياسة قد لقتها المسيطرون البريطانيون لهوظنين المصريين بالعمل
فصار يهرفها كل أحد ، وكان من تأثير ذلك مالا محل لشرحه هنا ، وانما فرضنا
ان ثبت ان المسلمين حقيقة وهم المؤمنون بمقائد الاسلام المتخلقون بأخلاقه المحافظون
على شعائره وعباداته المرصوصون على مجده وكرامته لم يكن لهم حظ كبير من حكومة
بلادهم ولا سجا اذا نهبوا في الماهد الدينية كالازهر والتزموا زي علماء المسلمين
وخرضي من يان هذه الحقيقة ان اذكر الناقل عنها بأنها اقوى أسباب بند
علماء الازهر في عهد الاحتلال عن الاشتغال بالمصالح العامة وصيانة البلاد ، وكان
الانكليز يظنون انهم آمنوا بهذا من القيام بمررة قومية للمطالبة بحقوقهم من الحكم في

بلادهم بدلا من الاجانب الذين افاتوا عليهم فيها وحلوا محلهم في كل فروع اعمال حكومة بلادهم ومصالحها ، وان من أكبر أسباب كراهة الانكليز لسعد باشا زغلول كونه جاور في الازهر في حدائمه عدة سنين ولكنهم لم يظفروا بطائل من نبره بلقب التعصب الديني على حسب عاداتهم « رميتي بدائما وانلت » لانه قد اشتهر بالتساهل الديني بما لم يشتهر به غيره من الوزراء وكان هو الوزير الذي أدخل نطم الدين المسيحي في مدارس الحكومة في عهد وزارته للمعارف فجاء بعمل لا نظير له في حكومة من حكومات أوربة ففها دعم غيرها ، واقبط يعرفون ظاهره وباطنه ويستقدون انه اذا تم الاستقلال لمصر على يده وكان صاحب النفوذ اللائق به في حكومتها المستقلة فان حطهم منها حينئذ لم ينالوا في عهد الاحتلال

وقد كان الإنكليز آمنين من انقلاب سياسي في البلاد بسعي الفين يترجون على الطريقة الافرنجية ولا سيما الانكليزية لاقتادهم ان هؤلاء لا يهتمون غير احوالهم وشهواتهم الشخصية فبدا لهم ما لم يكونوا يحسبون وجاءت النهضة الحديثة من قبل الشبان الذين نشأوا في المدارس الاوروية الترية سواء كانت بمصر او اوروبة وانتقلت من هؤلاء الى الازهرين وغيرهم من شبان المعاهد الدينية ، فكان هؤلاء الشبان واقبل من الشيوخ تأثير بد كفي نهضة سنة ١٩١٩ ولما سكنت الحركة وكان من الضنط على كثير من رجالها وشبانها في عهد وزارة توفيق باشا نسيم ما كان وضع للازهرين وحائر طلاب المعاهد الدينية نظام خاص حفر على أهلها ان يشتملوا بالسياسة وفرض على المشتغل بها منهم عقاب ليس هذا محل بيانه

ولما تنفس الزمان لمصر في هذا العام وصمحت السياسة بما صمحت به من المظاهرات لوزارة المدلية ثم لسعد باشا زغلول على أمل انفاقه مما في العمل كان لعلماء الازهر ظهور لم يكن لهم من قبل

فقد ظهر في ميدان الوطنية السياسة الشيخ محمد نجيب الذي كان من أقوى أنصار الاحتلال في عهد اعلان الحماية الانكليزية على البلاد وقد ولي منصب افتاء الديار المصرية فخدم السلطة المحتلة به أي خدمة فبرأيه ورأي شيخ الازهر في ذلك المهد حذفوا اسم السلطان العثماني من خطبة الجمعة مع اعتراف البلاد له بمنصب

الخلافة ولم نجد بريطانيا في امبراطوريتها الهندية من رجال الدين كذين الشيوخ
 نتمن بعاهلى حذف اسم الخطبة من الخطبة - وهما الاذان اكرها علماء الازهر
 على اعانة الصليب الاحمر

واقرد المفتي الشيخ نجيت باصدار تلك الفتوى الطويلة العريضة في تبحيح
 البلشنة والتغير منها حسب اقتراح السلطة المحتلة، وقد سبقت جريدة التيسر
 الانكليزية الى اخبار العالم بالفتوى البغيضة وعرضوها قبل صدورها عمدة طويلا.
 ولذلك قامت عليه قيامة الجرائد الوطنية ورد عليها الازهريون وغيرهم
 ولما اشترك الازهريون بالحركة الوطنية عند قيام الوفد بها كان الشيخ نجيت
 حربا لهم حتى قبل انهم حددوه واسقطوه في مظاهراتهم وطمنوا فيه بخطبهم واسمعوه
 ما يكره في نفس الازهر في اثناء نشيم جنازة الاستاذ الشيخ ابراهيم القاياتي
 رحمه الله تعالى

وأما في هذه الكرة فقد اتفق مع الشيخ عبد الحميد البكري شيخ مشايخ الطرق
 الصوفية على الاحتفال بسعد باشا في دار الثاني الواسعة وانضم اليها كثير من
 الشيوخ المدرسين في الازهر فكانوا من أرفع أنصار سعد باشا صوتا
 ولما اشتد الخلاف بين سعد ووفده والوزارة المدلية مال الشيخ نجيت بأعوانه
 من الشيوخ الى تأييد الوزارة مع حفظ خط الرجعة مع سعد أو الصلحة به وسعد يرى
 تأييد الوزارة متعيا القطيعة له وللوفد بل للامة فن أبدها لايتنى له جبل ولا يخط
 يصله به ، فن عد الشيخ خصما وهدم ما بناه في هذه المدة القصيرة من المنزلة
 الوطنية وكثر طعن السمديين فيه من حيث صار المدليون يكبرون مقامه ويلقبونه
 مع أنصاره من الشيوخ بأئمة الدين الذين يجب تقليد في السياسة كما يقلدون في الدين.
 ولكن زعيم هؤلاء الأئمة أو إمامهم لم يلبث ان جنى على نفسه جناية أدبية
 تؤثر في صيت مثله ومقامه ما لا تؤثر الجنايات القانونية، ذلك بأن الشيخ نجيتنا
 افترض نالم الامة المصرية على اختلاف أحزابها من نيز بعض الاقربح لها بلقب
 التعصب الديني من جراء ما سمى حادثة الاسكندرية اذ زعموا ان بعض المصريين
 للجاناب بسبب مخالفتهم لهم في دينهم هو الذي حملهم على الاعتداء عليهم -

اقترص ذلك بنشر مقالة بليغة في فلسفة التعصب اعتقد ان سيكون لها أكبر وقع في قلوب جميع أحزاب الامة وطبقاتها لما فيها من الحقائق المتجلية في أبهى مرض من البلاغة والفضاحة يجمعها بين الجزالة وتلو الأسلوب والسهولة التي تناولها افهام العامة . فهي تشرح معنى التعصب وتبين كنهه وأسبابه ودواعيه وكونه من سنن الاجتماع والهمز ان سواء كان مناطه الجنس والنسب ، أو الامة أو الوطن أو الدين ، وأنه كغيره من الفرائز والملكات الانسانية له حد اعتدال يكون نافعا للامم والشعوب بالتزامه والوقوف عند حده ، وطرفا افراطا وتفر يط يمرض الضرر للامة بتجاوز حد الاعتدال الى أي منها ، فالاعتدال في التعصب أن يكون تماون الجاهة أو الامة الذين يجمعهم رابطة على ما يحفظون به حقوقهم ومصالحهم ويرفعون به شأنهم في العلوم والاعمال التي يرتقي بها البشر وتنافس فيها الامم - من غير تقصير فيما ينبغي لذلك بحول دون الغاية وهو التفریط ولا إسراف يحمل على ظلم الخارج من هذه الرابطة والاعتداء عليه لانه مخالف وهو الافراط

وكل من نجلت له هذه الحقيقة من مرآة الشعب المصري يجزم بأنه لا يزال أقرب الى التفریط فيما ينبغي له من حفظ جامته القومية والوطنية واعلاء شأنها بمعاملة الشعوب العزيزة منه الى الافراط المائل على العدوان على المحتفين وهضم حقوقهم كما يفعله جميع المستعمرين من الافرنج - فنشر المقالة في هذا الوقت كان محلا نافعا من وضع الشيء في محله في الوقت المناسب له

ولكن المقالة ليست من انشاء الشيخ محمد نجيت الناشر لها في الاحرام ولا هو بالذي بقدر على كتابة مثلها في أسلوبها ولا تحرير الحقيقة التي شرحت فيها ، بل هي من مقالات الاستاذ الامام (الشيخ محمد هبده) الشهيرة التي نشرت في جريدة (المعروة الوثقى) التي أنشأها هو واسمها هذه ، ووافق الشرق وحكم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (قدس الله روحهما) في باريس عقب اعتلال الانكليز لمصر لمقاومة الاستتلال ودعوة المسلمين الى الاتحاد ، وكان السيد هو المدير الياسي والاستاذ هو المحرر الاول لها . وقد نشرنا هذه المقالة في المنار من زها ١٠٠٠٠٠٠٠ سنة معزوة الى الاستاذ الالهام ثم نشرتها جريدة المونيد قلا من المنار . ثم نشرناها في الجزء الثاني

من تاريخ الاستاذ الامام الحاوي لاشهر، نشأته من مقالات ومكتوبات . ثم طبعت
أعداد العروة الوثقى بروتها في بيروت ونسخها تباع في مصر، وبلغنا ان بعض الشبان
مخفونها هن ظهر قلب ، ولا غرو فالمقالات الاجنبية في العروة الوثقى من
المحفوظات التي يستعان بها على طبع ملكات الانثاء العالي في النفس ، كما انها من
أفضل ما يوقظ الافكار ، ويبعث فيها روح المظة والاضبار ، ويغيبها لما يساور
هذه الامة من الغوائل والاطار ، مع بيان عللها وأسبابها ، وطرق معالجتها والتفصي
منها ، وقد كان تحمل الشيخ بنجيت لهذه المقالة منها على ما ذكرنا من شهرتها أهرب
ما ينتقد عليه ، ويسدد سهام الاوم والتشريب اليه

نشرت المقالة في الاحرام ، فلم تلبث ان كانت الشغل الشاغل للالسة والاقلام ،
وانبرت الجرائد اليومية لمواخذه الشيخ هل هذه السرقة المفضولة ، وطفقت الجرائد
المزلية تخترع النكت للضحكة المبكية في هجرتة والرزابة عليه ، وقد كان مما قرن به
هذا الانتحال من الخذلان ان الشيخ بنجيتا حرف في المقالة بمض الجمل وغيره وقدم
وأخر ، وكان محمد بك ابو شادي الحامي الشهير أشد من انتقده اذ كتب في
جريدة وادي النيل الشهيرة مقالا تهكميا في جعل مواثقة مانشره اليوم لا نشر بقلم
الاستاذ الامام منذ أربعين سنة ومن باب توارد الخواطر وقد اودعه المقالة بحروفها ،
مع التنبية الى ما حرف الشيخ بنجيت منها ، بهمل الحرف مقابلا للاصل في جدواين
متوازيين ، ونشر محروس افندي عبده أخو الاستاذ الامام لايه المقالة في جريدة
الامة مقرونة بما يقتضيه المقام من الاستغراب والتقد . وقد حدثنا بعض العلماء الثقاة
أن بعض الناس في دمنهور طفق يقرأ المقالة عند وصولها اليه في اليوم الذي نشرتها
فيه جريدة الاحرام فقال له أحد السامعين : على رسلك وألق السمح الي لا تتم لك
قراءة ما شرعت فيه فاني أحفظه وأتم قراءة المقالة من حفظه فلم يكن بينه وبين ما في
الاحرام الا تلك الجملة القليلة التي شوه حسنها التحريف

ولو ان الشيخ بنجيتا نشر هذه المقالة مع مقدمة بين فيها ما أشرفنا اليه آنفا من
كونها أفضل ما يرد به على اتهام المصريين بالتحصب الديني الضار بحمله على ابتداء
المخالف في الدين لانه مخالف وعزاها الى صاحبها أو الى العروة الوثقى اذا كان

ينقل على طبعه تنويه بفضل الاستاذ الامام باسمه - لكان خيرا له وللمصلحة العامة - أما الاول فظاهر وأما الثاني فهو ان لم التام بصاحب المقالة ذي المكانة العالية المعروفة التي يتضاعف ارتفاعها في الانفس عاما بعد عام يزيدهم رغبة في قراءتها وتأملها والانتفاع بها ، ولا شك في ان قراءة التام للمقالة قد زاد بمد ان نشر في الجرائد ما نشر من اكار انتحالها على الشيخ نجيب وعزوها الى الاستاذ الامام ، وقد قلت لاصناذ شهر من أهل العلم والادب زارني في اليوم التالي لليوم الذي نشرت فيه المقالة : هل قرأت المقالة التي نشرتها جريدة الاهرام أمس للشيخ نجيب؟ قال رأيتها وقرأت اصلا من اولها ولم أنمها ، ولم اضيق وقتي في قراءة ما يكتب الشيخ نجيب في التعصب والبحث في تعريفه بمثل ما يبحثون في الازهر بتعريفات الفنون . وقد كان مما حرف من المقالة بيان معنى التعصب لغة وعرفا فقدمه الشيخ عن موضعه فجعله في أول المقالة محرقا ، قلت ان هذه المقالة هي مقالة العروة الوثقى الشهيرة التي تعرفها - وذكريت له تصرف الشيخ فيها فقل اذا أعود فاقراها -

ألا ان فعلة الشيخ نجيب هذه من الغرابة بمكان وان كان أكثر ما يكتب أمثاله ليس الا تقلا لما كتب من قبلهم ، واغرب ما حدثنا به غير واحد من الثقات عنه انه قال ان المقالة له ، وانه كان هو والمرحوم الشيخ احمد أبو خنطوه يكتبان المقالات ويرسلانها الى الشيخ محمد عبده في باريس فنشرها والعروة الوثقى غير معزوة اليها ١١١ وهذا تخلص هرص له في المجلس لم ير له مخرجا صواه ، وقد كرم نفسه ان ينشره في الجرائد ولو نشره لسمع من تعبيده وما يحتف بهذا التنفيذ فوق ما منته توقعه من نشره

وان تعجب أيها القارئ لهذا الجواب ، فاسمع ما هو أجدر منه باسم العجب العجيب ، وهو ان الشيخ نجيبنا قال في بلاء من المنا ان فتواه في الباشنية قد كانت وسيلة الى أمر عظيم وهو تطبيق قواعد الباشية وقوانينها على الشرع الاسلامي ، ذلك ان انور باناسمع على زعيم الباشنية (لينين) الشهير ان يساعده على نشر الباشنية بسبب هذه الفتوى وفتوى أخرى لشيخ الاسلام في الاسنانة مختصرة في معانيها فاضطر (لينين) الى تغيير قواعدها وجمالها ووافقة للشريعة

هل هذا وكان الشيخ بخيت هو الشيخ احمد ابو خطوه هما المحررين لتلك المقالات
 الاصلاحية التي نشرت في بضعة عشر عددا من العروة الوثقى فاهتز لها العالم الاسلامي
 وكادت تحدث فيه انقلابا عظيما على منع بريطانيا العظمى اياها من دخول مصر والهند
 وغيرها من الاقطار الاسلامية وفرضتها غرامة تذكر على من توجد يده سمعت شيخنا
 الشيخ حسينا الجسر يقول: ما كنا نشك في ان العروة الوثقى ستحدث ثورة كبرى
 في العالم الاسلامي اذا طال امرها الخ. وحدثنا الثقة ان الزعيم الكبير السيد سلمان
 الكيلاني نقب الاشراف بعداد في ذلك العهد كان يقول كلما قرأ عددا من العروة
 الوثقى لعله لا يجي المدد التالي له الا والانقلاب المنتظر قد وقع - او ما هذا معناه -
 هذا الروح القومي المؤثر المتجلي في تلك البلاغة العالية كان العالم يزعم ان مصدره
 اتصال كبريائية السيد جمال الدين الافغاني بكبريائية الشيخ محمد عبده نابقي الشرق
 والاسلام في هذا العصر، ذلك اول اتصال الذي تآلق برقه فأضاء طريق الرجاء
 للشرق وكاد يكون صاعقة محرقة لمستعبديه - ولكن الشيخ بخيت يقول اليوم لا افراد
 من الناس ان هذا الروح روحه كان ينفخ فيه وهو في شرح الشباب بما كان له
 ذلك التأثير في العروة الوثقى . ولكن ما باله قد زهق مدة أربعين سنة فلم يظهر له
 أثر في خطبة مؤثرة ، ولا في صحيفة من الصحف المنشورة ؟ وما باله اليوم وقد طفق
 يبدي ما بدا ، لم يحدث من التأثير الا التهمك والاذى ؟ وما باله مقالة الشيخ الثانية ،
 ليس فيها أدنى نسبة من ذلك الروح ، ولا أقل مسحة من جمال ذلك الاسلوب ؟
 نشر الشيخ مقالة ثانية في التمسب انتقم بها من الذين صوبوا اليه سهام الازراء
 والغبظة ، ومن الامة المصرية أو لاسلامية بجمتها أن سكتت لهم ولم يناضلهم عنه
 أحد منها ، افتحها بقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
 ولكم الويل مما تصفون) وجاء بعد ذلك بجملة طويلة من كتاب تهذيب الاخلاق
 لابن مسكويه وكتاب رياضة النفس من احباب الغزالي في صفات النفس وما في
 احدائها من الفضائل ، وما في الخروج عن الاعتدال الى طرفي الافراط وتفريط من
 الرذائل ، وجمال ذلك مقدمة لتبني الاعتدال وجميع ما ينبه من الفضائل عن المسلمين
 وثبات ضد هائل ، ما كرهه من قوله لو ان المسلمين كذا لما فعلوا كذا وكذا من

المعاصي والذائل ولا سيما التباغض والتحاسد وكل ما يفسح ان يوصف به من خاصوا فيه بما خاصوا بما لا ينسج المقال لقله ولا لقلده ، لا ان نقول انه ليس فيه من موضوع التمهيب الا اثبات أفراط المسلمين فيه كغيره من الاخلاق والصفات وهذا تصديق الاجانب الذين رموا المصريين بالافراط والتمصب وزيادة لوظنوا بلملوا الشيخ حجة أوفى على هدم استنفاقهم للاستقلال ، وهو يتقضى أو يناقض الفرض السامي الذي تراهي لنا انه نشر مقالة العروة الوثقى لاجله كما تقدم ١١١

هذا ما كان من أمر الشيخ بحيث في تصديه وتصدي «الطامة السياسية مع رجال الدين وكنا نود لو يوفق في هذا العمل لما يرفع من عسر علماء الأزهر ويثبت لمن راجت عليهم دسائس الاجانب في استحضان عزل رجال الدين عن السياسة وسائر المصالح المدنية أنهم أهل لكل ما ينفع الامة بأفكارهم واقلامهم وأعمالهم لأن هذا ما نراه لهم وسبق لنا القول فيه مرارا ، فلا غمرو اذا ساءنا جعل الشيخ مضمنة في الافواه ، وان كان هو عقبه في سبيل الاسلح الديني المدني الذي نسمى اليه حتى مقاومة البدع كما يعلم من ردنا على ما كتبه في تأييد بدع يوم الجمعة وغير ذلك فالشيخ بحيث لا يصلح للسياسة

وأما قرينه في هذه الحركة الشيخ عبد الحميد البكري فهو يعد من رجال الدين بالوراثة ومشيخة الطرق التي هي وتليفة رسمية لتتاليد معروفة ، وانما كانت تربيته وتعلمه مدينين لا دينيين ازهريين وهو محافظ على فرائض الدين وآدابه وأخلاقه فلما يوجد مثله في الجهم بين العيشة المدنية كالمفترنجين مع هذه المحافظة على الدين باداء الترائض واجتناب المعاصي والذائل ، وهو كما تعلم غير راض عن بدع أهل الطرق وان رضي ان يكون شيخا تقليديا لهم ، ويتمنى لو يستلبيح الى اصلاح حالهم سبيلا ، ثم انه يحب الاسلح الديني المدني الذي ندعو اليه وهو معتدل الفكر في ذلك على كثرة قراءته للكتب الفرنسية في الاجتماع والادب والسياسة ، وقلما تذاكرنا معه في مسألة الاوكنا على اتفاق او اثنينا الى اتفاق ، فهو في مكانة بيته وفي استقامته وآدابه واعتدال أفكاره أهل للزعامة الا أنه يتقمه من شروطها ما قلنا انه يتقمن عدلي باننا فهو يشبه في المبالغة في حفظ كرامته الشخصية والبيئية وفي الاحجام عن كل ما من شأنه ان يثير خصاما أو يعقب ملاما ، وفي عدم تمرد الخطابة والكتابة والمجدل

والمعاجة ، وقد عجبنا من دخوله في هذه المصيبة - خلاف ما يعرف من طباعه على انه تصدى أولا لامر منفق عليه وهو الاحتفال بوكيل الامة ورئيسها قبل ظهور الخلاف فجعل احتفال العلماء به في دهره الواسعة بل قصره الفخم ، ثم جرى الشيخ بخيتا على تأييد الوزارة مع حفظ الصلة او خط الرجعة مع سعد باشا ووفده ، ثم جرى الامير عزيز حسن ورضي ان يعقد في باحة قصره اجتماع عام يرأسه الامير للاحتجاج على تصريح وزير المستعمرات البريطانية المستر تشرشل ولكنه لما علم ان سعد باشا سيخطف في هذا الاجتماع بعد ان صارت خطبه كلها تتضمن الرد على الوزارة وتدعوة الى عدم الثقة بها - ترك الدار للمدعويين من جميع طبقات الامة الممثلين لها وسافر الى الاسكندرية ولم يحضر اجتماعهم . فاذا لم يكن هذا اعتزال منه للسياسة ومشاغباتها بل نزل عازما على الاشتغال بها مع رجال الدين او غيرهم فالذي اراه انه لا يمكن ان يمضي في ذلك وينبت الا ان يكون رئيسا لجماعة من المتعلمين المعتدلين العارفين بحال المصير بشرط ان يسيروا بنظام مدون بحيث لا يصلون عملا الا بقرار مدون ، وأنا من برشحونه لهذه الرياسة ان هو أقدم ، وارجح انه لا يفعل

تبجح البخيتيين وغرورهم بلقب أئمة الدين

اذا اراد رجال الدين الاشتغال بسياسة ائمتهم ومصالحها العامة فأحوج ما يحتاجون اليه من الاستعداد لذلك التوسع في تاريخ الملل والامم المعاصرة وما وقع فيها من الانقلابات الدينية والمدنية وما دعا الشعوب الاوروبية الى الفصل بين الدين والسياسة وازالة سلطان البابوات وتأثير ذلك في البلاد الاسلامية كبلادهم وبلاد الدولة العثمانية التي كانوا تحت سيادتها على تحلي سلطانها بلقب خليفة المسلمين ، ويجب ان تكون أولى القوائد والحقائق المأخوذة من هذا التاريخ ان يعلموا ان شعبهم المصري ، نفسه وسواده الاعظم من المسلمين لا يقبل ان يخضع لشيوخ يزعمون انه يجب اتباعهم والخضوع لهم في اقوالهم وآرائهم في السياسة والمصالح المدنية لانهم من رجال الدين ، وان اتحلوا لا يسمهم ألقاب الأئمة أو جاد عليهم بها في وقت من الاوقات من ينفعهم في مظاهرتة على خصمه

أقول هذا لا يراه اول شرط من شروط نجاحهم الذي اوده وانما هو وقد

على سكرتير الوفد المصري فيما عزاه الى حزب من خطأ لا أرى ما انوحاه من
العائدة في نقد هذا المقال يتوقف على بيان الخلاف بين هؤلاء الشيوخ وبين
الوفد، وهذه العائدة بيان خطأ الكاتب فيما كتب كما خطأ في الباعث على هذه
الكتابة وهو ما علم من التمهيد آنفاً

نشر هذا المقال في جريدة الاخبار بامضاء (عبد ربه مفتاح من علماء
الازهر) وقد وصف فيه الشيوخ الذين خطأهم ناموس الوفد (سكرتيره)
ورماهم بما ينافي الوطنية (كما يفهم من كلام الكاتب) بقوله انهم « أشرف
وأرق طائفة في الامة بل في العالم الاسلامي وانهم قادة الامة وامناؤها على
وحي الله تعالى الذي به السعادة الابدية او شقاؤها السرمدية » (كذا)

ثم قال بمد هذا الوصف : أيها القوم ان لكل مقام مقالا ، وان مقام
التكلم مع رجال الدين وفيهم مثل فضيلة الشيخ نجيت وسماحة السيد البكري
شيخ مشايخ الصوفية وابن أبي بكر الصديق امين هذه الامة (؟) يجب الا
يكون كما تكتبون . رجال الدين في كل زمان ومكان هم أمناء الله على دينه
فضيحة كبيرة وفتنة عظيمة اذا رميناهم بالمروق من الوطنية من أجل انهم
خالقوا في الرأي شخصا مميذا

ثم قال « هبوا العلماء اخطأوا في هذا أليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول
« اتقوا زلة العالم » ويقول « لحوم العلماء مسمومة » فلماذا استمرأتتموها
فأكلتم منها حتى التخمه ؟ اهـ

أقول يا للمعجب من هذا المعجب والغرور والدعوى المريضة والجرأة حتى
رواية الحديث والاستدلال بكل ماجرى على الالسنه منه وان كان شاميا
من أين علم الاستاذ الكاتب ان هؤلاء الشيوخ الذين وقفوا مع الشيخ
نجيت على ما ارتآه في المسألة المعترية هم أشرف وأرق طائفة في الامة بل العالم
الاسلامي وهذا شيء لا يمكن ان يراه الا الله تعالى ، وان أريد به ظاهر ما عليه
الناس من العلوم النافعة والاعمال السالحة ، دون السرائر التي عنيتها الممول في
الواقف ، فهل طاف الاستاذ الكاتب العالم الاسلامي كله واختر جميع علمائه
وصلحاته واحاط علما بدرجات علومهم وكنهه أصهالهم وشرفهم في بلادهم ووسع
شيوخه الذين يرأسهم الشيخ نجيت في كافة ميزان وسائر أولئك العلماء والباحثين
كافة ؟

ثم ما معنى التنويه هنا بنسبة السيد البكري الى الصديق رضي الله تعالى عنه ؟ أيجمل هذا كشيخة الطرق مما يفضل به جميع العالم الاسلامي وهو يعلم كما يعلم كل من يعرف الناس ان في المنسوين الى الصديق والى بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهما من الصحابة البر والفاجر ، وان مشيخة الطريق هي ما يمد على الشيخ عبد الحميد البكري ولا يمد له لانها مشيخة بدع وخرافات أنزل الله بها من سلطان ؟

ايه ! ايها الاستاذ أربع على ظلمك ، وقف عند حدك ، وراقب ربك في هذه الالقاب والنموت التي تكيلها جزافا ، واعلم ان أمانة الله على وحيه رتبة عالية لاتنال بشهادة تؤخذ من الازهر وامثاله ، ولا بكسوة تشرى من الامراء والسلاطين ، أين آثار شيوذك في قيادة الامة التي نحلهم اياها من لدعوة الى كتاب الله وصحة رسوله ومحاربة البدع والخرافات والالحاد والشبهات بها ؟ راجع ما كتبه حجة الاسلام الفزالي في التفرق بين علماء السوء وعلماء الآخرة لتعلم انه ليس كل من علم شيئا من هذه المعلوم الشرعية وآلاتها العريية كما وصفت ، وراجع مراجعة خاصة ما كتبه هو وما كتبه الشمراني في الميزان يحدث « العلماء أمناء الرسل مالم يخالفوا السلطان » الخ

ايه ! ايها الاستاذ من أين علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسفدته ليه ؟ هل رويت هذا بالسند عن الشيخ بخيت وأمثاله الذين فبناتهم على جميع لامة والعالم الاسلامي فأديت الامة التي تلقيتها عنهم ؟ أم تلقيت هذا من فواه الذين يتجرهون على الرسول بغير علم فيسندون اليه كل ما يسمونه من م أو يقرأونه في كتاب ؟ أليس هذا مما صرح الفقهاء والمحدثون بحظره وتعزير تركه ومنعه ، كما بينه ابن حجر في الفتاوى الحديثية ؟

أما حديث « اتقوا زلة العالم » فقد رواه العسكري في الامثال والديلمي بن حديث عمرو بن عوف بزيادة « وانتفروا فيته » وأورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ : اتقوا زلة العالم وانتفروا فيته ، وأبو نعيم في السنن وابن دى في الكامل وراويه الذي انفرد به هو كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد المرعي عن أبيه عن جده (١) قال الحافظ الذهبي : قال ابن مبير ليس (١) الحديث أورده الشيخ الحوت في كتبه رسالة في بيان الضعيف من

ماديت الجامع الصغير

يعني . . وقال الشافعي وأبو داود : ركن من أركان الكذب . وما لم يملف من عبد الله المدني رأيتك وكان كثير الخسومة لم يكن احد من أصحابنا يأخذ عنه . وقال له ابن عمران القاضي : يا كثير ! انت رجل بطال الخ . وقال ابن حبان : له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة . وقال ابن عدي : عامة ما روي لا يتابع عليه . وهو معنى حديث رواه البيهقي من حديث مجاهد عن ابن عمر وفيه « ان أشد ما تخوف على أمي ثلاث زلة عالم وجدل منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم » اهـ من تمييز الطيب من الخبيث وهو في مناه حجة على الاستاذ الكاتب وان كان لا يحتج به كما هو ظاهر

وأما جملة « لحوم العلماء مسمومة » فلا أعلم ان أحدا رواها حديثنا بل وجدت في كلام لابن عساكر فأما ان يأتينا الاستاذ عبد ربه بنقل في روايتها حديثنا وأما ان يكون هو الواضح لهذا الحديث وهو موضوع بلا شك . ونسأل الله تعالى ان يصلح هذه الامة ويلهمها رشدها ويقبها شر الغرور القاتل انه على ذلك قدير .

وكتب هذا في الباخرة كايوبارة بالقرب من سواحل ايطالية

المعتصم بالله آل رضا

قد وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة فلانما سوتيا مماه المعتصم بالله . وكانت ولادته عند معالم الفجر من يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي القعدة الحرام الماضي الشهر في ٢٥ من برج السرطان (ص ١) سنة ١٢٩٩ هجرية شمسية (الموافق ١٨ يوليو (تموز) سنة ١٩٢١ ميلادية) فسأله تعالى أن يحييه حياة طويلة طيبة ويثبت له نباتا صالحا ويجعل له من اسمه أوفر نصيب فيكون قررة عين لوالديه وآله وأمه ، وان يستجيب دعواتنا عند مصابنا بأخيه الهام قبل ولادته بأربعة أصابع فيكون خلفا صالحا لذلك الفرط تقدم (الذي ظهر عليه في طفولته من امارات الذكاء والنجابة والنصاحة . ايند . ظهوره من مثله) فيكون خيرا . . في ذلك كما وعد الصابرين المحسنين ، وان يجملنا على ذلك من الشاكرين آمين

خواطر

الاختاذ الشيخ محمد الخضر

١ - ان كبرت ذكلك فاصبح بملكك ما لم تعلم ، واتسع خيالك فبات يلقي عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك ، فانت ما بين استاذ يحض نصيحته ، وتندم لآمل صحبة ،

٢ - يبسط الشجر ظلّه للمقبل ، ويقف بقناديل الكهر يا على سواه السبيل السبيل ، أفجيرات من البؤس وهو أحر من الالهضاء ، وتوقد سراج حكمة بهدي بعد موتك الى المحجة البيضاء .

٣ - حبت العلم ضلالا فزاديت الى الجهل ، وآخر يزعم التقوى بلها فكان داعية الفجور ، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الارجاس ، لكنا خير أمة أخرجت للناس

٤ - هذه الدنيا كالمعدة الزجاجية في الآلة المصورة ، تضم الرأس ، وطحى القدم ، ترفع القدم الى مكان الرأس ، فزئوا الرجل ، بأثره ، الا يدوسكم من مظاهره .

٥ - يصنع الصائغ الحلي ، وتصنع ما تجمل به النفوس في مخافك العلى ، فان ظلت تنهات على صانع الخواتم والسلاسل ، فاعلم انها ما برحت لاهية عن هذه المحافل .

٦ - سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت برع في فن المجاز فنهكم بمن أصبح عبدا للموى ، وسميت النفاق كياسة فقلت خان الفضيلة في اسمها أوحانة النظر في فهمها .

٧ - كان لسان الدين ابن الحماني جنة أدب تجري ثمنها انهار المعارف فآتت أكلها ضمفين ، ولكن تفتت عليه السياسة بخار سام فقتته ، وشبت نار الحد في اقلوب القاسية فاحرقه .

٨ - سرت والنور أمامك فانطلق ظلامك هل أنرك ، ثم وايتك ففك فكان الظل يسمى وانت على اثره ، وهكذا العقل يستقبل الحقيقة فينجمه الخيال ، فاذا أدرعها نقاب الخيال الى امام ، وقاده في شعاب الباطل يقهر الجلم

الوثائق التاريخية في المسألة العربية

٥

مذكرة الامبر فيصل في مؤتمر الصلح

جاء في عدد جريدة الطان الذي صدر في ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩١٩ تحت عنوان (نشرة اليوم) ما ترجمته (مطامع الحجاز)

من الأسف أن نضطر الى العودة الى البحث عن الحجاز. ان سكرتير الوفد الحجازي قد رد على النشرة التي نشرتها الطان مساء يوم الخميس (أي ٦ الشهر) بكتاب طلب اليها نشره فلا يسنا والحالة هذه الا تلبية طلبه كتب اليها عوني عبد الهادي يقول ان جريدة الطان نسبت الى ملك الحجاز صراحي توسع لم تدر في خلقه البتة. ويرد سكرتير الوفد تكذيبه هذا بالتأكيدات القطعية بقوله « ان الملك حسين لم يفكر قط بجعل مكة عاصمة جميع البلاد العربية التي تعلمت أخيرا من النير التركي فهو يفهم أحسن من أي شخص آخر الاسباب التي لا يمكن للحجاز بسببها أن تعرض للامور السياسية الخاصة بهذه البلاد. فالناقضة والابهام اذن والحالة هذه ليستا في الميل والرغبة في ضم البلاد التي أظهرها ملك الحجاز بل هي بالاحرى في الشدة التي استعملتها بعض الصحف ونسبت بها الى هذا الملك أفكارا ودعاوي لم تخطر على باله

« ان ملك الحجاز لم يملن الحرب على تركيا الا لتخليص اخوانه في الجنسية الذين كانوا يقاسون ظلم الترك من النير الخيف الذي كان يثقل كاهلهم كما يتضح من المنشورات التي أذاعها فيما بعد ، فهي لا يظهر منها انه بانضمامه الى الحلفاء ضد تركيا التي ارتمت في أحضان ألمانيا وحلفائها يرمي الى سياسة التوسع ، بل صرح صرارا عديدة بأنه لا يرغب في ضم شبرأرض من البلاد العربية الى مملكته سواء كان من سورية أو العراق . بل الفكر الذي يرمي اليه هو أن يرى كل هذه البلاد التي صبا الضر الشديد من جراء فظاعة الترك حرة مستقلة ، وهو غير مرتبط بأية وثيقة كانت خصوصية او عمومية مع أية دولة كبرى ، ويرغب في أن تترك الشعوب العربية حرة لتقرر مسيرها طبق مبادئ الدكتور ولسون »

(٥) تابع لما في الجزء الثالث

هذا ما قاله السكرتير حسين (عوني) عبد الهادي على أن فرنسا وحدها تدمر بالرغبة في تأمين الحرية للشعوب العربية خصوصاً منهم سكان سورية التي كانت تحبهم سابقاً في الوقت الذي لم تكن حقوق الامم راجحة فيه بعد. وجريدة الطان نفسها بتوجيهها الانظار الى الحجاز الذي يحاول أن يوسع سلطته على سورية انما أرادت أن تدافع عن حرية العرب السوريين، ثم ان سكرتير الوفد الحجازي يؤكد أن الحجاز لا يروم أن يضم اليه شبر ارض من البلاد العربية لامن سورية ولا من العراق !
وجوابنا على هذا

ان واجبات اللياقة والضيافة لا تسمح لنا أن نجيب على هذه التصريحات بالاهجة التي وضعت فيها ومن حسن الحظ ان مندوبي الحجاز أنفسهم هم أخذوا على أنفسهم الرد عليها فلنترك لهم الكلام بتحليل مستند حرره أنفسهم ان هذا المستند الذي قد يمكننا طبعا نشره على علته اذا أرادوا قد نشر بعنوان (مذكرة من الامير فيصل) الذي هو ابن ملك الحجاز ورئيس المندوبين الحجازيين الموجودين الآن في باريس وقد جعل تاريخها اول يناير سنة ١٩١٩ وقدمها الى الدول المظلمة بمناسبة المؤتمر وهي بيان للمطالب الحجازية أفرغت في قالب من الوسوح والبلاغة يعودان بالمدح والثناء على الذي حررها، واتنايسرة والحق يقال أن نشر للجمهور بياناً واضحاً بدرجة هذا البيان وسيطلع كل شخص ذي ذمة عليه بكل سهولة دون أن يحوجنا الى تفسير كل دقائقه

مذكرة فيصل لمؤتمر الصلح الاول

استهل الامير فيصل مذكرة ببيان الاقسام المختلفة التي يدعوها آسيا العربية فقسما الى ستة اقسام ورتبها الترتيب الآتي (سورية والعراق والجزيرة والحجاز ونجد واليمن) وقال انها تختلف تلاماً كثيراً بعضها عن بعض ويشمدر دمجها في دائرة حكومية واحدة ولذلك حاول أن يبين المصير الذي ينبغي أن يكون لكل واحدة منها

ابتدأ أولاً بسورية فقال ما يأتي (اننا نعتقد أن سورية هذه المقاطعة الصناعية الزراعية التي يقطن فيها عدد كبير من السكان من شعوب ثابتة هي بلاد متقدمة تقدمت كثيراً من الناحية السياسية يمكنها من أن تقوم باعباء أمورها الداخلية دون أن تستأثر بالاستدارة والمسئولة الاخرى فتكون بمثابة

بمينا هذا لغونا القومي ونحن مستعدون لعرف ما يلزم من النقود في مقابل هذه المعاونة ولايسمنا أن نسحي في مقابلها أي جزء كان من الحربة التي أحرزناها قلا بأنفسنا وبقوة سلاحنا (اه)

وعلى ذلك فان سورية بناء على مذكرة الامير فيصل ستمنح استقلالاً ذاتياً بما يتعلق بأمورها الداخلية ويدمج في خدمتها اخصائيون من الاجانب بدون أن يسمح لاية دولة أجنبية أن يكون لها أقل نفوذ في البلاد، فن يارى يقوم باعباء علائق سورية الخارجية؛ الجواب على ذلك أن الظواهر تدل بأن ملك الحجاز يقوم بهذه المهمة وناهيك بما جاء في المذكرة من عبارة (نمونا القومي) وعبارة (الحرية التي أحرزناها بأنفسنا) كأن الحجاز وسورية لا تكونان في نظر العالم سوى دولة وحكومة واحدة.

ثم انتقلت المذكرة من سورية الى العراق والجزيرة يعني الى جزئي مقاطعة بين النهرين وهنا أقرت النيابة الحجازية برنامجاً مخالفاً تمام المخالفة للاول، ثم انها قد طلبت أن تكون الحكومة عربية (بالمبدأ والروح) الا أنها لم ترفض تدخل دولة أجنبية فقد جاء في المذكرة (ان العالم يرغب في سرعة استثمار ما بين النهرين ولذلك نرى أن شكل الحكومة في هذه البلاد لا بد أن يكون مستندا الى الرجال والموارد المادية التي تقدمها دولة أجنبية عظمى) اه. ان في هذا تنازلاً لبريطانيا العظمى التي حفظت لنفسها السهر على ما بين النهرين في الوقت الذي كانت تعترف فيه لفرنسا بحق السهر على سورية

ثم جاء بعد ذلك ذكر المقاطعات الثلاث الواقعة في نفس شبه جزيرة العرب وهي الحجاز واليمن الواقعتين على ساحل البحر الاحمر ونجد التي هي المنطقة الداخلية فلم يسلم الامير فيصل بمذكرة فتحت باب المناقشة في مصير هذه البلاد، وبين بعد ذلك أن الحجاز ستبقى محكومة طبق الطرق المرفية وقال (اننا نقدر هذه الطرق تقديراً يفوق تقديراً أوروبية لها. ولذلك نطلب المحافظة على استقلالنا التام، وأما اليمن ونجد فالأرجح انهما لا تعرضان مسألتهم على مؤتمر الصلح وهما سيتناقشان في مسائلهم بمعضها مع بعض ويقومان بترتيب علائقهما مع الحجاز وغيره)

ان هذه الالهجة ترجع سنة الى الوراها اذ يخيل لسامها انه يسبح المر كولين يتكلم عن مصير كورلندة الروسية

بقيت مقاطعة فلسطين فقد قالت عنها المذكرة الحجازية ان الاكثرية
المطلى من أهالي هذه البلاد عربية وان العرب متفقون مبدئيا اتفاقا تاما
مع اليهود « غير أن العرب لا يسمهم أن يخاطروا وأن يأخذوا على أنفسهم
مسؤولية الاحتفاظ بالتوازن في خليط العناصر والاديان الذي كان على الدوام
في هذه المقاطعة الوحيدة يدفع العالم للسنا كل ، ان العرب يتمنون أن يعطى
مركز ممتاز في هذه المقاطعة لموكل عظيم في الوقت الذي تمنح البلاد فيه حكومة
محلية نيابية تقوم بانماء عمران البلاد من الوجهة المحلية) اه

البرنامج الحجازي يقضي بتمرض دولة عظمى في كل من فلسطين
وماين النهرين وليس هناك حاجة لبيان أن في هذا تنازلا للمصالح الانكليزية .
ان هذه المطابقة لا تبرهن — كما كان قد سرح كاتب أسرار مندوبي الحجاز
— على أن ملك الحجاز غير مرتبط بأي نوع من الوثائق الخصوصية مع أية دولة
وقد اختتم الامير فيصل مذكرته بقوله (اني بتشديد الاشارة الى الفروق
الموجودة في حالة بلادنا الاجتماعية لا أود ان أقول بأن هناك اختلافا حقيقيا
في المرامي والمصالح المادية والمعتقدات أو الاخلاق على وجه يجعل ارتباطنا
متمذرا ، ان أم عقبة يجب علينا تدليلها هو الجهل المحلي الذي تقع معظم مسؤوليته
على عاتق الحكومة التركية) اه فالقصد اذا تشكيل حكومة واحدة ينسبني
اعداد أساسها يجمع شمل كل البلاد العربية التابعة للسلطنة العثمانية القديمة
تحت زهامة ملك الحجاز الموجود في مكة ، ان الانسان اذا أمن النظر في هذه
الطلبات الرسمية تمكن من تقدير تكذيب ما أرسله اليها كاتم أسرار مندوبي
الحجاز حق قدره عند ما كتب اليها (انه لم يدر في خلد ملك الحجاز البتة أن
يجعل مكة عاصمة للبلاد العربية التي تملصت من النير التركي)

وعلى هذا فقد برح الخفاء وظهرت سياسة الحجاز التي كانت مفرغة في قوالب
المبادي الويلسنية كما كانت سياسة الحدود الالمانية في مقاطعة كراينا وبلاد
البلطيق كأنها مشروع لضم البلاد أو من قبيل وضع امبراطورية بدوية مكان
امبراطورية تركية

ان مذهب الوحدة العربية يخدم مطامع فئة قليلة من النعميين العرب
والاوروبيين كما كان مذهب الوحدة الالمانية يخدم مطامع السلطة البروسية
المسكرة فاذا كان هناك رغبة في نشر السلام في الشرق فينبني اجتناب الوقوع

في هذه المطالبات . ان الوحدة المرئية اذا كانت ممكنة التحقيق فانها لا تكون بالفتح والسيطرة ، ولا بالجميات السرية أو المساعدات المالية المستنكرة . بل لا يمكن تأسيها الا أن نجتمع فيما بعد الحكومات التي قد تكون تملت فيما بعد كيفية الحكم الذاتي وتكون أقبلت وأدركت بكل حرية منافها المشتركة . ان كل سياسة أخرى تكون جائرة وهما من شأنها ان تنير في العالم الاسلامي حركات تقضي مصلحة حلفائنا البريطانيين العظمى ان يجتنبوها ، اه كلام الطان التي توغلت في الاستنباط لما لقومها من الطمع في استعمار سورية ، واندمت هي وغيرها من الجرائد الفرنسية تحذر الانكليز من تأسيس جامعة عربية تمتد الى افريقية وتميد سلطان الاسلام الذي تتبجح هذه الجرائد بأن الحلفاء تركوه كالظير المقصوص الجناح من مملكة مراکش الى مملكة الاستانة !! وكانت في غنى عن تحذير الانكليز فهم أحذر من الفرنسيين وأدهى وانما يريدون السيطرة على جميع بلاد العرب ليحولوا دون تأسيس الجامعة العربية والفرنسيين يخافون عاقبة ذلك أكثر مما يخافون من ارتقاء عرب آسية ومصر ان يسري الى سائر عرب افريقية . فن حماة هذه الجرائد انها تنفر العرب من أمتها من غير فائدة تجنيها من ذلك فالانكليز يسفرون من نصائحها ويعلمون ولا يقولون

(٦)

﴿ استسلام الحجاز لبريطانية العظمى ﴾

جاء في آخر مقالة افتتاحية من عدد ٢٤٠ من جريدة القبلة الذي صدر بمكة في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٣٧ ما نصه
 « وها مقلتنا الاغر ينقل لنا في عدد ٩٠٣٨ الصادر بتاريخ ٢٦ صفر ١٣٣٧ من تصريحات أم صحف العالم ولسان حال الشعب البريطاني الذي أثبت فضله على العالم ومنته على مجتمعه ولا حرج بمواقفه وثباته واقتداره السياسي والحربي والمالي امام أهوال سنيننا هذه الاربع من حسن نواياها وآمالها وما تربده ثقة واعتمادا على معاشر العرب بقولها من بحث : سياستنا القديمة التي كانت ترمي الى اسيد تركية وعند أررها على اعدائها وأخذنا نحاول البحث عن بديل حريجول تحمل السانسة الممانية البالية الفاسدة ، ومن هؤلاء الابدال الذين يحلون محل تركيا العرب أما صوامم فلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة

« نرحب ونوهل ونسهل عن أنزلنا محل نقته، وتوسمنا بالاهلية لمصادفته، ولا ريب فان على مثل هذا يتنافس المتنافسون، ولبلثه فليعمل الماملون الف الف أهلا وترحيبة وأضماهاشكرا المحسن الظن، وانا لا نجيبه بما قال أحد أشياخ جاهليتنا: أهمني صغير وحماني كبير، ولكن تقول اذ العرب اليوم هم كالأشبال أو أفراخ الشياهير والبازي المحتاجة لصيانة آبائها.

« ومع هذا فستجدم أبها الداهي المحسن الظن ان شاء الله تعالى من حيث تريد، وتراهم ببنائته بيت القصيد. فاليكم بني يرب ما أو تبتوه من طموح الإنظار اليكم، وآمال أجل شموب العالم فيكم، فانظروا ماذا تأصرون بهد ما وصفكم ذلك الشب بما وصف، فأجيبوا داعي المكرمات، وحققوا في نجاتكم التصورات، وكونوا خيرامة أحييت مندرس ممالم مؤدد أسلافها للناس، ولا تم أرفم واسرى من أن تذكره فكبات التخاذل وموارد الانعاس، أو تسيثوا بقولنا الظن وعكس القصد. وأيم الله انه الحق، ونكرر ما أشرنا اليه في أعدادنا السابقة بانامناشر الحجازيين ولاشي من الرياسة أو السيادة ان كانت في بصوري أو في بني أو في حجازي ونجوه، ولا يهناوزب الكعبة الا تولىكم لبلادكم كتولي الشموب المحررة لبلادها. وان داء الشامي هو داء اليماني وان في شقاء الآخر شقاء للاول. وان ما يصيب أحدهما يصيب الآخر من خيرا أو عكسه. ومتى تقطنهم في ان أبسط دليل على هذا قيام الحجازيين ونهضتهم وهم ولاشي مما اصاب اخوتهم من الضيم الذي سارت بأنواعه الركب ان علمت أنهم ادركوا تلك الغاية الجليلة واغتموا تلك الفرصة لتحليلهم بجلائلها، وان بمنهم بدعة الميش التي هم بها من مسم من أنين المضطهدين من اخوانهم عار عظيم لا يفله الا دماهم وكان بفضل ما كان فلا تمقمو النتيجة ولا نهروا تلك الدماء الزكية والنفوس الالية « اه كلام القبله بنصه القيم

(٧)

﴿ كلام التيمس في اتفاق سنتي ١٩١٦ و ١٩١٧ ومذكرة فيصل ﴾
 جاء في عدد التيمس الاسبوعية الصادر في ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ من ضمن
 مقالة عنوانها (الوفود والصحافة — تحفظ شديد) ما ترجمته

اتفاقية سنة ١٩١٧

وهنا تظهر أيضا الاتفاقية السرية التي عقدت في أواخر فبراير سنة ١٩١٧ ممينة مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية وروسية في آسيا التركية: ان هذه الاتفاقية

اعترفت باحداث دولة عربية مستقلة أو بحلف من دول عربية وبعد تعيين منطقة نفوذ روسية اعترف بأن تأخذ فرنسا الساحل السوري وولاية اطنه والاقليم الذي حده من الجنوب خط هنتاب — ماردين حتى الحدود الروسية المستقبلية، ومن الشمال خط يمتد من الأداغ الى قيصرية — اق داغ الى يلدز داغ فزاره طاجين فخر بوط، وأن يكون لبريطانية الجزء الجنوبي من العراق مع بغداد وفي سورية نفرا حيفا وهكا

و بحسب الاتفاق بين فرنسا وبريطانية العظمى تكون بين المقاطعة التي بين الاقليمين الفرنسي والبريطاني دولة عربية مستقلة تعين فيها مناطق نفوذ وتكون الاسكندرونة ميناء حرة

أما الفرنسيون فيذهبون الى أن حقوقهم على سورية لا تستوفي ما لم تمنبر سورية كتلة واحدة وان هذه الحقوق ليست — كما أشير اليها بمزاج — مبنية على شهرة البعثة السورية التي بقي صداها يرن في الآذان الفرنسية بأعلى النغمة المنطى « مسافر الى سورية » ليست مبنية على هذا فقط بل للفرنسي أساس أمتن من ذلك ناشئ عن الموقف الخاص الذي اتحلته فرنسا الجمهورية عدوة الاكليس بقولها انها حامية للمصالح الكاثوليكية في الشرق . وقد كانت فرنسا دائما تحمد نفسها على موقفها في سورية ، وكانت على حملاتها على الاكليس تسمى لحفظ النفوذ الادبي الذي لها في تلك الاصقاع بما احدثته من الملاجني الدينية والخيرية والتهذيبية ، وهناك عدد من الاسباب الاقتصادية الثابتة أيضا تهتم به فرنسا بالطبع ، وعامة التجارة السورية تكاد تكون في الايدي الفرنسية . وان رأس المال الفرنسي هو الذي بدأ بتجهيز تلك البلاد بالحكك الحديدية والطرقات — سورية بالنسبة الى ليون ومرسيلية هي اشبه شي بنسبة افريقية الغربية الى ليفربول

مطالب الامير فيصل في المؤتمر

« وفي الحقيقة ليس في مطالب فيصل ما يعارض مطالب الفرنسيين في سورية مباشرة — فيصل يرغب في الاستقلال التام للمجاز وحده فقط ، وأما سائر الشعوب العربية فانه يرغب لها في الاستقلال عن تركيا — وهو لاجل الحصول على هذه الغاية سل سيفه من غير ان يحصل على اي وعد من الخلفاء فانه لم تعط له وهوذ الا بعد ان أخذ في النضاح

« وقد اشار بأن تقسم البلاد العربية الى سلسلة حكومات صغيرة مجتمعة بحسب المصالح الاقتصادية والمشرية (نسبة الى المشرق) وان تقدير هذه الحكومات دولة من الدول الممظمة ، وكل دولة من هذه الدول الصغيرة تختار بحريتها الدولة الممظمة التي تقتضي حالتها ان تكون لها الوصاية على تلك البلاد »
 « ويرغب فيحصل بأن تطلب كل البلاد العربية دولة واحدة للوصاية عليها ، وكذلك يرغب اشد الرغبة بان لا يرغم أي جماعة من العرب على وصاية لا يرضون بها »
 « ولنفرض ان هذه الخطة طبقت فن الطبيعي ان تستثنى فلسطين ولبنان بالنظر الى المصالح القومية الخاصة ، وان نجاح هذه الفكرة وتطبيقها يتوقفان ولاشك على كيفية تحديد الدول العربية المتنوعة » اه كلام التيمس التي تبسج جريدة القبلة باطرائها

(٨)

الغرض من مجيء المستر تشرشل الى مصر وفلسطين

ومقابلته لوفد العراق

كان لاصحاب الازمات سبع طویل في الغرض من هذه الرحلة لوزير المستعمرات البريطانية حتى جاء البيان لذلك فيما نشره القلم في العدد الذي صدر منه في ١٩ مارس سنة ١٩٢١ تحت عنوان (مهمة المستر تشرشل) وهذا نصه :
 رد المستر لويد جورج على سؤال وجه اليه في مجلس النواب عن مهمة المستر تشرشل في مصر فقال « ان المستر تشرشل صافر الى مصر ومعه ستة اوسبعة من موظفي مصلحة الشرق الاوسط ومن القسم المالي في وزارة الحربية ومن وزارة الطيران . وانه لا ينتظر ان يجتمع بأحد من زعماء العرب وبتوقع ان يقضي نحو عشرة ايام في مصر وبضعة ايام في فلسطين ثم يعود الى لندن فبمعرض اقتراحاته على الوزارة . وقال سيادة الحكومة متعرض على المجلس

وارسل المستر تشرشل كتاباً الى السير جورج رنشي رئيس جمعية الاحرار في لندن يقول فيه انه لا يبتغي ان يستمر في اتفاق الاموال الطائلة على العراق العربي بل يجب انقاص النام من القوات هناك انقاصاً كبيراً جداً في الحال ومع ذلك

تتقي فتقات مختلف من عشرة ملايين الى احد عشر مليون جنيه في العام وهو أكثر كثيراً مما يحق لنا اتفاقه في تلك الجهة ولا سيما اذا ذكرنا عظم خصب املاكنا في غرب افريقية وشرقها والقرص السانحة لنا فيها ترقيتها لخير الامبراطورية بالنسبة الى الشرق الاوسط فاذا لم نوفق الى ايجاد مشروع أحسن وأرخص كثيراً من المشروعات التي اماننا الآن اضطررنا الى الجلاء عن العراق العربي ولكن الفبرد والحزبي اللذين يلحقان بنا من جراء هذا العمل يجب ان لا يقال شأنهما ولا يصغر أمرهما . فقد قبلنا الوصاية على تلك البلاد وتهدنا ان ندخل فيها انظمة من الحكم تنوق الانظمة التي قرضنا اركانها وتفضاها كثيراً فاذا نكصنا بعد هذا على اعتابنا وارتنادنا بالمار الى الساحل كان ذلك حادث لا يتفق مع نبالة القصد وحسن السعة اللتين هرفتا عن بريطانيا العظمى ، واني أومل انه اذا انشأنا حكومة يهرية تؤيدها قوة عسكرية متوسطة نمكنا من القيام بما يجب علينا من غير ان نوقر هائق الحزينة البريطانية بتفقات لا مسوغ لها . على ان اقدمنا على انشاء حكومة عربية في بغداد فنجح علينا يا بآلم نر مناصاً من رلوجه وهو مما لجة المسألة العربية كما امن حيث علاقتها بالمصالح البريطانية . فاذا لم تدبر الشؤون العربية بطريقة تضمن استتباب السلام والسكينة بين قبائل العرب في هذه الوهلة حال ذلك دون سحب عدد كبير من جنودنا من العراق العربي واقاص نقتاننا وعاقها كثيراً

وتشرت التيمن تلفرافاً لمكانها من مرسلها قال فيه ان المستر تشرشل قول لن ينجر منها قال : من أكبر افراض وحلي ايجاد التظام بين انكلترا وفرنسا في الشرق وهو نظام عظيم الاهمية لافريقين وسأدرس الحالة في العراق وآسيا الصغرى فانه يمين علينا ان نعيد السلام والنظام الى نصابها في تلك الجهات مما بلغت كلفتها ونقص المصروفات الطائلة التي تنفها بريطانيا وفرنسا فيها ولا ينال هذا الفرض المزدوج الا اذا نظمت الدولتان ماعيا ونفقتاهما واتي ذاهب الى مصر ومهمم على ابدك هذا الفرض — انتهى

[المنازح] اوين لنا الوليو بصراحتة التي يقل مثاها في رجال قومه ان اضطرارهم الى ادارة أمور العراق بالة حكومة وطنية لتخفيف النفقات أن يستعملوا بوضع

الارهاق البريطانية في اهناق نائر البلاد العربية في الجزيرة المقدسة ، ولهذا عادوا
 بالهتف على اوليائهم من شرفاء مكة ويقال ان من اغراضهم التي يسمي لها الملك
 حسين والامير اولئك فيصل ان يمتد اتفاق بين امراء اليمن ويوجد بمجمل فيها
 ملك الحجاز بمثلهم في السياسة الخارجية ليكون كل ما تنفق عليهمه انكثارة نفذا
 عليهم . على ان الانكليز يريدون اولئك الامراء باتفاقات معهم خاصة تضمن لكل
 منهم استقلاله الاداري الداخلي في بلاده وتساعد عليها باعانة مالية سنوية بشروط
 أهمها ان لا يمتد أي اتفاق مع دولة أخرى وان تكون انكثارة صاحبة الحق الاول
 في جميع المنافع الاقتصادية في بلاده .

(٩)

آراء الامير فيصل في المسألة العربية والانتداب البريطاني

تلغراف خصومي للمقطم

لندن في ١١ فبراير الساعة ١٠ : ٧ ليلا

اتبع لي ان احادث الامير فيصلا بلندن في المسألة العربية وارسلت اليكم
 بهذا التلغراف خلاصة اقواله لي وهي : -

« انني متفق تمام الاتفاق مع الفئمة البريطانية الآخذة في الازدياد والقائلة
 بأنه حان لبريطانيا ان تكف عن بذل ارواح جنودها وبدر أموالها في العراق ،
 أما غرضي من رحلتي الى أوروبا فهو اقناع الحلفاء بأن الزمان آن لتنفيذ الشروط
 التي خصنا الحرب عليها . وليس عنالك أقل رغبة عندنا في الاضرار بالمصالح
 البريطانية ولا التنصل مما قضى به الاتفاق علينا فاننا على عكس ذلك نعتقد ان
 مخالفتنا مع بريطانيا المنظمي دائمة ونرجو ان نظل كذلك وعندنا ان بقاءها هو
 في مصلحة الفريقين »

« أما البلاد التي يشعلها الاتفاق فقد حددت تخومها تحديداً صريحاً جلياً
 فليس تمت مجال للخطأ والالتباس ونحن مستعدون لتأليف حكومة تستطيع
 ان تدير شؤون تلك البلاد على قواعد ترضي جميع الذين لهم شأن او مصلحة فيها »
 « لقد أرسل الرئيس ولجنة الى سورية للوقوف على آراء أهلها ورغبتهم
 في شكل الحكم الذي يرومونه ولكن تقرير هذه اللجنة لم ينشر قط فإذ إنهم نشره »

« ان البطة في انشاء حكومة تتوفر فيها أسباب الكفاءة آل طيما إلى هياج
الطواغر ولكن انتقاص العرب الاخير لا يدل على رغبتهم في قطع علاقاتهم
بريطانيا وانما وقع لأن بريطانيا سارت عامين على غير هدى فوقع الالتباس
ونشأ الخلاف وسوء التفاهم وخاف العرب ان تستمر حكومة الهند بلا دم »
« ان الذي يرويه العرب هو حكومة عربية تستمد النضاح والمساعدة
البريطانية ومع اننا نمارض في ان نكون مسودين فلا نصر على الجلاء التام
ولكننا نقول ان مصاريف كل حامية او ادارة ملكية من جانب بريطانيا
يجب ان تدفع من أموالنا، ولم يختلف اثنان على هذا. أما الحكومة العربية
التي يتوى الفاؤها فتضمن جميع المصالح السياسية والاقتصادية التي هي
لبريطانيا العظمى. وكل فرض تحتاج اليه الحكومة العربية يكون مكفولا
بمراقب البلاد الطبيعية الفنية. نعم ان البلاد اليوم اصبحت شيء بالقفار ولكن
لظهور الزراعيين يجمعون على انها اخصب تربة في العالم اذا عني بفلاحتها وريها
وزرعها. وهذا علاوة على ما فيها من الكنوز المعدنية فانها عظيمة جدا وفيها
بجبال منقش للارتقاء والنمو ولا سيما منابع الزيت الكثيرة في انحاءها »
« ان البلاد تفتقر الى الاموال التي تنقلها من وهددة الفوضى والدمار التي
ألقاها فيها سوء حكم النزاة الترك ولكن هذه الاموال لا تضيع سدى بل تنقل
وتستثمر برمج كبير »

« واذا فتح مجال العمل امام الحكومة العربية بالانصاف والمطف فانها
توفر على الخلفاء بذل الرجال والمال في المستقبل علاوة على الذي بذلوه من
الاثنين حتى الآن »

(١٠)

حكومة شرق الأردن بين السر هرت وروثيل والامير عبدالله
عمان في ١٨ ابريل - وصل المندوب السامي الى عمان أمس مصحوبا
بالكولونيل لورنس والمستر ديدز واللورد ادوارد هاي لجرى السر هرت وروثيل
استقبال ودي واحفى به الامير عبدالله الذي كان مصحوبا بالمستر ايرسون الممثل
الاكبر لبريطانيا العظمى في جهة وادي الاردن وقد عين فيها حديثا وقد قدمت
اربع طائرات من فلسطين ونزالت بجوار المسكر في ميدان الطيران الالمانى السابق.

واجتمع اليوم صباحاً عدد كبير من قران البدو والدرروز والمناولة وقاموا بيمض الامام
على ظهور خيولهم - روتر
عشان في ١٨ ابريل - التي السير هربرت صموئيل امام سرادق الامير
عبدالله الخطاب التالي على الوف من رجال قبائل العرب وهو :
اصعدني الحفظ بأن قايلت في دار الحكومة بالقديس صاحب السمو الامير
عبدالله لما زار فلسطين هو والمستر تشرشل احد أعضاء الوزارة البريطانية .
والحكومة البريطانية تسربفرصة التعاون مع الامير عبدالله في البلقاء (ماوراء
نهر الاردن) وتتق بصداقته وجسن نيته كل الثقة وتقدر الصداقة وحسن
الثقة اللتين امتحنتنا في هذه الحرب الضروس الطويلة حق فبهرمان وتدرك
لخدمات التي قامت بها الجيوش العربية في ذلك النضال وتقدرها حقها وترغب
في ان التحالف الذي نشأ في اثناء الحرب توثق عمارة في أيام السلم
كان الموظفون البريطانيون يساعدون في ادارة البلقاء (ماوراء الاردن)
منذ شهر أغسطس الماضي وسيظلون يعملون كاستشارين للامير وموظفيه من
قبلي في انحاء البلاد المختلفة . وسيجد سموه في المستر ارامسون كبير المندوبين
البريطانيين موظفاً ذا مقدرة وخبرة عظيمة وهو وجميع الموظفين المشتركين
بمعه في طول هذه البقعة وعرضها رجال يمطفون على القصب ويعملون الى آداب
اللغة العربية وسيتمكنون من المساعدة على زيادة رفية البلاد . وسيفرغ
قصارى الجهد لتدبير كلما تحتاجون اليه من المروض وفتح اسواق فلسطين
للمصالحات بلادكم وتسهيل نقلها اليها . وسينظر بعين العناية في حاجة أهل البلاد
التي نحن فيها على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من سكان المدن أو الفلاحين أو
قبائل العرب جبا في زيادة هوائهم وبحسب حاجاتهم المتعددة ولادراك ذلك
يجب ان تكون المحافظة على النظام والامن العام في المقام الاول من الاهمية .
ويؤمل ان يحتفظ بقوة احتياطية تكون أكثر كفاءة وأشد حولا مما كانت
الحال قبلا وتستخدم مع الجندرمة في توطيد سلطة الامير عبدالله والحكومة
المحلية ويسرنا ان نلبي رغبات الامير عبدالله فتقدم عند الضرورة طيارات
وستواها من الممونة الفنية لاغراض محلية وستؤول هذه التدابير الى استتباب
النكينة في المقاطعات وتمكن أيضاً من اتخاذ التدابير لكبح جماح كل من
يعكر صفو الامن في الاراضي المجاورة غمرباً وبمبالاة

والحكومة البريطانية مصممة على ان لاتصير البلقاء (ما وراء الاردن) مركزاً للعداء سواء كان لفلسطين او لسورية ونحن نعلم اننا في اخراجنا هذا للتصميم الى حيز الفعل لستطيع الاعتماد على معونة الامير عبد الله . ومن واثق الارتياح الشديد للحكومة جلالة الملك ان نجد نفسها متحالفة بحالفة معينة مع ممثلي الشعب العربي في جميع البلدان العربية . ومن البراهين الاخرى على ضمان هذا التحالف ودوام مودته سياستنا في البلقاء (ما وراء الاردن) ووجودي بينكم اليوم ممثلاً لجلالة الملك لويد جورج . واني ارجو ان يتخذ من التدابير منذ الآن ما يرفع هذه البلاد الى مستوى من اليسر والرخاء لا يقل منه في البلدان المجاورة او مما كان عليه في الازمان الفارة

انها فاجاب الامير عبد الله بما يأتي : - اشكر سعادتكم على خطابك الرفيق واقول بالاصالة من نفسي وبالنيابة عن الحاضرين اني واثق بأن الامة العربية ستبرهن على انها خليقة بتحقيق كل ما وضم فيها من الآمال بمساعدة حليفتنا العظيمة . واني اطلب من الله ان يحفظ الملك جورج والملك حسين ويطيل سعادتهما . وقد قوبل الخطابان بالحماسة ثم عرض المندوب السامي الحرس من الفرسان الهنود وقدم اليه مشايخ القبائل وشاهد الامير عبد الله والسر هيرت صموئيل في المسائل ضرورياً من فروسية الجركس واقتلاع الفرسان الهنود للاوتاد - روتر

انكلترا والعراق

جاء في تلغراف خصوصي للمقطم من لندن في ٢٨ فبراير: ان الحكومة البريطانية ابلغت انه اذا عرضت رئاسة الحكومة في ولايات العراق الثلاث على الامير فيصل فانه يرتاح الى المساعدة والمشورة المنصوص عليهما بباب الانتداب في عهد حمية الامم وليس ذلك فقط بل يرى نفسه انه لا يستطيع القيام بمهام هذا المنصب من غير معونة وهذه المعونة تكون عبارة عن خدمة عدد معين من الضباط العسكريين والضباط السياسيين وبعض الخبراء الفنيين للمعاونة في تنظيم قوات العسكرية المحلية والشاهد واثر الحكومة الملكية وترقية الصناعات والانمال

خلاصة من مجلة السترنبريل التي افادها عن امور الشرق الادنى في مجلس النواب يوم ١٤ يونيو عند عرضة ميزانية الشرق الادنى عن مدى النظم الاورغين ١٧ و٢٣ يونيو - ١٩٢١

قال الوزير: ان المؤتمر الذي عقده في القاهرة مع خبيرين من العراق وفلسطين

فرر وجوب التمجيل في انقاص الجنود في المراى من ٢٣ أورطة الى ٢٢ على ان يصير الانقاص ١٢ أورطة في اكتوبر فوفروا بذلك نحو ٥ ملايين جنيه، وان ميزانية الجيش في المراى وفلسطين لهذا العام ٢٧ مليون جنيه واذا لم تحت تدابير الحكومة فانها لا تتجاوز في السنة القادمة ١٥ ملايين

وقال ان ميل الحكومة البريطانية الى حل مسائل الشرق بواسطة آل الشريف في المراى وشرق الاردن يجب ان يرقب تأثيره في سواهم . وتكلم عن ابن سمود وقومه ووصفهما لسامية ، ثم قال ان الحكومة البريطانية . قررت ان توصل دفع الاعانة لابن سمود (وهي تبلغ ٨٠ الف جنيه) وان الملك حسين اعرب عن استمداه لمفاوضة الامير ابن سمود

ثم أعلن عزم الحكومة على انشاء دولة عربية في العراق يختار ملكها ، وقال ان الامر فيصلا غادر مكة الى بغداد فاذا وقع الاختيار عليه فانكلترا تؤيده وتقدازره وتسمى للتوفيق بين العرب والاسرائيليين في فلسطين وتسهل على منع رجال الاحزاب الذين هاجروا الى شرقي الاردن من دخول سورية وقال الوزير : وليس في تعاوننا مع آل الشريف معارضة لمصالح فرنسية واننى على الامير عبد الله ثناء طيباً وقال انهم عهدوا اليه باعادة النظام وتمهد بمنع الاعتداء على الفرنسيين ثم قال : اننا لا نريد اكراه المراى على قبول ما لا يختاره اهد ، وعمى المراقبون ان يحسنوا الاختيار بحرية وحكمة بارشاد السربريس كوكس — قال — وهناك سياستان في معاملة الجنس العربي احدها ابقاء العرب منقسمين وانشاء ادارة من اعيانهم تمتد على الغيرة والتنافر والثانية انشاء دولة عربية حول بغداد الخ . قال وهذه هي السياسة التي تصلح دون سواها وتكلم عن جعفر باشا العسكري في حرب طرابلس والدردييل وانه انتم عليه بوسام القديسين ميخائيل وجورج وقال ان نفقات الجيش العربي تسدد من ايرادات المراى قال : واذا نجح تدبيرنا فالدولة العربية وحاكمها العربي تكون قائمة في بغداد قبل انقضاء السنة المالية

بلاغ المندوب السامى البريطانى في بغداد

من جريدة دجلة عدد ١١ المؤرخ ٣٠ شوال - سنة ١٣٢٩ (٦) - نوز - سنة ١٩٢١

لا شك في انه غير خاف على العموم انه في يوم ١٦ يونيو (الموافق ٩ شوال)

اتى الى بغداد بيان خطاب الفاه جناب المستر آشرف في مجلس العموم البريطاني يوم ١٤ يوليو الموافق (٧ شوال) وقد شرح فيه وزير الدولة لسامية الحالة السياسية في بلدان الشرق الادنى ثم أعطى بياناً شافياً عن سياسة حكومة جلالة الملك فيما يتعلق بهذه البلدان ان ما ورد في ذلك الخطاب بشأن العراق قد صار نشره في الحال باذن مني بصفة كوني المندوب السامي في الجرائد الانكليزية والمريية في بغداد والبصرة وقد ظهر ان ما نشر قد آى بيان واضح عن سياسة الحكومة البريطانية . على انه بعد نشر ذلك البلاغ قد عرض علي تكراراً بأن العموم يرفض جداً بتصريح مني بصفة كوني المندوب السامي ورئيس الحكومة العراقية المؤقتة أشرح فيه النقاط المهمة كما وردت في الخطاب المذكور فبناءً على ذلك رأيت ان من الواجب علي أن أقوم بذلك فأقول :

(١) مما يذكر انه بعد بداية الحرب العظمى قطعت اليهود مراراً لاهالي العراق وبلدات ملك الحجاز بأنه لن يسمح بوجه من الوجوه أن تعود العراق أو أي مقاطعة من المقاطعات المخررة الى السلطة التي كانت تابعة لها عند نشوب الحرب وان الحكومة البريطانية تقصد المحافظة على هذه العمود بحزم وثبات وتشترتها تكون مقصرة في القيام بواجباتها بموجب هذه العمود فيما لو أهملت تقديم المساعدة للعراق في هذا الدور الابتدائي من حياته وانها تتركه باهمال كذا فريسة للاضطراب وهدم النظام . وفي ذات الوقت ان بريطانيا العظمى غير مستعدة للاستمرار على حمل العبء المالي الثقيل والتبعة (السؤلية) السياسية بمراقبة الادارة (ادارة العراق) لا احد الذي كان ضرورياً ريثما تعاد الامور الى احوال السلم

ان الحكومة البريطانية كانت دائماً ولا تزال ترى ان أفضل طريقة للقيام بواجباتها هي مساعدة اهالي العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتنا فنشأ بذلك دولة هربية صادقة تكون بغداد عاصمة لها . أما حكومة جلالة الملك نفسها فتري ان أفضل أنواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وازع (حاكم) مقبول لدى اهالي البلاد . على ان حكومة جلالة الملك ترفض في ان تبين بوضوح كما سبق فينت تكراراً بأن ليس لها من قصد أو رغبة ما في اكرام الشعب هي قبول وازع مامعين بل الامر بالعكس فانهما ترغب في وجود الحرية التامة في الاختيار وبدء الرأي

ويعم ذلك ان الحكومة البريطانية بصفة كونها الدولة التي تحمات مصاريف طائفة في العراق في أثناء السبع السنوات الاخيرة لا يمكنها ان تقف . وقف المديم الاكثراث امام هذه المسألة فلها الثقة بأن الشعب العراقي سينتقل الحكمة والحريية معاً في اختياره لراوزع وهنا أورد أن أمير بيجاز الى قدوم صاحب السمو الامير فيصل الى العراق فأقول ان موقف حكومة جلالة الملك في هذا الصدد هو كما يأتي :

ان عائلة الشريف هي العائلة التي نشرت الاواء العربي في صف الخلفاء أثناء الحرب التي لمبت دوراً ذا شأن في ربحها . وان القضية التي من أحلها دخلت في صانوف المحاربين كانت قضية حرية العرب يعني عين القضية التي قد تمهدت بريطانية العظمى بظواهرها وبجواهرها في العراق . فبناء على ذلك هنذ ما سأل أنصار عائلة الشريف في العراق عن موقف الحكومة البريطانية إزاء دهورهم للامير فيصل يأتي العراق أجييو على ذلك بأن حكومة جلالة الملك ان تضم عشرة في سبيل ترشيح سمو الامير لعرش العراق واذا وقع عليه انتخاب الشعب ضلقتي تأييد بريطانية له ، فبناء على ذلك بينما وزير الدولة (المستر تشرشل) يردد رغبته في ان يستعمل أهالي العراق الحورية في الاختيار يرى ان ليس هناك من سبب الامتناع من ان يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر ان الامير فيصل هو مرشح موافق لابل حقاً وأوفق مرشح في الميدان وترجوان يثال معاضدة أكثرية الشعب العراقي

واذا تم انتخاب الامير فيصل تمتد حكومة جلالة الملك انه يكون قد توصل بذلك الى حل ينطوي على أكبر الآمال في مستقبل صعيد مقبل ابلاد

ان حكومة جلالة الملك تعلم أن قد بحث في حلول أخرى ممكنة منها (أولاً) تأسيس جمهورية و (ثانياً) عرض أمير تركي . أما في ما يخص الاول فن رأي حكومة جلالة الملك ان درجة العراق من الرقي غير موافقة فطما لتأسيس جمهورية . وأما فيما يخص عرض أمير تركي فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لانفاسح المجال له

ومن المؤمل ان العبارات التي أوردت أهلاه تفسر بوضوح سياسة حكومة جلالة الملك وهي سياسة قد استحسنها بالاجمال الجمهور البريطاني والصحافة البريطانية حسب ما بينت في خطاب المستر ونستون تشرشل واني أوافق عليها كل الموافقة

باب المراسلة والمناظرة

فناء النار والرد على ابن القيم

٢

قسمنا الموضوع في الكلام على فئاتها ثلاثة أقسام الأولى في الآثار التي استشهد بها العلامة ابن القيم على فئاتها الثاني على الآيات الثلاثة الثالث على مقتضى الصفات ومجال النقل فيها أما الأول فقد نكأنا عليه في التبعة الأولى وبيننا أن الآثار لا تصح عن عمر ولا عن روى عنه من الصحابة (رض) وقلنا حتى لو صح لما كان حجة في هذه المسألة الكبرى الاحتجاجية. وأما الكلام على الآيات الثلاث فمداره على تحقيق معنى الخلود المستثنى منه أولاً والمشبهة ثانياً والمقصود من الاستثناء ثالثاً وهل هذه الآيات من المحكم أو من المتشابهة أما الخلود المذكور في هذه الآية (آية الانعام) وآية هود وجميع آيات القرآن فهو لا يعرف إلا من كتب اللغة وقد رأينا لسان العرب القدي هو أكبر قاموس وأكبر معجم عربي يقول: (الحاد) دوام البقاء في دار لا يخرج منها خلد يخلد خلداً وخلوداً بقي واقم ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها اه. ومما يدل على أنهم يستعملون الحاد مجازاً فيما لا يبقى الطول مدته قول صاحب اللسان: والخلد من الرجال الذي اصن ولم يشب كأنه مخلد لذلك وخلد يخلد خاداً وخلوداً أبطاً منه الشيب كأنما خاق ليخلد قال والحوالد الآثافي في مواضعها والحوالد الحجارة والجبال والصخور الطول بقائها بمد دروس الاطلاع اه. فانظر الى قوله فيمن ابطاً عنه الشيب (كأنما خاق ليخلد) وقوله (الطول بقائها) للآثافي والحجارة والجبال قائم شبهوها بما يبقى ولا يزول وتصوروا فيها الطول البقاء ما يصح ان يطلق عليه لفظ الخلود الذي لم يوضع الا لدوام البقاء كما ذكر معناه الاول أول المادة ومنه تم أن الفناء مناقض له كل التناقض لانه قتل البقاء الذي أخبر الله به وهذا ووهدا في سبعمائة آية من كتابه في الجنة والنار ففرق قوم بين الاخبار بدون دليل يصار اليه ويقوم حجة على خصمهم تقول لهم يا قوم هذا كالم في كل من الجنة والنار قال الله «خالدين فيها أبداً» و«خالدين فيها» دون أبداء فبأي شيء فرقتم بين الخلودين والابدئين فلا نجد إلا

ذليلات واهية وكلاما طويلا ضرره اكثر من نفعه كأنهم لم يجهدوا غير الخلاف
صناعة ولا سوى الكلام بضاعة حتى اضطر ان يجاريهم من لم يكن منهم ابن قيم
الجوزية وحسبنا الله ونعم الوكيل

واما الابد فقال في اللسان في مادة ابد: والابد الدائم والتأييد التخليد وأبد
بالمكان يأبد بالكسر أبودا أقام به ولم يبرحه اه . فعلى هذا لا يستدل بما اصطلح
عليه الناس (كالصريين) في التأيد اذ جعلوا له مدة محدودة ولم ينزل القرآن بانهم
ولا هبة باصطلاح ولا حرف يخالف اصل الالة التي نزل بها كلام الحكيم الخبير :
فأسمع لقوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم (وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد أفئن مت فهم الخلدون . كل نفس ذائقة الموت) فانظر كيف قابل الخلد بالموت الذي
هو القناء وتأمل معناه تجده كما قال صاحب اللسان انه دوام البقاء فكانه يقول لرسوله وما
جعلنا لبشر من قبلك دوام البقاء أفئن مت فهم الباقون . كل نفس ذائقة الموت الخ
وهذه الجملة الثانية مؤكدة لاهي ما قبلها فغفر الله لنا ولهم وهدانا واياهم سواء السبيل
واذ قد عرفنا^(١) معنى الخلود الوارد في الآية وانه هو الذي به علمنا دوام بقاء المؤمنين في
الجنة كما علمنا به دوام الكافرين في النار وانه هو الاول في الالفاظ الدالة على معنى البقاء والابد
ببده في الترتيب ولا يبرف في الالة لفظ أدل على البقاء منها في المخلوقات على ما ظن
وأما ما ذكر في الاساس من مثل قولهم : رزقك الله عمر اطويل الآ باد بعيد الآ ماد :
فهو مبني على التوسع وتصوير ما لا يكون في حيز الكائن على حد قول الشاعر : ونخافك
الظلف التي لم تخلق^(٢) . ومثل هذا كثير في قولهم^(٣) ولكننا نسائلهم في أصل وضم الخلود
والابد وقد عرفت مضاهما عن اللسان فيما تقدم (٤) على ان الله تعالى اخبر بكل لفظ مفيد

(١) المنازل : ليس في بقية الكلام جواب لقوله واذا قد عرفنا

(٢) المصراع من بيت للمتنبي وهو

وأخفت أهل الشرك حتى انه لتخافك النطف التي لم تخلق

واسناد الخوف الى النطف فيه من المجاز العقلي (٣) جمل عبارة الاساس من المجاز
وهي فيه من الحقيقة ومزية الاساس على ساكنة اللغة التفرقة بين الحقيقة والمجاز
(٤) المنازل : ما نقله عن اللسان في تفسيرها لا يدل على معنى البقاء الذي

الدوام والبقاء عن كائنا الدارين وكلا الفريقين فقال لهم فيها دار الخلد وقال هذا مقبم
 اذا عرفنا ما تقدم أمكننا أن نظفر في الاستثناء المذكور في آية الانعام جاعلين
 نصب أعيننا ما ورد في آيات الله تعالى من وعده للمؤمنين ووعده للكافرين
 وكذلك الاحاديث الصحيحة المصرفة بخروج عصاة المؤمنين من النار. أما الآيات
 المصرفة بدخول الكافرين النار فهي كثيرة وعلى كثرتها محكمة لاناسخ فيها ولا
 منسوخ ولا متشابه (١) ولا يصح أن نؤول كل هذه الآيات ونركب كل صعب
 وذلول حتى نجعلها كلها من باب الرعد الذي ليس وراءه شيء لتنظيمها في سلك آية
 وجد فيها ذو والشبه ما يوافق أهواءهم ويبتطلون به هم فيهم ويشغلون به الافهام
 وهم في الاسلام بهم ونفذت فينا سهامهم حتى اختلفنا في كتابنا كما اختلفوا في
 كتابهم وكان ذلك قدرا مقدورا قل تعالى (ويوم يحشرهم جميعا بامشرا الجن قد
 استكبرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبلغنا
 اجات الذي أجلت لنا قال النار ثم اتم خالدين فيها الا ما شاء الله ان يريك حكيم عليهم)
 وتلغى خالدين فيها يا أهل النار (٢) (وهم من مر ذكرهم) الا ما شاء الله من هذا
 الظهور (٣) أن يخرجهم من داره (٤) لانه حكيم لا يتخذ الا الكافر الذي اخبره في
 كثير من آياته ، عليهم من يخرج من أهل الايمان الموحدين . فالآية قد جمعت
 ودعا ووعيدا وكثيرا ما يذكر الله في آياته أحدها بعد الآخر على حد قوله تعالى
 (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة
 حتى يلبس الجمل في سم الطيطاط وكذلك يجزي المجرمين * والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات الخ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ا) وكقوله تعالى (فخلف
 من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا . الا من

لانه لانه فان المقيم في دار لا يخرج منها كالمالك لداره ليس يباق هذا البقاء
 لاهر ولا داره بل كانوا يلقون هذا على من شأنه المكث وعدم التحول كما
 يتحول البدوي و الذي يقيم في دور المستأجرة . وانما البقاء الذي لانهاية له
 اصطلاح شرعي لا لغوي فلهذا يمكن هذا المعنى مرفوعا عند عرب الجاهلية
 (١) لا معنى لنفي النسخ لانه حاس بالاحكام

تاب وآمن وعمل صالحاً فأرسلناك بدخولن الجنة ولا يظهرون شيئاً) فما يجبر سبحانه
 بوعيد وانذار ألا ويسبقه بوعيد وبشارة (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي
 الذين أحسنوا بالحسنى) فلما أنذر قوماً في هذه الآية بالخلود في النار على
 استناع بعضهم ببعض وموالاتهم بعضهم بمضار كان بعض المؤمنين الذين أمروا
 ببعض الذنوب ولحقهم من الوصف شيء يحزنهم ذلك حتى يؤديهم الى اليأس
 لاجرم استثنى الله تبشيراً لهم وإخباراً بحكمته وعلته وهداه في آية واحدة ولا يبعد
 هذا بهم فقد ورد أن بعض الصحابة لما سمع قراءته تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا
 ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قالوا وأينما لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم ذلك الشرك وقرأ (أن الشرك لظلم عظيم) فلولا أن فسرها لهم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالآية الاخرى لبسوا وقتلوا ومثل ذلك ماجرى عند نزول
 قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه بحاسبكم به الله الخ ثم انزل الله لهم
 (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) الخ

إذا قرر هذا وعلم أن الانذار في آية الانعام بالخلود شديد وأن السكوت عليه
 تصور لو كان في كلام الناس لعد معيياً فكيف بأبلغ الكلام الذي أنزل رحمة
 العالمين. فهل بعد هذا يستنكر ذو فهم وأمل في كلام الله أن يجمع بين وعيد ووعيد
 ونذارة وبشارة في آية واحدة، على أن النذارة بالخلود لمن يستحقونه كما أشار بذلك
 الحكيم للحكام الذين يفهمون وأن البشارة لمن يستحقون (٢) ممن عرفنا خبرهم في
 القرآن والاحاديث والله أعلم بهم وبما أقرتوا وجزاء ما كانوا يقرنون: هذا ما
 أفه في الآية مع استحضاري الآيات الاخرى والاحاديث ولم يشف غلبي ما رأيته
 من وقف المتوقف ونار بل المتأول، وهذا هو وجه الاستثناء لامامة لولا من انه يأتي على
 ما في القرآن حاش لله أن يكون خبر واحد يهدم بناء أخبار أدعت على العلم والحكمة
 حتى لو كان مجرداً عما أشرنا اليه من وجوه البلاغة والاعجاز ولأن نؤوله ليواقتها
 لكن أصل من أن نؤولها كما

ومن الصبر أنه قد حضر هندي أخ في الله من أهل العلم ونحوها في الموضوع
 فكان هو قائماً وأنا بقائماً فما زال يؤول كل آية جئت بها دالة على البقاء بحذق

وبراعة على طريقة الازهر بين، حتى جئت له بآية الاعراف (إن الذين كذبوا
 بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلج الجمل
 في سم الخياط) الآية فوجم ققلت ماذا؟ أجب فقال انظر، ثم بعد هنيئة قلبه بالآية
 ما قال : نعم هو كما قال الله تعالى مادامت الزار لا يدخلون الجنة ولكنها صفتي .
 قلت ثم ما ذا بعد ما تفتي أيدخلون الجنة وتزول الاستحالة بفناء النار؟
 فضحك من تأويله فلي نظر الناصح لنفسه البصير بكلام ربه واجعل الرحمة في عملها
 كما اخبر الله بها عن نفسه وينظر الى المشيئة بسبب الحكمة ولا ينظر الى صفة دون صفة
 بين عشواء . واذا قد المنا الى ذكره من وجوه الاستثناء فلن تكلم هل المشيئة
 المستثناة وإن كانت هي أحق بالكلام قبل الاستثناء لذكرها أول الفصل ثانياً
 اخبرنا الله تعالى في آيات كثيرة أن مشيئته موافقة لحكمته وأنه لا يشاء شيئاً ولا يظلم
 قال تعالى (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً)^(١) فهذه الآية نقل

(١) فسر بعضهم الرحمة هنا بالجنة وبمضهم بالتوفيق لما تستحق به والمعنى
 أنه يدخل المؤمنين المتقين في جنته وأعد للظالمين لا تقسم بالكفر وكبائر
 المعاصي عذاباً أليماً إذا ماتوا على ذلك الظلم ولم يتوبوا منه . وليس فيها ما ذكر
 من معنى الحصر في ان رحمته لا يدخل فيها الا الذين لم يتصفوا بالظلم المقابل
 للعدل - وإنما معناها أن ما أعد للظالمين من حيث هم ظالمون هو العذاب الاليم
 ان ماتوا على ظلمهم ولم ينلهم العفو وما كل ما أعد لقوم ينالهم كلهم والوحيد
 بأعداد العذاب دون الوعيد بوقوعه كقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد
 حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقد روي تخصيص تمدي الحدود
 هنا بمخالفة أحكام المواريث المذكورة قبله وأهل السنة يعمون على جواز العفو عن
 المعاصي بذلك وبغيره والظالم بغير الشرك بالله وهم يؤلون هذه الآية الجارمة بخلود
 المعاصي في النار والعذاب المهين كما يؤل القائلون بانتهاء عذاب الكفار الآيات
 الواردة فيهم . وغرضنا هنا بيان أن الحصر الذي قاله الكتاب أنه لا مجال للشك
 فيه بغير صحيح وقد ذكر الله تعالى أن من أوردتهم الكتاب من المصطفين من عباده
 من هو ظالم لنفسه فالظلم كالفسق والاجرام يطلق في القرآن على الكفر تارة وعلى
 المعاصي أخرى . وآية الفتح التي جمهاها الكتاب مثل هذه الآية وردت في تعديل =

دلالة صريحة لا مجال للشك فيها على أنه لا يدخل في رحمة الا غير الظالمين وانما الذي عرفنا انه لا يشاء الا هم قوله والظالمين اعد لهم عذابا اليما فالناس قسمان ظالم وعادل والدار داران جنة وناو فلما ذكر الظالمين وما اعد لهم عرفنا أن القسم الذي شاء ادخاله في رحمة ضد هم وهم المؤمنون أو المستطون أو كما تسميهم أفلا يصح أن نزل المشيئة المذكورة في آية الانعام وهو د على هذا التفسير الظاهر وأن الله لا يشاء فناء النار الذي يهدم كل زجر ووعيد في القرآن ويطعم كل ذي كفر وبتان وجبار عنيد وشيطان ومثل هذه الآية قوله تعالى (ل يدخل الله في رحمة من يشاء) فهل بطن عاقل أن معنى هذا يدخل الله كافرا الجنة أو مؤمنا بنيا النار (؟) أم انه لا يفعل الا ما اقتضته حكمته التامة : وأن مشيئته في هذه الآية وفي أمثالها مقيدة بمثل آية (هل أتى هل الانسان حين من الدهر) وغيرها مما سنذكره قال تعالى (ومن بين الله قوله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) فالنظر الى قوله تعالى عقب الآية أفليس قوله ههنا (ان الله يفعل ما يشاء) كقوله عقب آية هود (ان ربك فعال لما يريد) التي كاد يشبهها علينا ابن القيم رحمه الله بقوله « ولم نعلم ما يريد بهم » أي الذين شقوا قال وأما الذين صدقوا فقال فيهم « عطاء غير مجزود » فبالله ألا فتأملوا أيها المنصفون فوالله لقد أخطأ ابن القيم ان كان يعتقد أن قوله تعالى (ان ربك فعال لما يريد) فيها الماع أو اشارة الى فناء النار ومن يفهم هذا الفهم أو يجوز به ان سمع ما أوردناه وما سنورده قال تعالى (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) ماذا يقول القنابيون في هذه الآية أيضا يقولون لا ندري ما ذا يريد الله بأهل الجنة كما قالوا في آية هود والافا الفرق بين الحويين فليخبرونا ولهم الشواب (١) فقد علم كل من له أدنى تأمل في القرآن أن

كف أيدي المؤمنين عن القتال يوم فتح مكة وفسرت الرحمة فيها بالاسلام

(١) ان الفرق عندهم جلي وان كان لا يدل على فناء النار — وابن القيم لا يقول به — وهو أن الخبر الاول جاء عقب الخبر بادخال المؤمنين الصالحين الجنة بغير استثناء والثاني جاء في كون الذين شقوا في جهنم خالدين فيها الا ما شاء الرب تعالى وهذا الاستثناء مبهم فقالوا لا نعلم ما يريد به وبهم ، ومنهم من كان لهم في القرآن أعلى التأمل لا أدناه وان جاز عليهم الخطأ كما يجوز على غيرهم

ارادة الله تعالى ومشيئته قد علمت في أهل الجنة وأهل النار وأن كلا قد قضى عليه بالخلود في داره التي خلق لها وصنع لها صميا وظهرت تلك المشيئة في القرية بين بأجل مظاهرها . فترى أهل النار لا يندون ، صم بكم عمي فهم لا يفتنون ، وأهل الجنة موقنون ، مهديون (وتمت كلمة ربك لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) قال تعالى (بئس الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويضل الله ما يشاء) ألم يبين الله لنا مشيئته هنا أيضا بالمؤمنين والظالمين ، ألم يكن ختامها هنا كختمها في سورة هود ؟ هل يفهم منها هنا إلا كما يفهم من تلك ؟ وأن المعنى لا اعتراض على فضل الله لأنه هو الحكمة التامة والمدل الأعلى وأنه لا مكره له ولا ارادة لما قضاه أم يقال ما قرره الفناثيون الذين نظروا الآية واحدة وتركوا سائر الآيات قالوا ، أما الذين سطوا فأخبرنا الله أن عطاهم غير مجذوذ وأما الذين شقوا فلم يبين لنا ماذا يريد بهم . والحق انه بين وبين كما سمعت وعلمت :

وأما الكلام في آية النبا فلا دليل فيها لم وأخرها يرد عليهم اذ يقول الله تعالى (فذوقوا فإن تزيدكم الا عذابا) ولن تفيد الاستقبال حتى احتج بها الزنجشري على نفي الرؤية (رؤية الله في الجنة) في قوله تعالى اوصى (لن تراني) و الفرق بين الخبرين فان هذا نفي الرؤية في الدنيا وأما الثاني فنفي في الآخرة وقوله تعالى آخر السورة (ويقول الكافر باليتي كنت ترابا) دليل على ان الكافر كان يود لو كان ترابا ولا يذب خالدا . ولا يقال تمويه ذلك كاف لرؤيته العذاب فحسب دون الخلود لأنه لو كان يعلم ان النار تنق من الآن كما يقولون لظل هل أمه ورجائه في رحمة الله (١) كما فهم ابن القيم من حديث لوي لم الكافر بسمة رحمة الله ما يش ولو يعلم المؤمن بأليم عذاب الله أو نحو ذلك لتزيد وقوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) لا يدل على انقطاعها كما قدمنا فانما المقصود التهويل وان الاحقاب قد تأتي متتابعة ولا تنهاى . رأيت لو كنت هذا في الدنيا لعلمت ان ما كنت أقول . مضت علينا أحقاب وتمت الزمن وهو باق كما يمكن أن نمد شيئا لا ينحصر بالالوف والملايين وتسمى نسل من

(١) يرد على الكتاب ما تقدمه هو عن عمر من تمويه لو كان شجرة تمعد

الحساب كالدليلون وكما فرغت الفصول أعدها من الاول عدا ولم يفرغ المدون
 فن يستنكر ذلك؟ وهل هذا الا من بلب قوله تعالى في أهل النار (خالدين فيه
 ما دامت السموات والارض) والغرض الخلود الذي لانهاية له لان المخاطبين يجهلون
 بدء الارض والسموات والمجهول اوله وآخره كالذي لا أول له ولا نهاية فذلك والله
 أعلم صور لنا الخلود لدمم عظمه بالنسبة لبقاء الدنيا وعمرنا القصير فيها فأما المؤمن
 فيفرح بنصيه الخالد في الجنة وأما المنافق فيحزن حزنا شديدا ويتنصص عليه حياته
 اذا سمع هذا الوعد الشديد. فالاول تلوهمته ويقتمحم الشدائد بقلب ملؤه الصبر
 والامل والسرور. وذلك يجاهد ليدب عنه هذه الزواجر ويفر منها فرار الحر
 المستنفره وهي في آثره حتى يذوق في هوة العذاب السحيق وبئس المصير

وبعد فاما أن تكون هذه الآيات متشابهة أو محكمة. فان كانت متشابهة فقد
 كان على الغنائين أن يقولوا آمنا عملا بقوله تعالى (والراسخون في العلم يقولون آمنا
 به كل من عند ربنا) وما كان لهم أن يكثروا الكلام ويبطلوا الخصام ويقفوا
 ما ليس لهم به علم من صفات الله وامائه ويتحكروا في حكمته ومشيئته بملهم القاصر (١)
 وأن لله أسماء وصفات لا يملها للآن أحد كما ورد في حديث (واصالك بكل اسم
 هو لك سميت به نفسك أو انزلكه في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت
 به في علم الغيب عندك الخ، وحديث الشفاة اذ يعلم الله تعالى رسوله محمدا بحمده
 بها. ولا ريب أن المحامد تكون على اماء تقتضيا وتستحقها والله اعلم اذا كان الاولى
 بهم أن يسكتوا بعد أن يقولوا آمنا به الخ. وان كانت محكمة فالامر ظاهر ولا داعي
 للخلاف والجدال والقول على الله بلاهمل ولنا اسوة بالصحابه الذين كانوا يسألون عما بينهم
 فيقولون يا رسول الله ما أفضل الاعمال. وداني على عمل اذا عمته دخلت الجنة الى غير ذلك
 ولعل في هذا الآن كفاية وله بقية

عبد الظاهر محمد

(١) يرد على هذا أن ابن القيم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى ان ربك
 خفيك عليهم) وجمله نهاية الاقدام في السير في هذا المقام وهو ذو العلم الواسع
 يكتب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

الله

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسن أو تلك الذين هم
الله وأولئك هم أولو الألباب

بقرئ الملكة من بقاء ومن يؤمن الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام مري « ومنارا » كمنار الطريق —

٢٩ ذي الحجة ١٣٣٩ - ١٩ السنبلة (ص ٣) سنة ١٢٩٩ هـ ٢ سبتمبر سنة ١٩٢١

القياس في العربية

و للامانة العلامة الشيخ محمد المقر

الحمد لله الذي جعل العربية أشرف لسان ، وأنزل كتابه الحكيم في أماليها
اللسان ، والصلاة والسلام على من بهر البلغاء بلهجته البارعة ، وعلى آله وصحبه
العاملين على منوال حكته الرأفة ، أما بعد فقد كنت أيام دراستي لعلم العربية
امر على احكام تختلف فيها آراء علمائه فيقصرها أحدهم على السماع ويأذن الآخر
في القياس عليها دون ان يذكروا الاساس الذي قام عليه الخلاف ، فأرى
التمسك بمثل هذه الاقوال من التقليد الذي لا ترناح اليه النفس ولا سباحين
اذكر ان كثيراً من أصحاب هذه الاقوال قد تلقوا العربية من كتب يمكننا
الاستقاء منها ، فأخذت ألفت نظري الى الاصول العالمة التي براعونها في احكام
السماع والقياس حتى ظهرت بقواعد وقمت على تطابق منها في صريح كلامهم
وانتزعت شذورا أخرى من موارد احكام جزئية تقصبت آثارها في ابواب شتى
ولما شرعت في مدينة دمشق بمطالمة بعض الكتب العربية كفتي اللبيب
محضر طائفة من أذكياه الطلبة كنت أذهب في تقرير مسائل السماع والقياس
على تلك الاصول التي لم تدخل بمدني سلك التأليف ، وعند هذا اقترح علي أولوا
الجد منهم جمعها وتحريرها ليكونوا على بينة منها خلال المطالمة فطأوعتهم على
ما اقترحوا حتى تكاملت في مقالات تشرح حقيقة القياس وتفصل شروطه
وتحرر مواقفه واحكامه

تمهيد

لا يكون الكلام عربياً فصيحا الا اذا صحت مفرداته واستقام تأليفها ،
أما صحة مفرداته في النطق بحروفه على مقتضى الوضع من غير ان تغير بتقص
أو زيادة أو ابدال أو قلب في هيئة ترتيبها أو حال حركتها وسكونها ، وأما
استقامة تأليفها فبالنطباق على أسلوب نسجت عليه العرب في مخاطباتها . ولا
تتحقق هذه المطابقة الا برعاية احكام التقديم والتأخير والاتصال والانفصال
والحذف والذكر

وهل تتوقف في اطلاق الكلم وتأليفها على معرفة وضمها الخالص ونظما

الوارد بحيث لا نستعملها حتى يثبت لدينا من طريق الرواية كيف نطق بها العرب ا او ابقى واضع اللغة طريق القياس مفتوحا فيسوغ لنا ان نلحق الحكم بأشبهها في حياة مبانيها او نسق تركيبها ونسوي بينهما في الاحكام اذا أعوزنا السماع ؛ هذا موضع تشبعت فيه انظار الباحثين في المربية ، فبعد اتفاقهم على العمل بالقياس وتضافر عباراتهم على انه من ما أخذ اللغة غلا بمضهم في التعلق به واتسم في مجاله الى ما يخرج بالكلام عن صفة المربية ، وضيق آخرون الغاية الى حد يقرب من موقف الجامد على الرواية في اوضاع الكلم وتصرفاتها وقد اثبت المحققون بين هذين الطرفين مسلكا يبقى على اللغة شمارها ويبسط في نطاقها بمقدار ما يتسوغه ذوق آكل الشيع والقيصوم ولا تجهد طالما مفردا او أهل بلد اطرودوا في هذه المادة ولم يجهدوا عنها في قضية فكانت جميع أقوالهم في محل الاعتدال ، بل ترى القول الحق والقياس الوسط يدور بين مذاهبهم فيصيبه هذا تارة ومجرزه مخالفه تارة أخرى ، وذلك شأن العلوم التي يستند في تقرير قوانينها الى اجتهادات المقول

الحاجة الى القياس

وضعت اللغات ليمبرها الانسان عما يبدو له من المآرب ويتردد في سميده من المعاني ، ومن البين جليا ان المعاني تبلغ في الكثرة الى ان تسبق عنها دائرة الحصر ، وتنتهي دونها ارقام الحاسبين ، فلم يكن من حكمة الواضع سوى ان وضع لبعض المعاني الفاظا عينها كالسما والمطر والنبات ، ولوح الى البقية بمقاييس تصاغ الكلم في قوالها فتدخل في زمرة ما هو عربي فصيح ولولا هذه المقاييس لكانت اللغة اسبق على المتكلم بها من مفحص قننة ليقم في نقيصة المي والفهامة ، ويكثر من الاشارات التي تخرج به عن حسن السمات والرصانة ، ويرتكب التشاييه محاولا بها تقريب المرام من فهم المتعاطب لا كما يستعملها اليوم حلية للمنطق ومظهرا من مظاهر البلاغة ولو فرضنا صحة ان يوضع لكل معنى لفظا يختص به كأن نخرج الى ان منشئ اللغة هو مبدع الخليفة لسكان المرج الذي تقع فيه اللغة ان تضيق الجملدات الضخمة عن تدوينها ، ونعجز النفوس السقيمة عن حفظ ما فيه كفايتها بالقياس طريق يقرب به تناول اللغة ووسيلة تمكن الانسان من التعلق

بآلاف من الكلم والتراكيب دون ان تقرر سمعه أو يحتاج في معرفتها الى مطالعة القاموس أو اللسان

وربما يلوح لك ان الالفاظ المرادفة تنفي عن القياس في الحكم المفردة لو صرفها الواضح الى المعاني التي لم يعين لها اسماء . فنقول ان للترادفات مجالا فسيحا وأثرا بليغا في الفصاحة والبلاغة ، فلا يصح ان تكون العربية طرية منها . ثم انها على كثرتها لا تبلغ ان تسد مسد القياس في مثل المصادر والافعال والاصناف المشتقة وجموع التكسير فضلا عن كون الكثير من هذه المترادفات انما نشأت من لغات ممتدة

ما القياس ؟

يسند القياس أحيانا الى العرب أنفسهم فيكون من قبيل التنبيه على علة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح ، كما قال النحاة اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم وعمل اسم الفاعل قياسا على الفعل ، ودخلت الفاه خبر الموصول في مثل قولهم « من يأتيني فله درهم » قياسا للموصول على الشرط وبضاف تارة الى الباحثين عن أحوال اللفظ العربي فيراد منه أحد ممان ثلاثة (أحدها) ان تمدد الى اسم ورد استعماله في معنى يشتمل على وصف يناسب التسمية كالحرف تمديه الى معنى آخر تحقق فيه ذلك الوصف وتجملة من مدلولاته كالنبت تمده فيما يشاؤله اسم الخمر حيث كان يخمر العقل ويستره ، وهذا النوع من القياس هو الذي يعنيه المحققون من الاسويين بقولهم لا تثبت اللفظ بالقياس (ثانيها) الحاق اللفظ بأمثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كهيئة التصدير والنسب والجمع ورفع الفاعل وبناء العلم والنكرة المقصودة في النداء

(ثالثها) اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها مما هو مخالف لها في نوعها كما اجاز الجمهور ترخيم المركب المزجي قياسا على الاسماء المنتهية بتاء التأنيث ، واجاز ابن مالك حذف العائد المحرور في العدة اذا تعين حرف الجر قياسا على حذفه في الجملة الخبرية ، والمغنيان الاخيران هما موقع النظر ومجال البحث في هذه المقالات وآثرت للفرق بينهما التمييز عن الاول بالقياس الاصلي وعن الثاني بقياس التمثيل

والكلم أحوال في نفسها ، وأحوال من جهة ما يقترن بها ، فيتوجه النظر في القياس الى الاحوال العارضة لها من حيث مبادئها المفردة كاشتقاقها ووسايلها ثم الى الاحوال الجارية عليها من جهة نظم بعضها في سلك بعض ، وترجع احوال النظم الى الاتصال والانتقال والتقديم والتأخير والحذف والتذكر والمثل والاعراب والبناء والاستعمال . فكان المقصد من هذا التحرير يدور على البحث في القياس الاصلى والقياس التخيلي ومباحث مشتركة بينهما

المقالة الاولى في القياس الاصلى

ما يقاس عليه

يجمع اللسان العربي تحت اسمه لغات شتى ، ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يبرأ مثل اختلافها في بعض أحوال الكلم من حركة وسكون او عراب وبناء او اعمال واحمال او ترتيب حروفها او ابدال بعضها من بعض او زيادة والحذف

تفاوت هذه اللغات بالجودة وفساحة اللمحة ، وجميها بما يصح القياس عليه ، قال ابن جني في الحمائص : اللغات على اختلافها كلها حجة والسائق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخلى . وقال أبو حيان في شرح التسهيل . كل ما كان لغة لقبيلة صح القياس عليه وقال الفيديوسي في شرح التصحيح المشهور في كلام العرب ماء ملح ولكن قول امارة ملح لا يعد خطأ وانما هو لغة قليلة . ومن اعتمادهم على هذا الاصل كان الصحيح عندم جواز القياس في تقديم عامل كم الخبرية عليها لانه لغة حكاهما الاخصر عن بعض العرب

ويتمتع في تقرير الاحكام الفقهية على أقوال الجاهلية كما مره القيس زهير ، والمخضرمين كسان وليد ، والاسلاميين كالرزدق وجرير وذي الرمة ، أما المحدثون ويدخل في زمتهم بشار بن برد وأبو اسود وأبو تمام فلا يمول في الاستشهاد على اوضاع الكلم واحوالها التركيبية على شيء من مشتاقهم او نظمواتهم ، ولهذا ترى النحوي يورثه - وههنا - والتلحين حيث يفروا فيما يخالف القواعد المألوفة ، واذا كان تخلف الذي لم يماثقه عبارتهم من مواقع الخلاف أقام لهم المنبر بأنهم قد برز كلامهم على المنهج الصحيح ،

ثم اذا عثر على مثل صنيمهم الصادر من الجاهليين أو الاسلاميين لا يسمه الا ان يقضي فيه بالشدوذ أو يقتحم في تصحيحه طريقة التأويل وقال الزمخشري في كشافه بعد ان استشهد بشعر لابي تمام « وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجمل ما يقوله بمنزلة ما يرويه » وتلقى هذه المقالة الشهاب بسباع المقلد فقال في شرح الدرر « اجعل ما يقوله المتنبي بمنزلة ما يرويه » وقد كشفنا فيما كتبناه في حياة اللغة العربية عن وجه الخطأ في هذه المقالة ، وكيف يحتاج بأقوال هؤلاء وقد عثروا في اغلاط كثيرة لا يستطيع أحد السبيل الى تخريجها على محل صحيح ، فهذا أبو نواس يقول : -

واذا زعت عن الغوايه فليكره ذلك النوع لا للناس
والصواب في مصدر نزع عن الشيء انما هو النزوع
وهذا أبو تمام يقول : -

لعدته في دمنتين تقادما محوتين لزينب وصماد
والصواب تقادمتا

وهذا المتنبي يقول : -

فان يك بعض الناس سيفا لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
والصواب في جمع بوق بوق كصرد او ابواق

ومن لا يعتمد في تقرير احكام اللفظي على استعمال الحديثين يرى ان استناد بعض المتأخرين في تصحيح بعض الكلم الى استعمال أحد أهل العلم غير شديد ، يرد بعضهم على صاحب القاموس في قوله « الانموذج لحن » بأن الزمخشري سمي كتابا له بالانموذج ، والنووي عبر به في المهاج عند قوله « انموذج المتماثل » وهو رد غير مبني على أصول العربية اذ لاحجة الا في كلام من ينطق بالعربية عن سليقة ، وهذا الشرط لا يتحقق في أبناء المائة الخامسة كالزمخشري أو المائة السابعة كالامام النووي رضي الله عنه ، وكم من امام في العربية ينطق أو يؤلف بمباراة تخالف مذهبه الصريح ، أفلم يشترط ابن هشام في كتاب المفني لدخول هاء التنبيه على الضمير كون خبره اسم إشارة ولم يحتفظ بهذا الشرط فقال في خطبة الكتاب نفسه « وهأنا بائع » ووقف صاحب القاموس في هذه الهفوة بعينها فشرط لاتصال حرف التنبيه بالضمير

الآية مالا تطيقه بلاغتها من اعباء هذه التقادير وتصنفها كما صنع السكاكي بل بنصبها على ظاهرها ولا نسلم ان الفصل في مثل هذا مخالف للفصاحة ولا سيما بعد ان أورد له ابن جني في الخصائص شواهد متعددة ولا اخال أحدا يقول في مثل هذا على ذوقه فيقول ان الذوق ينفر من صورة المعنى الذي يفصل فيه بين المضاف والمضاف اليه بأحد معمولات المضاف، فان مثل هذا لا يرجع فيه الى ملاءمة الطبع بل مداره على ما يجري به الاستعمال ويثبت في الرواية فما نجاهه واردا في الكلام الفصيح نعلم انه لا يكدر من مشرب الفصاحة المربة ولا يثلم من سور البلاغة فتبلا

ومما يقرب لك ان حكم الفصل بين الكلم لا يرجع فيه الى الذوق وانه طائد الى ما يسمع من كلام المشهود له بالفصاحة في تلك اللغة ان اللغات تختلف فيه اختلافا كثيرا، ففي اللسان الالمانى مثلا يفصلون بين اداة التعريف والمعرف بجمل كثيرة، وربما كان الفعل مركبا من قطعتين فيضمون القطعة الاولى في صدر الكلام ويلتقون الاخرى في نهايته فيتنفق ان يكون بين القطعتين كلمات فوق المشرة، وتراهم يفصلون بين علامة الاستقبال والفعل بجمل متعددة، ولا شبهة ان ارتباط اداة التعريف بالمعرف أو بعض اجزاء الكلمة ببعض أو علامة الاستقبال بأصل الفعل أشد من ارتباط المضاف بالمضاف اليه. فلاحرج على الاخرة ان تبيح الفصل بين المضاف والمضاف اليه ولا سيما حيث تكون علاقة الفاصل بالاسم المضاف ليست من علاقة المضاف اليه بيميدة كالمعمول به

وأما الحديث النبوي فقد جرى الجمهور على عدم الاحتجاج به لكثرة ما وقع فيه من الرواية بالمعنى واعتد به ابن مالك وأخذ بالقياس عليه في أحكام شتى معتمدا على ان روايته باللفظ هي الاصل فنصم بموجبها الى ان يثبت انه نقل بالمعنى، ومن أمثلة ما احتج عليه ابن مالك بالحديث انه ورد في آيات متعددة فمل الشرط مضارعا والجزء ماضيا فجاز الفراء وابن مالك العمل على هذا الاسلوب، ومنه الاكثر بدعوى ان ما وقع في تلك الشواهد من قبيل ما دفت اليه الضرورة، فاستدل ابن مالك على جوازه في حال العمدة بما روى الالبام البخاري من قوله عليه الصلاة والسلام « من يتم ليلة القدر ايماننا واحتسابا ففر له ما تقدم من ذنبه »

وقال ابن حزم عقب الكلام الذي نقلناه عنه في الاحتجاج بالقرآن واذا

وجد - يعني الباحث في العربية - لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فعل به مثل ذلك - يعني الصرف عن وجهه والتعريف عن موضعه - والله
لقد كان محمد بن عبد الله قبل ان يكرمه الله بالنبوة وأيام كونه عمكة اعلم سمه
قومه وافصح فيها فكيف بعد ان اختصه الله للندوة واجتباؤه للمراسمة بينه
وبين خلقه ؟ اه وكلام ابن حزم هذا لم يصادف المفصل في رد مذهب الجور
اذ لم يمتنعوا من الاستشهاد بالحديث لقلة فصاحته وانما لم يأخذوا به في العربية
لما عرفت من احتمال روايته بالمعنى
والحق ان الاحاديث التي تعددت أسانيدھا ولم يختلف لفظها بيمد فيها
احتمال الرواية بالمعنى فيصح الاحتجاج بها من غير شبهة

القياس على النادر

لحكم الذي ورد به السماع النادر أربعة أنواع (أحدها) ما لا يمارضه
قياس ولا سماع آخر ، وهذا يكتفون في اطراده بالشاهد الواحد ولا يشترطون
له السماع العائني ، ومن هذا قولهم سنأي في النسب الى سنوءة فقدا كتني
بها سيوبه وغيره وجعلوا القياس في النسب الى فمولة على الاطلاق فعلي ، ولم
تقع اليهم من شواهد غير هذه الكلمة المفردة

(ثانيها) ما يخالف القياس والسماع ، وهذا لا يعني فيه المثال النادر قطعاً ، وقد
جاد الاخفش عن قصد هذا السبيل حين سمع قولهم . هداوي في جمع هدية
فجملة مقياساً في كل ما كان لامة ياء والحال انه لم ينقل منه الا هذه الكلمة
الناذرة عن السماع والقياس اذ المسموع والموافق للقياس في مثل هذا بقاء الياء
بما لها فيقال هدايا ومطايا ومزايا وبلايا وسرايا وتنايا

(ثالثها) ما يخالف القياس ولا يكون السماع مصادماً له كما ورد تصغير فعل
التمجب في قولهم : ما اميلحه وما احيسنه فقولنا وازد على خلاف القياس اذ
التصغير من خصائص الاسماء ولم تضرب فيه الافعال بسهم ، وصيغة التمجب
من قبيل الافعال الماضية ، وانما كان تصغير الفعل غير مصادم للسماع لان العرب
لم بدلوا على معنى التصغير فيه بصيغة أخرى حتى يقال هذه السيفة أعني
اميلحه واحيسه بخلة للمسموع

(رابعها) ما يطابق القياس ويخالف السماع كما ورد خبر سري سما سريخمي مونة

« عسى النور ابثما » وقوله « ان عسيت صائما »
وهذا مطابق للقياس لان الاصل في الخبر الافراد ، وبخلاف السماع اذ
المعروف في خبر عسى مجيئه مضارعا مقرونا بان أو مجردا منها
وهذان القسمان أعني ماخالف القياس فقط أو السماع دون القياس مما جعل
الخلاف بين علماء المزية الكوفيون يمتدون بما ورد من ذلك على سبيل الندرة
ويصلون بالقياس عليه . قال صاحب الافصح : عادة الكوفيين اذا ضموا
لفظا في ضم أو نادر كلام جملة بابا أو فصلا ، والبصريون يمتنعون من القياس
على الشاذ ويذهبون في مثله الى ان قائله نحاه به خلاف ما يظهر منه ويردونه الى
الاصل المعروف عندهم على طريق من التأويل ، وبعض النحاة كان مالك لا يكلف
نفسه تأويله ولا يقبله في موضع المتردد بل يعينه بالشذوذ أو انه خرج مخرج
الضرورة ، والى هذه الطريقة أو ما ابن السراج في الاصول بقوله : ليس البيت
الفاذ أو الكلام المحفوظ بادن اسناد حجة على الاصل المجمع عليه وتأويل
هذا كتأويل ضئفة الحديث واتباع القياس في الفقه . ومن تأييد هذا المذهب
ذكروا في شروط افضل التفضيل ان لا يكون اصل الوصف على وزن افضل
نحو ابيض واسود ولما جاء قول الشاعر

جارية في درعها القمضاض ابيض من اخت بنو ابيض
انزله الكوفيون منزلة المقياس عليه ، وتأوله البصريون على انه من « باض
فلانا » اذا غلبه وفاقه في البياض ، وابقاه ابن مالك على ظاهره والقاء الى قسم
المسوحات الشاذة

والاصوب في كثير من الشواهد طريقة من يقضي عليها بالشذوذ ولا
يذهب فيها مذهب التأويل فان من التأويلات التي يرتكبها بعض البصريين
ما يكاد الناظر - لتمسقاتها وبمدها من نظم اللفظ - يقبل بانها لم تقع في قصد
الشاعر ولا جاءت حول فريسته

ومن الاقوال الشاذة ما لا نجد للتأويل فيه مدخلا ، ومن شواهد ان
البصريين يمتنعون ان يجمع الصفة التي لا تقبل تاء التأنيث جمع مذكر سالم
نحو اسود واحمر ، واجازه الكوفيون تمسكا بقول الشاعر
فا وجدت نساء بني عجم جلائل اسودين واحمرينا
ولا يتخلص البصريون من هذا الشاهد الا بطرحه الى النادر الذي لا يفهم عليه القياس

والتأويل إنما يقتضيه البصريون إذا كان الحرف المخالف للمعروف في
 اللفظ وارداً عن فرد أو فردين ممن يتكلم باللغة المألوفة ، وأما إذا ثبت أنه
 لغة قبيلة فلا وجه لتأويله والخروج به عن ظاهره ، ولهذا أبطل ابن هشام
 تأويلات أبي علي الفارسي وإبي فزارقوهم « ليس الطيب إلا المسك » برفع
 المسك لأن أبا عمرو بن الدلاء أثبت أن رفع خبر ليس الواقع بمسك « إلا » لغة
 عجم . والتحقيق أو الشاذ على فسمين

أحدهما أن يكون الكلام المراد سائراً على سنة معروفه ووضع تام فتسمع
 الكلمة أو الكلمتان من لا يعرف بالفصاحة وهي مخالف المعروف في الأسلوب
 فهذا لا يقاس عليه قطعاً ، بل الكلمة ونحوها لا تنقض بها القاعدة التي يجري
 عليها الفصحاء في عامة مخاطباتهم ولو نقلت عن فصيح اذ يجوز ان تكون صدرت
 منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان السنة الفصحاء قد تقع في
 نزول الخطأ وتطوع لم يقيدها الى تغير الكلمة عن وضعها المألوف لزل ونحوه
 فأنه ما يرد في الكلام الفصيح وتتحقق أنه لم يصدر عن خطأ أو
 تلاعب في أوضاع اللغة مثل آيات الكتاب الحكيم والاحاديث التي تمددت
 ابنانديها ، فهذا يصح لنا ان نضحه بمكان القياس ونسج على مثاله وان اباه
 البصريون والكوفيون ، فلا ينبغي ان تؤكد بلفظ « اجمعين » منفردة عن
 لفظ « كل » وان منعه اكثرهم لوروده في قوله تعالى (لاغوينهم اجمعين —
 وان جهنم لموعدهم اجمعين — لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين)

في بيان القياس فيما يقتضيه التاويل

قد يستعمل نوع من الكلام على وجه شائع ولا يستقيم المعنى الا بتأويله ،
 ومقتضى مذهب الجمهور المنع من القياس عليه ولو كان وجه تأويله مما يسهل
 القياس ، وهذا كما قالوا في المصدر الذي كثر مجيئه لفتاً وحالا انه مقصور على
 السباع ، مع انهم يؤولون ماورد منه على تقدير مضاف أو تخريجه على مجاز . وقالوا
 ان اسم الزمان لا يخبر به عن الذات ، وأولوا نحو قولهم (الليلة الهلال) على
 تقدير لفظ طلوع مضاف الى الهلال . والحق ان المنع من القياس في مثل هذا
 مشروط بما اذا لم يقصد المتكلم الى تأويل قريب ووجه مقيس وهو مذهب
 ابن مالك ، اما اذا نوى اسم معنى يضيفه الى ما بعده واستقام به المراد فانه

يلتحق بسائر الجمل التي يحذف فيها المضاف لقريئة تشير اليه
ومن هذا القبيل انكار الحريري لقولهم « هو قرأني » وليس بمنكر من
القول متى علم المتكلم بان القرابة مصدر وحمد الى اطلاقه على ضرب من المجاز
أو التقدير ، ويدخل في هذا الصدد حكم صاحب المصباح على قولهم « اذن المصير »
بأخطأ مع ان اسناد القمل الى زمانه على وجه المجاز ليس بعزيز ، وإنما يحكم عليه
بأخطأ اذا لم يصدر من بليغ ينحو بالكلام نحو خلاف الظاهر . ويفا كل هذا
قول ابن قتيبة في أدب السكاتب « الملة يذهب الناس الى انها الخبزة » فيقولون :
اطمننا ملة . وذلك غلط إنما الملة موضع الخبزة قال ابن السيد في شرحه « وليس
يتمنع عندي ان تسمى الخبزة ملة لانها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء
اذا كان منه بسبب أو يخرج على حذف المضاف أي خبز ملة » والصحيح ما عرفته
من ان التخطئة في مثل هذا أو التصويب مما يرجح فيه الى حال المخاطب اذ الذي
يطلق الملة على نفس الرغيف ويظهر لك من قريئة حاله أو صريح مقاله انه اطلقها
عن اعتقاد انها موضوعة له بوضع حقيقي لا يخلص من سهام التخطئة ولو
احتملت عبارته وجوهاً في التأويل متعددة

وحكم ابن قتيبة على قول العامة « تجوع الحرة ولا تأكل نديها » بانه خطأ ،
وقال : الصواب بنديها . فقال ابن السيد أما ما يذهب اليه العامة من ان المعنى
لا تأكل لحم نديها فهو خطأ ، ولكن يجوز على التأويل بحذف المضاف أي
اجر أو ثمن نديها أو على المبالغة بجمل أكلها لاجر نديها بمكان أكل الثندين
اتسهما . والتفصيل الذي سبق من النظر في مثل هذا الى حال المتكلم بجري
هنا لولا ان العبارة مثل ، فمن قصد بها ضرب المثل على ماورد فقد اخطأ من
جهة تحريف المثل وان كان التركيب في نفسه صحيحاً

وجه اختلافهم في القياس

من الجلي ان العرب لم يصرحوا بعمل القياس في شيء من أوضاع كلامهم
وأما علماء اللسان يتتبعون موارده ويتعرفون احواله فإذا وقعوا على حال في
مفردات الالفاظ أو مركباتها قد عمل العرب بها على وجه منضبط وكجوا منها
قاعدة ليقاس على تلك الموضوعات المسموعة مالم ينقل من نظائرها
فن اسباب اختلافهم في القياس ان يتوفر لدى العالم من استقراء الآحاد

ما يكفي لتركيب القاعدة فيجوز القياس ، ولا يبلغ الآخر بتنبه مقدار ما يؤخذ منه حكم كلي فيمنع أن يكون مقبلاً وقد يتساوى الفريقان فيما عرفوه من الشواهد ويكتفي به احدهما في فتح باب القياس عليه ، ويستقله الآخر فلا يتخطى به موضع السماع ، وهذا كاختلافهم في فعل الممثل المين فيظهر من كلام سيوييه ان جمعه على افعال مطرد ، وذهب ابن مالك في التسهيل الى انه غير مقيس ، ويرجع خلافهما الى ان ماورد من نحو مال واموال وغال وأحوال وحال واحوال وناب وائباب وباب وابواب هل بلغ مقداراً يكفي لان مجمله مطرداً أم لا ؟ ومن هذا القبيل اختلافهم في جمع الجمع ، فقد ورد منه نحو المشرين كلمة ، وسبب اختلافهم في جملة مقبلاً انما هو تفاوت أنظارهم في ان ما سمع - هل هو من الكثرة بحيث يقاس عليه او انه لا ينهض به حتى يجمله مطرداً ؟

وقد يختلفون في القياس نظراً الى ما يقف لهم من الاحوال التي تعارض السماع ، قال الكوفيون الذين يكتفون في بعض الاقيسة بالشاهد الواحد قالوا : ان صيغة المبالغة فعال ومفعال وفمعل لاتعمل عمل اسم الفاعل . واخذوا يؤولون الشواهد التي سردها البصريون واعتذروا عن عدم قبولها والاعند بظاهرها بان اسم الفاعل انما عمل لشبهه بالفعل المضارع في وزنه والصيغ المذكورة لم تخرج الوزن الذي قرب اسم الفاعل من اصله الذي هو المضارع ، وانحرفها البصريون بمغزلة اسم الفاعل حسب ما شهدت به الرواية وهدموا ما اعتذروا به الكوفيون اذ قالوا في جوابهم : ان المبالغة التي قوي بها المعنى في تلك الابنية جبرت ما نقصها من الشبه في اللفظ ، فنقابل مشابهة اسم الفاعل للمضارع في اللفظ بزيادة المعنى الذي اختصت به ابنية المبالغة فتحصل الموازنة والتساوي في طلب العمل من غير تفاوت .

تعارض السماع والقياس

اذا تنبنا جملة من أقوال العرب حتى قامت لنا من استقرائنا قاعدة ، ثم وقفت اليها امثلة نطقوا فيها على خلاف ما تقتضيه هذه القاعدة ، فهل نأخذ في هذه الامثلة بالقياس أو نقف فيها عند حد السماع ؟ هذا النوع تمددت صوره وتشتت مقالات العلماء في حكمه ، وسنلتقي

عليك ما زاه صفوة آرائهم و خلاصة بحثهم
 للامثلة الواردة على خلاف ما تقرر في الاصول اربعة اقسام (احدىها)
 كلمة أو كلمات قليلة تدور في مخاطباتهم كثيرا ولم ينطقوا فيها على وفق القاعدة
 ولو مرة مثل استحوذ واستصوب اللذان وردا على خلاف القاعدة القاضية
 بقلب واوهما ألفا نحو استقام واستماذ . وهذا القسم يجب استعماله على ما سمع
 من العرب ولا تنقض به القاعدة ولا يقاس عليه غيره
 (ثانيا) ما يجيء مخالفا للقاعدة في أكثر مخاطباتهم وورد على وفق القاعدة
 في أمثلة قليلة كإيراد اسم الفاعل من أبقل على وزن فاعل فقالوا « مكان بأقل »
 وقياسه « مبقل » وقد تكلموا في بعض الاوقات ، ومن هذا قولهم في أفضل
 التفضيل من الخير والشر « خير وشر » وقياسه « أخير وأشر » وقد نطقوا به
 في بعض الاحيان ، وهذا يجوز لك المثل فيه على الوجهين بيد ان الوجه
 الاكثر في السماع أرجح لانك تشكلم بلهجة قوم رجحوه ولانه مألوف عند
 المخاطبين أكثر من الوجه الذي قل في السماع
 وما يرد في القراءة الصحيحة مخالفا للقاعدة والمسموع من كلام العرب
 فيها يظهر كقراءة « مماثش » بالهمزة نطية حكم هذا القسم فنتمثل بما يش
 منموزة وغير منموزة ولا تقيس على المهموزة غيرها مما كان على وزن منمعة
 (ثالثا) ما لم يدر في كلامهم كثيرا وانما هي الكلمة أو الكلمات ترد في شعر
 أو تر نادر مخالفة للقاعدة مثل ما حكى من قولهم « فرس مقوود ورجل مموود
 من مرضه » فهذا لا يؤخذ به في استعمال الكلمة نفسها فضلا عن ان يتخذ قياسا
 (رابعا) أمثلة كثيرة تجيء على خلاف ما وضموه قاعدة ؛ وهذا يمتثل ثلاثة
 انظار (احدىها) طرح هذه القاعدة وعدم العمل عليها لانها ركبت على استقرار
 ناقص جدا (ثانيا) الاعتداد بها واجراؤها فيما لم يسمع فقط ثم الاقتصار فيما خالفها
 على ما ورد به السماع (ثالثا) التمسك بها والعمل عليها فيما سمع مخالفا لها ايضا
 بحيث يكون اللفظ ذا وجهين ، وهما الوجه المسموع والوجه الذي تقتضيه القاعدة
 ومن موافق هذه الافكار مصادر العمل الثلاثي ، قال أحد النحاة : انما
 يعتمد فيها على السماع ولا يصح القياس على ضوابطها ولو عدم السماع لانها
 كثيرة الاتقاض . وذهب سيبويه الى القياس عليها فيما اذا ورد فعل ولم نسمع
 كيف تكلموا بمصدره ولا يصح ان تقيس مع وجود السماع . وأجاز النحاة

القياس عليها ولو فيها ورد السماع على خلافها ومقتضى مذهب الفراء حيث اجاز القياس في فواهد كثيرة الاتقاص وهي مصادر الثلاثي ولو فيها ورد السمع بخلافها ان يجيز القياس فيها ورد به السمع مخالفاً للقواعد الثابتة كقاعدة التصغير واسم الفاعل باحري ، فيصح على هذا اخذ اسم الفاعل من شاب في صيغة فاعل وان كان السمع أشيب ، وتصغير ليلة على ليلية كما قال المتنبي « ليلتنا المنوطة بالتنادي »

وان كان الوارد في تصغيرها ليلية . ويستفاد من عبارة صاحب التتاج ان هذه الطريقة أعني طريقة الفراء تجري في مصادر ما فوق الثلاثي أيضاً حيث قال بهذا قول صاحب القاموس « التبيان ويفتح مصدر شاذ » والفتح غير معروف الا على رأي من يجيز القياس مع السماع وهو مرجوح

القياس في الاشتقاق

لا يجب على الناظر في المشتقات من اسم فاعل ومفعول وأفعل تفضيل واسم مكان وزمان وآلة عند ما يريد انشاء قواعدا ان يستقر في جميع آحادها فانه يتمدر عليه الوصول الى هذه الغاية نظراً الى سعة الالفة وانتشارها الى ما لا يمكن الإحاطة به ، وانما يتبع من جزئياتها الى ان يأتي على مقدار بعيد نلتاً قوياً وثقة بان الالفة جارية في مثله على اعتبار قاعدة ، والذي لا يبلغه استقراؤه يكون قاصداً لاجرائه في الكلام على ما يطابق هذه القاعدة ، فيصح لنا ان نعمل على شاكلتها في كل لفظ يتفق دون ان نتوقف على سماع

وهاهنا اشكال لا يزال يتردد على السنة طلاب العربية ، وهو ان واضح القاعدة اذا لم يلزمه استقراء جميع جزئياتها وبكفيه ان ينقص حجة منها فابانه يصرح في بعض الافعال والمصادر - مثل ويح وويل ونم وبش وعنى وليس ويذر - بانها لا تصرف ولا يصح ان يشتق منها اسم فاعل او اسم مفعول او افعل تفضيل ، وأي فرق بينها وبين ما لم يبلغه استقراؤه من المصادر والافعال فيسوغ لنا ان نأخذ منها أوصافاً ولا يجوز لنا ان نأخذ مثل ذلك من ويل ونم وما شاكلهما من المصادر والافعال التي يصفونها بالجمود ؟

وجواب هذا ان الافعال والمصادر التي لم يسمع لها فروع في الاشتقاق جاءت على ضربين (احدهما) ما يكثر استعماله في موارد كلام العرب من غير أن

يتصرفوا فيه مثل ويل وويج ونم وبئس وما يماثلها ، وعدم تصريحهم لما تم
 كثرة زردتها في محاوراتهم ومخاطباتهم دليل على قصدهم لابقائها على هيأتها
 فن تصرف فيها فقد أتى بها على وجه قصد العرب الى تركه ، والناطق بما يقصون
 الى امله ناسج على غير منوالهم وناطق بغير لهجتهم

(ثانيها) ما لا يكثر في مخاطباتهم ولا يدور على السنتهم حتى يستفاد من وروده
 ببيأة واحدة انهم قصدوا الى ترك تصريحه ، وهذا هو الذي نعمل به على طبق
 القاعدة وان لم يبلغنا او يبلغ الواضحين للقواعد ان العرب تلفظوا فيه بصورة
 موافقة لها ، فيصح لواضع القاعدة او مقلده متى اطلم على فعل او مصدر من
 هذا النوع ان يشتق منه وصفاً بمقتضى القاعدة وان لم يره مستعملاً في العربية
 الفصحى . قال ابو عمان المازني : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب
 الا ترى انك لم تسمع انت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وانما سمعت بعضها
 فقت عليها غيره . وقال ابن جني بعد ان سرد امثلة من اسم المكان والمصدر
 الوارد ان على وزن اسم المفعول - : هذا كله من كلام العرب ولم يسم
 منهم ولكنك سمعت ما هو مثله وقياسه .

فاذا اشتق العرب صيغة للدلالة على معنى واستعملوها في امثلة كثيرة فاما
 تأخذ فيها بمذهب القياس ، ولهذا ترى سيبويه يصرح باطراد ما كان على وزن
 فعال من أسماء الافعال كزال ودراك ، وخالفه المبرد فقال هو مسوع فلا
 يقال قوام وقعاد اذ ليس لاحد ان يبتدع صيغة لم تقلها العرب ، وقد عرفت
 ان الذي يفرغ الكلمة في قالب أبرزت فيه العرب أمثلة كثيرة على وجه منتظم
 لا يقال عليه انه ابتدع صيغة لم يقلها العرب ، وليس للمبرد سوى ان ينازع في
 المقدار الذي سمع من صيغة فعال فيرد القياس بأن المقدار المسوع فيها
 لا يكتفي في الدلالة على قصدهم لاطرادها

وجرى الشيخان في صيغة فعال الواردة في النسبة نحو بزاز وعطار على
 عكس هذه المسألة فذهب سيبويه الى انها غير مقبسة مع اعترافه بكثرة موارد هـ
 ورأى المبرد ان المقدار الوارد من أمثلة هذه الصيغة يكتفي لجمالها قياساً فيقال
 هذه لصاحب الدقيق دقاق ولصاحب الناكهة فكاه ولصاحب الشمير شمار :
 وقول صاحب القاموس ويقال لصاحب الخبر حبري لا حبار مطابق لمذهب سيبويه
 (يتبع)

الرحلة السورية الثانية

٦

ذكرنا في النبذة الخامسة التي نشرت في الجزء الخامس ان مسلمي بيروت قد تجدد لهم ثلاث حالات اجتماعية وتكلمنا على الاولى منهن وهي المتعاقبة بالنساء فبقي ان نقول كلمة في كل من الحالتين الاخرتين وفاء بالوعد

(اتفاق المسلمين والنصارى)

الحالة الثانية الميل الى الاتفاق مع النصارى وهذه ليست جديدة بل هي المتبادر من الكلمة وهو انها حدثت بالتطور الذي أحدثته الحرب الاحيرة وما تولد منها، بل كانت من تأثير تطور سابق عليها تبه العرب كغيرهم الى المتعاقبة على جنسيتهم وكان السوريون اسبق العرب الى التنبه والبحث في ذلك من حيث ان لهم وطنا خاصا له حدود ومصالح خاصة فلا تشاركهم فيها الاقتدار العربية الاخرى وأهل مؤلفون من أصحاب ملل ومذاهب يرجع أكثرها الى فريقين محمديين ومسيحيين، بحيث يتوقف عمران البلاد وارتقاؤها على تماوز الفريقين وان كان أكثر مجموع أهالي - البلاد في غير لبنان - من الاولين كما أن أكثر رغبة الارض لهم

فالحق ان للشعور بالحاجة الى الاتفاق بين المسلمين والنصارى عدة محركات الحرب، وثلاثة قبلها وواحد بعدها، والاخير الذي سبق الى ذهننا عند كتابة النبذة الخامسة من الرحلة. أما المحرك الاول فهو الدستور الذي شاق لا أمل بوطنية جديدة عثمانية تقضي على دسائس التفرق في المصالح الوطنية بين المال والنحل، ولكن لم تلبث هذه الآمال ان غابت فكانت خيبتها بمحرك أقوى وهو اضطهاد الامجاديين للعرب واجتهادهم في صرف قوى الدولة الى تقوية الجامعة التركية لوسائل طورانية وأكراه سائر الشعوب العثمانية على الاندغام فيها بمحور لفتهم وجميع مميزاتهم القومية والوطنية ولا سيما السوريين والعراقيين من العرب، وتلا هذا المحرك الثالث وهو حرب البalkan التي انكسرت فيها الدولة انكسارا حرك المطلبم الاوربية المستمد من ثوب في البلاد العربية لاستعمارها - وعلى اثر ذلك تألف حزب الامركرية في مصر رغبة الاستعانة في بيروت من المسلمين والنصارى، وباتفاق الحزبين مع بعض شباب السوريين المتنفذين

(المنار: ج ٨) (٧٨) (الجلد الثاني والمشرور)

بتلقى المسلم في أوربة تكون المؤتمر السوري وجعلت رئاسة ادارته لحزب
اللامركزية لانه أقوى الاحزاب وأناهرها وأعمها

واما الحرب فقد كانت بويلاتها ومصائبها محركا لسانيا وطنيا للتماطف
والقراحم كما وصفنا في هذه الرحلة ووصف غيرنا من الكتاب في الجريد
السورية في جميع الاقطار

واما المهرك الاخير وهو الاحتلال فقد كان يجب ان يكون - بعد تلك
المحركات الممهدة او المؤسسة - هو المتمم للبناء ولكنه كان هادما للاساس
والقواعد وراجها بمؤلاء السوريين السابقين الى سر مما كانوا عليه قبل تلك
التطورات أو المحركات الدافعات لسكل فريق الى السعي للاتفاق مع الآخر
وتكوين جامعة وطنية، وقد كان كل فريق مؤاخذاً في هذا اليوم الذي كان
مظهراً لتفقد التربية الوطنية والقومية وتغليب التعصب الديني على كل ما سواه
حتى كانه - او لانه - قد صار غريزة او ملكة راسخة لا تزول الا بجهاد طويل
يتعرض فيه جيل ويتجدد جيل

ذلك بان الاحتلال المختلط الذي تلا جلاء الترك عن سورية كان مذبذبا
فقد سبق الامير فيصل بمجنوده ورجاله الى احتلال البلاد باسم الحكومة البرية
ورفع على مهاد الحكومة في مدنها علمه العربي الحجازي وكان الاهالي قد
سبقوا الى تأليف حكومة وطنية مؤقتة وتلا ذلك الاحتلال المختلط المنهات تحت قيادة
الانكليز فالتقسمة المشيئة فالتقسمة الثنائية، ولما جاء رجال فيصل اولا خضع لهم
الجميع ورفعت الحكومة اللبنانية علمه على دار الحكومة في (بعبدا) وكانت
المبشرات بالثورة العربية والحكومة العربية الجديدة التي ستتمتع البلاد من
اترك (أ) قد تطلعت في البلاد بسمي الدولة البريطانية فكان محييء رجال فيصل
واستيلاؤهم على مصالح الحكومة منتظرا وعده الاهالي أمرا متفقا عليه بين
الخطاه - ومنهم ملك العرب - فتلقاه النصارى كالمسلمين بالرضاء والتسليم .

وهنا ظهر تقصير المسلمين وجهابهم بالسياسة وطبايئهم الاجتماع اذ شكروا
الحكومة السورية المؤقتة اولا والحكومة العربية ثانيا من انفسهم ولم يطلبوا
كبراء النصارى في الجاه والعلم الى التشاور والاشترك في تأليفها، وقد بحثت
في هذه المسألة في بيروت وغيرها طاعتري لي بمنى من ذا أنرت فيها من المسلمين
بالتقصير وانه لم يكن سوء نية اذ لم يكن من تشاور بين المسلمين أنفسهم
يقال أنهم استأزوا بالاصمال وتعبدوا ان يكونوا وحدهم بحكام البلاد، بل كانت

أعمال في ذلك فردية فكل من يلزم في وظيفة يمس إليها. وإنما كان حين
مجيء إلى ذلك من أفراد المسلمين لما سبق لهم من التسدي لحمة الحكرمة
انعلم في المدارس العثمانية الرسمية لأجل ذلك، وقلما كان النصارى يتسدون
لك ويستمدون له أو يدخلون مدارس الدولة التي هي الوسيلة إليه. ولو كان
سلمين حزب سياسي منظم لما فاته أن يغتنم هذه الفرصة لاتمام ما تأسس في
مع التطورات العربية من أسباب الاتحاق ودواعيه. نعم أنه كان في البلاد
عية سياسية صرية لها علاقة وارتباط بالأمير فيصل ولكن أكثر أفرادها
الشبان الذين لم ترتق بهم السياسة إلى مثل هذا العكس

لم تكدر تستقر الحكومة العربية العيصالية بالاحتلال العربي حتى تبهما
احتلال المحتل من الإنكليز والفرنسيين الذي قسم سورية الشمالية إلى
المتين: غربية ساحلية احتلتها الجنود الفرنسية وجعلت لها السيطرة عليها
ترياسة القيادة الإنكليزية المحتلة منها، وشرقية داخلية احتلتها الجند
ربي باسم حكومة الحجاز وإن كان الجند نفسه محتلًا والمنظم منه مؤلفًا من
بورين والمراقين وقد جعل له السيطرة في هذه المنطقة تحت رياسة قيادة
بريطانية أيضًا. وكان هذا التقسيم مقدمة لتنفيذ اتفاق سني ١٩١٦

١٩١١ وقد اعتمدت السلطة الفرنسية في إدارة المنطقة العربية على صناعاتهم
نصارى ولا سيما الموارنة منهم فكثر من الموظفين من هؤلاء فكانت أكثرهم
جدة لمثل عددهم من المسلمين لأن أكثر الأعمال الحكرمة كانت بأيديهم من
الترك ورأي النصارى أن الدولة قد دالت لهم فرسوا بذلك وسروا به ولم
لن المسلمين يد عندهم في تلك الأيام القليلة التي صار أمر الحكومة إليهم
أقام عرضوا عن المسلمين بل صاروا يؤذونهم بالقرل والقمل واعتزوا عليهم
أواغثوا كبرالم بفعل المسلمين شيئًا منه في دولتهم التي تعد بالأيام لا بالشهور
بالسنيين، ونسوا كل ما كان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم
الحرب العامة حتى رضوا أن يكون لهم نصف الأعضاء في مجالس الحكومة
حبة وغير المستغنية وذلك فوق ما تقتضيه النسبة العددية المادلة التي تجري
جميع الدول الرافية وما كان من عظمهم عارهم واستحسانهم في زمن
ب. وقد اشهر ما وضموه من الاناشيد في ذم المسلمين وأهانتهم وانشدوا
الشوارع والأسواق في بيروت في يوم عيد الفصح. ولولا أن اغتصم

المسلمون بالصبر والحلم لوقعت يومئذ مفئلة طامحة تمد سبة لسورية ما بقي الدهر
على ان المسلمين لم يكونوا قد يتدوا من سعي فيصل الى استقلال جيم
سورية وجعل حكومتها عربية بل كان رجاؤهم في ذلك عظيما وقد شهد لهم
بعض كهراه الضباط الانكليز على المسيحيين ولا نحب ان نشرح ذلك ولبليل
فيه لكلا يمد انتصارا منا لاهل ملتنا ونحن انما نكتب لاجل التأليف والاتفاق
لا لتقوية الشقاق. وغرضنا ان نقول ان مسلمي بيروت شمروا في هذه الحالة
بشدة حاجة البلاد في هذه المنطقة الى الاتفاق بينهم وبين النصارى على الوحدة
الوطنية ولكن لم يجدوا منفذا للسمي . ويقابل ذلك في المنطقة الشرقية - حيث
يقول المسيحيون - ان المسلمين كانوا والحكومة في ايديهم يجتهدون في استماله
النصارى واشرا كهم في كل عمل ويودون اعطاهم فوق ما يريدون بحسب النسبة
المددية وقد جرت الاحزاب السياسية على ازالة الصبغة الاسلامية من الحكومة
ارضاءا لهم وظهر اثر ذلك في المؤتمر السوري والقانون الذي وضعه للحكومة
السورية العامة المتحدة فانما اذكر هذا وذلك لا لتسجيل الذنب الاكبر على
النصارى وتصنيذ المسلمين او تبرئهم بل لانيت به اخلاصهم في الميل الى الاتفاق
وقد كتبت وأنا في بيروت عدة مقالات في جريدة الحقيقة بامضاء (السيد)
دعوت فيها الى الاتفاق بالحجج الناهضة والاساليب الجاذبة ، واجتناب كل ما
ينفر من الغاية المقصودة فنظير لها تاثير في زيادة ميل المسلمين الى الاتفاق ولم
يظهر لها في النصارى الا اثر ضئيف في بعض شبان المدرسة الامريكانية الجامعة
وقيل لي ان آخرين من الاحرار المستقلين قد سروا بها ولاكن لم يستجب الدعوة
منهم احد ، ولو لا ان كانت تلك المقالات فائضة من روح الاخلاص والانصاف
والتلطف في الدعوة لوجد فيها المتعصبون من القوم والذين يخدمون سياسة
التفرقة ما أخذ للرد عليها ولكنهم لم يجدوا الى ذلك سبيلا ، وقد نقل اليانا ان
الاستعداد للاتفاق يقوى بممل الزمان تاما بمد عام . حقق الله الآمال

التربية المليية مع التعليم المصري

لقد نام المسلمون نومة اجتماعية أطول من نوم اهل الكهف وانقل ،
الموقفات التي تصخ الاسماع تتوالى من حولهم كالصواعق وقد ضرب على
آذانهم فهم لا يسمعون ، ولما بمتوا وجدوا ما يعرفون من سير البشر قد تبدل
فصار على غير ما يمهدون ، رأوا التربيين قد سادوا العالم وتولوا ادارة شؤونه في

بلادهم وبلاد غيرهم من حيث يشعروا أولئك الاغيار ومن حيث لا يشعرون ،
غاروا في امرهم لا يدرون ما يصنعون
ماذا يعملون؟ ولماذا لا يدرون؟ وكيف يمتدح بهذا الجهل المملون؟ القرآن
صحيح بهم من فوفهم، (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وشواهد
هذه القاعدة الاجتماعية القطعية بين أيديهم وعن ايمانهم وشماثلهم
صفات الانفس التي يتوقف تفسير احوال الامم بتغيرها هي ما يثبت على
الاعمال ، من علوم وأخلاق ، وهما يكتسبان بالتعليم والتربية كما ورد في
حديث « العلم بالتعلم والحلم بالتحلم » فأما العلوم النظرية والفنون العملية ،
انتماعات آتية ، ترتقي بارتقاء العمران ، وليس لها دين ولا وطن ، بل يتبع فيها
سير العمران واختلاف الزمن ، وأما الاخلاق والملكات النفسية ، التي تتجدد
بها حياة الامم الاجتماعية ، فهي تختلف باختلاف الامم في المقومات والشخصيات
لملية والقومية ، وتراعى فيها الفرائض القومية والوراثة الجنسية ، فهالناس معادن
كعادن الذهب والفضة « هم كذلك في افرادهم ، وفي جماعاتهم وأقوامهم »
فالقوم يمرض لهم القوة والضعف ، والمز والتدل ، كما يمرض للممدن الصقل
والصدأ ، والتربية والتعليم للافراد والاقوام كالمصقال للممدن الذي يظهر رونقه
القطري ويزينه ويمظم الانتفاع به ، ولا يقصد به تبديل جنسه ونوعه بتحويله
الى نوع آخر - فلماذا لم يجار المسلمون الغربيين في أساليب التربية الملية والتعليم
المدني ومدارسهم بين أيديهم في ديارهم ولا سيما بيروت منها ؟ فأعظم المدارس
التي أسسها الافرنج فيها المدرسة الانجيلية الامريكانية والسكوية اليسوعية ،
فلماذا لم يقتدوا بهم بتأسيس مدرسة قرآنية أو مدرسة محمدية ؟ على ان سائر
المدارس التي أسسها الافرنج وتلاميذهم من النصارى الوطنيين دينية التربية
ومنسوبة الى البطارقة والقديسين من رجال دينهم ، وبالتربية الدينية فيها
كانت مسيحية بخالصة من شوائب الاهواء المياسية - كلاً : ان كل شعب من
شعوب الافرنج قد بث في مدارسها التي أنشأها في الشرق دعوة مسيانية تفضح
فيها من روح الدين والمذهب فكان ذلك أكبر أسباب الشقاق الديني في سورية
وقد كان هذا خفياً عن الدولة العثمانية الجاهلة المتساهلة وعن أكثر الناس
ولكن صار معروفاً للمعروف كالخوارج ، اذ ظهر تأثيره بما تجدد من الفرق
والشقاق ، بمد تلك المسائل التي مهدت للاتفاق . وهي ، ما أشرنا اليه في الفصل

الاول من هذه النبذة

علم مسعود بيروت من ضرر مدارس الاقويج في هذه الايام ففرق ما كانوا
يبلغون وناميك بها وقد حلها زوال الحكم الملكي من لبنان على التمدد في
اجتهاد من يتعلم فيها من اولاد المسلمين على تلميذ دولي في الامانة المصرية
وحضور وعملها وصلاتها - فافتحت ذلك بالقائه مع جليل دعوت فيها الى
تأسيس مدرسة كلية اسلامية ، ثم رغبت الى مربيك الماهر الذي كان رئيس
البيروت ان يدعو كبار الاجتهاد الذين يربون شبابهم في هذه الايام دعوتهم
الى الاكثاب لهذا العمل فلبى بالارتياح ، ولما انتظم عقدهم اتستوفهم خطابا
بما يقتضيه المقام من النظم الذي يرجى ان يقع موقع الاجتماع من القول ،
والثأير من القلوب ، وفتح عقب الفراغ منه باب الاكثاب فدخله الاكثرون
واربوا الاقلون ، ولكن كل ما كتبوه من المبالغ غير لائق بهذا المشروع العظيم
ولا يباع على الرجاء في النجاح فآلمني ذلك وحزني الى القائه خطابا آخر كان
شديدا بقدر شدة تألمي وتوبيخ شعوري حتى قال لي شديدي احمد مختار بهم
بعد ايام انه لا يوجد احد قبل منه هذه الهجة الشديدة لمرآة ولكن كالم من
تأثير الاخلاص فيه ان ضاعف كثير من المكتتبين ما كانوا كتبوه من التبرع
ثم اتنا لجنة من كبار الوجاهة اهل الفيرة كانت نظرف على من لم يحضر ذلك
الاجتماع في مكاتبتهم ومخازن تجارتهم لاتمام الاكثاب ، وافرادها عمر بك
الداعوقد وابر علي سليم علي سلام افندي واحمد مختار بك بهم ومحمد افندي
الفاخوري ورشيد افندي اللاذقي ورشيد رضا كاتب هذا . وقد بلغ الاكثاب
بالمبالغ الحميدة بضمنة الاكثاب من الجنيحات مع اكتاب سنوي ، آخر وقد سافرت
الى الشام قبل اتمام الاكثاب فوقف سيره ولكن الفلج لم يفت فقتنا معا
ارضا ورسمة بجوار الخرش باسم هذه المدرسة ستنه قريبا ان شاء الله تعالى
هذا ما انتهى اليه السير بالاستعداد لهذا المشروع وهو ليس مما تبين
به الوجوه ، الا اذا نظر اليه من حيث انه بدء جلاء اجتهاد حميدة يرجى الى
تشي وتزاد بالمنل وقد كنا معشر الساعين اليه غير مغرورين بل متواضعين
استعدادا ولذلك اتفقنا على انه لا يرجى نجاحه وثباته الا اذا عهد به الى جمعية
لغايد الطيرة الاسلامية التي ستكون ان شاء الله تعالى من أغنى الجمعيات
الوطنية فقرربا نوط العمل بالجمعية ، وسعينا الى تجديد نظامها وتنظيم جلساتها

التي كانت معطلة فتم ذلك في أقرب وقت بمساعدة رئيسها صاحب الفضيلة مفتي بيروت أدام الله النفع به

ولما شعر المسيحيون بهذا السعي استكبره على المسلمين المتكبرون ، وكرهه لهم ومنهم الكارهون ، وكتبوا في جرائدنا اننا نريد لوطننا السوري مدارس وطنية ، لا مدارس دينية ، فالدين هو الذي فرق كلمتنا ، واغرى العداوة والبغضاء بيننا ، فرددت عليهم في جريدة الحقيقة بأن المدارس الدينية التي فرقت وفعلت ما فعلت هي مدارس مسيحية لا اسلامية ولا وطنية فاذا وضيعتم بتركها واستبدال مدارس وطنية بها فاننا نضع أيدينا في أيديكم وأموالنا مع أهوالكم وأولادنا مع أولادكم ، ولكننا نقول ان الدين لم يكن هو المفرق والمغري بالعداوة بأصوله وتعاليمه بل بسوء استعمال السياسة الأجنبية له واننا بالتربية الوطنية يمكننا أن نجعله من أكبر أسباب الاتفاق والتعاون ، وفي نصوص القرآن والانجيل ، ما يهدي الى سلوك هذه السبيل ، وهي التي سلكها فقيد الوطن البستاني الذي اتفق المسلمون مع المسيحيين على احترامه والاحتفال في هذا العام بذكرى ، روز مئة سنة من تاريخه

فهلما تنشئ مدرسة وطنية جامعة ونجمل في جانب منها مسجدا وفي جانب آخر كنيسة ، فان التربية لا تكمل بغير فضيلة والفضيلة لا تكمل بغير دين ، وفي كل من الدينين الاسلامي والمسيحي فضائل كافية ، وهي في الاكثر متنقة أو متقاربة . فليرب كل فريق منا أولاده على عبادات دينه وفضائله ، ومحبة وطنه والتعاون على ترفيته ، على قاعدة المنار الذهبية (تعاون على ما نشرك فيه ، ولينذر بعضنا بعضا فيما يختلف فيه) فنحن مشتركون في أرض هذا الوطن وفي جميع مصالحه الاقتصادية والسياسية ومشتركون في اللغة فتتعاون على ترقية ذلك بجميع قروعه ولينذرنا مختلفين الا في الدين ومذاهبه فيحفظ كل منا الآخر فيه وليعلم الافراد المارقون من الدين من الترفيق انهم ليس في استطاعتهم هدم الدين وهذه البلاد وما يجاورها هي مهددة ومنيت الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - أولئك المقام الذين يقدس ذكركم مثبات للملايين في الشرق والغرب ولا يمدون احدامن الفلاسفة ولا من الملوك والفاطميين مسلوبا ولا مدانيا لاحد منهم بل ولا أصحابهم وتلاميذهم لاولين ، ولا أوليائهم المخلصين . بهذا قامت الحجة لنا عليهم والمخلص في الدعوة الى المصلحة العامة لا تدحض له حجة لان الله تعالى هو الموقد له (قل لله الحجة البالغة فلو شاء طردكم اجمعين)

سورية تحت عرش بيتنا^(١)

أولاً وآخرها

لعالم الكاتب السياسي الكبير الامير شكيب ارسلان
« في البيان »

قبل ان انجلي الاتراك عن سورية كان جميع اهلها عرباً ولم تكن تسم فيها
بسرياني وعبراني الا من قبيل الماديات (الانار المتيقة) . وكثيراً ممن برزوا لنا
الآن بالحلة السرمانية كانوا من صميم القحطانيين يومئذ ، وذلك لان مقصد
مثل هؤلاء كان اخراج الترك حتى يحل محلهم احدى الدول الاجنبية . فلما خرج
الترك وجاءت محلهم دولة عربية تريد تحرير البلاد باسم العرب وتبني كل من
يريد ان يفتي البلاد من غير العرب جدت عند بعض هذه الفئة القليلة من اهل
سورية لغمة لم تكن مبهودة من قبل وهي اتنا نحن سريانيون غير عرب وان
لفتنا هي السريانية وانما غلب علينا الانسان العربي منذ قرون ولكن بقيت لنا
فيه طجة خاصة نשמركوننا سريانا وباليتمهم قصرنا دعواهم على هذا
القول فكنا نوافقهم على كون هذه الفئة القليلة هي سريان ولكن طمحو الى
دموى اعرض من ذلك وهي ان سورية كلها سريانية وانما بدخول العرب
الناخبين تعلم اهلها اللسان العربي وهذا غاية ما في الامر

تكررت افواويلهم هذه سواء في جرائد عربية اللغة او اجنبية اللغة والعرب
قلما ينفلون بها لخروجها من التاريخ وامانها في التحكم وكونها غلطاً او مغالطة
فاوهم ذلك بعض اخواننا من ابناء البلاد انهم على حق فيما يدعون فيه
ومن هذا القبيل رسالة طالمنها آخراً تحت عنوان « الحقيقة ضالتنا
المثبودة » حاول فيها الكاتب ان يثبت كون سورية سريانية لا عربية وان
لا ينبغي ان يثقل هذا القول على العرب اذ ليس فيه مساس بكرامتهم وكما لا
يفض العرب ان يقول : ان الرئيس ليسوا عرباً . الانكاز ليسوا عرباً . الايطاليون
ليسوا عرباً . فكذلك قولنا ان السوريين ليسوا عرباً وانما هم سريان . توفرت
على ذلك الادلة التاريخية والاركيولوجية والاثنولوجية الخ والاعتراف بالحق
أولى . الى غير هذا من الافاويل التي كنا نحب ان نطوي عنها كصحاً كاطوى

(١) نقل من مددي جريدة الانكار البرازيلية المؤرخين ٦ و٩ نيسان (ابريل) سنة ١٩٢١

هو عن مناظر حدث عنها ، الا انه لما كان جاء من باب التاريخ والحقائق العميقة وكان من الفضلاء المستقرين لخبير والاثرة المفرمين بالسير والنظر - كما يظهر من كتاباته - أحببنا ان نعرضه مع عباب هذا البحث متوخين فيه لوجهة المصلحة المعرفية ممتددين على التاريخ - لكن التاريخ الحق انا هو لا الخيال ولا الخن - لان الحقائق لا تكون بالظنون بل بالادلة وبمد ذلك ترك مقارى المنصف ناشد الضالة التي أشار اليها الكاتب في رأس رسالته الحكم على سب الاكثية من أهل سورية أهو عربي أم سرياني .

قول : أولاً - ان العرب والسريان (والمبرانيين) هم جيما من الشعوب السامية لانه قد اتفق المؤرخون الاثبات على كون الساميين قسمين (أحدهما) الساميون الشرقيون وهم البابليون والاشوريون ، وبمد ذلك . فالساميون الكنعانيون وهم الذين كانوا في فلسطين قبل اليهود والكنعانيون مكان - واحل سورية أي القينقيون واليهود والاراميون والسريانيون وآراميو فلسطين الذين خلق باقتهم السيد المسيح عليه السلام والتدمريون والنبط

ثانياً - الساميون الجنوبيون وهم العرب وهؤلاء قسبان الشماليون وهم هدنان ، والجنوبيون وهم قحطان والعرب البائدة وعرب المهر واهل جزيرة سوقطرة وينضاف اليهم السامون والافريقيون وهم الحبشة وهؤلاء ثلاثة اقسام وهم اليتري والتارينة والامارينة ، وكذلك من الساميين أقباط مصر وهم الصوماليون والجبوت من جنس واحد

فالسريانيون اذا هم والعرب من فروع شجرة واحدة متدانية الاخصان يدل على ذلك تقارب ما بين لغتي القريقين حتى لقد يفهم العربي بعض السرياني بدون تعلم بل بمجرد السماع لشدة ما بين اللغتين من الشبه ولقد اعترف بذلك الكاتب صاحب تلك المقالة ولكنه تجنب في الموضوع ذكر سبب هذه المشابهة وهو انخاذ الاصل ووشيجة الرحم بين العرب والسريان . فنسبة السريان الى العرب ليست أبداً من قبيل نسبة الفرنسي ولا الانكاز ولا تنسب من الشعوب الاوربية الى العرب ، بل هي نسبة ابناة صوم السلالة بحيث ان الفرق بينهم هو كالفرق بين الفرنسي والاطالي أو الاسبانيولي من تجهم اللاتينية أو هو أقل من ذلك

ثالثاً - ان أكثر المستشرقين الاوروبيين لا يرون في أكثر الامم السامية (المراجع الثاني والمشمرون) (٧٩) (المراجع : ج ٨)

الابلونا من العرب . وان السريانيين هم في الحقيقة الاراميون وان الاراميين كان فيهم عرب كثير لانه ليس المقصود بالاراميين شعبا ذا عرق واحد بل معنى كلمة الاراميين سكان البلاد المالية كما ان معنى كلمة الكنعانيين سكان السهول . كما انه في اواسط آسيا يوجد الابرانيون والطورانيون وقد يتوهمونهم شعبين منفصلين نسبا والحال ان معنى الابرانيين سكان الحواضر ومعنى الطورانيين سكان البوادي . ولقد ثبت كون العرب مكذوا سورية من على عنق الدهر راحلين اليها من الجنوب فدخل منهم من سكان السهول في الكنعانيين واندمج من سكان الجبال في الاراميين وهؤلاء الاراميون لم يتسموا سريانا الا فيما بعد سماهم بذلك اليونان وادعاهم الكتاب ان السريانيين السوريين هم السريان اهل بابل واشور - ولهذا هو ينتخر بمدنيتهم - هذا فيه ما فيه فان المؤرخين لا يخلطون بين السريان والاشوريين كما خلط حضرة جهلا أو نجاهلا لفرض في النفس

رابعا - ذهب الاستاذ « سبرنغر » الالماني في كتابه « حياة وتعاليم محمد » صلعم و كتابه الآخر الشهير « جغرافية بلاد العرب القديمة » الى ان جزيرة العرب هي مهد جميع الساميين . وعمن ذهب الى ذلك من حول العلماء الاستاذ سايس الانكليزي في كتابه « اجرومية اللغة الاشورية » ومثله الاستاذ شرودر الالماني أعلن هذا الرأي في مجلة الشرق الالمانية . ومثله الاستاذ رايت في كتابه « اجرومية اللسان السامية » وهو المدرس بكلية كبرديج . ثم العلامة ماكس مول قال هذا القول نفسه وغير هؤلاء من العلماء المحققين ذهبوا الى ان جزيرة العرب هي مهد الامم السامية باسمها فيكون السوريون بحكم الضرورة عربا في الاصل كما لا يخفى . وذهب آخرون الى ان اصل الافوام السامية هو من افريقية هاجروا الى جزيرة العرب وفيها نشأوا ونموا وتفرمت عجزاتهم ومنها خرجوا الى سائر الاقطار . ومن اصحاب هذا القول روبرت صييث الانكليزي وبارنون الامريكاني وغيرهما وعلى كلا المذهبين يكون صرحم السوريين الى المريية

خامسا - في عهد المائة المصرية السادسة أفتد قائد فرسان من مصر لاوتباد اراضي سورية فلم يجد هناك سوى الكنعانيين ولم يقف يومئذ على أثر للفلسطينيين ولا للبرانيين هذا في كتاب العلامة الهولندي تيل وان كثير

من المؤرخين البعائين لا يرون في الكنعانيين الا بطنا من العرب . ثم اسما
المصريين الاقدمين حاروا جيلا اسمهم الشامو في جهات سيناء وخبوي سوريا
وهذا الجبل كان موريا

سادسا - الفينيقيون هم في سورية قبل السريان وقبل الاراميين وقد ذكر
هيرودس ان قضا من الفينيقيين باهوا الحاجة خليج فارس كما ان الملامة
الانكليزي بينت اجري حفريات كثيرة في جزيرة البحرين استنتج منها
كثيرا الفينيقيين من من هناك وانهم خرجوا الفينيقيين جاها من سواحل
البحر الاحمر ، وعلى كلا الجانبين فهم عرب من نفس جزيرة العرب . وبعد ان
بينت كون الفينيقيين مريا لا يبق على النزاع في مصرية القسم الاعظم من
أهل سورية ولا في الدرجة العليا التي يجلها العرب في تاريخ المدينة قبل
الاسلام فضلا عما بعده

سابعا - الانباط هم عرب يمانيون وقد كانت لهم في سورية دولة وسورة
ومدينة ضخمة نذله عليها اكثرهم وانخاطهم وكانت لهم جرش وسجد وطر
ووادي موسى (بترا) واذ لم يكن من ضمنهم سوى وادي موسى (بشجر)
من الجبال يونانا فاهمين) لكنى فكيف وهناك جرش وما فيها واهم التي
كانت عروس المشرق ، ومن الانباط الحوريون الذين يقال لهم العشق كانوا
جنوبي نهر الاردن

ثامنا - عند مجيء ابراهيم الخليل الى سورية كان في هذه البلاد عنبزان
أحدما الحثيت في الشمال والثاني العرب الكنعانيون والعموريون الكنعانيون
في الجنوب وقد وجد ابراهيم ملك صادق الملك المرشد الذي كان نكاح ابراهيم
يبعد النبي الاعلى وأدى اليه ابراهيم كالمشر وان الملامة عبرت من الفينيقيين
في الحضارة الآرية في القرن التاسع عشر . يذهب الى ان ملك صادق كان
موريا . فليظن الانسان في أي دور كان العرب في سوريا ودولها في سوريا
تاسعا - يهاتف المؤرخون على ان يكون أساس المدن القديمة هو التجارة
والتجارة وكل الآثار التي من شأنها كثر مراسم الديانة في سورية أتت من
جنوبي جزيرة العرب . وأهم مراسم اليهودية مأخوذة من ديانة مدين وحى
يعانية بحثة والفينيقيون سكان سيناء كانوا عربا من اليمن ايضا
هذا ومن اطلع على كتب وهاورن الألماني وروبرت سميث الإنكليزي

المؤرخين البعثيين في الامور الدينية بر ان أكثر هذه المسماة بالطقوس آتية من جزيرة العرب كما ان المؤرخ الامير كافي هارون بورتون ذهب الى ان كل الاديان السامية هي من العرب . أما التجارة فمن المقرر ان أكثرها كان مع اليمن وانها كانت سبب صمادة سورية حتى ان ثروة سليمان بن داود الشهيرة كان معظمها من الاتجار مع اليمن ولا يخفى انه باستمرار القوافل بين اليمن وسورية كثر طراه العرب على الديار السورية وأوطنها وتمكنوا وتشعبوا فيها .

عاشرا - وجد الضجاعة من عرب اليمن في حوران وجنوبي سورية قبل الاسلام باحقاب متطاولة . وفي زمن النبي ايليا أي قبل المسيح بنحو ستائة سنة جاء القائد نمان العربي من الشام يستشفى من البرص عند البشع تلميذ ايليا . ثم كان بنو سليج وكانوا يحكمون حتى أبواب مدينة دمشق أما الفساسنة وهم من الازد من عرب اليمن أيضا فقد كانوا في فلسطين والشام وتدمر وكانت لهم القوة والصولة وبقيت عنهم الآثار الباهرة واستمر ملكهم نحو ستائة سنة - فيما أتذكر - الى ان ظهر الاسلام . فأنت ترى تماقب الدول العربية على سورية من ايام الكنعانيين وملكيمادق الى الانباط والمالقة والفينيقيين الى الضجاعة الى الفساسنة وكل من هذه الامم انبسطت وامتدت وتركت ملايين من الدراري في ارض سورية

حادي عشر - كان الغالب على سورية المنصر الوارد اليها من الجزيرة العربية قبل الاسلام فكيف من بعده . وقد جاء العرب المسلمون وفتحوا البلاد واندفن سيل المهاجرة من كل حدب واستمر ثلاثة عشر قرنا الى اليوم . ومما قرره علماء التاريخ ان الحواضر السورية تكسب كثيرا من البوادي حتى ان بعضها قد ينقرض لولا طراه البادية . وليس ورود العرب على سورية وايطانهم سورية هما من قبيل الحدس والتخمين وان ذلك عقلا لا بد ان يكون هكذا بل مثان الوف من أهل سورية الآن يحفظون أنسابهم ويعرفون انفسهم انهم عرب ومنهم من عنده كتابات خطية تثبت دعواه ومنهم من يعتمد على التوارق ومنهم من اتعلمت به أسباب العلم عن معرفة أصله ولكنك تعرفه عربيا من سمعته ثاني عشر - اما كون أهل سورية أسلموا لدن النتج العربي فتريد عليه دليلا واحدا زبد تاريخا أو نصا مبينا أو قرينة قاضة لا يكفي في ذلك مجرد الظن لان الظن لا يفي من الحق شيئا . نعم اننا لا نستبعد ان يكون كثير من

الافراد عند الفتح وبعد الفتح على توالي القرون دخلوا في الاسلام ولكن لا يؤدي دخول هؤلاء الى كون السواد الاعظم من أهل سورية كانوا يوم الفتح الاسلامي نصارى أو يهوداً وأسلموا . كما ان وجود العرب نحو مائة سنة في جنوب فرنسا وتنصر من بني منهم هناك بعد جلاء الحكومة العربية من تلك البقاع ، لا يفيد كون معظم أهل جنوبي فرنسا أصلهم من المسلمين بل يقال ان كثيراً من العائلات في هاتيك الديار ترجع الى العرب . كذلك تنصر عشرات الوف من عرب الاندلس وربما مئات الوف عند ما حملهم فرديناند وازابلانم ديوان التفتيش الشير بعدها ثم فيليب الثاني على اعتناق النصرانية بالسيف والنار وربما خيروهم بين التنصر والجلاء فالذي عز عليه دينه جلا والذي عز عليه ملكه ووطنه تنصر ورغم هذا فلا يستلزم مؤرخ ان يقول ان اكثر سكان اسبانيا أصلهم عرب . فهذه الرواية التي معناها ان اكثر أهل سورية أسلموا عند الفتح العربي لإصحة لها ، والصحيح ان الأمة الفاتحة غلبت ونمت كما هو شأن جميع الأمم الغالبة وان الأمم المغلوبة ضعفت وتناقصت كما هو شأن جميع الأمم المغلوبة على أمرها ودخل في سورية أقوام كثيرة من المسلمين غير العرب فاستمروا وصاروا عرباً منهم الأتراك ومنهم من المغول ومنهم من الأكراد ومنهم من الشركس ومنهم من فراروا في أيام الفاطميين وغير ذلك ففاق عدد المسلمين في سورية كثيراً على عدد سائر الملل بهذه الاسباب العديدة ثالث عشر - ينبغي لمثل هؤلاء الذين يرمون الكلام على عواهنه ويقولون ان السوريين هم سريان ان يراجعوا التواريخ العربية ما كان منها على مدار الاعراب ودخولهم في الحواضر كالقطنندي والمقرزي وعلى تواريخ الحروب البليبية التي حررها مؤلفو العرب وعلى كتب التراجم وأنداب بعض العائلات والمصادر وعلى أخبار القيسية والبنية وعلى الجغرافيات العربية القديمة بحيث يتكون عندهم التصور اللازم لمعرفة الحقيقة . بل لا يكفي هذا وحده حتى يقترن بالتنقيب بين سكان البلاد وسؤال قبيلة قبيلة وقرية قرية عما يظنون من اصولهم وبعد ذلك يظهر انه ليس الجهل الذي نشأ والملم الذي طمسها اللذان جعلوا أهل سورية يقولون « نحن عرب » بل الجهل بتاريخ العرب وبأنسابهم والانتصار على رواية واحدة هما اللذان أدنا الى القول الجديد « ان السوريين سريان » : ان العرب هي الأمة الوحيدة التي يستوي عاميها وخاصيها

في معرفة نسه ولم يبلغ انحطاط العلم في سورية ولا مرة ان جهل العرب فيها اصولهم وما على المرتاب الا ان يجول بنفسه في البلاد ويستقصي من اهلها عن اصلهم ليلس الحقيقة لمساً

وابع صغر - ان كثيرا من نصارى سورية هم من اصل عربي غصاصة وغيرهم. منهم من بقي بحوران ومنهم من جلا الى دمشق وحاصبيا وبعطبك وزحلة وجبل لبنان . ولا يذ مني الا ان ان المرض لاسماء هذه البلدان التي تعرف انفسها. ولعلنا نذكر ذلك مرة اخرى . وان طائفة الدروز هم من قبائل لحم وجذام ويطون اخرى جاءت اباؤهم ايام الفتح الى مرة النعمان ثم اسكنهم الخلفاء الصباسيون جنوبي لبنان وان اكثر طائفة الشيعة هم من طائفة من عرب اليمن جاءوا الى الشام وزلوا بجبل سمي بهم وهو جبل طائفة او بلاد بشارة ولست ادعي اني هل شيء من الاطالة بانساب عرب سورية فان ذلك بحر زاخر لا ساحل له لكن المعروف منه عندنا هو مما تضيق عنه هذه المجالة.

وبالاختصار فالسواد الاعظم من مسلمي سورية وطوائف سورية المنتسبة من الاسلام هم عرب ثم مستعمرون من امم غير سامية . وان قسما عظيما من نصارى سورية هم عرب صراح لا جدال فيهم وان يذ الطائفة المارونية ذاتها التي تنتسب الى السريانية بطوناً كثيرة عربية جلت الى لبنان من حوران باعتراف المؤرخين اللبنانيين من اهل التحقيق ، وسواء اراد بعض السريان ان يفصلوا انفسهم عن العرب بعد ان استعمروا منذ دهور او لم يريدوا فان الاكثرية الطائفة في سورية هي للعرب الحقيقيين . انتهى

شكيب ارسلان

حاشية للمصحح: هل كان التظليون الذين حاربوا مع عبد الملك ضد خلافة

عبد الله بن الزبير مسلمين ؛ هل كانت جيوش العرب المنتصرة التي حاربت مع العرب في المراق ضد المعجم مسلمة ؛ هل ينكر ان بني الخازن وبني حبيش وآل شهاب وآل ابي اللمع من نصارى لبنان - وهم من علية طوائف لبنان - غير نصارى ، ولا عبرة بان هذه الطوائف ارتدت ولكن : هل هي عربية ام اعجمية ؟ و كتبه صالح مخلص رضا

ترجمة فقيه العلم والاصلاح

أحمد فوزي عمران

بقلم شقيقه محمد بسوي عمران في (جاوه)

حضر العلامة للفضال ، ذي الفضل والكمال ، سيدي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاضرمتمني الله والمسلمين بوجوده الشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاني اكتب اليكم اليوم ويدي مضطربة وقلبي مملوء حزنا وأسى والمهوم مسددة على القلوب لما رزقنا بل رزقت به سبب كلها من فقد شقيقنا العزيز أحمد فوزي عمران ليلة الخميس الواقعة في ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٣٩ الموافقة ٥ مايو سنة ١٩٢١

ألا ان مصيبتنا في فقيدنا المرحوم كبيرة كما كان رجاؤنا فيه لاصلاح الامة كبيرا . لما رزقه الله تعالى من الاخلاق القويمة والصفات الكريمة ، فكان رحمه الله مخلصا قوي الايمان ، قائما بالواجبات ، منزها عن الفواحش والمنكرات صادقا في الجدل والمزل ، عالي الهمة ، قوي الارادة ، ساعيا في مصلحة الامة ، محبا للعمل ، متواضعا تامحا أمينا ، صابرا حلما ، عزيز النفس ، مكرما محبوا من أقاربه وأصحابه وقومه وجميع من عاشره من مختلفي الاجناس ولكن الله سبحانه وتعالى لم يحقق رجائي ورجاء الامة فيه فقه ما أعطى وقه ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، ألا الى الله تصير الامور

ولد رحمه الله تعالى يوم السبت غرة شعبان المعظم سنة ١٣٠٦ ولما بلغ ست سنواته من عمره عليه والدنا الشيخ محمد عمران مهراج اتمام قاضي سبيلين فراهة القرآن الشريف ثم أدخله في مدرسة الحكومة الهولندية لينظم فيها الكتابة الملاوية وميلدي الحساب وأنا يومئذ في مكة المكرمة اطلب للمعروف فيها ففاق رحمه الله في المدرسة أقرانه وتقدم عليهم ، ولما أتم دروسه فيها لم يطلب أن طلبته الحكومة معلما في هذه المدرسة . وفي سنة ١٣٢٨ فوت رغبته لي تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية . وكنت أنا منذ سنتين ونصف حجت من لغوري من مكة المكرمة فقلت له : ان أدركت أن تتعلم اللغة العربية وتعلمها

والعلوم الدينية والدينية (المصرية) فاذعبت الى مصر وأنا اذهب مملك فاتفق رأينا وطلبنا من الوالد رحمه الله الاذن بالسفر الى مصر رأسا لاجل طلب العلم فيها فلم يستطع مخالفتنا في ذلك ، وأخبر الوالد رحمه الله مولانا السلطان محمد صفي الدين بمرادنا فسر ذلك الخبر وقال له : انا نرجو ان يكون ولدك نبراسا لبلادنا . وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ سافرت أنا والفقيد رحمه الله وأحمد سمود وسمد علي من أهل بلدنا الى مصر القاهرة ذاكرين اسم الله وناوين طلب العلم فيها وفي يوم ١٣ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٨ وصلنا الى مصر القاهرة وزلنا في بيت مصلح الامة العالم العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فانا لم نكن نعرف غيره من الناس في مصر ولا محل رجائنا في تحقيق أملنا وأملنا لتحصيل ما سافرنا وهاجرنا اليه غير هذا المصلح العظيم ، وما كنت أعرفه ولا أرجو فيه مارجوناه الا بعد قراءتي المنار فاني اشتركت فيه منذ سنتين قبل سفرنا الى مصر ، وقد قابلنا في محطة مصر شقيقه الفاضل السيد صالح رضا وكان السيد صاحب المنار ينتظرنا في منزله الشريف ولما دخلنا وصلنا عليه قابلنا بمفاوة واکرام على عظم قدره وعلو مقامه ، وأكرم مشوانا وضيافتنا ولم تنتقل من بيته الا بعد أيام — جزاه الله عنا خير الجزاء — وكان أول ما سألتني عن احوال مسلمي جاوه وملايو فأخبرته بما علمت وظهر لي انه متأسف من المحطاطنا في الامور الدينية والدينية وانه مهتم بأمورنا الدينية بل والدينية . ولم يكن أحد منا يعرف اللغة العربية سوى كاتب هذه الاسطر وكنا نود لو نقرأ على السيد وتعلم منه العلوم العربية والدينية وغيرها من العلوم المصرية ولكن لم يجد وقتا لذلك لكثرة أشغاله واشتغاله بما هو أكبر من أفرائنا وتعليمنا من الاصلاح الديني والديني الصام ومع ذلك لم تقفنا ارشاداته وافاداته وذلك قبل تأسيس مدرسة دار الدعوة والارشاد ، وأما بعد تأسيسها وفتحها فقد كنت أنا والفقيد رحمه الله نحضر دروس التفسير والتوحيد التي ألقاها السيد في المدرسة ولم نحرم والله الحمد ما كنا نوده وتنمنا وكنت أنا والفقيد رحمه الله نتعلم في الازهر الشريف ويأخذ كل منا معلما خصوصا بأجرة وبغير أجرة . وكان رحمه الله يقرأ النحو والصرف والفقه ويشتمل بحفظ اللغة العربية ، ولم يمكث سنة واحدة بمصر الا وهو يعرف النحو والصرف وينشئ باللغة

المرية ثم أصبحت مدرسة دار الدعوة والارشاد بالروضة بجهة مصر القديمة وكان
 ناظرها ومديرها الملامة صاحب المنار ودخلت أنا والفقيد رحمه الله تعالى في
 هذه المدرسة المباركة بعد امتحاننا فيما اشترطته في طلابها من المعلوم التي تعلموها
 وكان الفقيد رحمه الله تعالى يجاري طلبه المدرسة المصريين الذين ظفروا
 العلم في الأزهر نحو ثماني سنين في العلوم التي تعلم فيها غير أنه رحمه الله لم ينطلق
 لسانه بالتكلم باللغة المرية الطلاق السنة المصريين . وفي سنة ١٣٣١ هـ هجرت
 الى وطننا سمسب والفقيد لم يزل يطلب العلم في المدرسة ، ويشتمل بالمطالعات
 والمذاكرات والمكاتبات ، ثم خرج من المدرسة واتخذ معلمين خصوصيين لم
 يفارقهما حتى صافر الى سمسب أول سنة ١٣٣٥ ، وكان قصده التوجه أولاً
 الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج ثم الى وطنه ولكن لم يحصل على إذن
 الحكومة المصرية في السفر الى الحجاز (كانت الايام أيام الحرب الاوربية الهائلة
 التي كانت الانكاز تخاف فيها السياسة) وكان رحمه الله متبهما بالاشتغال بالسياسة
 لما وجدته الحكومة المصرية من بعض كتبه الى الذي فيه ذكر أخبار الحرب ،
 وكان لا يكتب الى الا باللغة العربية .

ولما وصل الفقيد رحمه الله تعالى الى سمسب أحبه مولانا السلطان وازداد
 رغبة في انشاء مدرسة تعلم فيها اللغة العربية وعلومها والعلوم الدينية والدينية
 كالجغرافية والحساب ، وأمر الفقيد بتأليف نظام مدرسة المرغوب وجودها
 في سمسب فألف رحمه الله نظاما بموجب الامر السلطاني مقتبسا من نظام مدرسة
 دار الدعوة والارشاد

وفي شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٨ تأسست في سمسب والمحمدية مدرسة
 عربية دينية تسمى « المدرسة السلطانية » وكان ناظرها ومديرها وأستاذها
 أساتذتها فقيدنا المرحوم المأسوف عليه فكان الاقبال على هذه المدرسة أطلال الله
 صررها عظيما من أهل البلد فأدخلوا فيها أبناءهم وبناتهم حتى خرج كثير من
 طلبة مدرستي الحكومة وانتظموا في سلك تلاميذها ، ومن يوم تأسست
 المدرسة وفتحت كان وما زال رحمه الله يشتمل بالتعليم فيها الى ١٠ رجب الفرد
 سنة ١٣٣٨ الموافق ١ مارث سنة ١٩٢٠ فانه رحمه الله استأذن مولانا السلطان
 في السفر الى الحجاز لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في
 المدينة المنورة

وفي ٢٣ رجب سنة ١٣٣٨ الموافق ١٣ ابريل سنة ١٩٢٠ سافر رحمه الله الى صنفافوره فالى مكة المكرمة ، وقبل أداء فريضة الحج حصل له فيها نزيف شديد من فم فذهب مسرعا الى طبيب الحكومة الحجازية ونحسه ثم فحصه وطالبه طبيب جاوي أرسلته الحكومة الهولندية الى مكة وقال له : ان هذا الداء هو السل وانك لا بد ان تسافر سريعا الى جاوه — وبعد أن أدى رحمه الله فريضة الحج سافر الى سببس ولم يتمكن السفر الى المدينة المنورة طبعاً وفي يوم الاثنين الواقع في ٥ صفر ١٣٣٩ وصل رحمه الله الى وطنه وهو لم يزل مريضاً نحيفاً وبعد اسبوع ذهب الى سنكاوغ (احدى قرى سببس) لاجل التداوي عند طبيب الحكومة الهولندية. فقال له الطبيب الهولندي انك لا بد ان تعالج في بتاوي فاني لا يمكنني ان اعالجك هنا وفي ٣٠ صفر ١٣٣٩ سافر الى بتاوي ودخل الى أحد المستشفيات هناك ثم نقل الى مستشفى في بوقر وكان لا ينتقل الى هذا المستشفى الا من قدمت صحته ، وفي ٨ رجب ١٣٣٩ وصل رحمه الله تعالى راجعاً من بتاوي الى سببس فمررنا صرورا عظيماً لاننا لئنا انه قد شفي شفاه تماماً اذ لم نر فيه الا صعلاً قليلاً ، وفي يوم ١٦ شعبان سنة ١٣٣٩ عاوده نزيف الدم وازداد مرضاً ، وفي ليلة الخميس عند الساعة الثانية ونصف هربية الواقعة في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٩ خرجت روحه الطاهرة بعد ان نطق بالشهادتين فحصلت الضجة والجزع والحزن من أقاربه خاصة ومن الناس عامة فلا هول ولا قوة الا بالله العظيم

كان رحمه الله تعالى أدبياً ، وخطيباً وسطاً ، وهامراً قليلاً ، وكان له في العلوم العربية نصيب وكذا في العلوم الرياضية والمصرية والدينية ، وتدل على ذلك مقالاته التي كتبها باللغة العربية والملاوية ، وكان محرراً بمجريدة الاتحاد الملاوية التي كانت تصدر بمصر القاهرة ، وكان رحمه الله يقرأ المنار من يوم عرف العربية وكان آخر قراءته له الجزء الثاني من المجلد الثاني والشرين وله مقالة نشرها المنار أيام كان بمصر ، ومن أثر اجتهاده وحسن طريقته في التعليم أن تعلم وفهم في مدة سنتين عدة أشخاص من تلامذته اللغة العربية والنحو والصرف فهما مكنهم من قراءة وفهم الكتب العربية السهلة العبارة ومن الكتابة باللغة العربية هل انهم لم يكونوا يعرفون شيئاً ما من اللغة العربية قبل دخولهم المدرسة — ولذلك لما وصل التقييد رحمه الله من سفره تمى بكل

من تلاميذ المدرسة ذكورا واناثا ان يعود اليها مملها ولكن : ما كل ما يمتنى
المرة يدركه ، وان ارادة الله فوق كل ارادة وقدرة تعالى نافذة وليس لنا الا
الرضاء والتسليم لحكمه وقضائه .

وقد قال كثير من الناس بمدوفاة المرحوم : ان المدرسة تموت قريبا فانه
ليس فيها مملون أكفاء ، والسبب الاول في موتها عدم الاموال التي تحيا
بها والمسلمون بخلاف ضعفاء في الاحوال المالية .

هنا وانني ذكرت ما ذكرت من الاطراء والثناء على شقيقي رحمه الله وهو
حق ان شاء الله تعالى ، ولا فائدة لي وله في ذلك ما لم يستحقه . وشهد له بذلك
جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها كما
شهد له به آثاره التي لا موضع لذكرها هنا .

صبيح ربيع الثرية نحريرا في ٩ شوال سنة ١٣٣٩ الموافق ١٦ جوني ١٩٢١
كتب

محمد بسيوني صمران

تقریظ المطبوعات^(١)

(كتاب تنوير البصائر ، بسيرة الشيخ طاهر)

صفحات هذا الكتاب ١٥٩ بقطع رسالة التوحيد ومواضيعه ٥٣ وقد
طبع بدمشق الشام بمطبعة الحكومة العربية السورية (السابقة) سنة ١٣٣٩
على ورق جيد . ويطلب من مؤلفه الشيخ محمد سعيد الباني بدمشق الشام
(نفي من مواضيع الكتاب)

المقدمة من المؤلفين والكتاب من يفترض لما يريد اذاهته فرصة سانحة
فيبدي فيها بعض ما يريد نشره ومؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد سعيد منهم
لانك اذا قرأت الكتاب وأردت أن تأخذ منه سيرة الفقيه مجردة — كما يحب
المؤلف — لا تكاد تثبت منه الربع وأما الثلاثة الارباع الباقية فهي مواضيع
(١) كتب تقریظ هذا الكتاب وترجمة الشيخ طاهر شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وآراء في الإصلاح والتراجم والتقد ، فهذه المقدمة وهي من ص ٥ - ١٤ ليس فيها شيء من سيرة المترجم له بل هي مقالة في الدين وزومه والبدع والابتدعة الخ أعماله وأثاره . ذكر في هذا الموضوع ما كان من أعمال الفقيه من الاجتهاد في اصلاح الكتابيب والمدارس الرشدية وبعض مؤلفاته وما عدا ذلك فهو في اتقاد العلم وكتبه الخ

استنارته دفاين اللغة العربية . هذا الموضوع في أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه يزيد على نصف صفحة على انه لم يذكر فيه شيئاً من تلك الدفاين ولا ما استناره منها وبسته من مرقده ، فهل كان كتاب التخصص من جملة ما أحياه ؟ عنايته باحياء التاريخ . هذه النبذة استغرقت من الكتاب ما يقرب من أربع صفحات لم يكن فيها شيء عن الفقيه سوى ما ملخصه « عني فقيداً باحياء التاريخ وارشاد المسترشدين وغيرهم الى مزاولته ودرساته وانعام النظر به وبفلسفته والدلالة على كتبه المفيدة والسعي وراء نشرها وطبها » وما عدا ذلك فكلام في علم التاريخ وفوائده ولم يذكر ما أحياه من التاريخ ولا ما نشره منه

سميه وراه التوفيق بين الدين والعلم والمصراين . هذا الموضوع استغرق ما يزيد على ١٦ صفحة ليس فيها عن الفقيه سوى ما يقل عن صفحتين نسب فيه للفقيه ما لم يعرف عنه وما لم يدعه هو لنفسه (انظر ص ٤٩) والا فليقل لنا المؤلف أن مناظرات الفقيه أو كتاباته في الاجتماع والمصراين ومحاجته المحافظين على القديم وارشاد الطالبين وتعليم الجاهلين

وكيف كان داعية اصلاح والمؤلف نفسه يقول ما ملخصه « ولما رأى جذب الزمان من حكماء الاخلاق وسامة الارشاد ، وان معالم الاخلاق طمست ودراستها قد درست ، وان وظيفته وهي الدعاية الى اصلاح العام (؟) لم تمكنه من التفرغ لارشاد السالكين وعنة الغافلين وتربية الاحداث الخ » انظر ص ٢٩ دعوته الى الاخلاق والتربية . هذا الموضوع أخذ ١١ صفحة كان في الفقيه

منها ٣ صفحات نسب فيها للمؤلف ما ليس فيه وذكر صحبته ووجه المستشرقين وحبهم اياه والمزاورة بينه وبينهم وسرد أسماءهم

فأنت ترى ان الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات جميل في كل واحدة منها كلمات في المترجم له رحمه الله تعالى وهذه براعة من المؤلف أشكره على التفطن لها

ولكنني أخذ عليه - عملاً بقوله قبيل الخاتمة ص ١٤٢ « ومن وجد غلطا في بعض ما عزوته لفقيد فليتمفضل علي بتصحيح غلطي » الخ وبصد الإطلاع على « المدخل » و « المقدمة » - ما يأتي فأقول : -

أولاً - ان الكتاب بمجموعه لا يصدق عليه اسمه ويصعب جدا أخذ تاريخ حياة الشيخ طاهر منه ، وأن أخذ ما أورده المؤلف من هذه الترجمة لتفتتها بين أطوائه وفي ثيابه على انها لا تكون صورة صحيحة للفقيد

ثانياً - نسب المؤلف للشيخ تلاميذ ومرتدين ولم يدلنا على أحد منهم والظاهر لنا انه رحمه الله لم يكن ذا قدرة على التعليم فاننا نعلم انه أقام شهوراً عدة زبلا عند بعض السوريين في السويد وأراد أن يعلم أحد أولادهم النحو وقد رأينا وعاشرنا هذا التلميذ وهو لا يعرف الفاعل من المفعول . فأين هم تلاميذ الشيخ طاهر رحمه الله وأين أمكنة دراسته وتدريبه ؟

ثالثاً - لم يذكر المؤلف ما كان له من الآثار في الآثار (الماديات) غير انه « تعلم كثيرا من الخطوط الكوفي والمشجر والبراني وغيرهم (١) ليتسنى له دراسة الآثار الدارسة ونبشها من عالم الدور الى عالم الظهور »

رابعاً - لم يذكر ما كان من عمل الفقيد في التوفيق بين العلم والدين الخ غير انه كان من علماء كذا وكذا وما لم يدع الشيخ طاهر لنفسه شيئا منه في حياته وانه تبادل الآراء مع المستشرقين وانه كان بينه وبينهم صداقة الخ انظر ص ٤٩ و ٥٠ وكذلك قل عن بقية المباحث . ولو أردنا تتبع الكتاب من أوله الى آخره مازدنا القراء فائدة ولا المؤلف بصيرة وفيما أوردناه كفاية

واليك ترجمة الشيخ طاهر رحمه الله مختصرة مفيدة صحيحة كما وصفها أحد أفضل علماء الشام ممن له معرفة تامة بالفقيد بما ان قرأتها عليه اذ قال لي : انها صورة حقيقية مختصرة للشيخ طاهر فأقول : -

الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي

حياته ومونه ونشأته العلمية

هو الشيخ طاهر بن الشيخ محمد صالح أحد مهاجرة الجزائريين ومنفي المالكية بدمشق الشام ، ولد في دمشق سنة ١٢٦٨ ونشأ في حجر والده وتلقى مبادئ العلم عنه في بيته ، ثم اتصل بالشيخ عبد الغني الميداني فحضر عليه علوم العربية

والفقه الخ وهو استاذ الوحيد . وكان له شغف بالمطالعة والمراجعة حتى صار له مشاركة حسنة في جميع العلوم العربية وعني بقراءة الخطوط العربية وخاصة الكوفي منا وتلقى شيئاً من اصطلاحات الهندسة والفلسفة من بعض ضباط الهند الهنائي حتى لم يمدغريباً عن الهندسة النظرية ، وكان ذا حافظه جيدة وذاكرة حسنة لا ينسى عن ذهنه ما قرأه في بعض الكتب من نكتة غريبة أو فائدة ومع هذا لم يكن يعتمد على ذاكرته بل كان يضع في كل موضع فيه مسألة يجب الرجوع اليها من الكتب علامة من قطع الورق حتى انه اذا قرأ كتاباً ترى خلف الورق بارزة منه ، وكثيراً ما كان يكتب رقم الصفحة واسم الكتاب على قطع من ورق تكون في جيبه الذي هو سفيطه (محفظته) وجرايه وكان حريصاً على تلك النكت حتى انه كان يستلرد لوضعها في مؤلفاته ولو في غير موضعها وتوفي في دمشق يوم ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٣٣٨ ودفن فيها رحمه الله تعالى
 حياته وزيه وعيشته وأخلاقه

كان رحمه الله قمي اللون واسع العينين غائرهما نحيف الجسم أبيض الوجهية رت البزة غير ممتن بنظافة ثيابه وكان لباسه ماتسيه أعراب الشام شبر ويسمى في مصر ققطانا وفي الشام قنباراً أو غنباراً فوقه جبة أو جبتان ويتمم بهامة من الالجاباني وكان كثيراً ما يلبس الثوب صرة واحدة فلا يخلمه حتى يبلى ولا يدع الشمسية (المظلة) شيئاً ولا شتاءً يضم على عينيه مناظر لتقريب البعيد فإذا اراد القراءة في كتاب رفعها ، وكانت له جيوب في جيبه كالمخرج

وكان حديد المزاج ضيق العطن ضيف المنة تغلب عليه الوحشة ولعله كان يحس من نفسه بذلك اذ كان يحاول أن يستر الاستياء بمزاج ممرجساته ومباشطة . وكان كثير الحديث عن علماء دمشق وأعيانها والاسباب فيما كان عليه مما حروه فيها من الحب والختل والدهان وما كان يدسه هو من الدسائس ليخلص أو يخلص شخصاً أو ليروج مشروماً خيراً من شره ، ولولا انه كان يجاهر بذلك في أكثر مجالسه ويفخر به ويمبرعنه بالدسائس الطاهرية لما استعصنا ذكره وقد علمنا علم اليقين ان من دسائسه ما كان للإيقاع لا للانقاذ

وكانت عيشته عيشة الزهاد مم الحرم على الوقت وكانت يقضي طامة ليله في المطالعة على ضوء مصباح من البترول ثم رأى ان ينتقم بنوره وحرارة مما فكان يأتي بقدر صغيرة فيضع فيها شيئاً يبد طبعه بحكم وضعها فوق المصباح

معلقة ويتدر لنضجه ساعات يتماهده عند انتهائها ، وكان أحيانا يطبخ القهوة في القدر ويشرب منها عدة أيام وربما نفن وجبها من طول المكث وكان لا ينام في الليل بل يأتي بينه بعد المشاء ويطالم في الكتب أو يكتب عامة ليله وينام بعد صلاة الصبح الى المصير وكان ولو ط بالبنخان والشاي والقهوة جميعا فرط في كل منها ولم يكن حريصا على المال كان خلقه التعمف والكرم مع الحاجة لا يعيل الى الطعم ولا الهناه فوقفه الصنتت به الحاجة في آخر أيامه في مصر فباع بمطعم كتبه من احمد باشا تيمور وكاننا نقتنه من ثمنها ، وكان يتصدق في كل يوم بملايم (أمتار القرش) يمددها لذلك ، وقلما يصدر عن مجلسه وارد بفائدة علمية لأنه لم يكن يذكر بين الناس شيئا من وسائل العلم لا مفيدا ولا مناظرا ولا مذكرا ولا سائلا ولا عجيبا وإذا سأله مستفيد عن شيء أحاله على المراجعة وربما دلة على المظان ان كان يرى انه يستحق ذلك ، وكان يرمي الى مقاصده من طرف خفي بدهاء

وربما أوعز الى بعض جلسائه ليوسط بالامر يريده وكان اذا استرسل بالمباشطة الرط فيكثر من الحركات وينفرب بالضحك حتى يخرج عن وقار الشيوخ وكان متعلبا في رأيه لا يرجع عنه ولو الى الصواب ، حكى لي شيخ عالم بأفضل أطلال عشرة الشيخ طاهر انهم اختلفوا في كلمة لفوية فكان الشيخ طاهر هل رأي تبين بعد المراجعة انه كان مخطئا فيه ولم يرجع الى الصواب

مؤلفاته

ارشاد الالباء ، مدخل الطلاب الى فن الحساب ، قصص الانبياء ، الفوائد الجسام في معرفة خواص الاجسام ، مد الراحة الى علم المساجة ، الجواهر الكلامية في العقيدة الاسلامية ، الجوهرة الوسطى ، رسالة في المروض ، وقد أراد ان يجعل هذه الكتب مدرسية وكلها طبعت في سورية ومنها ما أعيد طبعه مرات وله مؤلفات أخرى وهي كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الاتقان ، طبعه بمطبعة المنار ووقعت على طبعه وضيت بتصحيفه بأذنه ، وكتاب توجيحه النظر في الاسول طبعه له الحاجي بمصر وصكتاب التمرير الى اصول التمرير ، طبع بمطبعة النهضة بمصر وشرح خطب ابن نباتة وامنية الالهي ، وكتاب في التعليم الابتدائي وتخير القرآن الحكيم ، ولعل هذه الاربعة الاخيرة لم تطبع اذ لم زها وكان هو

المحرر والمجلة السلفية التي صدرت في آخر أيام حياته بمصر وكانت يودعها تبداً من مقتطفاتاته العلمية ومن كتاباته (مفكراته) وكانت تلك المجلة تنوه بكتابته وقد وعدت بطبعها فيما أتذكر، وله كتاب «تقوم المجلة السلفية» وإن لم يصدر بالمعنى

علمه وعمله

لم يشهر التفتيش وأمره تعلم من العلوم ولا تصدى لتدريس شيء منها فلم يعلم له تلميذ عالم أخذ عنه العلم غاية ما عرف به أنه كان ذا اطلاع على أسماء كثير من الكتب حتى قال بعضهم أنه نسخة من كتاب كشف الظنون أو التهرست وأنطوان لم يحصى ما أحصى كتاب من هذين ولكنه كان يعرف مواضع كثير من الكتب وقيل كثير مما يجب نشره ويجب طباعته ولكنه كان يبخل على الوراقين بأرغادهم اليمة إذ يرى أنهم لا يستحقون ما يتألون من الربح بطبعها. وكانت له مجرة فنية في صرفها لهذا السكون في أرشده إليها مقابلة أي التمرآن المكتوبة على بعض المساجد والأضرحة في دمشق ومصر وكتاب مرفوع الخطوط للإمام اليسويين وله العلم بالحروف والمبريق، وما نشر من مؤلفاته إذا دل على صحة اطلاع فانه لا يبدل تحرير ولا يبدع ولا على على ثقته في العلم أو تمكن منه

وأما عمله فانه كان قد تولى التعليم في المدرسة الظاهرية ثم عين مفتشاً للمدارس الابتدائية المنيانية في سورية فكان فيها مثالا للنشاط والكد والنصيحة ومن عمله انه سعى لدى مدحت باشا الوزير المنياني الإداري الشهير عند ما كان والياً على سورية بإصدار امره بجمع الكتب العلمية الخطوطة البعثرة في المدارس العلمية والمساجد بدمشق فكانت مكتبة مفيدة وجمع من البيوت ما أمكن جمعه وجعل في قبة ضريح الملك الظاهر وجعل لها قوام وخدمة ونظام مختصراً، وفي أيام عهد الرؤف باشا والي سورية استحصل على طائفة من الكتب كانت في دور أناس من أعيان دمشق أو جبالها لدى المنكفية الظاهرية. ثم جعل مفتشاً على دور الكتب في سورية وفلسطين فقام بذلك أحسن قيام

ومن مساعيه تأسيس المكتبة الخالدية في القدس الشريف، وقد عين في آخر أيامه عضواً في الجمع العلمي الذي يرأسه محمد كرد علي في دمشق وتأسست المكتبة الظاهرية. وكانت الحكومة عزمت على درس قبح الامام البتوية لوفوره في حديقة خارج مدينة دمشق فأهاج الرأي العام ضد ذلك وبقي قبر الامام محفوظاً بحبه وحنابة وأعلن ان هذه الحادثة وقعت في أيام مدحت باشا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتسمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المكتبة

١٣١٥

يقوم في المكتبة من يشاء ومن يوفرت المكتبة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى « و:لرا » كدار الطريق —

٣٠ في المحرم ١٣٤٠ - ١٠ الميزان (خ ١) سنة ١٣٠٠ هـ ٢ أكتوبر سنة ١٩٢١

الاسلام وسياسة الخلفاء

لقد أخذنا هذه المقالة من المجلد ٩٠٠٩ من العدد الاول من مجلة النور التوزيعية النراء في اوائل العام الماضي ظهر في عالم المطبوعات كتاب تحت العنوان أعلاه للدكتور انباطو المنقار السيامي بوزارة خارجية ايطالية نقلته الى اللغة الفرنسية للكتابة البليغة الآتية «ماقالى بدينام» فأحببنا تلخيص ماحواه هذا الكتاب المهم لقراء النجبر ليكونوا على خبرة مما تخطه اليوم أقلام المفكرين الاجتماعيين في القارة الاوربية في المباحث الهامة الخاصة باحوال الممالك الاسلامية.

قال الدكتور انباطو : « لا يخفى ان السياسة الاستعمارية لا يمكن أن تكون واحدة في كل الجهات والاقليم وأنها تختلف طبعا باختلاف الممالك وتباين عادات و اخلاق سكانها مع مراعاة مصلحة كل مستمر بانفرادها وعقائد اهاليها وانتمهم المذهبي بخلاف السياسة العامة فأنها واحدة في جميع الانحاء لانهما مرتكزة على معرفة احوال الاسلام الاساسية التي لم تتغير قط اذ بالرغم من الهجمات الخارجية والاقسامات الداخلية، فان الاسلام من حيث جوهه لم يتبدل للمدنية التي تولدت منه من الصبغة المالية. ذلك لان الاسلام كان احسن طريقة للرفاق والتآخي بين الامم التي اعتنقته على اختلاف عنصرياتها وتباين اجناسها وأهم سبيل للتعارف الروحي، وهذا هو سر قوته وسرعة انتشاره الى اليوم انتشارا حار فيه فطاحل العلماء - ومن هنا ندرك أهمية الثمرة التي يجنيها السياسي الحاذق الذي يعرف كيف يستخدم تلك الآلة الدقيقة بنباهة ووظنة. ولا شك أن درس حقائق الدين الاسلامي على هذه الصورة سيمين على ازالة جميع الخرافات التي يروجونها ضد الاسلام وأخص منها بالذكري مايسمونه باليهابلازم (التمسب الاسلامي) الذي يصورون به الاسلام في شكل هيئة مخيفة ترصد اللرمس لتعضاه على الكفار: بيد أن الاسلام يظهر لمن عرف أسرارها في زي مخالف لذلك على خط مستقيم حيث انه المدنية الوحيدة التي اكتفت في صلبها كل العقول على تباين مشاربها، وأفسحت مجالاً واسماً لكل المساعي الصادقة ولو اختلفت طرائقها، كيف لا والاسلام دين التسامح والكرم الانساني وما صفتان ما وجدتتا في قوم أو مدينة الا وتمضتا بها الى أرقى وأحسن الدرجات الاجتماعية ولا ينقص الامم الاسلامية اليوم بلوغ تلك المرتبة العالية الاستعمارية

أمة اوروبية لا تخفى تحت كلمات الرقي والتهديب والحرية والأخوة التي تنشرها على
الروبنائية (الاسترقاق السياسي والاقتصادي) الذي تنفر منه كل نفس أبية
اذن فلا خوف مما يسمونه بالبالاسلام الذي ليس هو الا آلة مرعبة اتخذها
أولئك الانتفاعيون الذين يدعون معرفة الاسلام وهم عنه بعيدون، وما الحوادث
المسربة للبالاسلام الا حركات فكرية طادية لا خوف منها بل ربما أفادت
المدنية بكيفية مهولة لو استخدمت لهذه القاية الشريفة، ولذا لم يعد هناك
موجب للسياسي الاوروبي ان يعني بغير مركز العالم الاسلامي الاقتصادي،
ذلك لان الاسلام من حيث هو قوة عاملة في الحياة الاقتصادية يقدر ان
يعني أو يفكر الممالك التي لها علاقة به

ثم نظر الدكتور انبساطو نظرة اجمالية في الاساليب الاستعمارية التي تسلكها
الدول الاروبية بمستموراتها فابدى رأيه في كل منها ومما قاله في هذا الشأن
«ان سياسة فرنسا بالممالك التابعة لها وان نالت الارضية نظرا لما امتازت به عن
غيرها من حرية الادارة والتسامح المكثري الا انها تنتمقر الى فكرة ادارية واسمة
بدونها لا يمكن الحصول على الثمرة المطلوبة من الاعمال المنظمة التي قامت بها هناك»
ثم قال «انه يجب ان تركز سياحة البلاد الاسلامية على معرفة نظمات الاسلام
معرفة دقيقة» ومن هنا انتقل المؤلف الى درس السلطة في الاسلام والقواعد
التي تستند اليها فاقى في هذا البحث السريعي بافكار دلت على تضلعه من الفقه
الاسلامي وتاريخ المسلمين فقال «ان القرآن الشريف وأعمال الخلفاء الراشدين
هي الاصول التي قامت عليها الديانة الاسلامية وحياة الامم الخاضعة لاحكامها،
وان من اراد ان يفهم شؤونهم وحملهم على المشاركة السياسية يجب عليه ان
يقبل مبدئيا كافة قواعد دينهم لانه لا سبيل الى التفاهم مع المسلمين الا اذا عرفوا
كلامهم لا كما يراد ان يكونوا. والصعوبة الوحيدة التي تعترض السياسي في هذا
الطريق انما هي التمييز بين ما لا يتبدل في الاسلام وبين ما هو قابل للتغيير والتطور
والانطباق على الحالات الحياتية الجديدة، لان هذا الدين له خاصية أساسية
يجب ان لا تغفل عنها ابدا وهي ملاءمته لكل الظروف بدون خروج عن
حدوده الاصلية وصلوحيته لكل الاجيال والاقليم والاخلاق. ومن الغلط ان
ننقد ان المذاهب الاربئة المضبوطة من حيث شكلها هي كقواعد مبدئية تقضي

ولا يصعب التوفيق بينها وبين المدينة الحديثة - ذلك لان سنة النبي تمثل تلك الصفة المالية التي اختص بها الاسلام ألا وهي ملامته لجميع الشعوب والاجناس مما اختلفت منازلها والوانها، الا انه يجب على الباحث الاوربي ان يتجنب الآراء الضالة والافراط النفسانية الناشئة عن عدم فهم السنة على حقيقتها ولذلك نحث على حكومة الخلافة اليوم الفاء كل ما قيل أو فرر في الاسلام بعد عهد الحلفاء الراشدين، ولا أقصد بذلك انه يجب اعدام أو اهل أو ميس هيكل العلم الاسلامي الذي وهب العالم اكثر القوانين دواما وأدقها من صفة وجوه ولكن حيث ان حكومة الخلافة سنية بكل معنى الكلمة كأنها تستفيد من آثار كل المشرعين الذين منهم الائمة الاربعة وتسلخ منها ما تراه موصلا لنهوض الامم الاسلامية وسلا ترقى به للحياة والمدينة المصرية .

ومن هنا انتقل المؤلف الى درس مسألة الجهاد على اختلاف أطوارها وشروطها فقال: « ان الحرب مستحيلة قانونا بين الافراد والامم التي لها اتفاقات مع المسلمين وان عقد معاهدات معهم طبق اصول الشريعة المطهرة تضمن لنا السلم المطلق مع كافة اشباع النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) المنتشرين في العالم أجمع الخاضعين لتعاليم الكتاب والسنة المحمدية » ثم بسط القول على اركان الاسلام التي يجب على الدول الغربية احترامها وبالاخص الحج الى البيت الحرام » وختم كتابه البليغ بشرح مسألة الخلافة ودار الاسلام فقال « لا يمكن ان تحمل مسألة الخلافة حلا ارويبا لانها مسألة دينية بحتة وليس لغير المسلمين حق في فصلها وانهاها ولا يجوز لاروبة المسيحية حملهم على تسويتها أو اكرامهم على ذلك بوجه من الوجوه، وعلى كل حال فالتخليفة يجب ان يكون حرا بدار الاسلام الامر الذي يستلزم استقلال المدن الثلاث وهي مكة والمدينة والقدس وكذا الاستانة العملية عن كل سلطة مسيحية - وليست المشاكل التي ظهرت في الشرق بعد معاهدة سيفر الا نتيجة تقاضي انجلترا عن التصديق بهذا المبدأ المسلم » ومن هنا تخلس الدكتور انسابلو الى ابداء رأيه في السياسة التي ينبغي سلوكها مع المسلمين فحقيق أن سياسة التناخي وتبادل المصلحة ممكنة بينهم وبين النصارى لان التروق الدينية الفاصلة بينهم لا توجب التباغض والمداء لان التباين في تصور الحياة ومظاهرها لا يمنع الثقة والمودة بين الامم - كما أكد وجوب الاعتراف بيقظة المسلمين وباحقة تطاير الممالكة والمدار والاعتماد قائلا ان اتباهه امر طبيعي

وفي عقدرتهم ومن واجبهم الاشتراك معنا في سبيل المدينة العامة وان يبذلوا لهذه الغاية من الكد والاجتهاد ما بذلوه في صفوفنا مدة الحرب من الشجاعة والاقدام، ويرى الكاتب ان تحقيق هذه الاماني لا يتم الا بواسطة الطبقة المنورة من المسلمين تلك الطبقة المديدة الافراد المنتشرة في كافة البلاد الشرقية التي تقاسي من العذاب الوانا بسبب الظروف والاجتماعية الحرجة الهائلة بها الى الآن فاذا ائجمدنا هؤلاء المفكرين وايدنا رغائبهم فائتأجد منهم أمن مساعدة سياسية ربه تقدر الدكتور انباطر انه يجب للحصول على ذلك أن نساعدهم على درس مؤلفاتهم بطريقه عصريه وان تفتح لهم أبواب المدينة الغربية لانهم سيكونون دعام السياسة الاسلاميه واكبر العاملين لانهاض المجتمع الاسلامي لقائدهم ولقائده الامم الاروبيه المشرفة عليهم لاضدها - ولكن هذا يتوقف على ان تدرك اروبه المسيحية ان واجبها يقضي عليها باضاه العالم الاسلامي بنور المدينة والعرفان اذ لا سبيل لان نجد بين المسلمين أشياء متفانين في مصلحتنا بالوسائط التي استعملتها اروبه الى الآن كالتجنيد الجبري وبت الدعوة بالصور والنشريات واستخدام أعوان لا هم لهم الا اكتساب المال أو امتلاك الدم بوسائل الارشاه على اختلاف أنواعها لان الامم الاسلاميه لا يمكن لها ولا ترضى ان تقبل بالتضحية لغاية مغايرة للغاية التي ترمي اليها، وهنا اضع القاعدة الاساسيه لاتفاقنا مع الاسلام راجيا ان نسم نصيحتي وان تكون كقانون ثابت لا يتبدل وهي ان تسمح اروبه للمسلمين بان يعملوا لمصلحتهم ولصالح الاسلام . ويومئذ يصبح الاسلام ليس المساعد المهم في اعمالنا التمدنية فقط بل الصديق والحليف الذي يقبل بيقينه المكين العوالم وبحرك الجبال « اه

(المنار) لم نر لاحد من كتاب الافرنج كلاما مثل الدكتور انباطر وجه بين الحق والمصلحة المشتركة التي لا يمكن التوفيق بين الشرق والغرب بدونها فهذا الكلام مبني على علم صحيح بالاسلام والمسلمين وانصيحة حكيمة للافرنج المستعمرين ، ولكن أهل الشره والنهم من هؤلاء المستعمرين قلما ينظرون في كلام أمثال هؤلاء العلماء الناصحين ، والواجب على العقلاء منا أن يتعاونوا مع أمثالهم في سبيل خدمة الانسانية بهذه الطريقة السلميه فان لم يقبلها المنهزمون الروم فسيندمون غدا

حجج القضاء والقدر في نظر الغربيين

هذه المقالة منقوله عن المزمع الخامس بجريدة مجلة الهجرة الأولى

عني نخبه من علماء الافرنج بالبحث في اسباب رقي الاسلام وعلل انحطاطه ودونوا لذلك الكتب الضخمة واستفرغوا الجهود والجملة وانفقوا الاوقات الطامسة، فكانت نتيجة مباحثهم مسفرة على ان رقي المسلمين واعتلاء كلمتهم في العصر المتقدمه وسرعة انتشار الدين الحنيف في اطراف المعموره انما بفضل فيه لبساطه تعاليم الدين ووضوحها وموافقها للفطره التي فطر الله عليها الانسان، لبساطه تعاليم الدين ونزاهة غرضه وسمو مبادئه قد جلبت اليه اقواما دخلوا فيه أفواجا وهرعوا الى اعترافه زرافات ووحدانا، فأصبحوا بنمته اخوانا، وعلى تأييد أخوانه ولحمية بيضته انصارا وأخذانا

امتدوا بهديه وأشرقت على قلوبهم شمس رشده التي أضاءت لهم صبل السداد وأنارت لهم طرق الحق والارشاد فانتشروا في أطراف المعموره يسمون في تشريك الأمم في هذا النور العظيم ويملمون على ابقاظ الشعوب الذين كانوا ينامون في ليل من الجهل بهيم وشهد التاريخ ودات الانباء وأجمت كلمة المؤرخين المنصفين على انهم كانوا في تلك الاثناء رائد هم الصدق والاخلاص، وفائد هم العدل والاحسان، ودليلهم في اعمالهم البر والتسامح والرفق بيني الانسان. اما الصفات التي ساد بها تحدث ما شئت عن ثبات وجلد وبقين في النجاح وسبر على السراء والضراء، وشكر في حالي الشدة والرخاء، وسواء لديهم أطاب عيشهم أم حل بهم ألم اللأواء. هذا الى عزم يقدر الجبال، واتحاد في السر والاعلان، وتغافر على المصالح واعتصام بمجبل الله في جميع الاحوال. هذه الصفات العاليه اذ الطبقت في نفوس وهمم عربيه زكية عرفنا بها سر تقدم المسلمين وأدركنا منها اسباب انتشار نفوذهم وسيطرتهم بسرعه البرق على أمم ارجاء العالم في ذلك التاريخ على ان اولئك العلماء الذين اشرنا اليهم في طالع هذا الفصل قد نظروا ايضا نظره نقد واعتبار في الاسباب التي قضت على المسلمين بالتقهقر في بعض الجهات وما هي العوامل التي أفنت الى تقلص ظل نفوذه من كثير من الاقاليم والولايات (هذا ومرادهم هنا النفوذ الاسلامي فقط لا الدين والقومية اللذان لم يتغير من جوهرهما شيء) كما كنا بيناه في مقال قبل هذا) فأطلبتموا على ان ذلك نتيجة

لازمة تؤول اليها كل امة أخذت الى الترف ومالت الى الراحة وجبرت في اعقاب
الغفوات وأهملت الاخذ باسباب الحزم وتقاومت عن مجاراة الامم الراقية في
حلبات العمل، فمنهم من يمزو الفضل الذي حل بالمسلمين لتعاليم دينهم التي يتوهمون
انها تأمر بالرضى بالمقدور والاستسلام للامر المقضي، وهو وهم شائع عند كثير
من الافرنج . وقد اعتنى بدحض ذلك أكابر علماءهم . والى القارئ الكريم
مقتطفات من كلامهم تقدم النموذج على ما وصلوا اليه من بعد الفور في المباحث
العلمية ، ودقة النظر في الاحوال الاجتماعية

قال بارتلمي سانت ايلير المؤرخ الفرنسي الشهير الذي ولي وزارة الخارجية
حوالي سنة ١٨٨١ في القضاء والقدر :

« ومنهم من يتوهم ان الدين الاسلامي يأمر اشياعه بالكسل والفتور
وارسال الجبال على الفوارب والاستسلام للمقدور . وهو وهم أدى اليه قلة
التقيد واعمال الروية في فهم اسرار هذا الدين

« رأينا فيما تقدم (في فصل سيرة النبي عليه السلام) حركته المستمرة وثقته
بنفسه واعتماده عليها وما كان توكله على الله بأقل صدقا، لكن كان يكتنفه حدود
معقولة ولم يتمد قط الى ذلك التماهي المذموم الذي يفرضه العجز والبصر لا
القضاء والقدر، القرآن يأمر المسلمين بالاذعان التام والاستسلام لمشيئة الله
الامر الذي أوجب عليهم التحلي بالاسم الذي يحملونه وبه يفتخرون . لكننا
لم نمث في تعاليم هذا الدين ولا في سنة النبي على ما يشرع بمخلع أشرف المدارك
الانسانية (الارادة) وتمليلها عن العمل

« وليست الاحالة على المقادير الاضلة من ضلالات النفوس الضعيفة تغلب
غايها الكسل ونهات بحمل واجباتها فاستنامت للاقدار، وحكمتها في نفسها تفعل
ماتشاء وتختار . عندي ان هذا الفتور الذي عم المسلمين انما كان ناشئا عن هوائد
الترف والاخلاد للراحة والنميمة فهو عجز عن العمل لاعقيدة وعلى كل حال
فليس القرآن هو الذي يدعو اليه . اللهم الا اذا ارادوا تفسير بعض الآيات على
غير ما اشتملت عليه حقيقة . الاسلام شعور يدرك به الانسان ضعفه وعجزه
وافتيقاره لخالفه ووجوب الخضوع له والركون لملئائه ولكن ليس ثم ما يذم
ببند أهل قوة وأشرف، وهبة اختتمنا بها البارئ سبحانه وهي الارادة .

« وقد تكلم في هذا الموضوع قبلنا « فيل » و « سبرنجر » فلنجمع صوتي

الى اصواتها ونقول : ان هذا ادين لدين محل لافضل رغم معتقد الجمهور «
وقال غستاف لوبون الفيلسوف الشهير صاحب كتاب « سر تطور المادة »
في كتابه « حضارة العرب » ما يأتي :-

« القرآن لم يأمر الناس بترك السمي والعمل أو الانسلاخ من خوض ضمير التنافس
الحيوي فهو في هذا الموضوع لم يأت بأكثر مما في الكتب السالفة « التوراة » مثلا
يمتدح نجمة من الفلاسفة ان يجري الامور لا يحقها تبديل، ونظام الخليفة
يبد مبدعة لا يمتريه تقيير، فقد قال لور : « منقح الديانة المسيحية تنفق « معظم
آيات الكتاب في صعيد واحد على مناصبة « الحكم الحر Lidre ardite » وهذه
الآيات لأحصى لها عدد ابل هي الكتاب بأجمه. وهذه عقيدة القضاء والقدر
مفعمة بها الكتب الدينية لكل الامم وقد اعتنى بها الاقدمون واعتبروها قوة
دونها قوى الرجال والآلهة والحوادث التي سطرتها لا يفكون في وقوعها فلنا
« أوديب » حين أخبره الكاهن ان سيقتل أباه ويتزوج بابه حاول عبنا ايقاف
هذا الامر فطق يقدم النذور وأنواع القربات للآلهة بدون جدوى الى ان
ضربت الايام بضرباتها فاذا هو متزوج بابه قاتل اباه كما هو مشهور. فالنبي العربي
(صلى الله عليه وسلم) لم يأت بشئ، عجاب فانه لم يخالف طريقة متقدميه ولا طريقة
من بعده أي علماء العصر الحاضر فانهم يقولون كما قاله « لابلاص » و « بنيتر » :
ان عليا (الله) يكتشفه في طرفه عين القوى والاسرار التي في الطبيعة على
الساعيا وتباعد اطرافها ويحيط خبرا باحوال الكائنات التي وضعت فيها كبرها
وصغيرها دقيقها وجليلها من شأنه ان لا يفوته شئ وان يكون علم المستقبل لديه
كلمه للماضي .

ثم ان عقيدة القضاء والقدر الشائمة في فلسفة الشرقيين وديون بعض فلاسفة
العصر هي نوع من الصبر والجلد على تلقي مكاره هذه الحياة ودرع حصينة
لمكافحة النوائب والمضاضات. وقد كان العرب هاملين بهذه العقيدة في جاهليتهم
ثم استمر عليها المسلمون ولم تدخل في شئ من ارتقايمهم ولا من انحطاطهم اه
(المنار) ان ما شرحناه من حقيقة معنى القدر في القرآن ينقض بناء عقيدة
الجبر التي اتبناها بها سنن من قبلنا وفتن بها كثير من المتكلمين والصوفية فكان
لها ذلك التأثير حبه كثير من علماء العرب من الاسلام وما هو منه بل سري
الى اهل من قبلهم كما فطن لذلك بعض المحققين منهم

صواب	خطأ	عدد	صواب	خطأ	عدد
المفضوحة	المفضوحة	١٠	بأسه تعالى	بأسنا	٨٤٨٣
في المروة	والمروة	١٦	ولو شاءت	ولوشاء	٥٤٨٥
كان	وكان	١	حجة	حج	٧٤٨٧
وفرضها	وفرضتها	٤	ابن	بن	٢٥
الاتصال	أول اتصال	١١			٢٥٠٣
بجيتا	بجيت	١٢	هذا	هذه	٨
منه	فيه	١٣	بأنها	بنا	٢٨٥٠٤
التصب	والتصب	٤	ارادتها	ارادتها	٢٧٥٠٥
فطنوا لها	فطنوا	٤	تجاوزها	تجاوزها	٥٠٠٧
مقالة الشيخ	الشيخ	٥	التي	التي	١٧٥١١
اعتزالا	اعتزال	١٠	مدار المختار	مدار المختار	٢٢
تحلى	تجلى	٢٠	بجاذب	بجاذب	٢١٥١٢
جزيم من		٦	تقلوا	تقلوا	٢٠٥١٣
كأنها . ولا	جزيم من	١	تسامى	تسامى	٥
أخطأ	كأخطأ	٣	الرافة	الرافة	١٣٥١٧
اتقوا	اتقوا	١٧	واقفت	واقفت	٤٥١٨
فيهما	فيهما	١٢	وماقتين	وماقتين	١٥١٩
والفص	الفص	١٨	مطمع فيه	مطمع	١١
السبيل	السبيل	٦	إذا	وإذا	٩٥٢٠
الرمضاء	الامضاء	٧	إذا	إذا	١
اختلافا	خلافا	٢٢	ذكي	ذكي	١١٥٢٣
يمينا	يمينا	١	لم يبق	لم يكن	٢١٥٢٤
صغيرا	صغيرا	٤	من القيام	من القيام	٢٥
حادتا	حادت	٩	اخبار	اخبار	٦٥٢٦
انلزم أن	أل يستم جفرا	٢٥	الارهاق	الارهاق	١٥٢٨
الاتفاق	اتفاق	٣			

بحث لغوي^(١)

في براءة القرآن الشريف من بعض الالفاظ الاعجمية

لا يزال اصل اللغة العربية مجهولاً أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجم اليه الفاظها. وقد وفقني الله الى تهيئد السبيل المؤدي الى ذلك أي الى ارجاع كل كلمة الى اصلها والى تدوين قاء وس الالفة تدويناً مؤسماً على اصول ثابتة تظهر الالفة بظاهرها الحقيقية، والذي حملني على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران مبداء البر البحري في طيبة الغربية وازاء لقصر من الغرب يدل على ان المصريين القدماء ارادوا تخليد ذكر اصنامهم فابنتوه بالحفر على آثارهم قائمين ان اجدادهم يدعون الاعناء (جم عنو) أي انهم اقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل واسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية المين (الجنوبية) ومنها المين الجنوبية وهي ارمنت ومنها عين التي سميت فيما بعد دندره. ولما نموا وكثروا تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل ففريق منهم وهو المعروف باسم اعناء الحنو او اللويين توجهوا الى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها، وفريق آخر يسمى اعناء المنتو هاجر الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر ممتداً الى فلسطين. وفريق ثالث يسمى اعناء السيتو سكنوا القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل. وفريق رابع يقال له اعناء الكنوز وهم اهل النوبة. وهكذا تفرق الاعناء وتوطنوا في الجهات التي ذكرناها وبنوا فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت لغة البلاد التي تتكلم الى الآن بالعربية. فاللغة المعربية أي لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بلا سواه بنص النقوش المذكورة آنفاً وقد نزل القرآن الشريف بهذه اللغة العربية ونص على ذلك نصاً صريحاً في آيات كثيرة

قال المفسرون ان في القرآن الشريف كلمات غير عربية لكنها لانخرجها عن العربية كما ان الكلمة العربية اذا وردت في القعيدة الفارسية لانخرجها عن كونها فارسية. وانا اخالف هذا القول مخالفة كلية لما ذكره بعد

(١) للعالم الاثرى المحقق احمد بك كمال نقلا عن المقتطف (ج ٣ م ٥٩)

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ حمزه فتح الله جميع الكلمات الواردة في القرآن الشريف ويقال انها اعجمية وطبمها بامر نظارة المعارف العمومية سنة ١٩٠٢ ميلادية وها ان اذا اخالقه في ذلك مبينا انها صرية لورودها في اللغة المصرية القديمة التي هي اصل العربية كما ترى فيما يلي

(١) اكواب و اباريق - من سورة الواقعة (٥٦ : ٨) قال الشيخ رحمه الله : الاولى نبطية والثانية فارسية. ومن المعلوم ان اللغة النبطية قريبة من القبطية التي ترجع الى لغة الاغنياء و اكواب جمع كوب وردت في اللغة المصرية بلفظ قب وقوب وقبو وبالعبرية كب وبالقبطية كاب وكابي وكبيبي وهي مشتقة من مادة قاب الواردة في اللغة المصرية القديمة وفي العربية أيضا بمعنى شرب فيقال قاب الماء شربه أو شرب كل ماء الاياه ويقال اياه قواب وقوابي : كثير الاخذ للماء. ورجل مقاب : كثير الشرب. كما يقال كاب يكوب كابا شرب بالكوب. فالكلمة مصرية عمرية كما يتضح من موادها المذكورة في القواميس العربية

أما اباريق فهي جمع ابريق وليست بفارسية بل هي مصرية وجدت مكتوبة في حجر نقش باسم احد ملوك الحبشة وعثر عليه في دنقلة فثبتت في العربية بهذا اللفظ وقد جاء القرآن الشريف بها قال تعالى (اكواب و اباريق وكأس من زمين) أي من ماء طاهر. والكأس وردت أيضا في المصرية والعربية بهذا اللفظ وورد أيضا في المعربة كاز وفي القبطية كاجي بمعنى الكوز ومن ثم تعلم ان ابريق وكأس وكوز كلمات مصرية وعربية ليست من الاعجمية في شيء (٢) اب - وردت هذه الكلمة في نقوش ممبد دنطرة وعلى جدران مدينة أبو كما وردت في قرطاس ارس. وفي القاموس المحيط الاب الكلا أو المرهي أو ما أنبتت الارض والخضر فهي اذن عربية لا أعجمية

(٣) سرى - قال الشيخ رحمه الله : انه نهر بالسريانية او القبطية او اليونانية وفاته كما فات غيره من المفسرين انه مشتق من سرى يسري وسرى به فاشتق منه سرى أي النهر لسيره وجريانه وقد وردت سرى في المصرية بهذا المعنى في لوحة الاحصاء وجاء في العربية أيضا نظري نظري : جرى الماء وبطنه لم يتمالك لنا. منطها لغة في سرى بقلب الظاء سيننا لقرب الخرج فهي قريبة منها في المعنى لتريئة الجريان وعلى كل حال فإداة الكلمة عربية ومصرية وليست بأعجمية كما قال المفسرون (٤) - هبت قال الشيخ رحمه الله : ممنهاها هلم بالقبطية او السريانية او

الخورانية أو العبرانية والمقبلة اله من هيت ه صاح به ودعاه وهيت لك
وقد يكسر أوله أي هلم. ووردت هيت بمعنى اقبل ود آرت في العربية والمصرية
ايضا بغير التاء فيقال في العربية هيا أي اسرع واقبل عو كدا. وعليه فهي عربية
محضة خلافا لما قاله المفسرون

(٥) رس - قال الشيخ رحمه الله الرس البر أعجبية . مع انها وردت في
القاموس المحيط وغيره من معاجم اللغة انها البر المطوية بالحجارة وبها كانت
لبقية من عمود كذبوا بنبيهم ورسوه في برأي دفنوه، اذ من معاني رس الحفر والرس
ودفن الميت. وقد ذكرت كثيرا في النصوص المصرية القديمة وكثيرا ما تلحقها
تاء التأنيث ومضاهها البر المعدة لدفن الموتى اذ كان من عادة المصريين القدماء
ان يدفنوا موتاهم في آبار ينحوتها في الجبال والسهول فهي عربية ومصرية بجنة
(٦) قط - قال تعالى في سورة ص (٣٨: ١٦) وقالوا ربنا عجل لنا قلنا

قبل يوم الحساب) قال الشيخ رحمه الله: اي كتابنا بالقبطية . وجاء في القاموس
للفيروز آبادي قط بالكسر الصك وكتاب المحاسبة جمه قطوط. والقطاط اي
الخراط وهو من مادة قط اي قطع عامة وعرضا او قطع شيئا صلبا كالحقنة
وفي المصرية قط وجمه قطوط أي كاتب والقطاط الخراط او الخياط (راجع
مفردات دارمان الصحيفة ١٣٥) وهي في المصرية من مادة قط أي قطع
النقوش في الاحجار أي حفرها بقلم الحفر لان قط وخط معا في المصرية
واحد وهي الكتابة بالحفر أي رسم الشيء بانقطع او الخراط . فالمصرية تقار
حقيقة المعنى في الكلمتين وكان من عادة المصريين في كتابة نقوشهم ان
يرسم الكتاب النصوص بالمداد الاحمر على الجدران في المابد او المقابر او نحوها
ومنى أتمها أن القطاط فيعلمها بقلم الحفر شيئا فشيئا حتى يتم حفرها كما يفعل
الآن في النقش على الاحجار، هذا هو المعنى الاصلي لقط وخط فالقطاط لغة
في الخياط أي النجار او النحات أو النفاش وقد يطلق عايه الان في عرف العامة
ويقرب من هذا المعنى القديدي والجمع ويبدو ان تبايع العسكر من الصناع كالمصاب
والبيطار (قاموس المحيط) وكالمنجات لانه اسم مشتق من مادة قد أي قطع
مثل قط فالكلمة اذن عربية لاحظ لها من المعجمة

(٧) يم - في قوله أماك (اعشبه من يم ما عشيهم به ٢٠ ٧٨) قال
الشيخ رحمه الله معناها البحر بالسريانية او العبرانية او القبطية - وهي كلمة

مصرية وردت بهذا المعنى في اللغة المصرية القديمة تطلق على النيل وعلى البحر ويقال لها في القبطية أيام وايوم وايوم بامالة عين الكلمة في اللفظ الثالث وذكر في القاموس المحيط اليم : البحر ويم بالضم فهو ميموم طرح فيه فهي عربية بل مريقة فيها لوجودها مذكورة بلفظها ومعناها في المصرية ثم في القبطية (٨) - بحور في قوله تعالى (انه ظن ان لن بحور : الانشقاق ٨٤ : ١٤)

قال الشيخ رحمه الله تعالى : يرجح انها بالحبشية . والحال انه فعل منصرف من حار بمعنى رجع وتقص وحاوره يحاوره : تراجع في الكلام . وحار بحار حيرة أي نظر الى الشيء ولم يهتد فهي مادة عربية محضة وذكرت في المصرية بلفظها ومما فيها في قرطاس سليبر وقرطاس السطاسي وقرطاس هرس وفي الدنكيلبر وفي مدحة النيل لما سبرو

(٩) سينين - في قوله تعالى من سورة التين (٩٥ : ٢ وطور سينين) وهو جبل بالشام ويقال له ايضا (طور سيناء) في سورة المؤمنين (٢٣ : ٢٠) في قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء) . قال الشيخ ان الاولى والثانية معانها بالحبشية الحسن . والحقيقة ان اصلهما في المصرية والعربية من مادة ان كذا وانان وانين ومأنان ثم ألحق بها السين فصارت سيناء وسينين أي حسن هذا ما أبدته اللغة المصرية القديمة ووجد مطابقاً للعربية وقد جاء في القاموس المحيط سنن النطق أي حسنه ورجل مسنون الوجه مملسه وهي مؤنث سنى من مادة سنيت فهذا يؤيد ان سينين وسيناء لفظان عربيان بلا نزاع

(١٠) قيوم - في قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم : البقرة ٢ : ٢٥٥) قال الشيخ رحمه الله معناه الذي لا ينام بالمريانية . وفي المحيط القيوم والقيام الذي لا يند له من اسمائه عز وجل وهو مشتق من مادة قام قوماً وقياماً . وقد ورد هذا اللفظ في المصرية وذكره ارمان في مفرداته (الصفحة ١٣٦) فقال قيوم صفة واله أوجد نفسه بنفسه سماه اليونان (كاميفيس) والكلمة مركبة في المصرية من لفظين معناهما قيم الام أي زوج الام أي زوج وام في آن واحد أوجد نفسه بنفسه ثم ركب تر كيبا مزجياً فصار صفة يراد بها الموجد لنفسه فهو ليس من مادة قام العربية والمصرية بل هو كلمة قائمة بدانها عريقة الاصل في كلتا اللغتين

الخيال في الشعر العربي

٧

أطوار الخيال

كان العرب زمن الجاهلية يعيشون في موطن لا يشهدون فيها غير مناظر فطرية كالسكواك وبعض النبات والحيوان أو من ألقى حيوياً ووسائل حربية كالرحى والجفنة والرمح والحمام ، ولصفاء قرائعهم وسلامة أذواقهم أضافوا إلى هذه الحقائق ما يخترع على ضائرتهم ويذكرونه بحاسة وجدانهم من المعاني التي لا تنالها الحواس الظاهرة كالحب والبغض والرضا والغضب ونسجوا منها على مثال التخيل صور بديعة

وان رأى المدني اليوم ان معظم تلك الصور من التخيلات القرية فمذموم في ذلك انهم لم يدخلوا في مسالك الفلسفة ولا عودوا أنفسهم للتخيب عن المعاني الغامضة وانما كانوا ينطقون بالشعر على البداهة ، فن وقعت له على معنى رائع كقول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع
فقد لفظته قريحته عفوا وانساق اليها بدون اجهاد نظر ، ومن ثم كانت أمثال هذا التخيل البديع نادرة في أشعارهم ، ولو كانوا ممن يذهب في صوغ المعاني إلى ازجاج الفكر وحنه على استخراجها من مفاصلها الصيق كما يفعل المولدون لظفرونا لهم بنظائر لا تحصى ، ثم ان التخيل كسائر الملكات والصنائع انما تترقى شيئاً فشيئاً وتتكامل يوماً فيوماً ، فتطلع زهير بن أبي سلمى مثلاً على تخيلات لا تظهر بها في أشعاره من تقدموه بأمد بعيد ، فالمهد الذي يعب فيه هذا الشاعر من معنى ان من لم يحب إلى الأمر الصغير يقع تحت وطأة الأمر الخطير بقوله

ومن يمس أطراف الزجاج فانه يطبع العوالي ركبت كل لظم
لا يصح ان يكون من أوائل المصور التي ظهر فيها التخيل الشعري فان هذه العناية من حسن البيان لا يدركها الناس بفطرتهم الا بعد ان يتقربوا في سبيلها أطواراً ويقضون في السير اليها أحقاباً ، كما ان ابن سفيان الاندلسي لو نشأ في البيشة والمصر اللذين نشأ فهما زهير لم يسئل عليه ان يصفهم اصطفاً الذي

يصمد فيه المد مسافة بعيدة ثم يحسر بقوله
شق النسيم عليه جيب فيضه فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها هزوا فضم من الحياه ازاره
ثم بزغت شمس الاسلام وكان من أساليب القرآن في الدعوة ان ضرب
الامثال الرائمة وصاغ التشايبه الرائمة والاستعارات الفائقة والكنايات
اللطيفة ، ويضاف الى هذا ما كان ينطق به الرسول عليه الصلاة والسلام من
الاقوال الطائفة بالامثال والاستعارات والكنايات التي لم تخطر على قلب عربي
قبله ، فكان مطلع الاسلام مما زاد البلغاء خبرة بتصريف المعاني وتروقي بهم
الى رتبة سامية في صناعة الخيال

أخذ الخيال يتقدم بخطوات أوسع مما كان يسير به في الجاهلية ولكن
الادباء الى أواخر عهد الدولة الاموية لم يحيدوا عن طرقه الممهودة وتغيروا
أساليبه تغييرا يحس به كل أحد ، فلو قال قائل ان عبدالله بن الدمينه أو عمر
ابن أبي ربيعة أو جميل أو كثيرا شاعر جاهلي لم يكن لك ان تدخل الى مفاصله
وابطال دعواه باقامة الحجج من مناهج تخيلاتهم كان تجلب له من أشعارهم أمثلة
ينكشف بها جليا أنهم ساروا في التخيل على نمط لم تنسج عليه الجاهلية ،
ولكنك اذا نظرت في مجموعة الشعر الجاهلي ثم وازنته بمجموعة الشعر الاسلامي
تيقنت ان الخيال قد بعد شأوه واتسع نطاقه لانك تقف على تصرفات كثيرة
من تشايبه مبتكرة واستعارات لم يحم عليها شعراء الجاهلية وان كانت مفرغة
في قوالهم مرسومة على خططهم

ثم ظهر في أوائل عهد الدولة العباسية مثل بشار بن برد وأبو العتاهية
وأبو نواس وعبد السلام الملقب بديك الجن فأصبحت مسافة الفرق بين الشعر
الجاهلي والشعر الاسلامي واضحة لكل من له أدنى تمقل ، فلو ادعى مدح
ان عبد السلام الملقب بديك الجن شاعر جاهلي لكفالك ان تتلو عليه نبذة من
شعره الذي أوغل فيه الى حد يبدو عليه اثر التصنع كالبيت الذي أعجب به
أبو نواس وقال له عند ما اجتاز به وهو بحمص انك قد فتنت به أهل المراق
أخي قوله يصف الحر

موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها
وجاء بعد هؤلاء ابن المعتز وابن الرومي ومسلم بن الوليد وأبو تمام وقد

استحكمت هري المدينة ونجحت لهم الحصار في أجل مظاهرها فكانوا أكثر
من تقدمهم تقنا في صناعة التشبيه والاستعارة وما يلحق بهما من تصرفات
الخيال كالتورية والمقابلة وحسن التغلص من غرض الى آخره، وهذا لا يمنعك
من ان تقضي للسابقين بأنهم أقوى عارضة وأدرى بصناعة الشعر من ناحية
سبك الالفاظ ومثانة بنائها

وبعد ان عني الناس بالنظر في شؤون الكون وسلوكوا في البحث عن
أصراره طريقا فلسفيا أخذ الخيال الشعري يمل في الحقائق الفلسفية ويجري
وراء الفكر كالمسك له في تصوير تلك المعاني الغامضة كما تراه في مثل قصيدة
ابن سينا في النفس المفتحة بقوله

هبطت اليك من المحل الارقم ورقاة ذات تعزز وتمنم
وقصيدة الممرى المفتحة بقوله

غير مجد في ملي واغترقادي نوح باك ولا ترم شاد
وقول أبي بكر بن الطويل يصف حال الروح والجسد

نور تردد في طين الى أجل فانحاز علوا واخل الطين للكفن
ياشد ما افتراق من بمد ما اجتمعا أظنها هدنة كانت على دخن
ان لم يكن في رضا الله اجتماعها فيالها صفة تمت على غبن
وفي هذه الصفة خرج كثير من أسفار الصوفية كما تراه فيما ينسب الى

الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض

وقام بأزاء هذا المزرع الفلاني ان الشعراء عندما اتعت دائرة العلوم
الاسلامية ونقلت العلوم النظرية الى المربية مد بمضمم يده الى قضايا هذه
العلوم واصطلاحاتها وخلط بها تصرفاته الخيالية كقول ابي تمام

خرقاء يلعب بالمقول حبابها كتلاعب الافعال بالاسماء
قول حيمس يمس

لا تضم من عظم قدر وان كذت المشار اليه بالتمظيم
ولم الحمر بالمقول رمى الخ ر بتنجيبها وبالحرير

وقول ابن الخطيب

ونقطة قلب اصبحت منشأ الهوى وعن نقطة موهومة ينشأ الخط
وكذلك كانوا يقتسمون من سائر العلوم والمصناعات حصة راق لكنه

التأخرين أن يجعلوا قصائدهم كنموذج يلوح به الى علوم فني
ومما حدث من ممارسة هذه العلوم ايراد التشبيه في أساليب منطقية كقول بعضهم
لو لم يكن اقحوا انا نفر ميسما ما كان يزاد طيبا ساعة السحر
ومن تقصى أثر الشعر العربي ولا حظ الاطوار التي تدرج فيها الخيال أخذ
في نفسه قوة تساعده على الفصل في بعض الايات أو القصائد التي يتنازع الرواة
في نسبتها الى قائلها ، فالقصيدة التي جاء في أثنائها

قالت لطيف خيال زارني ومضي بالله صفة ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفه لو مات من فلما وقلت ف عن زلال الماء لم يرد
يمزوها بعضهم الى الوليد بن يزيد ومن لاحظ أن القصيدة حمت فنونا
من الخيال لا يفحص عنها ويجمعها في نظم واحد الا شاعر نفا أيام دخل التصنع
في الشعر وهو عهد الدولة العباسية أعرض عن هذه الرواية وذهب الى أن
تكون كما قيل لأبي القاسم بن طباطبا المتوفى سنة ٣٤٥ أو ذي القرنين بن حمدان
المتوفى سنة ٤٢٨

ترقى التخيل يوم دخل الشعر في طور التصنع ولكن التصنع هو الذي
جر الى استمارات مكروهة وتشايه سمجة ايضا فقد اقتحم ابو تمام والمتنبي
ومن بعدهم في هذا الفرض مساوي لم يرتكبا الجاهلية ، فالعربي الصميم —
وان كان معظم تخيلاته ساذجة — لا يعالج قريحته ليستنبط لك منها مثل
قول ابي نواس

بح صوت المال بما منك يشكو ويصبح
أو قوله

ما لرجل المال أضحت تشكي منك الكلالا

وتعادي الشعر ما بين تخيل فطري وتخييل فلسفي وتخييل علمي الى هذه الاعصر
وان كان النوع الاول هو الغالب في النظام والمألوف في التخاطب لان التخيلين
الفلسفي والعلمي ، انما يليقان بكلام يوجه به الى الخاصة من الناس واما التخيل
الفطري فيصلح لخطاب الخاصة والجمهور

والضرب الفلسفي لا يمد في الحقيقة تطورا في نفس التخيل وانما هو
تطور لحقه من جهة دخوله في منزع جديد أعني الخوض في حقائق وسين
كروية حل طريقة النظر العميق

القياس في الاشتقاق

تابع ما نعرض له الجزء الثامن من ٦١٦

ومن الأصول التي يراعونها في الكف عن القياس وعدم الاخذ بالامثلة القليلة في تقرير أحكام هذا الباب قاعدة تجنب ما يوقم في لبس واشتباه ، ولهذا لم يجز الجمهور صوغ فعل التعجب واسم التفضيل من الافعال المزيدة لان الصيغة لانح الا الحروف الاصلية واذا سقطت الحروف الزائدة سميت على السامع مما فيها الحاسة كالمطاوعة والتكثير والمشاركة والطلب فيضيم بعض الماني ونحو المبارة عن الفائدة المطلوبة ، فاذهب اليه الاخفش والمبرد من لراحة اشتقاق أفعل التفضيل من جيم المزيد غير مستقيم وانما أجاز سيويه اشتقاقه مما جاء على وزن افعل خاصة اعتماداً على ان ماروى من شواهد قد بلغ من الكثرة مبلغاً يجعل مأخذ القياس عليه سائفاً . ودخل ابن عصفور الى هذه المسألة من باب النظر فأجاز القياس في أفعل خاصة كما يقول سيويه ولكنه شرط ان تكون همزته لغير النقل نحو أظلم الليل وأقمر المكان لان أفعل الذي تكون همزته لغير النقل (يعني التمعية) لا يزيد على معنى الثلاثي وهو الدلالة على مجرد الحدوث فلا يدخل زنة التعجب أو التفضيل خلل في المعنى وهذا التفضيل وان كان أقرب الى الأصول لم يقبله الشاطبي بدهوى ان الاجماع قد انتقد على ثلاثة مذاهب . والاجماع لا يخرق ولو في الأحكام اللفظية !

ومما يجري على قاعدة تجنب اللبس منهم من صوغ التفضيل والتعجب من المبني للمجهول لان صوغهما منه يؤدي الى التباس وصف الفاعل بما يقصد به المفعول ، وقد حقق النظر من أجاز صوغهما من الافعال اللازمة لصيغة المجهول نحو غني وزهي وهزل وارعد وأغمي ونم واهل ونحي اذ لا يمرض عند ابرادها في احدي الصيغتين التباس

ويدخل في هذا العدد اشتقاق فمبل بمعنى مفعول نحو قتيل وجريح وصريح فقد وقف فيه بعضهم عند حد السماع واغلقوا دونه باب القياس وفصل آخرون فنحوا القياس فيما ورد منه فمبل بمعنى فاعل نحو علم وسمع حيث ورد اسم فاعله على فمبل فتالوا عليهم وسميع . وأباهوه فيما عدا ذلك ، وقد نخلصوا بهذا التفصيل من المحذور الذي تحاشاه الذاهبون الى منع القياس باطلاق وهو التباس وصف المفعول بوصف الفاعل

فأصل الاحتراز عن اللبس والابهام في اللفظة مكين . بيد انه لا يتخلو
كسائر القواعد الوضعية من جزئيات تأتي على خلافه كالاسماء المعتلة المين نحو
مخنار ومنقاد والفعل المضاعف نحو يضار ويشاد . فان هذه الصيغ تطلق في
وصف الفاعل والمفعول ويعمل في فهم ما يراد منها على قرينة حال أو مقال .
ومثل هذا مما دار على السنة الفصحاه وشاع حتى لم يبق ريب في صحة اطراد
نفسه له مجال القياس ويبقى غيره مما فيه ابهام المراد على أصل المنع حتى ينهض
دليل السم مجوازه . فاذا وقع النزاع على اشتقاق يحصل معه احتمال بخلاف
المراد فلاصل بيد المانع حتى يقيم الجيز الشواهد الكافية للقياس .
ومما يوردونه عذرا في الحكم - ترد به أمثلة كثيرة ويأبون جملة قياسا
مطردا - الاستغناء عنه بصيغة أو صيغ أخرى . كما قال الرضي ناقلا عن سيبويه
ان باب « فملته » الذي تضم فيه المين لامةالبة مسموع بكثرة ولا يصح
القياس عليه للاستغناء عنه بنحو « غلبته » . وربما تطلقوا به لنا الوجه في
استغناء بعض الفاظ تشملها قاعدة فيجرحون بالمنع من اجرائها على القاعدة .
استغناء عنها بصيغة أو جملة تعد مسد الحاجة اليها . كما قال سيبويه في السكتاب
لا تقول (المرب) في قال يقيل « ما أقيله » استغناء عنه بنحو « ما أكثر
قائلته » كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت

والذي نرى ان ابطال القياس في مثل المسألة الاولى - أعني باب المخالفة -
بعله انه مستغنى عنه بصيغة أخرى غير شديد وانما المدار على قلة ما ورد منه
وكثرته . فاذا كانت الشواهد المروية منه بحيث بلغت ما يكفي للاعتداد به في
وضع القواعد صح جملة قياسا مطردا . وليس غنى اللفظة بما تملكه من صيغة
أو صيغ تعيد معنى خاصا بمائع من ان يضم اليها طريق آخر يزيدا صمة على
سمتها . فترادف المفردات والصيغ على غرض واحد في اللفظة ليس بعزيز
وأما المسألة الثانية أعني الاستغناء عن قولك « ما أقيله » بمثل ما « أكثر
قائلته » فهي راجعة الى الكشف عن وجه اهمال المرب للصيغة الاولى ، وقد
تعرضنا فيما سلف الى حكم اللفظ الذي تتناوله قاعدة ولم نسم في كلام المرب
ما يدل على اهم نطقوا به على وفقها ، وذكرنا الفرق بين ما يدور في محاوراتهم
بكثرة فنقتفي فيه أثرهم ولا نخرج في تصرفه عن الوجه المنقول عنهم وبين
ما لا يكون كثيرا شائما فيدوخ لنا ان نصره وننطق به على ما تقتضيه القواعد

دون توقف على سماع . وكان الامثلة التي ذكر سبويه في الكتاب وابن جني في الخصائص ان العرب استغنت عن تصريفها بصيغ أخرى ، وجملوا التلفظ بها على طبق القاعدة خطأ ، كانت في نفاها من القسم الاول وهو مالا تتجاوز فيه حد الرواية ، والوقوف في اللفاظ الدائرة في الخطابات بكثرة شديد وجهها المسموع وعدم اجرائها في سبيل القاعدة لا يمد في غرائب اللفظة العربية . فان في غيرها من اللغات الأخرى كاللغات الألمانية ومصادر تتصرف على وجوه تخالف القواعد المروفة ، ويصرح علماءهم بوجود التلفظ بها على تلك الوجوه الشاذة ويمدون المتكلم بها على نمط القاعدة قد تعدى حد اللفظة وارتكب خطأ فاحشا ، بل ترى من أسماء التفضيل المتداولة في ذلك اللسان ما شذ عن القاعدة الى ان ركبوه من حروف غير حروف الوصف الاصلية ، على نسق ما يقول علماء لغتنا ان الخلد - وهو القار الاعشى - يجمع على مناجد أو مناجد وتصرف العرب في بعض أسماء الاجناس فاشتقوا منها افمالا وأوصافا فقالوا قمص وتجورب وتجر و استنسر البغاث واستنوق الجمل . وقالوا أحنك الشاتين أو البميرين وفلان آبل الناس أي أشدهم تأنقا في رعي الابل . وقد رأى علماء العربية ان الامثلة الواردة في هذا الغرض لا تكفي لفتح باب القياس فوقفوا فيه عند حد السماع . وكثيرا ما ينكرون على من ينزع فعلا من غير مصدر كما اعترضوا على القطب الرازي في قوله « والشيخ في الشفاء ثلث القسمة » بدعوى ان لفظ « ثلث » محدث لم ينطق به العرب . ولم يلتفتوا الى قياسه على ما صح لفة من قولهم خمس وسبع وأمثالهما ، حتى استشهد له السيلكوتي بحديث « شر الناس المثلث » يعني الساعي بأخيه ، يملك نفسه وأخاه وامامه . ولم أر من حام على القول بجمل مثل هذا مقبلا الا عبد اللطيف البغدادي فإنه اعترف في كتاب التكملة بأن لفظ التجنيس والمجانسة مولد وأجازه على وجه القياس وقال هو من لفظ الجنس كالتنويح المأخوذ من لفظ النوع .

واطلاق التصرف بمثل هذا للأفراد فيصنع كل على انفراد من أسماء الاجناس وأشباهاها ما يبدو له من أفعال وأوصاف يفضي الى القاء الجمل مركبة من الفاظ لا يألؤها مخاطبون أو يتماضى عليهم فهم ما يقصد منها . واللغات الأجنبية يجرى فيها الاشتقاق من أسماء الاجناس أحيانا ولكن الذي يقوم بذلك جمعيات علمية تصوغ الكلمة تضعها في ديوانها اللغوي وتنشرها بين الناس

القياس في وضع اسماء الاجناس

يقول ابن فارس في طالعة تاليفه المسمى بالصاحبي ان اللغة قد قر قرارها فلا
 نعلم لغة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم حدثت ، فان تعمل اليوم لذلك متعمل
 وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ، ولم يبلغنا ان قوما من العرب في زمان
 يقارب زماننا اجمعوا على تسمية شيء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل
 بذلك على اصطلاح كان قبلهم وقد كان للصحابة من النظر في العلوم الشريفة
 مالا يخفاه به وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو احداث لفظة لم تقدمهم .
 وقال في مبحث آخر من ذلك الكتاب ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول
 غير ما قالوه ولا ان نقيس قياسا لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان
 حقائقها . اغلق ابن فارس الباب في وجه من يريد احداث كلمة وادخالها في
 ملك اللغة ولكنه يبيح لاصحاب العلوم والفنون الاصطلاح على كلمات
 يتقونها من معانيها اللغوية ويضمونها بأزاء معان خاصة ، بيد انه يفرق بين الوضع
 العربي والوضع العلمي فيسمى الاول اسما لغويا والثاني اسما صناعيا .
 والحق ان اللغة في حاجة الى ان يبقى الطريق الى وضع اسماء الاجناس
 مفتوحا مثلما بقي طريق وضع الاعلام الشخصية يسلكه الناس فيما يزداد لهم
 من الولد أو يحدثونه من الضيمات والقرى . فان العصر ما برحت تكشف لنا
 من معان لم تظهر ايام كانت اللغة تتسع وتسمي بالالفاظ التي تجري على السنة
 الناطقين بها عن سليقة المتلقين لها من افواه المرضعات ورعاء الشاه . وليس
 من الممكن ان نصرف السنننا عن التعبير عن هذه المعاني بعد ان اندمجت في
 متاع البيت والتعمقت بما يتخذها الناس من الملابس ويمتطون من المراكب
 ويرتفقون به من وسائل الحياة

ومما يشوه وجه المقالة أو القصيدة ان نضع في نطقها اسماء هذه المعاني
 الموضوعية في قالب لغة اجنبية وتلفظ بها على علاقتها من غير تهذيب وسبك
 يثرف بينها وبين ما هو عربي اصيل

فالبرية توسع صدرها لافتراض الاسم من لسان آخر ولكن بعد تنقيحه
 وصبه في قالب يطابق موضوعاتها الاصلية ، وهي مع ذلك في سمة وغنى بما
 ملكته من المواد الغزيرة والتصاريح التي تساعد على ان نستمد منها اسماء
 لاي معنى خرج الى حيز الوجود

وانما يستقيم هذا العمل اذا نهضت له جماعة ذات اطلاع واسع واذواق سليمة في اختياره ون أو يشتهرون الدعوات الحديثة اسماء مقبولة فيبقون على هذا اللسان حياته ويحفظونه من ان يتسم فرق فاقته فتتسرب اليه قطع من لغة اخرى

انتباه الشرق (١)

السرب وطبش سم المستعمرين . سورية و فلسطين . اليمن وعمان . الاناضول
ومما حدة - يهر . ازريجان والافغان . شمال الرقية

لا جرم ان الشرق قد بدأ ينتبه من غفلته ويثيب من رقدته ، ويهب من ثباته العميق ويستفيق من كابوسه الثقيل ، وان ذلك قد لاحت تباشيره منذ وضعت الحرب أوزارها ، وظهرت مخالبه في كل صقع من أصقاع الشرق بصورة لا تقبل المبالغة ، ولا تحمل المراء ، بحيث شمرت أوروبا شعورا تاما بأن شرق اليوم هو غير شرق الامس ، وان الحرب العامة قد تمخضت بمحولات لم تكن في حسابها ، وربما تله انقلابات كان يجوز ان يستأكل فصالحا القرون والاحقاب فمجالت الحرب في توليدها بيض سنين فكان الغامر الذي ظن الغالبون انه سيلقى اليهم بمقاليد الارض بحذافيرها ويؤمنهم على رأسها بدون معارض ولا منازع ، هو مبدأ انحلال سلطاتهم الملققة من قوى الامم الاخرى وفاتحة انتشار اسلاكهم المنظومة بمجاهيد المستضعفين في الارض ، ومصداق قوله تعالى (حتى اذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) ولا بد أن يأتي يوم يقول فيه الشرقيون - طالما أحزنتنا نهاية الحرب العامة بما انتهت به وخلق الجو للدولة المستعمرة تاتي بجرانها على من تشاء وتهضم حق من تشاء وتظان الاجران قد أصبحوا لها خولا وعبيدا ، ولكن صدق علينا وعليهم قوله عز وجل (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

فقد ظن المستعمرون قبل كل شيء انهم يمدعون الامة العربية بمواعيد الاستقلال حتى تنفصل عن الامة التركية ويقع بأس احدها بالآخرى مما يوفر على المستعمرين الاموال والرجال ، حتى اذا انفصل السرب عن الترك بعد ذلك وجدوا أنفسهم بين برائن أولئك الخلايين الخداعين وأطبق مؤلاه عليهم قوائم

طبقاً بعد طبق يقسمون بلادهم فيما بينهم تقاسم لا يسار لا جزور وينقضي الامر وينتهي النزاع ، واذا تنجز العرب ما تقدم لهم من المواعيد لم يبع من صنعة الخلافة ومهنته الكذب والرياء ان يجابوا أولاً بالالفاظ التي قد جاوب بها من قبيل : استقلال وتحرير ، وترقية ، وتنمية ، وسيطرة وقتية ، ووصاية أبوية ، وارشاد الى وقت بلوغ الاشد . وغير ذلك من الحزبات التي لا ينجل أمثالهم من ان يجمعوها شاباً كالصيد وخطاطيف للقبض فان لم تنفع هذه الالفاظ ولم تنجح هذه الصانين الضخمة في اخفاء المرام وتهمين المصاب فيكون الجواب صريحاً بريحه بالسيف والمدفع والطيارة والدبابة وغير ذلك من الآلات المهلكة والنيران المحرقة ويقال ان ذلك انما هو موت لاجل الحياة وقطع للاعضاء الفاسدة لسلامة الجسد وتخريب من أجل المدينة وهمجية لاجل الانسانية (!!) ولكن ساء في هذه النوبة فألهم وكذب خالهم ورأوا من العرب ما لم يكن يخطر لهم على بال اذ وجدوا هذه الامة بعد انفصالها عن الامة التركية أشد تقوراً من حكومة الاجنبي مما كانت من قبل ، وما وضعت الحرب العامة أوزارها من جهة وطن الحلفاء الغالبون ان البلاد قد بردت لهم عفواً صفوا حتى لفتحت الحروب في الشرق الأدنى والوسط من الجهة الاخرى وقام العرب ينادون بالثارات ممن نكثوا بالوعود وخفروا المهود وتورطت انكلترا في العراق في حرب زبون لم يعد لها نهاية فبقيت سنتين ونصف سنة توالي البعث على البعث وتلف الزخوف على الزخوف وتكور الطيارات على الدبابات والدبابات على الطيارات وتحرق القرى وتفسد المنازل وتهلك الحرث والنسل وبلغ عدد جنودها في العراق ١٢٠ الف مقاتل وبلغت نفقاتها السنوية هناك ٥٠ مليون ليرة انكليزية وهي لا تفوز بطائل ولا تصل الى غاية تذكر ولا تزداد من اهل تلك البلاد الا بغضاً وعدواناً وسخيمة وشنائاً الى ان يئست من تدويج العراق بالسيف وبعد ان كانت لا تميز مطالب اهل العراق ادنى بال وكانوا يشكون اليها فيشكون الى غير مضت (١) عادت هي تستصرخ الملك فيصل وذويه الى حمل العراق على قبول حكومة وطنية يكون لهم فيها الاستقلال الداخلي ويكون لانكلترا النيابة الخارجية وعادوا هم لا يرضون بهذه الدرجة من الاستقلال ويريدونه تاماً وينجزونه باتناً مطلقاً ولا يرضخون للانكليز الا من بعض مسائل

اقتصادية لا غير مع ان العراق قبل الحرب المدونة لم يكن بحسب احد انه يطوي على مثل هذه القوة ولا أنه يقتضي لتدوخته اكثر من توابع محدودات، وليكن الحرب العامة أضاعت كل حساب وأنت من ظهر الغيب بما كان يظن من الاحلام : ومثل ذلك سورية التي كانت تظن فرنسا انها تقبض عليها بمجرد خفوق العلم الفرنسي على ثكنة بيروت قد كلفت فرنسا الى الآن ازيد من ١٠٠ مليون ليرة وعشرات الوف من المراكم ولم تكسب من وراء ذلك سوى زيادة الاحقاد والاحن والقاح المداوات والفتن وكوز من كان يناوئها قبل الاحتلال قد ازداد رأيه يقيناً وعمده استبصاراً ومن كان يميل اليها قبل ان خبرها من قريب وقاربها تحت العمل قد تحول عنها تحولات فيه اعداءها الإميليين وانفقت كلمة الجميع على طلب الاستقلال التام ولو كان كل يسمي به الى ناحية وطنه فاللبناني ينادي باستقلال لبنان والسوري ينادي باستقلال سورية، والفلسطيني ينادي باستقلال فلسطين، وليس من كل هؤلاء من رضى بسيطرة فعلية لفرنسا ولا انكثراً أو لغيرها بل غاية ما هناك عدة مأمورين من باعة الدم ونجار الضمائر وعدة صحف من قبيل الربابات المرفوعة عند البدو أو زمورا الاحراس يعزف عليها المازفة لمن شاء ولمن يبض البخت على رأي اصحاب هذه الآلات، فهؤلاء لا يزالون يتشدقون بلفظة « انتداب » ويتمنطقون بكلمة « ارشاد » وعبارات موهمة وجل مزخرفة من قبيل « الاخذ باليد في مشرك الحياة » ومن طائفة « تسديد الخطوات الى السير في طريق التقدم » وما اشبه ذلك من الكلمات القارفة المخالفة للواقع وتشدقهم يدوم مادامت يد فرنسا في حلقهم وما دام سيفها مسلولا أمام أعينهم فأما ولا بد لفرنسا وقد بلغ دينها ٣٨٨ ملياراً أي أربعين على مجموع ثروتها العمومية بكثير (لان مجموع ما تملكه فرنسا لا يزيد على ٢٨٠ ملياراً) من ان تعجز عن متابعة بذل المبالغ الطائلة على جيش احتلال سورية كما عجزت عن متابعة غزو كليكية فبمجرد تقلص الظل العسكري من هناك نحس فرنسا بخيانة هؤلاء الذين اذا كانوا اخونة لا وطنانهم فهم اولى بأن يخونوها هي وان لا يصدقوها القول ولا ينخلوها النصيحة وان يلقبوا لها ظهر المعين عند اول دفرة لا ئحة . وسواء كان مثل هؤلاء ممها أو عليها فلن يقدر وان يؤثر واشيظ في تحويل مجرى الاحوال العامة اذ لا بد لاهل سورية من يبل استغلالهم التام الناجز المحقق بالعمل المالي عن المهاملة المرتقم من المناظلة ولا

بد لهرلسا من الرجوع في امر سورية لا الى رأي (السوفياليت) فقط بل الى رأي كثير من الحزب المتمدل بل الى رأي المسيو بوانكاره نفسه وهو القيام في سورية بمهمة استشارية محضة بل كيف تقلبت الامور ظالمرب لن يتحركوا سورية لفرنسة ولا بد من ان يأتي اليوم الذي ترجع فيه فرنسة الى طريقة انكسرة في المراق بل الى اقل منها على حين يتكبرن ما تركته من الحق في قلب العرب حثلا دون كل امتزاج مانما من كل هوادة بين الفريقين .

وأما فلسطين وما أدراك ما فلسطين فان انكسرة قد ظنت مجرد اعلان معاهدة الصلح ووصايات عصبة الامم والامر الملكي الصادر لاهل فلسطين بتقرير هذه البلاد وطنا قومياً لليهود وفقا لتصرحات بلقور في أواخر أيام الحرب ظنت كل هذا كافيا للفت في اعضاء الفلسطينيين والنقل من مخروب هزائمهم بحيث يستنيمون الى الطاعة ويخلدون الى السكون على قلة غدهم وتقصات شرائط انتقاضيهم فرأت من هذه الجهة أيضا لها باصراً وحملت من حماية اليهود أصراً اداً وسوف تعلم هي ويعلم اليهود أنهم يحاولون قلع الجبال ولا يحصلون على أدنى طائل ، وان الفلسطينيين كالسوريين والكراميين والامصريين من قبل لن يفتأوا ناصبين للانكسرة المداوة حتى يعلموا عن سياسة الانكسرة بالامم ويغضبوا خطر الامم باليهود والمواثيق ويرفوا ان الامة العربية هي كلها من وراء الفلسطينيين لا تدع بلادهم بحالا للامم لسان حاطا يقول : « ودون عدواني كلاً جداع »

انظر الى اليمانيين الذين خالت انكسرا ان الاحاطة ببحرهم وقطع الاتصال بينهم وبين الدولة العثمانية مدة سنين يكون كفيلا بنزولهم على حكم الانكسرة وصرم حبال آمالمهم في الدولة والخلافة فكان الامر على عكس ماظنت . وبعد ان كان اليمانيون تحتاج الدولة الى بسط سيادتها عليهم الى اربعين أو خمسين ملبوراً بصورة دائمة انقلبوا بأسرهم عثمانيين بدون عساكر بين أظهرهم وقاموا هم مقام الصاكر وشدوا روابط تأبميتهم للدولة والخليفة عن ذي قبل ورفضوا ان يسموا بنبي من جميع هذه المهادت التي تمقد في باريس ولندرة ولم يكتبوا بالمرابطة في منطقة عدن ومنع الانكسرة من الخطر الى الامام قدماً واحداً حتى حصروهم في مرسى الحديد الذي كانوا احتلوه بل اضطروهم الى الجلاء من الحديد بما اجهضهم طول هذه الاشهر بالقتال غدوا وزواحا

وكانت انكلترة راسلت حضرة الامام يحيى مرارا وعرضت عليه الاستقلال ، الذي اعلنت بأحاييل وعده كثيراً من أمراء العرب فلم يفتخر كفيده ، وأجابها بأنه لا يبرح عثمانيا هو وقومه وجميع أهل اليمن من تهامتها الى نجودها ومن حضره وتها الى عسرها . ولن يقبل ان يبطأ الانكليز شبراً واحداً من أرض اليمن ولا ان يتدخلوا بين أهل اليمن وبين الخليفة العثماني الذي لا يعرفون سواه ، ولما كان قد عجم الانكليز عود الامام يحيى ورأوا من صلابته حذروا من التصريح بشيء في أمر اليمن في معاودة سفرهم خشية سرعة التكذيب وازدياد الخطب ، ولكن حضرة الامام خاطب السلطان محمد وحيد الدين الى الاستانة وأكد له استمساكه بعروة خلافته وبقائه جميع اليمنيين من شافعية وزيدية في حوزة طاعته وقريباً نطلع القراء على صورة كتاب حديث المهدي قد ساعدنا الحظ بالاطلاع عليه صادر عن الامام المتوكل على الله يحيى حميد الدين وكتاب آخر من محمود نديم بك الوالي العثماني الذي كان في اليمن ولا يزال والياً فيها باسم الدولة العثمانية صادراً هذا الكتاب عن محلته في مناخة منبثاً بزحفه على باجل والحديدة بناء على طلب سادات واشراف تهامة (١) مما جاءت فيما بعد تلفرافات الجرائد الانكليزية مؤيدة له بل رواية عن حوادث تلك النواحي . مازاد على ما جاء في الكتاب المذكور

وانظروا الى العثمانيين الذين ظن الانكليز انهم يحملون أمير مسقط على تحريكهم من سلاحهم فكان منهم انهم خلعوا ذلك الأمير وحسروه في مسقط وما زالوا في الثورة حتى اقلعت انكلترة عن مزاعمها هذه وتركوا لهم سلاحهم وطاشوا طول أيام الحرب أحراراً لم تقدر انكلترة ان تتعرض لهم بأدبي سوء ولا يزالون على استقلالهم التام بحماية ضيوفهم

اما مصر فانتنا سنقرده لثورتها ونهضتها مقالا مخصوصاً ، ولكن نقول هنا بالجملة انها نالت ثمانين في المائة من مطالبها . هذا من جهة العرب وامام من جهة الترك فكانت فرنسا تظن انها تبتزهم ولاية اطنة الحسينية وانهم يتتابع حروبهم ومخيمهم لاسيما هذه السنوات الاخيرات يكونون قد بلغوا حد الاشقاء ولم يبق عندهم رمتق يقوم بهم الى الدفاع فكانت نتيجة احتلال فرنسا لكليكية خسارتها اربعة وعشرون الف جندي والخروج منها

(١) تهامة ساحل اليمن .

ببعض شروط اقتصادية كانت تقدر على نيلها بدون سفك دم ولا هتك ستر، وانكبتها اسطنتت قوماً فلتتهم صاروا ألين من حمل النعام فاذا بهم لم يزالوا افذ من ريش القنفذ، وعلمت انهم لن ينفكوا عن القتال عن ديارهم مهما درجت الايام وكرت الليالي فمدلت معهم عن المحاشنة الى المحاشنة وأخذ الجنرال غورو ينوه بمعامد الترك وحسن عهدهم ومحافظةهم على أصول الحرب وانه لولا هم لكان الان من الفارين لانه لما جرح وطاحت يده في احدى وقائع الدردنيل نقل الى سفينة استشفائية رافعة علم (الصليب الاحمر) ثم كوز الالمات لم يتوقفوا في الحرب عن ضرب مستشفيات كهذه (اظن اكثر المتحاربين لم يراعوا قواعد الانسانية في هذه الحرب لا الالمان وخدم) امسك الاتراك عن ضرب تلك السفينة التي كان فيها غورو مع قدرتهم على اغرافها .

ثم صرح الجنرال غورو بهذه الشهادة في مجلس الشيوخ في اخريات هذه الالوية عند ما تقرر اخلاء كليكية ولكنه نسيها طول تلك المدة التي كان يذبح فيها اترك اطنه ومرعش وعينتاب في مجبوحة اوطنهم املا بالاستيلاء على تلك الولاية . فاما قصة الامسك عن ضرب البارجة التي نقل اليها عند جرحه في الدردنيل فقد سألت عنها منذ ايام قلائل وهيب باشا الذي كان قائد الجيش النماني في شطر الاناضول من (سناق قلعة) والذي كان هجوم الفرنسيين من جهته فقال لي هكذا : ان الجنرال غورو لم ينقل الى بارجة من بوارج المستشفيات كلا بل نقل الى بارجة رفعت علم الصليب الاحمر زورا وهذا يخالف لقوانين الحرب وعلى ذلك كان صدر الامر من الجنرال ليمان فون سندر من باشا قائد القور العثمانية في الدردنيل بالضرب على هذه البارجة الحربية التي تحولت بفتة الى مستشفى فايث انا انفاذ هذا الامر قائلا : يكفي انهم التجأوا الى الصليب الاحمر فنحن نكف عنهم حرمة له . آثرنا استقصاء هذه القصة لما فيها من الدلالة على مكار اخلاق الشرقيين وعلى كون الغربيين قد يقرون بها عند ما تقضي عليهم بدلا السياسة ويفعلونها عند ما يرون انفسهم في غنى عنها

ثم ان الانكباب وتبوا على تركية مهادنة سيفر ولم يدر في خلدكم ان هناك امة تنهض من المدم الى الوجود في وجه الدول الغالبة في ابان عز وعنجهية ظفرها وتقول لهم بلسان حالها انكم حيث نسيتم مواعيدكم باستقلال الشعوب كل في دائرة سواده الاعظم وظهرتم قبل الظفر بمظهر وبعد الظل

بمظهر آخر واحتقرتم بهذا القلب انفسكم فاسمحوا لنا نحن أيضا بان نحتقركم
وبان لا نخضع لقرارات مؤتمركم وبان نعامل مراكزكم المادي الناهض كما نعامل
مراكزكم الادبي الساقط وان كنتم ممتددين على ضعفنا وتجريدنا من سلاحنا
واحتلالنا صامتنا وحصرنا سواحلنا ووضع اليد على تجارتنا فاعلموا ان لضعفنا
حداً وان لمعجزتنا امدا وان لنا سلاحا من عزائنا وبرديقتنا وجلاء حقوقنا
ومنفة مواقفنا وسمة اراضينا ووعورة مسالكنا وقلة احتياجاتنا ومن صبرنا
على البلاء وبياتنا على اللواه وان لنا من جيم الشعوب الشرقية عضداً ومن
العالم الاسلامي ردهاً ومن طبقات العملة والاشتراكيين في جيم الدنيا حامياً
ولصيراً ومن لنين وحزبه مؤنسا وسميراً بهذا كانت تتاجى ضمائر الاتراك
وتراسل جرائد صدورهم بعد ان علموا سوء نية الحلفاء وعملهم على الضد
بهم فتمنض الله لهم من مصطفى كمال من جيم هذه الافكار افعالاً وألبس
هاتيك الخوارج من العمل رداء فاشمروا الا وفي الاناضول شعب يقول
لبريطانيا المظني قني فلن تكون ارادتك هي الاقدار الالهية ولن تبليهي السماء
طولا واننا لقوم زبدان نعيش كما يعيش غيرنا وان هذا الصلح الذي تحملوننا
عليه هو محو لوجودنا ولسناله بمقرنين وليس الحرب بأشد خطراً علينا منه
ولا الموت الذي تهددوننا به أمر في افرامنا من الصلح الذي تمدوننا به لافرق
بين الموت الاحمر والابيض فكان جواب لويد جورج بما معناه ان معاهدة
سيفر هذه آيات منزلات من السماء لن تقبل تحويلاً ولا تمديلاً ومنع الوند
التركي من الكلام وسد على لهواتهم في الحصار اولا ونازيا ورماهم بالجيش
اليوناني تمطده الجنود الانكليزية ودوارع بريطانيا المظني وفتح لليونان
خزائن انكلترا لميرة جيوشهم وأعتادها وأباحهم من ولايتي ازمير في آسيا
وولاية ادرنه في اوربة ماشاءوا بشرط ان يمشوا له الاتراك ويأخذونهم اخذ
عزيز مقتدر وبحت اصوات المنود الجوس فضلا عن المسلمين في مطالبة انكلترا
بالصاف تركية وتتابعت ثوراتهم فكانوا كانوا يزيدون نار انكلترا على الترك
اجيحا وكل هذا لاسترسال لويد جورج الى كلام فريديوس بانه يصدق قوة
مصطفى كمال في ١٥ يوماً قضت سنة وشهر واليونان يهاجمون والاتراك
يدافعون وقوة حكومة انقره هي الى الامام لا الى الورا وحينئذ مصطفى
كمال وان أعوزه كثير مما توفر عند غيره فقد عز بمدد ذلة وعمم بمدد قلة وجاهته

اعتاد من هنا ومن هناك واثبت انه قوة لا يستهان بها وان الترك بحاربون في
الاناضول سنين طوالا تفتتح اثنائها على انكثرة فتن مسقطه الآجال وعجز
زؤل الجبال فماد لويد جورج الى النظر في معاهدة سينر وجوز التنقيح
منها بعد ان كانت عنده آية لاتنسخ وعقداً لا يفسخ ولما رأت فرنسا وايطالية
مارأتا من ثبات الاتراك وصعوبة مراسيم وكأنتا تظلمان ان تبسط اليونان في
الاناضول لا ينفهما في شيء وانما اليونان اصبحوا شرطة وجلاوزة (١)

للانكليز على ابواب الدردنيل

وكانت ايطالية خاصة وقت منذ نهاية الحرب وقفة المنصف المتعدل البصير بالمواقف
في جانب العالم الاسلامي كله نصحتا انكثرة بالمدول عن هذا العناد والرجوع الى
مبادئ تخيير الامم في تعيين مصيرها فرضي لويد جورج بقبول مندوبي انقرة في
جنب مندوبي الاستانة مع انه كان ينعتهم من قبل بالمصاة ويعلم بان يستحيل
بان يجلس في مؤتمر الى عمابة اشقياء فأجلسه مصيتمى كمال بسيفه الى جانب
« اشقيائه » واضطره الى تمديد كثير من شروطه ولكنه لما وصل الى مسألة
زكية عاد لويد جورج الى عناده واني بقاعدة تصويت الاهالي وقال هذه معاهدة
تعتبر جوهراً فرداً فاما ان تقبل بزرها وعروتها واما ان ترفض بزرها وعروتها
ولم يلبث ان رأى الخلف مع اليونان فيما كان اسلف من المبادئ نجاحاً
للكبرياء البريطاني فماد يسر غور قسطنطين سراً عما اذا كان يقدر على
استئناف الهجوم ليكون السيف هو الحاسم فيما بني تحت النزاع فأجابه
قسطنطين بان الأمة اليونانية ناهضة الى الحرب نهوضاً نجيحاً كافلة اخماد حمرة
الاناضول بشرط ان تمدها انكثرة بالاموال اللازمة وهكذا قر بينهما القرار
وزحفت جيوش اليونان بقضها وقضيضها وجاءت بالشوك والشجر واحتلت
اقبوت قره حصار وتباشرت ببلوغ الاوطار وتسحب الاتراك الى الوداء
لا يريدون ان يصلحهم القتال الا على مقربة من قواعد حركاتهم فظن الاروام
ذلك بخورا وعجزا ودلغوا الى الترك طامعين في الفلبة واحتلال اسكي شهر
فكانت هناك الواقعة الكبرى التي اسفرت بعد حرب استمرت اسبوعاً عن
هزيمة اليونان الشنماء ووقوع فرقة تامة منهم في الاسر وامتلاء البطاح باشلاء
قتلهم ونقالات جرحهم وسقط أخو الملك قسطنطين (٢) وبمض القواد الكبار

(١) الجلاوز الشرطي والجهم جلاوزة (٢) لم يتحقق سقوط آخر الملك

في حملة القتلى وعاد اليونان يستمرخون دول الحلفاء ويستمدونهم على التزل
وليس في دول الحلفاء الآن من تقدر على اصراخ اليونان فإيطاليا فرح بفشل
اليونان فرح الترك أنفسهم وفرانسوا لو كانت قادرة على الامداد لما اخذت
كيليكييا وهي اليوم في شغل آخر من جهة المغرب وانكثرة لولم يحسها الاعياء
لمبا طابت نفسها باخلاء العراق ولا تركت القوقاز ولا تحفزت لاختلاء فارس
فكيف تقدر ان تبقي خزاقتها مفتوحة لحكومة أثينا ودوارعها مرصدة
لحياة الاروام

ولو نظرنا الى جمهوريات اذربيجان وكرجستان والطاغستان وقازان
وطاشقند والباشكرد وامارني بخاري وخيوة وكيف هبت كل من هذه
الحكومات الى ترتيب أمورها وتأجيل استقلالها بعد ان كان الروس أودوا
بقوميتها واخذوا على عصبيتها رأيت الشرق قد ركب جناحي نمامة في طلب
استقلاله واستئناف مجده وتفض غبار الدل عن أقوامه وهاهي فارس التي كان
الروس والانكليز قد تقاسموا خطتين وتشطروها منطقتين ولم تجسر ان
تقف في وجه واحدة من هاتين الامتين هبت اليوم تستنجز انكثرة الرحيل
التمام عن أرضها وأعلنت الفناء المعاهدة التي كانت قيدها بولائها كما انها نجحت
بمفاوضاتها مع الروسية السوفيتية بانها نالت منها الاعتراف التام باستقلال
إيران وزول الروس عن كل ما كان لهم هناك من مرافق ومنافع ودبوت
ومعارف الى الحكومة الفارسية

واما مملكة افغانستان التي هابت التهور في الحرب العامة مع جميع
ضلعها الى تركية فلم تقدر ان تجيب داعيها الى الحرب وشن الغارة على الهند لم
تحمّد نيران الحرب العامة حتى جدت بها نهضة لم تكن من قبل فمبت جيوشها
واخترقت ثغور الهند ونهضت معها قبائل شمالي الهند المشهورة ببأسها ونجدتها
كالوزير والمسمودي وغيرهما فشدت انكثرة لمصادمة هذه نحو ٣٠٠ الف
مقاتل وهي منذ سنتين ونصف سنة لا تقدر ان تخلي شمالي الهند من الجيوش
الجرارة المرابطة ولكن القبائل لا يمهلون لها شهرا حتى يناوشوها شهرا فاما
أمير الافغان فقد رضي بتهادئة الانكليز على شروط منها الاعتراف للافغان
بالاستقلال التام ليس في الامور الداخلية التي هو منذ الاول مستقل بها بل
في الامور الخارجية ايضا فاجابته انكثرة الى ما اراد وصارت له سفارة في

موسكو وعقد مع الروس في هذه الايام الاخيرة معاهدة على قاعدة الولاة المتبادل وامداد السوفيت له بالسلاح والمدة واطادت روسيا له مقاطعة على حدود تركستان كان يدعيها من القديم وهو اليوم ينظم جيشه على ايدي ضباط مئانين والملاق ومن جملة من عنده احمد جمال باشا الذي اتصل بخدمته واتناه تحرير هذه الاسطر حضر وفد افغاني الى برلين مؤلف من ثمانية اشخاص يظن ان مقصد بعثته تأسيس علاقات سياسية مع المانيا وتميين سفير لافغانستان لديها والاستضافة بمعارف الالمان والارتفاق بصنائعهم كما ان عند امير الافغان معملا للسلاح اسمه منذ سنين جده المرحوم عبد الرحمن خان والامير الحالي امان الله خان يتوي تأسيس عدة معامل في بلاده وترقية المعارف والصناعات بين امته : وقد بلغنا ايضا ان في كل من امارتي بخاري وخبوه عددا من ضباط الاتراك المئانين يرتبون لهم امورهم ويدربون جنودهم .

واذا هطفت نظرك الى شمالي افريقية الذي وان كان معدودا في الجغرافية من المغرب فهو في الصلة والعرف والدين والفرض معدود من المشرق تجد ان اهالي طرابلس الغرب فازوا باستقلالهم الداخلي وأوجدوا لانفسهم حكومة ذات شخصية مستقلة وان اهالي تونس همضوا بطلب حكومة تمثيلية معها ماطلت فرنسا فلن تقدر على منم ايجادها وان عند الجزائريين حركة وطنية لم توجد في وقت من الاوقات كما هي بعد الحرب فاما المغرب الاقصى الذي ظن الفرنسيين انه بعد الحرب العامة يستسلم الى بأس فرنسا الظاهرة فقد ثار ثورة لم يتم بها اثناء الحرب وايام اشتغال فرنسا بدفع الالمان عن بلادها وعدا المائة الف جندي التي لفرنسا هناك جاء المرشال ليوتي يطلب تقوية الجيوش بتجريد ٨٠ الف جندي آخرين للفراغ من امر المغرب والله غالب على امره وكل من يتأمل في هذه الحوادث وفيما يجري اليوم في بلاد الهند الواسعة وفيما نالته مصر يعلم ان الامم الشرقية قد نهضت من عثارها وهبت الى الاخذ بناورها وان امام الشرق مستقبلا عظيما سيزعج الغزب من منامه وينزله عن صهوة غروره فانه مالم شيء الا بدا نقصه وما طار طير الا وقع وما انبسط جناح الا انقبض ولا يدوم بؤس كما لا يدوم سعد وما زال الدهر يمود كما بدا ويكبري كما أرمي (سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا)

(هجري صبح)

الحمر

فمن الحمر . مؤاخذه الطعام . اضرار الحمر الجسدية . اضرارها العقلية . اضرارها الاجتماعية .
اضرارها الاقتصادية . اضرارها الادبية

يكفي المسلمون الحرة « أم الخبائث » وما أجدرها بهذه الكنية ، ومن
أسماؤها عند العرب « الاثم » قال الشاعر

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تعمل بالمقول

وقد حرمها بعض العرب على نفسه قبل الاسلام لقوائلها ومضارها .
ومثهم عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) قال : لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ،
ويضحك علي بن هو أدنى مني .

ثم جاء الإسلام فتدرج في التنفير منها الى تحريمها وفرض الحد على شاربيها
وقد سألوا النبي (ص) عند تحريمها فإذا تعمل بالحمر ؟ فقال « اهريقوها » فكانت
شوارع المدينة كجاري السيل مما أريق فيها من الحرة

وما زال العقلاء والتمضلاء في بلاد الغرب يشكون من فشوها وانتشار
الامراض وقتل الوقت واضاعة المال بسببها حتى سنت الولايات المتحدة
الإمبريكية قانوناً في اول سنة ١٩٢٠ بحرم صنعها والاتجار بها ودفعت بما كان
مخزونها لديها الى خارج بلادها حتى خربت كنفه - وهي أقرب البلاد اليها -
من فشو هذه السموم في بلادها فحرمت استيراد الحمر من الخارج الا الى حد
محدود فاندلق سيل هذه الطامة الجارف الى اليابان وفشا فيها فشوها فظيما .
وكانت حكومة روسية قبل ذلك منعت شرب نوع من الحمر يسمى « أبنت »
فحرمه فير واحدة من دول الغرب لشدة ضرره

وربما حرمت الحمر فيما بعد في جميع الأمم الغربية وناهيك بجماعات مقاومة
المسكرات فيها ، ولكن البلاد التي تعرف بأنها اسلامية مثل مصر والشام وتونس
والجزائر لم يبد منها أية حركة ولم تنزعج أي ازواج لهذا الخطب الجلل
قال قلت ان هذه البلاد اسلامية ولكنها ليست بدار اسلام أي ان

حكوماتها غير اسلامية بل هي ذات شرائع غير شرعية الاسلام يتدارسها
قضائهم ومحاموهم ويحكمون بها وليس فيها تحريم الحمر فليس لاهلها شيء من
الامر . فأقول : (ان صبح منك الهوى ارشدت لاهل) لو اذ الفكرة على الدين

الاسلامي بقي منها بقية عند من يسمون أنفسهم علماء الدين لتوسلوا الى منع هذه الموبقات بكل وسيلة وسلكوا اليه كل طريق هل سمعت بان أحد الشيوخ طلب تعديل لأئحة أو قانون لتقويم الاخلاق؟ ألم يبلغ العلامة فلان أن ابنه الأستاذ فلان مكبر؟ ألم يعلم علم الاعلام بان ريبه من أقصد الناس أخلاقاً؟ ألم يشاهدوا من أمامهم وعن إيمانهم وعن ضمانتهم من مفكرات روابط الاخوة ومفكرات الاخلاق بسبب الحجر وغيرها من الموبقات ما لو ألقى على جبل رأيتة خاشعاً متصدعاً من خشية الله وسوء المنقلب كيف تسمى لرجال الدين في بلدة (اورنبورغ) - فيما اتذكر - ان طلبوا من الوالي الروسي بان يصدر أمراً ادارياً يحتم افعال الحانات في نهار رمضان - أيام الحكومة القيصرية - فأصدر بذلك امره بمد الاستئذان من العاصمة (بطرسبرج) وان يلقي القبض على من يرى من المسلمين مفطراً في رمضان ويؤتى به الى الامام فان انتهى بوعظه وارشاده والا سجن يوماً أو يومين. كذلك صدر الامر بافعال الحانات أيام عيد رمضان وقتئذ بطلب علماء الدين. وهذا الشرطي الفرنسي يلقي القبض على المسلم المفطر في رمضان في دمشق ويرسله الى المحكمة لتقتص منه فهل طلب مشايخنا منفردين أو مجتمعين أيعاد حانة أو ماخور مما في جوار المساجد والمعابد تنفيذاً للقانون المصري الذي يحظر ذلك - دع عن مطالبهم الحكومة بسن قوانين جديدة لحفظ الآداب؟ قد كان يرجى ذلك أو بفضه لو كانوا يعلمون ان مكاتهم الدينية توجب عليهم ذلك من طريق الدين والآداب والاقتصاد

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

لاخمر مضار في الافراد والجماعات من صحية وعقلية واقتصادية وأدبية الخ وقد ذمها كل عاقل حتى من كان ولو عامها بها وهانحن اولاء نذكر أهم اضرارها: -
اضرار الحجر الجسدية

(١) منها الخمول والهبوط اللذان يحدث منهما زيادة التنبه في الاعصاب ويهبان بالسكر فيتناول شيئاً من الخمر فينهض به عن خموله ويرفع من هبوطه الجسدي والمعي ولسان حاله ينشد قول أبي نواس (وداوني بالتي كانت هم الهاء) ولكنه لا يلبث ان يمرد فيتولاه الخمول والانحطاط ثانية بحكم رد الفعل كما ان بعض المدمنين من الفرنسيين قال من نفسه ان أول كأس شرمت

انما كانت ليزيل بها هما عراه وكل ما شره بمدها كان ليزيل به ما اسأرته الكاس
الاولى من الهموم قال المتنبي :

اذا استشفيت من داء بداء . فأقتل ما أهلك ما شفاكا

وقد سبقه الى ذلك المدمن العربي القائل

وكأس شربت على لذة . وأخرى تداويت منها بها

(٢) ومنها فساد المزاج واعتلال الصحة لانها تحدث أمراضاً مهلكة وادواء
مفضلة (منها) الصل الرئوي الذي قيل : ان سبع الوفيات في العالم بسببه وان
ستين في المئة من أموات أبناء المشركين من المسلمين ، وكأأمراض الكبد
والرئتين والكليتين . وقد قال أحد الأطباء : ان تسمية اعشار المصابين بهذا
المرض من السكاوي والسكر هو السبب في مرضهم (ومنها) أمراض النخاع
الشوكي والمضلات الدموية مما يتسبب منه الرثية (الروماتيزم) وتصلب الشرايين
(ومنها) فقر الدم (ومنها) تلبك المعدة لان السكر يكثر أكله ويضمف عضنه
(ومنها) تمدد المعدة واسترخاؤها

اضرار الخمر العقلية

(١) من اضرار الخمر العقلية الخمار (بوزن غراب) الذي يدعو الشارب الى
المعاودة فالادمان .

(٢) ومنها فساد الاخلاق لاختلال اعتدال القوى النفسية

(٣) ومنها اختلال نظام العقل فالانقلابات من كل قيد من قيود الوفاق والحكمة .

وما أحسن ما أجاب به مجنون دهاه سلطان الذي شرب الخمر ليشرها معه فقال :

« انت شربتها لتكون مثلي فأنا أشربها لا كون مثل من »

بل هو مجنون . قال ابن الوردي :

واهجر الخمر ان كنت فتى كيف يسمى في جنون من عقل

(٤) ومنها الدهول المصبي والنوبات الهستيرية

اضرار الخمر الاجتماعية

(١) من اضرار الخمر الاجتماعية ضعف النسل فانقراضه لان مدمني الخمر

كثيرا ما يصابون بالمقم ومن يلد منهم فانما يلد نسلا ضعيفا دميا أو ابله معتوها

ان افراض الامم المتوحشة سيكون بفتك الاشرية الروحية بهم
(٢) ومنها فساد التربية المنزلية لان السكر لا يلتفت الى تربية اولاده واذا
وكل امر تربية الاولاد الى المربين ذهبت مقومات الامة وتقاليدها خصوصاً
في بلاد كهذه البلاد التي يقصد بتربية ناشئها الى تربية خاصة تمسخ الامة مسخاً
ونجسها بين يدين فلاهي جاهلة ولاهي متمردة ونحوها اوزاراً من زينة الاوربيين
وازيائهم تكون هي الذاهبة بمحضاتهم ومقوماتهم

(٣) ومنها سد باب النبوغ والاخراع في الصناعات والزراعة اذ ان السكرى
لا يشغلهم شاغل عن مواصلة الشرب فان كان السكر من ارباب المصانع فسد نظام
مصنعه وان كان من اصحاب الارض اختل نظام زراعتها فاننا نرى كثيراً من
اهل الثراء الذين لا يعرف السكر منهم موضع أرضه ولا ماذا أصلح فيها الزراع
أو أفسدوا، ومنهم من لا يعلم من احوال ملكه شيئاً او بكل ذلك الى مدير
العمل والكتاب والجابي، وكثيراً ما ترى امثال هؤلاء من غفلة اولئك الذين
اصبحوا فقراء لم ينالوا من ثروتهم الا ما تمودوه من السكر الذي يلجئهم
الى التسول ومنهم كثير في مصر تعرفهم بسيماهم نرى امثال هؤلاء وهم على
ما وصفنا

(٤) ومنها ايقاع المداوة والبغضاء بين اعضاء الاسرة الواحدة و افراد الامة
مما يفكك روابطها ويفت في عضدها ويحمل بأسها بينها شديداً فكم تقاطع
الاخوان وتفرق الزوجان وانفرد عقد الاخوان وعق الوالدان واهمل امر
الولدان بسبب بنت الحان ؟

اضرار الخمر الاقتصادية

حقاً ان داء مصر في المكدرات لدوي اذ ان معدل ما يشربه المصري يزيد
على ضعف ما يشربه الفرنسي وبلاد الفرنسي تنتج له من الخمر ما يشربه ويتجربه
في الخارج ولكن مصر لا تصدر خمر خارج حدودها ولا تنتج ما يستهلكه اهلاها
فضرر الخمر الاقتصادي فيها اكثر منه في كل بلد في المعمور لذلك يثرى الخمر
في مصر بسرعة، من اضرارها الاقتصادية

(١) اسراف المدمنين فيها اسرافاً كثيراً ما ذهب بكل ما يملكون وتتسرب
اموال الامة الى البلاد الاجنبية بسبب ذلك ولم يقتصر ذلك على الريم والاتاج
فحسب ولكنه تمدى الى رقعة الارض فكم من المزارع - والتفائيش -

والضياع - والمزب - والاباعد نحوالت الى الخمرين والقوادين من امة يونان ،
 (٢) ان المقدّر ان تحريم الخمر في الولايات المتحدة يوفر لاهاليها اربع مائة مليون
 جنيه في السنة مما كان ينفق في الخمر ووسائلها ، اذاً ماذا يقدر ان يوفر
 تحريم المسكرات لاهل مصر؟ انه لا يقل عن ٦١ مليون جنيه في السنة اذا قدر
 ان المصري لا ينفق في سبيل الخمر اكثر من اربع جنيهات في السنة وانا
 أرجح انه ينفق ثمان جنيهات في هذه السبيل واذا فرض صحة هذا الترجيح
 فان تحريم الخمر في هذه البلاد يوفر أيضاً لاهلها ١٢٢ مليون جنيه في السنة
 تضاف الي رأس مال الامة

(٢) اتقاص رأس المال ، والتماذي في استهلاك رأس المال هو الاتتجار
 الاقتصادي السياسي . وهذه حالة مفزعة تظهر أثرها في مصر ظهوراً بيناً . نعم
 اذا بحثت في أسباب ذهاب الثروة وانتقال الاموال الثابتة الى الاجانب فلا ترى
 الا سبباً واحداً هو الخمر وهي رسول الميسر وداعيته - اذ قلنا ترى سكيراً
 غير متقاصر - فظهر مصداق قوله تعالى (فيهما اثم كبير) وأي اثم اكبر من
 هذا الاثم الذي هو مجلبة خسران الدنيا والآخرة وذلك هو الخمران الميين
 (٣) ومنها استهلاك معظم الانتاج وبعض رأس المال وتسربه الى الخارج
 البلد وأي انحطاط اقتصادي أدنى من هذا الانحطاط

اضرارها الادبية

(١) من اضرارها الادبية : ذهاب الحشمة والوقار فان السكير لا قيمة له
 بين أهله وولده وحشمه وجيرانه
 (٢) ومنها قتل الوقت في الحانات وتوالي الشراب وذلك مما يذهب
 بالاحترام الشخصي ويخل بالمسكاة الادبية .
 (٣) و٤ - ذهاب الحياء والسد عن ذكر الله وعن الصلاة . ولاحياء لمن
 لا دين له ولا دين لمن لا صلاة له وذكر الله جلالة القاب ونور الروح وهه سبحانه المدلج ما
 لم أرد بهذه المعجالة أن أضيف الى المار بحثاً أهمه فقد أتخى المنار على
 المهلكات - ومنها الخمر - من أول نشأته وأبعد ما أذكره ما في العهد رابع
 في ص ٨٨١ - ٨٩٠ وفي ص ٨٩٢ وأقره ٥٠٠ في الجزء الثاني من التفسير
 صالح مخلص رضا

شذرات أدبية*

١ - آداب المكاتب

أو العمامة والقباعة

كان محمد بن حازم الشاعر جار سميد بن حميد (١) الكاتب الطوسي فهجاء لامر كان بينهما فبلغ سميد هجوه فاغضى عنه مع القدرة ثم ان محمداً ساءت حاله فتحول من جواره فبلغ ابن حميد ذلك فبعت اليه عشرة آلاف درهم ونحوها ثياب وفرسا بآلته ومملوكا وجارية وكتب اليه « ذو الادب بحمله ظرفه على نبت الشيء بغير هيئة ، وتبعته قدرته على وصفه بغير حليته ، ولم يكن ما شاع من هجر هجائك في جاريا الا هذا المجرى . وقد بلغني من سوء حالك وشدة خلتك ما لا غضاضة به عليك مع كبر همتك وعظم نفسك ، ونحن شركاء فيما ملكنا ومتساوون فيما نحت أيدينا ، وقد بعثت اليك بما جملته وان قل ، استفتاحا لما بئده وان جل » فرد ابن حازم حميمه ولم يقبل منه شيئا وكتب اليه

وفعلت بي فعل المهلب اذ غمر الفرزدق بالندى والدر
فبعثت بالاموال ترغيبني كلا ورب الشفم والوتر
لا أقبل النماء من رجل ألبسته عارا على الدهر

٢ - آداب المباشرة

اني ليهجرني الصديق تجنبيا فأريه أن طجره أسبابا
وأخاف ان عانته أخرجه فأرى له ترك المتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متفاؤل يدعو الحال من الامور صوابا

* (١) حمها شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

(١) سميد بن حميد ويكنى ابا عثمان وكان ، يدعي أنه من أولاد منوك
الفرس له من الكتب انصاف المعجم من العرب ويعرف بالتسوية ، ودبوان رسائل
ودبوان شعر صغير وهو شاعر أديب مترسل عذب الالفاظ مقدم في صناعته
جيد المرفة حتى قال بعض الفضلاء : لو قيل لكلام سميد وشعره ارجع الى
أهلك لما ، من شوره

أوليته مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جواباً
الناشي الأضر (١)

٣ - التقويم الحبيب

لح كوكبا وأبدغصنا والتفت ربما فاز عداك أسماهما لم تمدك السبا
وجه أهر وجيد زانه جيد وقامه نخجل الخطى تقوينا
يامن نخجل عن التشبيه صورته أنت مثلت روح الحسن نجيبا
لو شاهدتك النصارى في مابدها ممثلا ربت فيك الاقانيا
حبوبي (٢)

٤ - ومنه في وصف مخن

رنا ظبيا وقنى ضدليا ولاح شقائقا ومضى قضيا
بمض الشمراء في عصر الشمالي (٣)

٥ - ومنه

بدت قرأ ومالت خوط بان وطاحت عنبراً ورت فزالا
المتنبي (٤)

٦ - ومن الابداع في هذا

وييض بالحاظ الميون كأنما هززن سبوقاً وأستلن خناجرا
تصدن لي يوما بمنرج اللوى فغادرن قلبي بالتصير فادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهله ومنن غصوناً والتفتن جاآذرا
وأطلعن في الاجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب خرائر
الزاهي (٥)

٧ - الانحياز الى المدوهداوة

إذا المره عادى من يودك صدره وكان لمن عاداك خدنا مصافيا

(١) هو ابو الحسن اعلي بن عبد الله بن وصيف المعروف بالناشي الأضر الشاعر
المشهور وهو من الشمراء المحنين له في أهل البيت قصائد كثيرة توفي سنة ٣٦٩
(٢) محمد سميد حبوبي توفي في القرن الثالث عشر (٣) عبد الملك بن محمد بن
اسماعيل النيسابوري الشمالي صاحب اليتيمة توفي سنة ٣٢٩ (٤) احمد بن
الحسين المتنبي قتل سنة ٣٥٤ (٥) الزاهي هو علي بن اسحاق بن خلف
البغدادي المعروف بالزاهي توفي سنة ٣٥٤

فلا تسألن عما لديه فإنه هو الداء لا يخفى بذلك خافيا
صمصمة بن ناجية

واحده مسهم فقال

٨ - اذا صافى صديق من تماذى فقد عاداك وانقطع الرجاء

٩ - رثاء بردوب

كان لي محمد بن عبد الملك برذون اشهب لم ير مثله فراهة وحننا فسمى ساع
الى المتصم ووصف له فراهته فبث المتصم اليه فأخذه منه فقال ابن عبد
الملك برثيه

كيف الغزاء وقد مضى لسبيله	عنا فودعنا الاحم الاشهب
ومنها فالآن اذ كملت ادانك كلها	ودعا العيون اليك لون ممجج
واختير من سر الحدائد خيرا	لك خالصا ومن الحلي الاغرب
وغدوت طنان الحديد كأنما	في كل عضو منك صنع يضرب
وكان سرجك اذ علاك غمامة	وكأنما تحت الغمامة كوكب
ورأى علي بك الصديق جلالة	وغدا المدو وصدرة يتلهب
ومنها اضمرت منك اليأس حين رأيتني	وقوى حبالى من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة	لله ما فعل الاحم الاشهب

١٠ - توافق الخاطرين ، بين الشاعرين .

خرج جرير والفرزدق مرتدفين على ناقه الى هشام بن عبد الملك الاموي
وهو يومئذ بالرصافة، فنزل جرير لقضاء حاجة فجمت الناقه تلتفت فضربها
الفرزدق وقال :-

الام تلتفتين وانت تحتي وخير الناس كلهم أمامي

متى زدي الرصافة بسترعي من التهجير والدبر الدوامي

ثم قال : الآن يأتيني جرير فأشده مدين البيتين فيقول :

تلتفت انها تحت ابن قين الى الكيرين والفأس الكهام

متى ترد الرصافة تحز فيها تكزيك في المواسم كل عام

جاء جرير والفرزدق يضحك ؛ فقال : ما يضحكك يا أبا فراس ؟ فأشده

البيتين الاولين فأشده جرير البيتين الآخرين ، فقال الفرزدق : والله لقد

قلت هذا ، فقال جرير : أما علمت أن شيطاننا واحد ؟ (يتلوه)

باب انتقال المنار

رد جريدة القبلة

على الحقائق الجليلة في القضية العربية

نشرنا في الجزء السادس من المنار ذلك المقال المطول في تلخيص حقائق المسألة العربية فكتب احد المتعلقين لاسراء مكة في جريدة الاهرام يؤاخذنا على نشر ذلك المقال الذي زعم النقة ممن اتخذهم هو وأمثاله زعماء العرب مشايخة للسياسة الانكليزية التي سخرتهم لمساعدتها على تقويض صرح أكبر دولة اسلامية يمتاز بها المسلمون في مشارق الارض ومقاربها والثأر للملك الانكليز قلب الاسد ومن كان معه من الصليبيين من المسلمين، وفتح القدس واستعمار سائر بلاد العرب . ولم يستطع هذا الكاتب أن ينقض قضية أو يكذب كلمة من مقالنا وإنما كانت مقالته عبارة عن لوم وتثريب، وتهكم وأكاذيب، زعم فيها أن صاحب المنار ادعى انه كان في دمشق ثاني الملك فيصل وان المؤتمر السوري كان آله يده... ولوضح أن المقال كان يتضمن هذه الدعوى وأنها دعوى باطلة لما كان ذلك بدافع شيئاً من انكارنا على اسراء مكة ما أنكرناه عليهم باسم الشرع والدين والمصلحة العربية

وقد كان من جنابة ذلك الكاتب على زعمائه الذين أراد الدفاع عنهم أنه حملنا وحمل غيرنا على كتابة مقالات في المسألة العربية ونشرها في تلك الجريدة اليومية التي يقرأها الوف من الناس لا يقرأون المنار فصرفوا جنابة أولئك الاسراء على الاسلام والعرب وانه لا يملك أحد من أشياعهم أن ينقض من الحقائق التي أثبتتها المنار شيئاً .

ثم اتنا اطلعنا على العدد ١٠٥ من جريدة القبلة التي تصدرها حكومة الحجاز في مكة المكرمة الذي صدر في ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٩ فرأينا في صدره مقالة في الرد علينا مكتوبة بذلك القلم المعروف لسلك المظلمين على تلك الجريدة بانشاءه الغريب فرأيناها كما كتب اليها بعض من اطلع عليها فلنا ونحن في مدينة (جنيف) من بلاد سويسرة من أوروبا إذ قال: «وجدتها بمكان صحيح من السخافة يكفي في الرد عليها نشرها» فرأينا ان نشرها وزود عليها وان كان رأي صاحب هذه الصحيفة لا زال سائلاً حريصة القبلة من رور

مفتون بكل ما يكتبه فينبغي ان نريه قيمة ما كتب بما فيه عبرة وفائدة لقراء المنار « وهذا نصها :

أعجبي أم عربي ٢١

تحقق لدينا في هذا الاسبوع - احتدام غيظ وغضب وعداوة وبنضاء مولانا... ومصباح ظلامنا... رشيد رضا - على سيدنا مولانا المنتقد وأنجاليه مما رأيناه في عدد (١٣٥٠٠) من « اهرامنا » الاغرم من كرتة بالتنديد المعلوم الشكل والماعية !

وعليه فلا يسمننا أن تأتي بشيء في الموضوع الا بياناً بأز الروابط التي يزعمها حضرتته تجملنا نسترحم مواطن مدارك ارشادات كالاته المفرد والصفح... ولا نظن أن عظم جريمة... سيدنا المنتقد وأنجاليه في نظره - ينسبه : « والكاظمين الغيظ والعاقين عن الناس » أتله ان المعظمة والكبرياء والمدارك والاحاطات التي وصف بها ذاته المعظمة وحصرها في شخصه وتميزه دون سواه بتلك الفضائل... والجلائل... تأتي شهامتها المبادأة بأبسط من ذلك التمريض « الذي هو على طرفي نقيض » حتى بالاجاب فضلا عن تزعم أنك من عندهم وهذا لا نشك أنه من نجابة دستور شعور تلك السجاياء والمزاييا...

ومع ذا فلا نظن أن نجابة دستور ذلك الشعور تحظر علينا أن نسائل مولانا (الذي أفهمتنا بياناته المذكورة بكل صراحة أنه أصبح اليوم مرشد الامة الاوحد... وهاديا الفرد الامجد...) أولا: أهو عربي أم أعجبي ؟ . واذا كان الاول فليسائل وثاقه الى الفخيدة التي يريد أن ينتمي اليها - وسؤالنا هذا هو ليتضاعف قدره... وتترادف كبرياء

عظامته... لدينا ايس الا

ولا بأس أن نشفع طالبنا هذا بقولنا: ان نجابة شعور ذلك الدساور
تقتضي علينا أيضا بأن نكتبني من البحث في الموضوع بما أورده أحد قرائنا
الافاضل مما ادرجته « القبلة » في عددها الذي قبل المدد المنتهي المتضمن
الرد على عداء مصباح الظلام ومرشد الانام بقوله:

(يعرض الاستاذ بأمرائنا في شؤون المسألة السورية فنقول له:
عساه ان يتأمل موافقهم وأعمالهم الناجحة باخراجهم « بقدرة الباري »
للجنرال ليمان فون سندرز وما ادرالك ما سندرز من سورية ويطبقها
على نتائج موافق حضرة التي أدت الى تسليم تلك البلاد للجنرال غورو.
ولا يمكن الشيخ رشيد رضا أن ينكر هذا وهو القائل بأنه كان الأمر
الناهي في دمشق بولي من يشاء ويعزل من يشاء من الوزراء ويقرب
من يشاء ويمد من يشاء الخ) انتهى

فإذا تأمل رشيد بل وكل متأمل — هاتين النتيجةين اللتين جمعنا
قآورهما القضية من مبدأها الى منتهاها بمد تطبيقها ومقايستهما على ما ذكر
— تظهر الخلاصة الجوهرية التاريخية التي يريدنا الشيخ رشيد بقوله:
(الحقائق الجليلة في تاريخ القضية العربية) : عنوان مقالة تنديده بإسادتنا
فهل وراء اخراج سادتنا وقادتنا على مرأى من حضرة والمسلم
لسندرز وأمانته، وادخال مولانا الاستاذ ومبادئه كما ذكر لغورو
وافرنسيته — حقائق تاريخية عن سوريتنا وحوادثها، أو هل يقتضي
بحث أي مؤرخ فيها، ربنا لا نضلنا بمد اذ هديتنا

لاندرزي وأبيكم كيف فات على تلك المقامة وكبرياتها بأن الكثير حتى

من البسطاء أدرك ما في اظهار تلك المظنة والانانية لهذا المداء والبغضاء
ومصارحتها به اثر ما يزعمه المبشرون عن كيفية الاعتداء على صديقنا
غورو وجملهم يحكمون بأن تلك المظاهر بالتمريض والنيل من أشبالنا^(١)
وسرانا هو فصل من تلك الفصول وبقة من تلك الحقول... فليتأمل!!
أما محنته عن عدائنا لترك فقد أجاب عنه طلبنا في عدد (١٢٥٠٤)
من امرنا بقوله للشيخ رشيد :

(لقد أخطأت في اشارتك على جلالة ملك الحجاز بحسب تصحيحك
الإخير ، «بمداوة» الاتحاديين التي أدت الى محاربتهم وهذه أدت لخاربه
الأتراك لكون الامة التركيه كانت تأتمر بأمر الاتحاديين ولم يكن
بالامكان سوى ذلك فهل لا سيد الاستاذ ان يبرهن عما اذا كانت المداوة
لا تؤدي الى الخسومة والخسومة الى القتال سيما اذا كان ذلك بين عنصرين
وفي زمن حرج كالزمن الذي سافر فيه الاستاذ الى الحجاز أثناء الحرب
العامة؟ وما حمل جلالة ملك الحجاز لما رثمهم الا ما كان يسمعه عن ظلم
جمال وقتله خيرة أبناء سورية وما كنتم تكتبونه في المنار من التحريض
ضد الاتحاديين بمد عودتكم من الاستانة وما كان يذكره في الجرائد
المرية طلاب الاصلاح في سورية . فعمل ما فعل ولكن الظروف الاخيرة
عاكسته وتخلي عنه حلفاؤه بمد ان داسوا حقوق الشعوب الضعيفة ولم
يراعوا عهودا ووعدا فالقوة القاهرة القاهرة اليوم لا تمنع امة بأسرها من المطالبة
بحقها المشروع والذود عنه يوما ما) انتهى

ومع هذا فلا بأس من ان نشتم ذلك بقولنا أيضا : انه يمز علينا أن

(١) ليتأمل القاري، كفة أشبالنا ومن قالها

أناية تلك المظنة والكبرياء تنقض اليوم ما قلته بالامس فان منارنا ...
 ومظهر نخارنا ... كما أنه موجود لدينا - ضروري انه موجود أيضا لدى
 كبير من قرائه فانه مشتمل على الفارات السموات التي شها مولانا على
 الترك بما هو معلوم .

ومع ذلك فلا بد أن هناك دواعي ... وأسبابها ... لهذا التخليط
 والتخبيط والتخليط لا تدركها الا أناية تلك المظنة والكبرياء ... غير اننا
 والحالة هذه نلتصم احاطة مداركها ارشاد العالم الى من يجب أن يتبعوه
 الآن : أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية ؟ والله يهدي من يشاء الى
 الصراط المستقيم

ويحسن بنا أن نلفت أنظار المتأملين والمدققين - الى ما نقله البرقيات
 الاخيرة وكثير من الصحف عن عزم الكمالين على اخلاء انقرة وانتقالهم
 الى قيصرية - ليطبقوا هذا النبا على اسمعجال الشيخ رشيد بضر به المثل بهم
 في مباحته التديدية بسادتنا في كفاءة الزعامة وقيامهم بشؤونها ولا نظن
 (ان صح تركهم لانقرة) الا انه لا فرق بين ذلك وبين تسليمك
 يا مولانا لدمشق ، اه كلام جريدة القبلة بنصه السليم وعسلطتها المعروفة
 (المنار)

لو أردنا أن نرد على كل ما في هذه المقالة من الخطأ والخلل الشرعي والافري
 والسياسي لشغلنا قراء المنار زمناً طويلاً بمسائل يفضلون جميع مباحث المنار
 عليها فنكتفي اذاً بما نراه مفيداً من ذلك

عجز سياسي القبلة أو سائسها أن ينقض شيئاً من « الحقائق الجلية » التي
 أثبتناها في مقالنا التاريخي فحصره الانكار والزد علينا بما أورد في مقاله يتضمن
 الاعتراف بتلك الحقائق كما سبق لنصيره الذي رد علينا في الاهرام ، فما أورد
 ينحصر في مسألتين مبتكرتين ، ومسألتين منقولتين

اما المسألان اللتان جادت بهما فرجة سائس القبلة وقلما يصدر مثلهما الا عن ذلك الفكر القريب ، والدماع المخالف لسائر أدمغة البشر في التركيب ، فأولاهما وأولاهما بالتقديم ما أشار اليه بعنوان المقالة: أعجمي ام عربي!

انكار جريدة القبلة لكون صاحب المنار عربيا

شرح سائس القبلة هذا العنوان بما صرح فيه بأخراجنا من الامة العربية والحاق نسبنا بالاماجم والظاهرا ^{الظاهري} يعني بهم الترك الذين انكرنا عليه عداوته لم يحاربهم اباهم تولايا للانكاذب ولنا في هذه المسألة ابجاث :

- (١) اذا كان يعني ان صاحب المنار تركي الاصل أو غير عربي ببديل ما كان من غيرته على الدولة العثمانية فكثر مسلمي الارض من عرب وعجم اترك لانهم يشاركون صاحب المنار في رأيه وشموهه في الامة التركية والدولة العثمانية حتى اهل الحجاز وفي مقدمتهم الشرطاء فقد علمنا بالخبر وخبر النقات أن أكثرهم قد ساءه الخروج على الترك وسقوط حكومتهم وانهم يفضلونها على حكومتهم الحاضرة ولكنهم لا يستطيعون التصريح بذلك الا لمن يتقون بأنه لا يفشي لحاكمهم المطلق
- (٢) اذا كان من ينتصر لقوم ويدافع عنهم ولو بالحجة والبرهان لا يكون الا من المشاركون لهم في نسبهم فإ القول فيمن ينتصر لقوم باللسان، والسيف والسنان، ويحارب أهل دينه ويخرج على سلطانه وخليفته ويتولاهم عليه ؟ أليس هو الاولي بأن يمد منهم ان لم يكن بالنسب بقوله تعالى (ومن يتولم منكم فانه منهم)
- (٣) بعد ان خاطب سائس القبلة صاحب المنار بقوله « تزعم انك من عنصرهم » اي العرب سأله سؤال تعجيز: « هو عربي ام عجمي » (قال) « وان كان الاول فليحلسل ونائقه الى الفخيزة التي يريد ان ينتمي اليها » — تأمل قوله يريد ان ينتمي اليها . فيا ليت شمري هل القاعدة عند من يريدون ان يتولوا ملك العرب الا يعتدوا بعربية احد الا اذا جاءهم بوتائق سلسلة الى الفخذ او الفخيزة التي ينتمون اليها او يريدون الانتماء اليها ؟ أم ذلك خاص بأهل الحضارة من عرب سورية والمراق وامثالها كصر والمغرب الادنى والافصى ؟
- (٤) ان سائس القبلة يعلم اننا ننتمي الى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويريد ان يطعن في نسبنا طعنًا بليغًا بأخراجنا من الامة العربية باسمها جهلا منه بدينه وينفسه فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » رواه احمد في مسنده ومسلم في

صحيحه . والمراد ان ذلك من اعمال الكفر والجاهلية . ونحن قد ذكر لنا بعض أهل بيوتات مكة ماهوم مشهور فيها من ان بعض كبراء أمراءها... قد ثبت بطلان نسيبه في المحكمة الشرعية بشهادة الشهود لدى القاضي الشرعي بأن امه - وهي مملوكة بالطريقة المعروفة اليوم وهي غير شرعية غالباً - دخلت بيت ابيه وهي حامل به ووضعت قبل ان يتم لها في داره اقل مدة الحمل الشرعية وحكم القاضي بذلك . فقلنا لكنه يدعي النسب الملوي وحكم الشرع أن الناس مأمورون على أنسابهم وان الطعن في النسب من عمل الجاهلية ونحن لم نطلع على الحكم الشرعي الذي تذكرونه ، فأين هذا الألب الشرعي من جرأة سائس القبلة وعدم مبالاته بالشرع والدين ؟

(٥) يقول سائس القبلة متبهما كما دته انه سأل صاحب المنار عن الوثائق المذكورة « ليتضاعف قدره .. وتترادف كبرياء عظمته .. » لديه أي بالتصفيحة الحظيرة التي يريد الانماء اليها . وجوابه ان صاحب المنار على كونه شريف النسب وعنده وثائق وهم اهل قريته (القلبون) ماعدا الدخلاء - وهم قليلون معروفون - شرافه ونسبهم متواتر في بلادهم يضرب به المثل فيقال : سيد شريف من القلمون - وذكرهم بعض المصنفين وعلى كونه هو أشهرهم في ذلك حتى اذا اطلق لقب « السيد » عند اهل العلم والادب والوجاهة في طرابلس وبيروت ينصرف اليه - لم يفتخر يوماً من الايام بنسبه لا قولاً ولا كتابة (٥) فهدع الكبرياء والاعجاب بالنسب لمن حرموه من هداية الشرع وآدابه ومن الفضائل الذاتية فلم يمجدوا لهم منخراً يتكبرون به على الناس الا الانماء الى اولئك الآباء الذين كرمهم الله تعالى بالعلم والهدى لا بمجرد النسب ، فأبرهنا أخو حمزة والعباس رضي الله عنهما . وقد قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا

(٥) قد يرد علينا ما يحفظه بعض الادباء من قولنا في القصيدة الشرقية التي

نظمتها كماثر شعرنا في الهداة زمن طلب العلم

مطلقات فحول الشعر قاصرة فيها كقصورة الشهم اليربدي

تلوى قصائد هم طي السجل اذا ما ساجلت شعر كندي وعيسى

برئت من فصحاء الهاشمية ان تنشر ومن لسن النسل الحسيني

والجواب ان هذا نثر بالفصاحة لم يقصد به الفخر بالنسب بل تم قصد من

الفخر الأسلوبه ، هل اتنا نستنفر الله منه ومن مثله في قصيدة الجاذبية

ان انكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) وقد روى الترمذي في جامعه وغير من حديث ابن عمر أن النبي (ص) طاف يوم الفتح على راحته يستلم الاركاز بمخجنته فلما خرج لم يجده مناخاً فنزل على ايدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي اذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بأبائها، النار وتجلان برتقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس، والناس بنو آدء وخلق الله آدم من تراب، قال الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وخلقناكم شموباً - الى قوله - خبير) والاحاديث في هذا الباب كثيرة

لعم ان صاحب المزار لا يمد شرف النسب سبباً للكبرياء كغيره بل يرى ان للكبرياء سبباً واحداً وهو شعور المتكبر، هانة يحاول اخفائها بتكاف اظهار هضمة كبرياء، على انه لو كان يفاخر بعلم او نسب لما كان يحفل بأن يكون من المعطاء في نظر سائس القبلة بمد أن علم من حاله ومن المعطاء في نظره ما علم. الكبر غمط الحق واحتقار الناس كما عرفه سيد المرفاء (ص) وصاحب المزار يحمد الله تعالى ان وفقه للخضوع للحق والاعتراف به ولو على نفسه وقومه وهو يطلب أهل العلم والرأي بمناره في كل سنة ان يبشروا له ما لعله اخطأ فيه الحق ليرحم اليه. ولم يجمله كمن لا يتجرأ أحد على مراجعته في خطأ ديني ولا سياسي حتى انه حرف بعض آيات القرآن لفظاً ومعى وكذب على الرسول فيما عزاه اليه من الموضوعات وقد أرشدنا بهم محرري القبلة الى تنبيهه فلم يتجرؤا بمد ان جربوا النصح والتنبيه فأهينوا وهو يحتقر العلم والعلماء ومن فوقه من السادة والامراء (٩) لو صدق سائس جريدة القبلة ومحاميه الدكتور طليم في زعمهما أن صاحب المزار قد امتنحز بأنه كان في دمشق ثاني الملك بكونه رئيس المؤنصر السوري الغام الذي كان يمثل الامة وله صفة ما يسميه علماء السياسة بالجمعية التأسيسية لما كان أمد عن الضوابط وأحق بالنقد من جريدة القبلة وسائسها بما نشر فيها من القصر والتبجح بقول التيمس ان البريطانيين حاولوا البحث عن بدل للسلطنة العثمانية البالية فوجدوا أبدالاً ذكرت التيمس منهم العرب وفلسطين الجديدة وأرمينية الجديدة. مثل سائس القبلة هذا القول نفراً للعرب الذين انتحل لنفسه حق تمثيلهم بمثل قوله « فان على مثل هذا ينشأ من المتنافسون، ومثله فليعمل الماملون » فجعل قول التيمس بالمسكاة التي خص بها كتاب الله تعالى بقاءه في دار كرامته بصيغة الحصر فقال مشيراً الى ما دل عليه ما قبله من الخلود في النعم المقيم والامن الدائم

من المذاب (ان هذا هو الفوز العظيم هـ لمثل هذا فليعمل العاملون) بخلاف
سائس القبلة كتاب الله تعالى وجعل رضاه الانكليز المستنبط من اشراكهم للمرب
أو للحجاز مع اليهود والصهيونيين والارمن في ارض ملك الدولة العثمانية هو الفوز
العظيم الذي يجب أن يصل له العاملون دون سواء كما يعمل المؤمنون المتقون
لنيل رضاه الله تعالى والخلود في دار كرامته . ومثل هذا يقال أيضا في تمثله
بقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون)

ويؤيد هذا ما هو أغرب منه في الاخلاص للانكليز وهو ما قاله ملك الحجاز
نفسه في كتاب لنائب ملك الانكليز بمصر ونشره صرارا في جريدة القبلة
افتخارا وتبجها به لحسانه أنه من آيات الله الكبرى وأنه يبرئه مما يرميه به
المسلمون وهو أنه بمدان أدلي باخلاصه واخلاص اولاده «الذين لا تغيرهم الطوارئ»
والاهواء « لبريطانية العظمى وطلبها بانجاز ما كان طلبه منها لاجل نهوضه
بالخروج على دولته وقتالها معها أو تعيين بلد يقيمون فيه ليسافروا في اول فرصة
اليه - وبعد أن صرح بأنه لا يقبل من مؤتمر الصلح أن يقرر له شيئا من
دونها - قال ما نصه «ولو قرر المؤتمر المذكور اضمام مقرراتنا وكان ذلك من
غير وساطتكم وقبلناها فنكن (كذا) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه
الرقيب على قولي هذا هـ اه بنصه

ولم نعهد قبل هذا ان احدا من البشر اختار لنفسه ان يذل ويجزى
لخلق يحمل المبودية تحت ظل سلطانه خيرا من كل ما يتصور من رضوان
الله ونمسه في الآخرة أو مثله وخيرا من الحرية والاستقلال المطلق في الدنيا
فان «المقررات» التي يطالب ملك الحجاز الانكليز بتنفيذها عبارة
من تأليف انكلترة حكومة عربية له تتولى هي صيانتها والحفاظة عليها
في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تمد بأي شكل حتى
الدسائس الداخلية واعتماد الحاسدين له من امراء العرب كما صرح به في كتابه
الذي كتبه الى نائب الملك في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٣ وهو الكتاب الذي يسميه
«مقررات النهضة» وهو الآن يقول ان مؤتمر الصلح لو قرر له الاستقلال
التام المطلق من قيود تأليف الانكليز لحكومته وحنظها له في داخليتها وحماية
حدودها ومن غير ان تكون البصرة «تحت اشغال المنظمة البريطانية» كما
اقترح من تلقاء نفسه - وفلسطين لليهود الصهيونيين وسورية للفرنسيين كما

لو قرر انه مؤخر المساجد على هذا بدون وسامة «المظمة البريطانية» وقبله يكون مطروداً من رحمة الله تعالى كما يسر لعله انه ومن المعلوم أن «المظمة البريطانية» لم تنفذ تلك المقررات التي جعل تعديلها سبباً موجباً لخروجه مع أولاده من الحجاز أو بلاد العرب الى حيث تختار لهم المظمة البريطانية، وهي لا تختار لهم الا الامكنة التي هم فيها فانهم لا ينفعونها في سواها.

شهادة سائس الحجاز بالكاليين

والمسألة الثانية مما انفرد به سائس جريدة القبلة في الرد علينا هي التماسه من صاحب المنار «ارشاد العالم الى من يجب أن يتبموه الآن : أم يقتدون بأنقرة أم القسطنطينية؟» وقفى على هذا السؤال بذكر ما نقلته البرقيات من عزم الكاليين على اخلاء أنقرة ليظهر للناس خطأ صاحب المنار بتفويجه بهم. ونفضيهم على زعماء الحجاز يعني أنهم غلبوا على أمرهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، وطالما أظهرت جريدة القبلة الشهادة بهم. وجوابنا أننا نحمد الله تعالى أننا لم نر هذه الشهادة بالترك وسرور سائس جريدة القبلة بانتصار الصليب على الهلال كسروره من قبل بفتح القدس وبغداد ودهشق الا بعد ان نصر الله الكاليين على اليونان وأفسوهم عن أنقرة مذهومين مدحورين، وليعلم سائس القبلة أن العالم الاسلامي لا يحتاج الى مرشد يرشده الى من يقتدي به من فريق القسطنطينية وأنقرة، فعقيدة المسلمين الدينية وشعورهم الاسلامي خير مرشد يرشدهم الى ضد ما تفشهم به جريدة القبلة المخالفة للرأي العام لاهل القبلة، وهم يعلمون أنه لا خلاف بين أنقرة والاستانة في نفس الامر وانما ابتليت القسطنطينية بالاحتلال الاجنبي فقامت أسود أنقرة بواجب الدفاع عنها مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل انقاذ بلادهم تام وسلمان خايفتهم من السيطرة الأجنبية التي يفتخر سائس القبلة وحكومته الحجازية بالخنوع لها طوعاً واختياراً بمنزل ما نقلناه عنها آنفاً. نعم ان الاستانة خدعت أولاً بدسائس الاجانب فوجد فيها من عد الكاليين هصاة ولم يكن ذلك تميلاً للعالم الاسلامي الى زعماء الحجاز الذين اختاروا لانفسهم ان يكونوا آلات لاولئك الاجانب ولكن الاستانة لم تلبث ان ثابت الى مرشدها وعرفت للكاليين فضلهم عليها وعانق مندوبها في لندن مندوب انقرة. أليس صاحب المنار صادقاً في حكاية بان زعماء أنقرة جعلوا أنفسهم الاسلامية لاشبههم التركي وحده الهنك والهजार وزعماء الحجاز سجلوا على انفسهم وأعوامهم.....؟

هل اخراج الترك من سورية مفخرة للحداد

وأما المسائلان اللذان فالأولى منهما نقلتها جريدة القبلة عن نصير عارفي ابن زعماء الحجازم الذين أخرجوا القائد الألماني الذي كان أحد قواد جيش الدولة العثمانية من سورية الخ وجوابنا عنها على فرض التسليم أننا نمدحها من أعظم المدائح التي أصابت العرب والاسلام بشؤونهم بملبهم هذه البلاد وغيرها من الدولة الاسلامية التي جعلت لأهلها من الحقوق في الدولة مثلا للترك فيها ليحل محلهم فيها الانكليز واليهود والصيوتيون والفرنسيين وحالة أهل البلاد مهم ومروفة. ولكن سائس القبلة ودكتوراه من طائفة الدرروز ومن أيده كرياض أفندي الصالح من طائفة أهل السنة من المسلمين يفضلون أخذ الافرنج للأرض المقدسة والأرض المباركة (سورية) على سلطان الترك عليها ويخالفهم في ذلك العالم الاسلامي كله والسواد الأعظم من أهل سورية حتى النصارى الكاثوليك كما يعلم ذلك المختبرون لحال البلاد، ولقد قلت في شهر مارس سنة ١٩٢٠ لموسيو رويير دو كيه ناموس الجزال غورو أخبرني رجل من أشهر انصاركم واعلمهم بحال البلاد انه لو خير أهل لبنان حتى الموارنة منهم بينكم وبين الترك لفضل الترك عليكم ثمانون في المئة من أنصاركم الموارنة فما القول بغيرهم؟ فقال اتنا نعلم شيئا من هذا ولكن دون هذه النسبة. وقد قرأنا من قبل في جريدة القبلة ١٩٢٠ الا يتشامم فيه سائسها من انتصار الكالين على اليونان وينبه الانكليز الى ما فيه من الخطر على سورية ويعرض حكومته لتلافي هذا الخطر، ولما أشيع خبر استيلاء اليونان على مدينة لقرة - وكنا في مدينة جنيف بسويسرة - اظهر رياض أفندي الصالح السرور وعلاه بأن انتصار الترك زجما يقضي الى زحفهم على سورية، قلت وهل تفضل الفرنسيين على الترك قال نعم انه يفضل عليهم حتى الفرنسيين واليونان، وتفضيله للانكليز بالأولى، نعم انه لا يفضل ذلك على الاستقلال، ولو أن سورية نالت الاستقلال بما يفتخرون به مما ذكر لكان لهم أن يفخروا ولما نوزعوا في الفخر ولو باطلا كما ينازعون به بعد هذه العاقبة السوءى لعمامهم المبني على الفساد من أول يوم

من سنم دمشق الفرنسية ؟

هذا وان من الجلي البين أن تبجح سائس جريدة القبلة بتقلاوا وقراراً باخراج

العثمانيين من سورية هو نصر صريح بانهم كانوا هم الذين فتحوها للانكليز والفرنسيين الذين اقتسموا الولايات العربية العثمانية في اثناء الحرب، وقد هنام ملك الحجاز بهذا الفتح المبين. ثم أن شبلة الملك فيصل بذل جهده لجعل سورية للانكليز وحدهم باسم الانتداب المبتدع فلما أعلنوه بالقسمة اتفق مع موسيو كلمنتو على اقطاع سورية الشمالية بالانتداب الفرنسي فكان صاحب المنار في طليعة المعارضين له قبل عقد المؤتمر السوري العام ثم وانتخابه رئيساً له وبمعد ذلك؛ وهو لم يستطع قبول ائذار الجنرال غورو والخضوع للانتداب الذي سيم خسفه الا بعد تعطيل المؤتمر، وقد صرح في البرقية التي أرسلها الى الجنرال أنه قبل الانتداب بالرغم من ارادة الامة وعرض نفسه وحكومته للخطر، ومن المعلوم أن المؤتمر كان اكبر ممثل للامة لانه هو الذي أعلن الاستقلال ونصب فيصل ملكاً باسم الامة فاذا كان سائس القبلة ينكر هذا او يماري فيه فانتنا ننشر نصوص البرقيات التي أرسلها الملك فيصل الى الجنرال غورو وما احتف بها من الحوادث خصوصاً اتهام فيصل للمؤتمر بانه قرر خيانتته وقتله وما خاطبته به في هذه المسألة وغيرها ليس من غرائب شؤون البشر ان يقول المالمون بهذه الحقائق ان صاحب المنار هو الذي ادت موافقته الى تسليم البلاد الى الجنرال غورو؛ ثم يملون ذلك بزعمهم تهكاً انه ادعى انه كان هو الأمر الناهي في دمشق يولي من يشاء ويعزل من يشاء او هل يمكن ان يصل احد الى سفه نفسه بمثل هذا الا بخذلان من الله ا

من حمل أمير مكة على الثورة

وأما المسألة الثانية مما نقلته القبلة من نصيرها وهي زعم الدكتور طليح الذي ارتضاه سائس القبلة - ان صاحب المنار اشار على ملك الحجاز بمداوة الانحاديين فأفضت المداوة الى قتال الترك لان امر الدولة كان بأيدي الانحاديين - فهي تضليل ظاهر وافك بين فان صاحب المنار انما ذهب الى الحجاز حاجاً بعد خروج امير مكة على الدولة وقتاله اياها واستماتته عليها بالدولة البريطانية التي ابدهت بأساطيلها وبيعت الجنود المصرية وبذلك غلبت الحامية العثمانية التي كانت بحجة ومكة والذائف وفي تلك الاثناء لمحناله بما اشترنا الى بعضه في بعض المقالات تحت اشراف المراقبة الدقيقة على المبار وصرحنا ببعضه في مقالة الحقائق الجلية واهم التحذير من عداء الامة التركية وان يكون من أسباب سقوط الدولة العثمانية، وان يحصر عداوته في خطة الانحاديين الطورانية، وانكار قسوة جمال الوحشية، حتى

يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع كما صرحت بذلك في خطبتي التاريخية في احتفال العيد بمنى واظهر لي القبول وكان هذا ممكنا

وبعد العودة الى مصر انكرت في رحلة الحجاز على بعض الشبان الذين ذهبوا الى الحجاز امتهان الدين، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين، فبادرت الحكومة الحجازية الى عقابنا على هذا بمنع مجلة المنار من دخول الحجاز، ثم استرسلت في اعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح، ولقد استغربنا اقرار سأس القبله ما ذكره من سحق نصيره والمحامي عنه ولا سيما زعمه انه «ما حمل جلاله ملك الحجاز لنا وثبتهم (١) الا كذا وكذا. قهلي كان امير مكة يقرأ مقالات المنار في الانكار على الاتحاديين وكانت عنده من الاسباب التي حملته على موالاة انكثرة ومساعدتها على قتال الدولة العثمانية ١٤١٤ أم كان ذلك بفعل الدسائس والجنبيات الانكليزية ١٤١٤»

كلا ان ما كتبناه في الانكار على ما اتاه بعض الاتحاديين المارقين قد كان مغايمة ونصرا لجمعية علماء الاستانة والاحزاب العثمانية المخالفة لهم من حيث هم حزب سياسي لم يقدر المركز الديني للدولة حق قدره وفتن بالمصيبة الطورانية حتى كان جميع المتدينين خصوماله وان لم تظهر لهم حقيقة الغلاة من زعمائه الا بالتدرج، ولم يكن في شيء من ذلك تحريض على الترك ولا على الدولة بل كان اتصارا لها. وقد علمت في اوروبا ان السواد الاعظم في الاستانة والانادول صار خصما لا وئلك الغلاة واتتمروا بالفتك بهم بعد انتهاء الحرب. ونحمد الله تعالى ان ظهر للجميع خطأ تلك المصيبة الجاهلية التي انكرناها عليهم واجمعوا على صحة رأينا، وسنين ذلك في الرحلة الاوربية ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ افترى الدكتور طليم علينا ما شايتمه عليه جريدة القبلة من زعمه اننا كنا نحرض على الترك وان ذلك كان من اسباب خروج امراء الحجاز عليهم وفرضهما من ذلك معروف جلي. والافلياً توأبش من المنار يؤيد زعمهما. كما افترى علينا الدكتور طليم بأننا كنا مؤيدين لملك الحجاز في عداوته وقتاله للترك الى عهد قريب. والصواب اننا كنا في اول العهد بالثورة غير مطلعين على دخائلها واسبابها فظننا انه يمكننا ان نوقفها عند حد ما يسميه المناطقة قضية مانمة الخلو وهو اما ان تنفع واما الا نضر وبذلنا ما استطعنا من النصح في هذه السبيل، وقد راينا كلام الرجل في مكة وان سرح في حفلة مني المامة

جهداً بأنه لم يبرأ أحد عن رايه من غير تواؤ قبل خلبتنا في تلك الحفلة. ونحن نذيل هذا الرد بنس بلاغ حكومة الحجاز الرسمي تمنع المنار من الحجاز الذي منعتنا المرافقة من نشره في ايام الحرب . وهذا نصه منقولاً عن عدد ٧٨ من جريدة القبلة الذي صدر في ٢٣ رجب سنة ١٣٣٥

منع مجلة المنار

من البلاد العربية الهاشمية

جاءنا من وكالة الداخلية البلاغ الآتي :

« ان ماورد في مجلة المنار (عدد ٦ : مجلد ١٩ ، الصادر في محروينة محبر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥) من التعريض بين قدم اليان من ابناء العرب والتعامل عليهم لا تعتبره الحكومة العربية الهاشمية الا مقصوداً به الحط والنيل منها ، اذ ان الافاضل النجباء المشار اليهم اجل وارفع من ان تقسم شائبة مما رمتهم به المجلة المذكورة كما هو معلوم ، وانهم لا ذنب لهم في حياة الشيخ المعروفة الا الضاهم الى حكومتنا العربية ، ولا جريمة تستلزم غيظه وغضبه على حكومتنا - وهي لم يعض عليها الوقت الكافي لاحتدام هذا الفيض والغضب - الا ما عساه ان يكون مما اشير اليه في الكتاب المرسل للفاضل الاجل حضرة رفيق بك العظيم الذي توجه الى راجمته انظار الافاضل من انصار الحقيقة (١)

وان هذه الخطة نذكرنا بكلمة المرحوم المبرور الشيخ علي يوسف وقد اختصر واوجز عند ما اريد اسقاط مؤيده في دمشق فقال « انهم لم يرفعوا المؤيد حتى يسقطوه » (٢)

ولما كان مسلك الحكومة العربية الهاشمية يخالف ما كان من هذا النوع

(١) المنار : اننا لم نطلع على ذلك الكتاب الى اليوم ولم نكتب ما كتبنا يومئذ ولا أمس واليوم الا لما يجب من بيان الحق والنصح للاخلاق (٢) تقول بمناسبة هذه العبارة ان منع الحكومة الحجازية للمنار كانت زيادة في رفعة قدره وحيلة قدرها وثمة الحمد وهذا القول الرسمي يكذب دنوى كون كلامنا كان من أسباب الثورة الحجازية

من المناقشات الناجمة عن الاغراض التنمائية التي تأبأها نسيم قوميتنا وشهامة امتنا، فتلافياً لضرر ما صدر من حفرة الشيخ صاحب المنار في هذا الباب امام الامم والشعوب لاسيا في الآونة الحاضرة، ودرءاً لما ينطوي تحت التماذي في ذلك من المساوي المغارة لشعار عنصرنا الشريف قد تقرر منم دخول تلك المجلة الى الملاك الهاشمية (١). وقد ابلغ ذلك لمدير صوم دوائر البرق والبريد ومديري الجمارك في الثفور. وهذا اول وآخر جواب تعده الحكومة ليكل ما كتب ويكتب من هذا القبيل اه

تقرير المطبوعات (٥)

مجلة علمية صحراية اخلاقية يعرر ما نخبه من افضل الكتاب مطبوعاتها ٢٤ بقطع الفجر فلما تصدر الشهر مرة واحدة وتطبع على ورق جيد طبعا نظيفا وادلجها (ينبع اقلية عدد ٢٥ بنوس اوقية الاشتراك بها شرف فرنسا ويمكن الاشتراك بواسطة مكتبة المنار بدمر

صدر الجزء الاول من المجلد الثاني من هذه المجلة منم بالمقالات الناقمة والتبذ المقيدة مما برهن على مضي المجلة في سبيلها القويم وذكر في صدر هذا الجزء ان المجلة فتحت باب الاتقاد والتقريف وتقدم المؤلفات الحديثة وانها عزمت على نشرها في ١٠٠٠

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فينبهون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

بؤني الملكة من يقاه ومن يؤت الملكة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر
إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الإسلام سوى الله وناراه كمنار الطريق —

٢٩ صفر ١٣٤٠ - ٧ المقرب (خ ٢) سنة ١٣٠٠ هـ ش ٣١ أكتوبر سنة ١٩٢١

فتاوى المنار

فصحا هذا الباب لاجابة أسئلة المتزكين خاصة إذ لا يسمع الناس عامة، ولشروط
عمل السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرزى الى
اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالفاظ ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالتزيب
غالباً وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا
غير مشترك لئلا هذا ، ولعن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة
واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

بعض أسئلة من جاوه

(س ١٥ - ١٧) من صحب بالامضاء المجهم في ذيله

تتعلق بالربا في القراطيس المالية والفلوس النحاسية وصندوق التوفير

حضرة مولاي الاستاذ الملامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب
المنار الاغر زاده الله فضلا وكرما . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد
كفني عدد من المقلد ان ارفع الى حضرتكم اسئلة آتية ارجو من فضلكم
الجواب عنها وهي :

- (١) اعطى رجل رجلا آخر ديناً قدره عشر رويات هولندية من فضة
وشرط عليه أن يدفع له خمس عشرة روية من القراطيس المالية الهولندية،
قال عالم من العلماء الجاويين (الملاويين) المدرسين في مكة المكرمة : هذا
جائز فان بيع القراطيس المالية بالرويات الفضية مع زيادة احدها على الآخر
جائز وليس في ذلك ربا - بخلاف ما اذا بيع قرطاس من هذه القراطيس بخنسه
مع زيادة فانه لا يجوز كبيع الدرهم بالدرهمين ، فهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٢) عندنا فلوس نحاسية هولندية تساوي مئتين منها روية واحدة
هولندية فهل يجوز لنا أن نبيع روية من هذه الرويات بمئة وعشرين من هذه
الفلوس أم لا ، قال العالم الجاوي : انه يجوز وعليه يقاس بيع القراطيس المالية
بالرويات مع زيادة احدها على الآخر وهل هذا القول صحيح أم لا ؟
- (٣) يوجد عندنا ما يسمى « فوستر بنك » Posts parbank وضعته

الحكومة الهولندية لا يدع أن احد من الناس يريد توفير ماله والقوس تبت لا يقبل اكثر من الفين وخمسين روية يودع فيه ، وكل من أودع ماله فيه نحو سنة زاده عليه زيادة وله أن يسترد منه ما شاء ومتى شاء - فهل يجوز لنا أن نودع مالهنا فيه وتأخذ الزيادة أم يجوز لنا ايداع مالهنا فيه فقط ويحرم علينا أخذ الزيادة ؟ وهذه الزيادة ليست بكثيرة وانما هي نحو اثنتين أو ثلاث في المئة هذه هي الاسئلة المرجو من علمكم الجواب عنها جواباً شافياً ولكم منا الشكر والتناء الجليل ، ومن الله الاجر الجزيل . (سائلون)

تمس تحريراً ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٩

جواب المنار

قد سبق لنا فتاوى في هذه المسائل وأمثالها منها فتوى في الاوراق المالية المسماة بالانواط أو (بنك توت) وبمحت الزكاة والربا فيها (ص ٥١ م ٥) وفتوى في بيع الدين بالنقد والاوراق المالية وهل هي تقرد أم لا (٥٣٨ م ٩) وفتوى في صندوق التوفير (ص ٧١٧ م ٦ و ٢٨ م ٧) وغير ذلك . ومذهب المنار في أمثال هذه المسائل المدنية أن برامح ناس المتارح وحكمة التشريع والقواعد العامة ولا سيما القلبي منها كالتيسر ودفع المخرج والعت ونفي الضرر والضرار وجلب المصالح ودفع المفاسد ، فجميع هذه الدلائل تقني في الوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الاول ونكتفي في الجواب الاجمالي هنا الاحالة على ما تقدم

حكم الانواط في البيع والدين

(المسألة الاولى) استدامة عشر روبيات هولندية من الفضة بخمس عشرة روية من القراطيس المالية الهولندية . هذه القراطيس سندات أو حوالات من الحكومة الهولندية يدين عليها حاملها من الروبيات الفضية ، فهي ليست عمروس تجارة لها قيمة ذاتية وان كان لها حجم النقد الربوي وان لم تكن فضية لان حاملها يأخذها ما يقدر من نقد المدين في مكان الدائن في الواقعة المذمومة عنها قال المدين خذ هؤلاء عشر الروبيات بشرط أن تعطيني بها حوالة على فلان القني المالي اروي خمس عشرة . فهل يصح أن يقال في مثل هذه الصورة ان الدائن اشترى من المدين ورقة بعشر روبيات من الفضة لسيئة وان الورق غير

ربوي فلا يشترط أن يباع مثلاً مثل ولا يبدأ بيد لا اختلاف الجنس ، ما أظن أن ذلك المدرس الجاوي يقول بجواز هذا فإذا صدق ظني فيماذا يفرق بين الصورتين ؟ قد يقول هذه القراطيس المالية الدولية قد تنقص قيمتها بالنقد الفضي والذهبي مما التزم بها من رويات أو قروض أو جنهات فتباع بما دونها كما هو واقع اليوم في القراطيس (الأنواع) النموية والالمانية والفرنسية وغيرها فماها ما يباع بنصف القيمة وما يباع بخمسها أو سبعمها أو أدنى من ذلك أو أكثر فهذا صارت من قبيل عروض التجارة — وتقول ان هذا النقص في قيمة الأنواع لا يكون من الحكومة التي أصدرتها في بلادها وإنما يمرض في التعامل بين الأجاث وسببه أن الثقة المالية بالدول تقوى وتضعف أحياناً كالثقة بالأفراد بما يمرض لها من المعجز عن دفع كل ما عليها من الدين حينئذ يرضى من يده سند أو حوالة على مثل هذه الدولة أن يبيعه بما دون القيمة المرقومة في السند أو الحوالة إذا لم يكن يستطيع معاملة هذه الدولة بها أو انتظار عودة الثقة المالية التي تمكنها من الوفاء بما التزمته من دفع هذه القيمة وتحمل الناس على تداول قراطيسها (أنواعها) بقيمتها كاملة ، ومثل هذه الحالة لا تصدق على مثل الحكومة الهولندية في بلادها ومستعمراتها فان قراطيسها المالية لا تنقص عن القيمة المرقومة فيها من الرويات الفضية ، فإذا أخذ الدائن من المدين في النازلة المسؤل عنها قرطاساً بخمس عشرة روية فانه يمكنه أن يأخذ من الحكومة هذا المبلغ من الفضة أو يدفعه لاي مصلحة من مصالحها بهذه القيمة فإذا كان عليه دين للحكومة فباته منه خزينتها وإذا دفعه لمصلحة البريد أو مصلحة الجمارك أو صندوق التوفير فانه لا تفرق بينه وبين الفضة البتة ، وإنما قد يفرق بينهما في البلاد الأجنبية التي لا تتعامل قراطيس هذه الدولة ولا فضتها بحسب الأحوال التي أشرنا إليها آنفاً

وإذا سلم ان هذه القراطيس من قبيل عروض التجارة امتنع فيها الربا في جميع مذاهب الفقهاء لأنها ليست من النقد ولا من اصول الاقوات التي ورد بها النقص ولا مما ألحق بها قياساً فتعد روية عند اهل الحديث وفقهائه ولا من المكيلات ولا من الموزونات فتعد روية عند اهل الرأي ، فكيف منم زيادة أحد الموضين فيها بحماها كقيم الذهب بالذهب والفضة بالفضة أو البر بالبر فظهر بهذا أن رأي ذلك المدرس على كونه غير مطابق للواقع يؤدي الى

إباحة الربا الذي لا شك فيه حتى في دار الاسلام بين أهله ويذهب بحكمة الشرع في تحريمه وهو تعاطف الناس وتراحمهم وتعاونهم في اوقات العسرة كما أنه يتوسل به الى منع الزكاة أيضاً

بيع الفلوس النحاسية بالنقصة

وأما المسألة الثانية وهي مسألة الفلوس النحاسية فقوله العالم الجاوي فيها هو من مذهب الشافعية الذي يتقلده مسلمو جاوه فهو مصيب فيه ولكنه مخطئ في قياس القرايطيس المالية عليه لأنها سندات أو حوالات بنقد ربوي، ولو كانت هذه الفلوس ممددة في النقد لجل لها حكم الذهب والنقصة بالقياس الجلي أو فحوى النص، وليست كذلك بل جمعت لاجل ضبط كمورها والتعامل بها قليل ومحصور ما تضربه كل دولة منها في بلادها فلو نقل الى بلاد اخرى لا يتعامل به ولا يباع بقيمة النقد ولا بقيمة معدنه لو كان آنية بخلاف نقود النقصة فإنها تباع في كل قطر لا يتعامل أهلها بها بقيمة معدنه. وما قلناه في هذه الفلوس هو المتعين في القوت الغالب اذا لم يكن من الاقوات التي ورد بها النص

صناديق التوفير والفرق بين دار الاسلام وغيرها

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة صندوق التوفير فهي عامة في جميع الممالك الاوربية وما على نسقها من البلاد كصر، وقد أجازته جماعة من علماء المذاهب الازهريين وأفتى به مفتي الديار المصرية بمد تطبيق استغلال مصلحة البريد المصرية للاموال الموفرة فيه على بعض احكام الشركات الشرعية كما بيناه في المنار فراجعوا ذلك في المجلدين السادس والسابع

وزيدكم على ذلك أن علماء الازهر نظروا في ذلك وأقروا ما أقروه فيه اطلب أمير البلاد بناء على اعتبارهم أنها بحسب حالها الشرعية دار اسلام، وكان ذلك قبل الحرب الاخيرة ووضع مصر تحت الحماية الاجنبية التي لا يمتد فون بها ببضعة عشر عاماً، وبلاد جاوه ليست دار اسلام ولا تجري فيها المعاملات المالية على الشريعة الاسلامية فلا يجب على المسلم فيها أن يلتزم في هذه المعاملات مع الحكومة الهولندية أو الشركات الهولندية أو الافراد أحكام شريعته في الربا وعقود البيع والاجارة والقروض وغيرها بل يحل له أن يأخذ من أموالهم ما تبيحه له شرائعهم وقوانينهم وما كان يتراض منه ومنهم دون ما كان بخيانة

ثم ان الربا انما يتحقق في عرف الفقهاء بالمقد الذي بشرط فيه من يعطي
لمال أن يأخذ عليه ربها مميّنا، فمن أقرض رجلا مالا بغير عقد ولا شرط
فرده إليه وزاده من غير اشتراط زيادة كان ذلك حلالا، وقد ثبت في الحديث
الصحيح استصحاب ذلك كما بين في محله من صحيح البخاري وغيره، وحديث:
كل قرض جر منفعة فهو ربا غير صحيح كما بينا ذلك من قبل
فعلم بهذا أن لجباوين واهمالهم عدة وجوه لوضع شيء من أموالهم في
صندوق التوفير الذي وضعته حكومتهم وأخذ الربح منها. ومثله وضع المال
في مصارفهم المالية وأخذ الربح منها كما يفعل مسلمو الصين. ومما يمتعجب
من حال كثير من المسلمين أنهم قد اختاروا لا تقسم بلبسهم الدين مقلوبا كالنرو
أن يتقروضوا المال من الاوربيين بالربا ولا يقروضوهم ويودعوا أموالهم في
مصارفهم (البنوك) ليستغلوها ولا يستيحبون لا تقسم ان يشاركوهم في شيء
من ربحها. وممنى هذا أنهم يفهمون من دينهم أنه اباح لهم ان يتلقوا ثروتهم
ويطوها للاجانب حتى الفاتحين منهم لبلادهم باسم الفتح والاستثمار او باسم
آخر وحرم عليهم أن ينتفعوا بشيء منهم ولو كان رضاهم وبعض عمرة ما أعطوهم
من المال. وأعجب من هذا أن منهم من يشكو من شرع دينه ويزعم
انه لا ينطبق على مصلحة الامة في هذا العصر وان تركه الى شرائع تلك الامة
أنفع لهم! وانما الامر بهذا ذلك فقاعدة الشرع الاسلامي أنه لا حرام الا ما
كان ضارا ومنه اضاعة المال، ولو عرف المسلمون حقيقة شرعهم والتزموا
أحكامه لكانوا أغنى الامة وأعزها ولما اضاعوا ملكهم وملككم، وانما اضاعوها
بجهل وترك العمل به، والذنب الاكبر في هذا على علمائهم الجامدين، وحكامهم
الجاهلين او المارقين.

هذا وان على المسلمين أن يراعوا في غير دار الاسلام أحكام دينهم وحكمه
فيما بينهم حتى في المعاملات فلا يباح للموسر منهم أن يقسو على المحتاج اذا
اقترض منه فيستغل ضرورته أو حاجته بما تبيح له قوانين البلاد من الربا.
والفرق بين هذا وبين ربح صندوق التوفير والمصارف المالية عظيم جدا فان
الربا انما حرم في دار الاسلام لضرره كما علله تعالى بقوله (وان تبتم فلا كرم
ره ووس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وليس في أخذ الربح من صندوق
التوفير والمصارف ظلم لاحد ولا قسوة على محتاج حتى في دار الاسلام. وقد
فصلنا القول في الربا هذا في تفسیر آية آل عمران فيه فليراجع

بحث لغوي

في براهة القرآن الشريف عن بعض الالفاظ الاعجمية

تمة مقالة احمد بك كمال

(١١) زبر الكتاب — اي كتبه وزاد في مفردات الراغب كتابة فليظة
والزبير الكتاب جمه زبور والزبور الكتاب بمعنى المزبور اي المكتوب جمه
زبر (بضمين) وغلب على مزامير داود النبي والملك

والتزبرة الخط والكتابة مصدر زبر قال الاصمعي سمعت أعرابياً يقول انا
اعرف زبرتي اي خطي وكتاتي، والمزبر القلم، وبما ان مادة زبر وذبر وسفر كلها
واحدة بمعنى كتب قد تنوع لفظها في العربية وفي النصوص المصرية ايضا فلا
حاجة لاخراجها من العربية وانتسابها الى المعجمة بدون مسوغ لغوي

(١٢) سفر الكتاب — كتبه والسافر الكاتب جمه سفرة (بفتحتين
ككتبة) يقال والسفرة الكرام اي الكتبة والسفر الكتاب الكبير وقيل هو
جزء من اجزاء التوراة، تقول (١) حطمني طول ممارسة الاسفار وكثرة
مدارسة الاسفار

(١٣) ذبر الكتاب ذبراً كتبه ونقله — وقراه قراءة حقيقية وقيل
سريرة ومنه ما احسن ما يذبر الكتاب أي يقرأه ولا يتمكن فيه والشيء علمه
وفقه فيه وذبر الكتاب تديراً قبل ذبره والذابر المتقن للعلم والذبر الكتاب
جمه ذبار كقولهم «على عرضات كالذبار نواطق» (٢) و«ذوب مذبر منمنم يمانية» —
والكلمة مصرية قديمة دونها ارمان في مفرداته المصرية (الصحيفة ١٤) وتقرأ
سبر والسين تقلب ذالا وزايا والباء فاء فيقال ذبر وزبر وسفر وهذا القلب
والابدال له اصول متبعة في اللفتين المصرية والعربية والسبب فيه تمدد القبائل
ولهجاتها فاللغة المصرية وهي الاسل للغة العربية (٣) شاملة لالفاظ مختلفة اللهجة
باختلاف لهجات القبائل

(١٤) سبط جمعها أسباط — ولد الولد ومن اليهود كالقبيلة من العرب

(١) هذا من سجمات أساس البلاغة (٢) الصواب « على عرضات كالذبار
النواطق » والبيت لذي الرمة وأوله: أقول لنفسي وإقماً عند مشرف (٣) هذا
رأي الكاتب والصواب عندنا العكس فالعربية هي الاصل كما بينا ذلك من قبل

وفي القرآن الشريف (وقطنا من اثني عشرة اسباطاً) (١) اي امة وجماعة وقد يستعمل للقبيلة من العرب . والسبط كلمة مصرية قديمة وجدت مذكورة في نصائح بنجاح حنب حيث قال ما تعريية : -

« ان المنذور لله الساكن ساوا ليس للاسباط فيه يد »

ومعنى ذلك ان الرجل النقي لله الساكن في موطن لا يجعل للاسباط يداً اليه اي سبباً لاذيته كما انها ذكرت في كتاب المولى وعلى جدران مقبرة (أمست) بمعنى ما جاءت به في العربية فهي اذن عربية لوجودها في المصرية ايضاً وقد خصصت في المصرية باشارات مؤيدة لبقائها اي رسم بعدها رجل وامرأة مصحوران بعلامة الجمع مما يثبت معنى الكلمة فهي اذن عربية لا بحالة

(١٥) يصهر - في قوله تعالى: (٢) يصهر به ما في بطونهم (الحج - ٢٢: ٢٠) أي يفيض بلسان اهل المغرب وقد بينا ان اهل المغرب هم (اعناء التحفو) وان لفظهم لغة الاعناء وهي اصل اللغة العربية فالكلمة اذن عربية وقد وردت في القاموس المحيط من مادة صهر يقال صهرته الشمس أي صهرته بالحاء بمعنى طبخته وصهر الشيء اذا به فانصهر فهو صهر والصهر بالفتح الحار (٣) والاذابة كالاصطهار الخ : وقد وردت هذه المادة في المصرية بهذا المعنى فهي اذن عربية

(١٦) مجوس - في قوله تعالى: (والنصارى والمجوس) كلمة اعجمية فارسية تدل في الاصل على قبيلة من ميديا يظهر انها كانت على دين تلك البلاد ثم التي كانت تمبد النار فاشهرت هذه الديانة بعدئذ باسم مجوس ثم اطلق اسم المجوس على كهنة الديانة المجوسية واطلقه من بعدهم العرب على الديانة الزردية وكان للمجوس مدن خاصة لهم منها اکتبان وهي مدينة في نهاية حدود الفرس هذا وان اصحاب الاسكندر ادركوا المجوس وهم بوظائف كهنوتية - ومن المحتمل أن تكون مجوس من اصل ثوراني دخلت في كلدة وعلى كل حال فهي اسم علم لا يتغير ذكر في القرآن الشريف بلفظه فتأمل

(١٧) بيع - بيع مفردا بيعة ذكرت في قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الحج - ٢٢ : ٢٠) قال الشيخ رحمه الله البيعة فارسية مبرية الخ . أما البيعة فهي من بايعة مبايعة اذا شرط معه على شيء

(١) الصر الساريم (اسباطا اي) فاما بدل من اسباطا (٢) ضبطت في المقتطف:

يصهروا في بطونهم) وهو غلط فاحش

أو اتفق معه على امر أو سلم له في امر أو اعترف له بالثبوت والولاية قلبياً
 محل الاعتراف بإداء الفرائض الدينية من عبادة وصلاة فهي كالمسجد والجامة
 من حيث أداء الصلوات فيها . وقد ذكرت في المصرية بيماً وذلك في ورد
 ابوت (١٠١) المؤثر عليها بحدود ١٠٢٢١ وهي المحفوظة في متحف انكتر
 وفسرها الاثريون بالجبانة ولكني اصرفها الى معنى المعبد كما يفهم من سياق
 الكلام في الورقة المذكورة
 احمد كمال

القياس في العربية

المقالة الثانية في قياس التمثيل

ذكرت فيما صاف أني اريد بقياس التمثيل الحاق نوع من الكلم بنوع آخر
 في حكم . وهو ما يمينه بمض النحاة في قولهم : ان اللغة لا تثبت بالقياس
 ياخذ النحاة بقياس التمثيل لاثبات اصل الحكم ، وكثيراً ما يرجعون
 اليه في تأييد المذهب بعد بناءه على السماع . وهذا ابو حيان الذي هو أشد
 النحاة وقوفاً عند حد السماع وأسرعهم الى محاربة من يمول على هذا الفن من
 القياس قد ينظر اليه في بعض الاحيان كما قال : ان الناصب لا اذا فعل شرط
 قياساً على سائر ادوات الشرط . وقال في سياق الكلام على الجملة المنفية حين
 تقع حالاً - : والمنفية بان - لا أحفظه من كلام العرب والقياس يقتضي جواز
 نحر جاه زيد ان يدري كيف الطريق ، قياساً على وقوعه خبراً في حديث ففعل
 ان يدري كم صلي »

ويدور البحث في هذا المطلب على تحقيق المقتضي للقياس ثم شروط صحته

المقتضي للقياس

يقيس النحاة بمض أنواع الكلم على بعض اذا انعقد بينهما شبه في المعنى
 أو في اللفظ أو في العمل أو اشتراكاً في الملة التي يقع في ظنهم أن الحكمه ثم عليهم
 والعلل التي يقول الباحثون في المربية ان العرب راعها وبنيت عليهم
 احكام الفاظها ترجم الى قسمين (احدهما) ما يقرب مأخذة ويتلقاه النظر بانقبوا
 كما وجهوا تحريك بعض الحروف الساكنة بالتخلص من النقاء الساكنين وعللوا
 حذف احد الحرفين المتماثلين بطلب الخفة

(ثانيهما) ما يكون من قبيل الفرضيات التي لا تستقيم ان ترد على قائمها كما انك لا تضمها بمحل العلم او الظن القريب منه . وهذا كما قالوا في وجه بناء قبل وبمد اذا قطعا عن الاضافة لفظا « انها شابهت الحرف في احتياجها الى معنى المحذوف فاذا قات ان العلة عند ذكر المضاف اليه ثابتة فلماذا لم يرتبط بها أثرها وهو حكم البناء ؟ قالوا ظهور الاضافة التي هي من خواص الاسماء ابداها عن شبه الحرف فعادت الى اصلها الذي هو الاحراب . فان قلت ما بالهم بنوا «اي» الموصولة فيها اذا اضافوها في اللفظ وحذفوا صدر صلتها ؟ اجابوك بانهم انزلوا المضاف اليه منزلة صدر الصلة فصار في حكم المقطوع عن الاضافة . ولا يملك بمد هذا الا ان تنفض ثوبك من غبار هذه المجادلة وتنفصل عنها وليس في يدك اثاره من علم . وقد ذكر ابو حيان تماثيلهم لاختصاص ضمير المتكلم بالضم وضمير المخاطب بالفتح وضمير المخاطبة بالكسر ثم قال هذه التماثيل لا يحتاج اليها لانها تليل وضميات ، والوضميات لا تملل .

والذي بني عليه البحث في هذا الباب ما كان من قبيل القسم الاول اذ هو الذي تستقيم معه الاقيسة الصحيحة

شروط صحة القياس

اذا تتبعنا ما يتشبه به القادحون في مسائل هذا الضرب من القياس رأينا ان يدور على ثلاثة وجوه (أحدها) بيان الفرق بين المقيس والمقيس عليه (ثانيها) الاختلاف في حكم المقيس عليه (ثالثها) مخالفة حكم المقيس عليه للاصول . فالقياس مع الفارق كما أجاز بعضهم تقديم الفعل المنفي بلن قائلا ان لن اضرب نفي لسا ضرب فكما جاز زيدا سا ضرب جاز زيدا لن اضرب . وما كان من المنكرين لهذا القياس سوى أن تعرضوا للتفريق بين السين ولن بأن حرف الذي يقتضي الصدارة في الجملة التي يدخلها وذلك معنى يمتاز به دون حرف التنفيس والقياس على المختلف فيه كما ألحق الكوفيون فعل التمجيب بفعل التفضيل في جواز بناءه من لوني البياض والسواد . وقد رده البصريون بأنه قياس على مختلف فيه اذ لم يوافقون على صوغ اسم التفضيل من الالوان وكأنهم نحووا في هذا المبحث معنى القياس الفقهي ، وقد ذهب فريق من الاصوليين الى صحة القياس على المختلف فيه لانه - وان لم يكن دليلا مسلما عند المخالفين -

يصلح أن يكون مستنداً لمن يتقرر عنده حكم الاصل بحجة راجحة والقياس على ما خالف القياس كما قال الكسائي لا يقتصر في الظروف الواردة اسماء افعال نحو عليك واليك على ما ورد في الرواية بل يجوز أن يقاس عليها غيرها مما لم يرد به سماع . وطعن البصريون في هذا المذهب بان تلك الظروف وقعت موقع الاسماء على خلاف اصلها ، وما جاء على خلاف الاصول لا يصح القياس عليه بحال . وأجاز ابن مالك جم حم بالواو والنون مع اعترافه بأنه لم يسمع فقال ابو حيان ان اجازته لذلك انما هو بالقياس على أب وينبغي أن يمتنع لأن جم اب وارد على وجه الشذوذ فلا يصح القياس عليه والتحقيق ان الاصول التي يجيء الحكم على خلافها تتفاوت في القوة والضمف فالاصل الذي يمنع من الزيادة — وهو ان الالفاظ انما وضمت لافادة المعاني — أقوى من الاصل الذي يمنع من تقديم المصمول على العامل ولهذا كانت مخالفة الرب لقانون تقديم العامل اكثر من مخالفتهم لقانون المنع من الزيادة ، فيترجح امتناع زيادة كان في صدر الكلام او آخره قياساً على زيادتها في الوسط ، وليس من البعيد جواز تقديم الخبر في باب زال الناسخة قياساً على تقديم المصمول الثابت على خلاف القياس

المقالة الثالثة في المباحث المشتركة

القياس في الاتصال

خصت العرب بمض الادوات بالدخول على انواع من الكلم لا تتجاوزها مثل الاسماء تختص بحروف الجر والنداء ، والمضارع يختص بنحو لم وي ، وأبقت بمضها دائراً بين نوعين نحو هل وهمزة الاستفهام يوصلان بالاسماء والافعال ، وان ولو الشرطيتين يدخلان على الافعال الماضية والمستقبلية . فاذا وردت كلمة من امثال هذه الادوات مقرونة بنوع خاص من الكلم فليس لنا ان نخرج به عن دائرة السماع ، ومثال هذا لما الحينية انما جاءت موصولة بالفعل الماضي فلا يسوغ لنا ان نلصق بها فعلاً مضارعاً كما صنم ابن ابي حجة في قوله والنبت يضبطها بشكل معرب لما يزيد الطير في التلحين واذا دارت السكامة في كلام العرب بصورة المضاب ولم تأت في الرواية موصولة بأل المعرفة فقط فليس لنا أن نقطعها عن الاضافة ونصلها بأداة التمرير

مثل لفظ كل وبعض وغير

فان قال قائل أن هذا الحجر يقتضي أن لا تدخل أل على اسم الا اذا سمع
اتصالها به في الصحيح من كلام العرب . ومن المنذر أن يتبع واضح القاعدة
جميع الاسماء المربية ليتحقق هل نطقوا بها مقرونة بال أم لا . فالجواب ان الا
ندعي أن هذه الكلمات لم يستثنها النحاة الا بعد أن أتوا على جميع المفردات
مفرداً مفرداً ، وانما جاء استثناءؤها من جهة انها دائرة على السنة الفصحاه بكثرة
حتى لا تكاد تمر بقصيدة أو خطبة أو محاوره دون ان يمرضك شيء منها ،
فعدم استعمالها موصولة بأداة التعريف مما ارادهم لها في جل مخاطبتهم دليل
على أنهم التزموا قطعها عن هذه الاداة ، ولا يسوغ لنا الحاق الكلمة بأشباهها
من شيد الاستعمال بعدم اجرائها على القاعدة

وعلى هذا التحرير يجري القول في الاسماء التي قصروها على حالة دلالاتها
التي قال صاحب اصلاح المنطق وغيره انها لا تستعمل الا في سياق النفي وهي
احد وعرب وديار واخواتها . وينتظم في هذا الصدد الاسماء المختصة بالاضافة
الى المضمرات كوحده ولبي ودوالي وسمدي

وصفوة المقال ان الكلمة اذا وردت مقرونة بلفظ معين أو نوع خاص
فلا بد من النظر في حال استعمالها فان كثرت دورانها في اقوال الفصحاه وغيرهم
ولم يمدلوا عن وصلها بذلك اللفظ المميز أو النوع الخاص وقضنا عند استعمالهم ،
ولا يسعنا الخروج عن حالتها في الرواية . واذالم تكن شائعة في فنون الخطاب
فانه يسوغ لنا أن نتصرف فيها فنقرنها بغير ذلك اللفظ وتعدى بها مكان الرواية
حيث لم يقيم الدليل وهو كثرة قلبها في السننهم على قصد اختصاصها بهذا الافتراض
ومن امثلة هذا انه ورد اتصال هاء التثنية بالضمير المخبر عنه باسم اشارة
فراى ابن هشام ان الامثلة الواردة بهذا الاسلوب قد بلغت في الكثرة الى ان
يؤخذ منها التزامهم في خبر الضمير ان يكون اسم اشارة فوجب في خبر الضمير
المقرون بحرف التثنية أن يكون اسم اشارة اتباعاً للاستعمال

ويدخل في هذا القبيل قولهم « ليس غير » قال ابن هشام ان غير المبنية
على الضم انما تستعمل متصلة بليس وفولهم : لا غير لحن . ومن عد هذا
الاستعمال في جملة الصحيح فقد ظهر في كلام العرب بما يشهد بصحته وهو
قول الشاعر

جواباً به تعتبر اعتماد فوربنا لمن عمل اسلفت لا غير تسأل
 واذا وردت الكلمة متعة بنوع من الاسماء وروداً لا يجرب به استقصاء
 صح أن يكون اتصالها بذلك النوع مقبلاً ، كناه التأنيت تتعلل باسم الفاعل
 واسم المفعول والصفة المشبهة والمنسوب على وجه القياس ، ولم يبلغ اتصالها
 بالاسماء الجامدة هذا المبلغ فوقوا فيها عند حد السماع كظني وظنية وامري
 وامرأة . فلا تقول انسة في مؤن انسان الا اذا قل اليك له في شامد
 صحيح ، كما نهم اتفة للمؤن من القروود ولا يقال في مذكرة التي حيث لم
 يفتروا على تفل يشهد بصحة استعماله

ولهذا الاصل انكر المقدي قولهم لظنية غزالة مع ورود غزال للمذكر
 لانه لم يثبت عنده برواية ، وما خالفه النماميني في ذلك الا بعد وقوفه على
 شواهد من كلام العرب تقتضي صحة استعمالها

القياس في الترتيب

اذا كانت احدي الكلمتين تابعة للآخري من جهة المعنى فالناسب الطبيعي
 يقتضي ان تذكر عقبها في التلطف ، ومن ثم قررنا في أصولنا أن التبعوع يتقدم
 على التابع ، والمستثنى منه يتقدم على المستثنى ، والمميز يتقدم على التمييز
 وصاحب الحال يتقدم على منس الحال
 فن أباح تقديم الكلمة التابعة فأما تقبل دعواه مني كانت مصحوبة بدليل ،
 فالكوفيون مثلاً أجازوا تقديم المملوف على المملوف عليه والكسائي والمبرد
 سوغا تقديم التمييز على عامه ، والقراء والاختش ذهبوا الى صحة تقديم الحال
 على ما ملها الطرف أو الجار والجرور ، وابن برهان وابن كيسان أباحا تقديم الحال
 على صاحبها الجرور بحرف ، وما أجازوا هذه القضايا التي يحكم الاصل بمنها الا
 باستنادهم الى شواهد وأوها كافية في تقرير ما ذهبوا اليه

ومن فروع هذا الاصل أن لا يتقدم الضمير على مصادره ويستثنى من ذلك
 مواضع ، بعضها عقدوا عليه الاتفاق كضمير الشأن ، ومنها ما اختلفوا فيه
 كالضمير المائد على المفعول به ، والاصل في محل الاختلاف بيد من لا يجيز
 عوده على المتأخر عنه في نظم العبارة الى أن يقيم الخالف شامده الصحيح
 أجاز الاختش وأبو الفتح عود الضمير المتصل بفاعل مقدم الى مفعول

تأخر وأقاما على ذلك شواهد مثل قول حسان
ولو أن مجدأ أخذ الدهر صاحباً من الناس أبقى نعمة الدهر مطمحا
ومنعه الجمهور في حال السعة وحملوا تلك الشواهد على الشذوذ أو الضرورة
ومنزعمهم في عدم قبول هذه الشواهد أنها جاءت على خلاف الأصل، وما يرد
على خلاف الأصل لا يجعل مقياساً الا حيث تكثر شواهد حتى تدل على قصد
العرب لا طراده

وما يتناولوه الاصل الموماً اليه أن المستثنى أخرج من المستثنى منه ثم
نسب الحكم الى بقية الافراد فكان المستثنى في الظاهر مخرجا من الحكم أيضا
وصرتبة المخرج متأخرة عن رتبة المخرج منه فكان وقوع المستثنى بعد اللفظ
بالحكم والمستثنى منه، ولكن كثر في الاستعمال تقدمه على المستثنى منه نحو
جاهني الا زيدا القوم، أو على الحكم فقط نحو القوم الا زيدا اخوتك فبقيت
مسألة تقدمه عليهما مما على أصل المنع، وقد جوزها الكوفيون قياساً،
والحق أن مخالفة الاصل بكل واحد من أسريه على أفرادها لا تدل على جواز
مخالفته بالأسرين كليهما في تركيب واحد

يتفاوت ارتباط بعض الكلم ببعض من جهة المعنى في القوة والضعف،
وهذا التفاوت له مدخل في باب القياس، الا ترى ابن جني كيف أجاز تقديم
المفعول معه على صاحبه ومنع تقديم الممطوف على الممطوف عليه، والامثلة
الشاذة الواردة في تقديم المفعول معه ليست بأكثر من الامثلة الواردة في
تقديم الممطوف ولكنه يرى أن تسمية الممطوف للممطوف عليه أشد من
تسمية المفعول معه لمصاحبه

القياس في الفصل

الاصل في الانفاظ المربوط بعضها ببعض من جهة المعنى أن لا يلقى بينها
بفواصل، وقد خالفوا هذا الاصل في مواضع شتى حتى عد بعضها في فنون
البلاغة كالفصل بين معمولي رأيت في مثل قول الشاعر

ويعتحن الدنيا امتحان محرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانبا

أو بين النعمت والمنعمت كما قال تعالى « وانه لقسيم لو تعلمون عظيم »
ويجب النظر في قوة الارتباط وضمفه في هذا المقام أيضاً فيكفي من الشواهد

الواردة في الفصل بين ما ضعف ارتباطها ما لا يكفي في الفصل بين ما كانت
الارتباط بينهما قويا ، ولهذا تلقوا ما يعموه من الفصل بين التابع والمتبوع
بالقياس واختلفوا فيما ورد من الفصل بين المضاف والمضاف اليه فأجاز بعض
الفصل بينهما بالقسم والظرف والمفعول على وجه القياس ومنعه آخرون بدعوى
أن الفصل الوارد في السماع محمول على الشذوذ أو الضرورة ، ولا منشأ لها
الاختلاف وعدم اكتفائهم بما وصل اليهم من الشواهد فيما أحسب الاعتقاد
بأن كلمتي المضاف والمضاف اليه قد بلغت في شدة ارتباطهما إلى أن صار
عزلة الكلمة الواحدة وربما اكتفوا بمقدار هذه الشواهد في الفصل بين التاب
والتبوع لأن الارتباط بينهما لا ينتهي إلى هذه الدرجة وبذلك على رعايته
لعدة الارتباط أنهم أطبقوا على من الفصل بين الموصول الحر في وصلته ثم
كان الموصول تاملا مثل «ان» واختلفوا حيث يكون الموصول غير تامل مثل
«ما» فأجاز كثير منهم الفصل بينها وبين صلته ، وذلك لأن الموصول العام
أشد اتصالا بصلته من غير العامل إذ الأول طالب للصلة من جهة المعنى والصلته
وأما الثاني فطلبه لها من جهة واحدة وهو الموصولية

القياس في الحذف

من الجلي أن حذف أحد أجزاء الجملة يغير أسلوبها ويحدث فيها حياة جديدة
والمحافظة على الأسلوب العربي تقتضي أن لا يلفظ الانسان بعبارة إلا أن
رئجيء مطابقة لهجة العربية . وهذا الأصل هو الذي يتمسك به من لا يج
حذف لفظة حيث لم يثبت عنده دليل يمتد به ، كما من الجمهور وحذف الفاء
والبصريون حذف الموصول ، وابن مالكون حذف أحد مفعولي ظننت
ولو مع قيام القرينة على المحذوف

قد يقال ان العرب أكثر ما حذفوا من حذف ما تقوم عليه القرينة كالمضاف والمضافة
اليه والمبتدأ والخبر والمفعول به والمملوف والمملوف عليه والحال والتب
وفعل الشرط وجوابه ، وباستقراء هذه المواضع يتقرر أصل يمكن المراد
وهو صحة الحذف لدليل . والجواب أن ورود السماع بالحذف في باب كالتعم
أو المنعوت إنما يسوغ القياس في ذلك الباب خاصة إذ قصارى ما ندل عليه
شواهد أن الحذف هنالك لا يخالف الأسلوب ، وإجازة الكسائي الحذف

الفاعل ، والكوفيين لحذف الموصول ، والجمهور لحذف أحد مفعولي فلتنت
 إنما اعتمدوا فيها على شواهد مبسطة في كتب الفروع
 . وإذا وضمت الفاظ للدلالة على غرض وانتظمت في منهج وسمع في أحدها
 حذف بعض متعلقاته فهل يجري الحذف في متعلقات ما يشاركه في المعنى على
 طريقة قياس التمثيل ؟ ومثال هذا أنه ثبت حذف صدر الصلة مع أي الموصولة
 في نحو قولك « زارني أيهم أكتب » فوقف أكثر النحاة عند هذا الموضع
 واستضعفوا حذفه مع غير أي من الموصولات ، ولم يستضعفه ابن مالك .
 فالقائل بمنع القياس ناظر إلى أن حذف متعلق الكلمة وهو صدر الصلة جرى
 على غير أصل فلا تتجاوز فيه حد السماع حتى نلحق به ما يشارك تلك الكلمة
 في مساقها ونحذف متعلقة . والقائل بجواز الإلحاق ناظر إلى أن اتحاد الكلمتين
 في المعنى يجعلهما في حال الكلمة الواحدة فثبت لأحدهما من الأحكام يصح
 إعطاؤه للآخرى حيث أن الأسلوب منهما متماثل

وإذا ورد السماع بحذف حرف في موضع من التركيب على سبيل الأطراد
 فهل يقاس عليه ما برادفه من الحروف فيسوغ حذفه ولو لم ترد به الرواية؟ هذا
 من مواقع اختلافهم أيضاً ومن أمثلته أنهم أجازوا حذف (لا) النافية في جواب
 القسم كما ورد في قوله تعالى « تالله تقتؤن ذكر يوسف » وقول الشاعر
 آليت حب المراق الدهر أطمه والحب يأكله في القرية السوس

واختلفوا في حذف (ما) النافية في نحو هذا التركيب . ومن أبي حذفها قد
 يتمسك بأن لا وضمت للدلالة على السلب ، وحذفها يوم ارادة الاثبات الذي
 هو ضد مدلولها فكان ذكرها على ما يقتضيه وضما ضربة لازب ولكنهم حذفوها
 في جواب القسم لكثرة استعمالها ، ولا يصح إلحاق لفظ (ما) بها وإن كانت
 مرادفة لها في المعنى لأنها لا تشاركها في الوجه الذي اقتضى المدول بها عن
 القياس وهو كثرة الاستعمال

ولا ترى طائفة منهم الكافيحي الوقوف في الأساليب على ما ورد عن العرب
 فأجازوا لك أن تقول في الدرس علي والمسجد خالد . ونحو كان تالياً الخطبة بكر
 والقصيدة محمود . وهذا ما يمبر عنه النحاة بمسألة المظلف على مفعولي عاملين
 مختلفين ، ثم قال الشيخ الكافيحي عقب هذا ان جرئيات الكلام إذا أفادت
 المعنى المقصود منها على وجه الاستقامة لا يحتاج إلى النقل والسماع والألزم

توقف تراكب المعنى في تسابيحهم على ذلك
وهذه العبارة مطابقة المعنى ولا بد من رد جماعها فنقول ان أراد الكافيجي
بقوله « أفادت المعنى على وجه الاستقامة » انها أوصلت المعنى الى ذهن
المخاطب كاملاً ، فهذا لا يكفي في صحة الكلام عند علماء العربية قطعاً فان من
التراكيب ما يؤدي المعنى وافياً ويكون المتكلم قد خالف فيه بعض القواعد
المجتم عليها . وان قصد بوجه الاستقامة المطابقة لصحة الاسلوب العربية فهذا
هو محل النزاع بينه وبين من لا يجيز أمثال ذينك التركيبين حيث ان المانم
يراهما غير مطابقين للاسلوب الصحيح ، فلا يحس للكافيجي وغيره من إقامة
دليل على الصحة اما سمع يوثق به أو قياس تمثيل لا يتطرق اليه قاذح

القياس في موقع الأعراب

اذا وردت الكلمة بمكان من الأعراب لم يسم استعمالها في غيره فأصولهم
تقتضي أنها انما تطرد فيما سمعت ولا يقاس عليه غيره من المواقع ، ومن هذا
تخصيصهم قل ولومان ونومان بالنداء ، فقط وعوض بالترفية أو الجر بمن
ومن فروع هذا قول ابن الحاجب وسعد الدين التفتازاني أن لفظة كل اذا
اضيفت الى الضمير لم تستعمل في كلامهم الا توكيداً فيمتنع ايرادها مفعولاً به
أو فاعلاً . ومن أجاز ايرادها مفعولاً به كان هشام اعتمد على ما وقع في يده
من الشواهد التي منها قول الشاعر

« فيصدر عنها كلها وهو ناعل »

ومما يجري على هذا الاصل قولهم ان كافة وقاطبة وطرا لا تخرج عن الحالية
وعن ابن هشام في أوهام الزمخشري تخرج قوله تعالى « وما ارسلناك الا كافة
للناس » على أن كافة نعت لمصدر محذوف ، والتقدير رسالة كافة . ومن نازع
في اختصاصها بالحالية يستشهد بمثل قول عمر بن الخطاب « قد جمعت لآل نبي
كاهلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام من اثني مئتين مثقال ذهباً » وحاول الشهاب
الخناسي هدم هذا الاصل فقال في شرح لدرقان كافة ورد عن العرب بمعنى
جميع لكنهم استعملوه منكرأ ، نسوا بأوفي الناس خاصة ، ومقتضى الوضع أنه
لا يترمه ما ذكر فيستعمل كما استعمل جميع ممرفاً ومكرأً بوجود الأعراب
وفي الناس وغيرهم لانا لو اقتصرنا في الالتفات على ما استعملته العرب العاربة

والمستعربة حجرة الواسع وعسر التسلّم بالعربية على من بدمتم . وهذا الرأي لا يؤخذ به على الإطلاق ويستضاء به في كل حال فإنه لا يطابق ما قاله أساتيد العربية من أن معرفة الوضم غير كافية ما لم ينضم اليه العلم بحال الاستعمال . قال ابن خلدون في المقدمة ليس معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك ، وأكثر ما يحتاج الى ذلك الاديب في فني نظمه وثره حذراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو شر من اللحن في الاعراب وألحن

ولو اقتدينا بالشهاب وسرنا على أثر مقالته التي لم يرسم لها حداً لعمدنا الى مثل قطا وقبل وعند وأخر جناها عن الطرفية الى الابتداء أو الفاعلية ولا أحسبه يرضى للغة هذه الفوضي فيفصم نظامها وهو يريد توسيم نطاقها والتحقيق في هذا المطلب أن ما يصلح أن نجريه على القاعدة في الاعراب نوعان (أحدهما) ما يدور على السنة الفصحاء وغيرهم ويجري في خطاباتهم بحالة خاصة من الاعراب مثل عند وقبل وبعد وقاطبة وطرا ، وهذا هو الذي نقف فيه عند السماع فإن كثرة دورانه في مجاري كلامهم نظماً وثرًا وتقلبه في أساليبهم بحالة مخصوصة يشمر بقصدنا الى تخصيصه بتلك الحالة الاعرابية وما كان ينبغي لنا في هذا القسم الا ان نتحرى الطريقة المألوفة في استعماله

ثانيهما ما لا يتردد في أغلب خطاباتهم وانما يرد نادراً أو كثيراً ولكن لم يصل الى مبلغ يدل على قصدنا الى قصره على الحالة التي جاءت بها الرواية وهذا هو الذي يسوغ لنا ان نخرج به عن حالته الواردة ونستعمله في المواضع التي يساعد عليها الوضع ، فلولم نسمع لفظ الضرعام أو اللوذعي أو الفيصل مثلا الا فاعلاً أو مفعولاً كان لنا ابراده في تراكيب من عندنا مضافا اليه أو مبتدأ أو خبراً . فيتضح بهذا التفصيل مذهب الجمهور ووجه مأخذه ويمكنك ان تقضى به على مقالة الشهاب حيث اباح خروج كافة عن الحالية بمجرد النظر الى حال الوضع فإن هذه الكلمة من القسم الاول قطعاً فيجب على القائل بسعة استعمالها فاعلاً أو مفعولاً متلازمة شاهد على ذلك ولا يكفيه التمسك بانها

(ينضم)

قابلة لهذه المراقبة بحسب وضعها

من الخرافات الى الحقيقة*

- ١ -

مقدمة.

سيدي نابغة المسلمين !

دعاني الى ترجمة الكتاب المسمى (من الخرافات الى الحقيقة) الذي ألفه
من قبل (م . شمس الدين) باللغة التركية ! داعيان مستقلان
(١) قلة الاشغال

(٢) الالم الذي يستولي علي حينما أرى حالة امة محمد (ص) كأنها تدين
بدين غير الاسلام .

أما قلة الاشغال : فانه منذ زالت الحكومة الاسلامية من هذه البلاد
(فلسطين) نزعت الوظائف السياسية والادارية من يدنا معشر الشبية (١) المتعلمين
من المسلمين الى النصارى ثم الى اليهود . وبقينا بغير اعمال ، فاشتغل بعضنا بالتجارة
وبعضنا بغيرها واشتغل هذا الما جز بالترجمة والتأليف - هذا هو الداعي الاول .
وأما حالة المسلمين وما تحدثه من الآلام فاني لا أتصور مسلماً يرى الهوة
السحيقة التي يتدحرج فيها المسلمون ويسمع أنين هذه الكتلة البشرية ويسمعه
السكوت على ما يرى ويسمع . بل لا بد أن يتفجر في دماغه الذي هو محكس
لصوت ذلك الانين طوفان آلام يدفعه الى عمل شيء ينقم به هذه الامة .
ان المسلمين الذين قضوا وقتاً طويلاً وهم يحكمون في العالم فيطاعون ،
ويسودون الامم ادارة وعلماء واقتصاداً فيتبعون ، هم الآن ذليلون مهانون ،
يشنون تحت ضربات حكاهم الغرباء وطلنا ولفة وديننا .

ان العالم الاسلامي الذي كان يظن على المسكونة مهابة وشرفاً قد انحى

(٥) مترجم الكتاب حسني بك عبد الهادي من بيوتات نابلس الشهيرة
وقد خص به مجلة المنار فنحن ننشره شاكرين غيرته وهمته مع اصلاح للترجمة
لا يغير المعنى بل يجليه

(١) الشبية بوزن قسبة جم شباب والشبية مصدر شب الفلام اذا صار ضالها

وازوى وغاب عن الابصار ، ان المسلمين الذين كان العالم يترطبا أو اضطرابا من صونهم أمسوا اليوم مسودين مسوقين اسراء .

ان المدن الاسلامية التي كانت صرايا للرفي والحضارة بات اليوم يمش فيها . والمسلمون الذين كانوا يبارزون القوى الطبيعية أصبحوا اليوم يخافون من ظلمهم . واخذوا يتدحرجون في مهاوي الاوهام . بل أقول ان ديار الاسلام أمست مقابر ، والمسلمون فيها جناز . ولا بد لهذا السقوط العام من مؤثر عام . ان هذا المرض المستولي على مسلمي آسيا وأوروبا وافريقية والافياتوسية يبدي للناظر أعراضاً متشابهة وهذا ما حمل العقلاء على أن يقولوا ان منشأ المرض شيء واحد ما دامت الامة المسودة التي تن تحت عوامل السيادة الاجنبية هي امة واحدة — امة محمد صلى الله عليه وسلم

عجبا ما ذلك العامل الذي رفع امة عيسى وهبط بامة محمد ، ما ذلك الدرج الذي صعدت عليه امة عيسى حتى استوت على عرش الحكم ، وما ذلك الدرك التي تحدرت فيه امة محمد حتى وصلت الى هذا المكان السحيق مكان المستعبد الخانع ، مكان المسود التابع ، مكان الاسير الخاضع ؟

ان الرابطة التي تربط ثلاثمائة مليون ونيفا من المسلمين هي (الدين) وبهذه الرابطة ملك المسلمون — اسراء اليوم سادة الامس — اقاليم مختلفة . ثم غفت سلطنتهم في تلك الاقاليم شيئا فشيئا حتى انحصرت اليوم في الاناضول . الا يوجد اليوم اقليم غير الاناضول لا يدين ويخضع لهؤلاء الفرنجة بل يسن قوانينه بدون استشارتهم وينفذها بنجوة من سيطرتهم ؟ (١)

لا اسراء في ان الدين الاسلامي قد كان هو السبب لتعالي المسلمين . فهل يمكن أن يكون سبب الرقي والصحود ، هو بئس سبب التدهور والسقوط ؟ لا لا (٢) بل الدين الذي كان سبباً لتعالي المسلمين هو غير الدين الذي هبط بهم

(١) المنار ان جزيرة العرب وبلاد الافغان لا دينان لاجني عنهما ولكن يموزها من العلوم والفنون والصناعات ما تحفظ بها قوتها من الطامعين فيهما ، وينمي ثروتها فتفتينها عن الاجانب . ويموزها زعماء عقلاء يجمعون الكلمة ، وقد بدأ الافغان فتى يبدأ العرب ، الذين فضحوا أنفسهم بين الامم ؟

(٢) المنار قد سبقنا الى مثل هذا السؤال وجوابه في المقصورة الرشيدية

ثم في المنار ، وهذه آيات من المقصورة في ذلك =

اليوم الى العبودية والذل . نعم ان بينهم - على الاشتراك في الاسم - فرقا جلياً وبقونا بعيداً :

كان المسلمون يحترمون الحقائق ، وأما نحن فأسرى الخرافات .

كان المسلمون اصحاب عقائد مستندة الى العلم والنور وأما عقائدنا اليوم فبنية على البدع والاوهام

ان هذا الكتاب لم يكتب ولم يجمع (ولم يترجم) الا لاراءة الفرق بين أجدادنا وبيننا ولأجل تصوير منشأ الخرافات الحاضرة

لا يسع عاقلاً مسلماً يرى العالم الاسلامي يتدحرج في مهاوي الهلاك الا أن يسعى لانقاذه ، وأول ما يحظر على بالهدم الخرافات واقامة الحقائق محلها . وهذا لا يكون الا باحياء قواعد الدين الحقيقية التي رفعت المسلمين في القرون الاولى الى سماه المجد . لان الخرافات لا تحيي بل تذلل ثم تميت .

المسلمون اليوم أدلاء ، لا جيش ، لا أسطول ، لا طائرات ، لا معامل صناعة ، لا مصارف مالية ، لا سكك حديدية ، لا علم ولا اختراع ، لا سفراء ولا قناصل ، وجملة القول انهم مجردون من كل ما يرفع النفس ويكون مدعاة الافتخار . لماذا ؟ لانهم غارقون في بحر من الخرافات .

ربما كان هذا الكتاب سبباً لفضب الكثيرين الذين بصطادون في الماء العكر . ولكن المسلم الذي يرى الدين في تهلكة والامة على شفير القبر ، لا يتقدر أن يسكت ومن سكت فهو أسفلت من مسببي هذا السقوط . فهذا هو السبب الثاني الذي دعاني الى ترجمة الكتاب .

لكننا أبكي لمجد أمة نلت عروشها وحلت العرى
ووطن ذل فماد حوضه (مدعثر الاعضاء مهديم الحوى)
وملة حكيمة رحيمة قد تركت للجهل كالشيء اللقا
وقال فيها الاخسرون انها علة هذا الانحطاط والشقا
فكيف كانت علة السعادة التي منعت قبل وذاك الارنقا
أما أصبنا الملك والحكمة واللم توحيد انما تفرقت
فكيف عدتم وانتم اخوة لما تركتم هديها من المدى

وستكون مطالمتنا مؤيدة بآيات شريفة وبأحاديث منيفة منه له من
الجامع الصغير

ان من سنن الاجتماع التي لا تتبدل ولا تتغير ان الامم التي تترك دينها
سواء الاقبال الى حفيظ الادبار ترى جميع حركات الامم الحاكمة وسائر اناسها
حسنة ممتدلة .

مثال ذلك ان العالم المسيحي اليوم يجلس على عرش الساطة والعالم الاسلامي
يجلس على الارض تحت كرمي ذلك الحاكم . وكل ما يخرج من ملك الهلال يدخل
في ملك الصليب ، والمسلمون لاهون يظن الجاهلون قصيرو النظر منهم ان سبب
سقوطهم هو (الدين) والقصد من تأليف هذا الكتاب اباداة هذا الظن الباطل .
لان الاسلام من اسباب الرفعة والملاء ، لا السقوط والاستخذاء ، واما سبب
اغلال مسلمي اليوم فهو خلط الاسلام النقي الصافي بخرافات الاولين
فاذا رجم المسلمون الى (الدين الحق) كما هو فانه ينفخ فيهم روح جهالة جديدة
وينجوزون من الاحتضار الواقع . وهذا لا يمكن الا بترك الخرافات والتمسك
بالحقائق ، وهو موضوع هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ٢٢ فصلا (١)

(١) المستوى الفكري والاجتماعي في المحيط الذي ظهر الاسلام فيه

(٢) الطور الاول للاسلام

(٣) الضربة الاولى التي ضرب الاسلام بها

(٤) المؤثرات التي زلزلت الوحدة الاسلامية

(٥) تغلب روح الفرس على روح الاسلام

(٦) كيف طرأ الفساد على الاسلام ومن أحدث ذلك

(٧) الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وحزب القرامطة

(٨) عمالة الدراويش الفوضويين الخشاشين

(٩) عبدة الامام علي

(١٠) مذهب الاسماعيلية

(١) المنار : ان القرامطة والخشاشين والاسماعيلية والدروزة والنصيرية

والبكتاشية كلهم من الباطنية الذين توسلوا بالصوفية والروافضى ومذاهبهما

الى بث دعوتهم فتقسيم الكتاب غير ظاهر لنا الآن

- (١١) الدروز والنصيرية
 - (١٢) الباطنية: الروافض والصوفية والبكتاشية
 - (١٣) اخوة المسلمين محتاج لرغم النفور المذهبي
 - (١٤) الاحاديث الموضوعية
 - (١٥) كتب المواعظ
 - (١٦) عبادة الاموات
 - (١٧) الاعتقادات الباطلة
 - (١٨) ضرورة رجوع المسلمين الى الطريق الاول
 - (١٩) أساس الاسلام الاول النظر التمقلي
 - (٢٠) لا يكفر المسلم بسهولة
 - (٢١) لا يوجد تحكم ديني في الاسلامية
 - (٢٢) النتيجة
- هذه هي فصول الكتاب . وسنبذل الجهد لان يكون كاشفاً لحق
المرض ومحتويها على العلاج النافع وبالله المستعان
نابلس (حسني عبد الهادي)

الرحلة السورية الثانية

-٧-

الحالة السياسية والاحتلال في السواحل

نكتب في هذا الفصل كلمة حق وما كل ما يعلم يكتب في مثل هذا الو
لان الزمن الذي يلد التاريخ لا يدونه كما قال بعض حكماء الغرب ولان ال
في السياسة يراعى فيها مصالح كثيرة يقر التمارض فيها فيرجع كل ناظر
التمارضات باجتهاده

قد اشترمت علينا السلطة الانكليزية في اعطائنا جواز السفر الى -
شروطاً ثقيلة اشترنا اليها في الفصل الثاني من هذه الرحلة (ص ٢١٤٢٨ م ٢١) خلا
أن نتحامي احداث تبييح سياسي بالكتابة أو الخطابة فوفينا بالشرط واكل
من الافادة والاستفادة أن نعرف حقيقة الحال ونقول ما نرى أنه الحق

البلاد ومع التصح للناس بما يجب عليهم من الامتثال والانحياز، والعلم والافتقار،
أما أهل البلاد فقد كان التقاير بين المسلمين والنصارى منهم في السواحل
بالفأ أشده فالتنصاري كانوا يرون أن ملك البلاد سلب من المسلمين وصار لهم
بقوة فرنسية وحمائتها والمسلمون يبكون أمى وحرناً على الدولة العثمانية ويمتقون
آمالهم بالأمير فيصل الذي ضمن لهم استقلال البلاد وجعلها دولة عربية بمساعدة
بريطانية العظمى، فلهذا كانوا في منتهى النفور من الفرنسيين وكان من هؤلاء
من يتوعد اليهم ويجهدهم في استمالة زعمائهم واصحاب المكاتب منهم فلا يزيد ذلك
الا نفوراً منهم ومبالغة في التماق فيحصل فيضطروهم ذلك الى حصر ثقتهم بالتنصاري
ومن يتقرب اليهم ويتماق لهم من ملاك المنفعة من المسلمين وان كانوا لا نفوذ
لهم ولا تأثير في أهل ملتهم. وقد فصلنا في الفصل السادس من هذه الرحلة
ما أخطأ فيه كل من المسلمين والتنصاري في هذا الاصر وما كان يجب على كل
منهم من السعي الى الاتفاق والانحياز على مصالحة الوطن المشتركة وما سمينا
اليه فولاً وعملاً وكتابة في هذه السبيل وقد كان هذا السعي كاه بعد اضطرار
السلطة الفرنسية اياي الى الاقامة في بيروت وتولي طرابلس عدة اشهر بعد ان كنت
عازماً على أن اقيم فيها عشرة ايام فقط

ذلك بانني عقب المامي بيروت (في ٤ المحرم سنة ١٣٣٨) قد أصابني زكاة
معموية فناخرت عن زيارة طرابلس الى ١٦ المحرم ولما أردت العودة منها الى
بيروت عرض لي تصدي السلطة الاحتلالية ما سأذكره بعد ذكر اجتماعي في
بيروت بالمندوب الفرنسي السامي

مقابلة المندوب السامي موسيو جورج بيكوت

جاءني في يوم الاثنين (١١ المحرم - ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٩) شرطي بيروني
وقال لي اذا كنت تحب أن تقابل القوم مير السامي (مسيو جورج بيكوت) فهو مستعد
لمقابلتك بين الساعة التاسعة صباحاً والظهر في الدار التي كانت لما والي فوعدت
بالذهاب وذهبت في الساعة العاشرة وقابلته فشكنت معه من الساعة الحادية عشرة
الى ما بعد الظهر فاحتفى بي وتلطف غاية التلطف ودار الحديث بيننا في ثلاث مسائل
(المسألة الاولى) ما ينكره المسلمون من السلطة الفرنسية. سألتني عن عهدي
برؤية البلاد وكيف رأيت حال المسلمين اليوم؟ فقالت له ان المسلمين على كورهم
لم ينهروا ما انتابهم في آخر زمن الترك من الرزايا والمصائب ويكون عليهم وان
(١١ - ١٠) (٩٧) (المجلد الثاني والمشرون)

من أسية إلى حدود الصين وسيادة سائر البحار وازالة ملك الاسلام من الشرق وجعل جميع الدول العظمى في أوربة عالة عليهم وتبعاً لهم في سياسة العالم (قلت) حتى انني لا توقع مجيء يوم ترون فيه من مصلحتكم مخالفة الامتثال على الانكليز - فوافقني على آرائي في هذه الامور بعد مناقشة في بعضها وقال في توقع الانقلاب في سياسة الحلفاء ان الاحمال أو غير بعيد ولكننا الآن متفقون في كل شيء

وبهذه المناسبة ذكرت له خلاصة من مذكرتي التي أرسلتها الى مستر لويد جورج في هذا الموضوع ليعلم أنني لم أقل له ما قلت في الانكليز تقرباً اليه كما يفعل أنصارهم في سورية وانما هو شيء قلته بل كتبته لاعظم رجال الانكليز لاني أعتقد وأعتقد أن استمرارهم على تقاليدهم السياسية القديمة شر لهم وانه سيفضي الى عداوة الامم لهم والخلاف مع حلفائهم الذي اضطرهم الى مخالفتهم الخطر الألماني المهدد للفريقين السابقين تعاديهما في بطون التاريخ وقد تجددت بينها عداوة حسد المفضوم حقه في هذه المخالفة بكثرة خسارته للآخر الذي زاد ربحه على خسارته أضعافاً ولم يروغليل مطامعه، أعني عداوة اللاتين للانكليز. وقد صرحت بهذا في مذكرتي لتوماس البريطاني التي نوهت بذكرها في مقالة (الحقائق الجلية في المسألة العربية) وكان غرضي منها اقناعه بترك قسمة تراث الاسلام لانه لم يمت والاعتناء باستقلال العرب والترك والفرس وكذا مصر، ولا يزال الايام تصدق بأشد من كل ما كتبته في تلك المذكرة كما صدقت ما كتبته لهم فيما قبلها، ولكن جنود لورد كرزون على سياسة الطمع القديمة والتعميم الديني والجنسي الذي يتناول فيه مستر لويد جورج على مرونته وتقلبه من أكبر أسباب ما تنهض من الكتل من الكوارث السياسية وعجزها عن حل شيء منها

بعد هذا الاستعداد أقول الذي لم أكن أسأل اقناع مسيو جورج بكونه برأيي لاجل عمل يرجى أن يأتي منه كيف وقد كان هذا الكلام في أيام تنفيذ معاهدة سنة ١٩١٦ التي وضعها هو وسديقه السير مارك سايكس بين الدولتين وكانت الجنود البريطانية تخرج بثقلها وسلاحيها من سورية الشمالية كما تتركها للجيش الفرنسي بعد تنازلهم وقهرهم في سبيل تنفيذها ظهر أثره في سورية كما ظهر في باريس ولندن حتى قالوا ان السياسة التي تقضت تقضاً ومنهم

موسيو كلينصور رئيس الوزارة الفرنسية لذلك العهد وكانت فرنسة يومئذ تريد أن تتخذ اتفاق الاحزاب السورية على طلب وحدة البلاد وسديلة لجمعها كلها تحت سيطرتها باسم الانتداب، فعارضتها السياسة الانكليزية بحزب سوري تألف في مصر يطلب أن يكون الانتداب للحكومة الولايات المتحدة وبحمل الامير فيصل لحزبه في الشام على طلب جعل الانتداب لانكلترة وحدها فان لم يمكن فلها ثم للحكومة الولايات المتحدة الامريكية اذا هي لم تقبل وقد كان المظهر الاكبر لهذا التنازع بين السياستين في البلاد أيام المام الوفد الامريكى بالاستفتاء اهلها في مستقبلهم وفي اختيار الدولة المنتدبة

وفي السابع عشر من المحرم (١٢ اكتوبر) ذهبت من بيروت الى طرابلس والقلمون في سيارة فأقمت فيهما ستة عشر يوماً طلبت في اثناها من الحكومة اعادة وقف جامع القلمون الى اذ كنت الامام والمتولي الشرعي له وكانت ادارة الاوقاف تولت امره منذ بضع سنين وحال انقطاع المواصلات بالحرب العامة دون مطالبي اياها باعادته الى كما كان في عهد والدي (رحمه الله تعالى) فوافقت لجنة الاوقاف بطرابلس على اعادته وقررت باتفاق الآراء أنني المتولي الشرعي وكتب مأمور الاوقاف بذلك الى مدير اوقاف الولاية في بيروت فأزعمت الذهاب الى بيروت لاتمام هذا الامر الذي جرى لي فيه من المبر ومعرفة الخلل في الحكومة وأخلاق رجالها وسيرتهم ما يعلم به أن جل ما تشكو منه البلاد فهو من اهلها أو بمساعدتهم ويستحق ان يفرد له فصل خاص وانما كلامنا الآن في الحال السياسية

حادثة تعرض السلطة الفرنسية لنا

في الثالث من صفر (١٢٨ اكتوبر) أخذت ورقة للسفر من طرابلس الى بيروت في باخرة فرنسية تسافر من الميناء ليلا وكنت في الميناء فأردت النزول الى الباخرة فقبل لي ان السفر يتوقف على توقيع السلطة الفرنسية على جواز السفر - وهذا لم يكن من قبل - وكان من التسهيل غير المنتظر أن الشرط وفقت على الجواز اذ عرضته عليها من تبرع لذلك من ممارفنا ومعارفهم ولا أدرة أكان في ذلك دخل متوخى أم لا ولكننا لم نكد نضع متاعنا في الزوراء مع متاع كثير من المسافرين الا وفاجأنا الشرطه ففتحوا جميع صناديقهم

والاسمط وعمققة الورق ومحمية الشمس وسبق زيارة وفنشا على ذلك
 نعيشاً دقيماً لم يفعل فيه طيات الثياب ولا جروبها ثم فنشوا جيوبني وأحمد
 شرملي جيم الاوراق ودعاني الى الذهاب معه الى ادارة المكسر (المحرك) فنشينا
 واعميد المتاع الى حيث كان وطبقوا هناك يسطرون في الاوراق نظراً دقيماً
 وكان جل عنايتهم وأشد دقتهم فيما ظنوا بمجهلهم وغباوتهم ان فيه أسراراً سياسية
 ينال مكتشفها أسنى الجوائز عند السلطة الفرنسية وهو فهرس وعتمته لاجره
 الثامن من تفسير القرآن راعتهم أرقامه فظنوا فيها الظنون على أنني أخبرت الباحث
 فيه بأنه فهرس لكتاب في التفسير ... فقال يمكن أن يكون كتب في أثناءه
 شيء سياسي (!)

ولما طال هذا البحث استأذنت الشرملي في الذهاب الى دار بسبي الشيخ
 حسن المتقدي لاجل المشاء وصلاني المشاءين وتغير الثياب فأني وقال ان
 رئيسه (لبنان بك) أمر أن أبقى ثم الى أن يجيء هو من المدينة الى الميناء
 ثم في أثناء الساعة الثالثة بعد الغروب جاء شرملي (او فوه شير) اسمه (حماد)
 على ما أتذكر وقال ان لبنان بك أرسله بالنيابة عنه ليأخذني الى دار الخلووه في
 المدينة لاجل توقيفي فيها (التوقيف في عرف الحكومة التركية هو الحبس المؤقت)
 فاستأذنته بما استأذنت به الاول فلم يأذن وذهبنا الى المدينة بالترام فوضعتوني
 في حجرة من حجرة الشرطة نوافدها مكسرة الزجاج وكان فيها مصباح صغير
 فيه قليل من زيت البترول تمد فانطفأ ولم يجد من في الحجرة من الشرطة غيره
 وكان الماء مقطوعاً عن دار الحكومة وليس في المراحيض ورق الاستحمام
 فكان التخلفي فيها متمذراً على أمثالنا كما كان اليوم متمذراً لأن هواء الناس في
 طرابلس يأتي من ناحية الجبل الذي يملؤه النايح فيكون بارداً جداً فيكون
 هواء النهار حاراً بالنسبة اليه ولا سيما في تلك الايام من هبل الخريف

ثم جاءنا الشرطة بفانوس كانوا يتلقونه من جهة الى أخرى ثم قالوا ان
 الحاكم العسكري قد حضر فأخذوا الفانوس وأخذوا حتى طردوا الى حجرة
 وتركوه له فيها وقد يلعب بعد ذلك ان سبوا من ذلك ان سبوا من ذلك ان سبوا
 بعض المقربين اليه من الوجهاء معاً إلى توقيفي فيجوز ذلك فكانت
 اليوم وأندروه هاداً في هذا الرجل موفوه ان النهار وعين الناس بهت وتروى
 ان بشرروا وهم جوارح دار الحكومة لا حراجه عورة وتكون نسبة كبيرة

وقد ظل الحاكم مهترجانه يثاران في لاور في ساعة ر ٣٠ دونه ثم طرقي
وبلغني ترجمانه عنه ما يأتي :

« انك جئت الى هنا وكان البوليس اللسري يتم قبلك ولما زلت الى البحر
أخذوا أوراقك فوجد فيها شيء يدل على انك تشغل بالسياسة وفيها ما يدل
أيضا على انك رجل مهم غير مادي (١) فأنا لا أريد أن أوقمك عمارة كنت تريد
السفر الى بيروت فتابع سفرك اليها وأنا أرسل أوراقك الى حاكمها الاداري
ليرى رأيه فيها.

قلت أحسنت صنما فرجالكم في بيروت أجدر بمعرفتي وانصافي منك واني
لا أشر مما تدل عليه الاوراق. قال انك لم ترني لا عرفك .

ثم قال الترجان الشرطي (أو القومسیر حنا) الذي صحبني خذ هذه
الاوراق (وكانت قد وضعت في ظرفين كبيرين ختما بالشمع الاحمر ولا يزالان
عندي) وهذا المكتوب وأعطوها لبوليس يسافر مع الشيخ الى بيروت الى
دار الحكومة فيها ويجب أن تفهموا هذا البوليس ان يكون رفيقا بغاية الادب
لا كما كانوا يفهمون من قبل أنهم مسيطرون على من يصحبونه يتحكرون فيه
ويهيونونه . وأعطاه ورقة أخرى من الحاكم الى رئيسهم لبنان

ثم صالحت الحاكم وزات معه الى خارج دار الحكومة حيث ركبت عربة
وركب معي نسبي الشيخ حسن وأخي السيد ابراهيم آدم وهم لم يمارقوا دار
الحكومة منذ جاء معي وركب معنا شرطي يحمل الورق وفصدنا لميناه فأتقينا
لبنان في الطريق مائدا منها فأعطاه الشرطي رقمة الحاكم له فأرجعت الى دار
الحكومة ولم يرخص أن اسافر في البحر وأمر حنا بأن يستأجر لي عربة من مالي
ويرسلني في البر وكان يتكلم بغلظة وخشونة وعظمة الحاكم القاهر المستبد ،
و وكل الى حنا تنفيذ الامر وذهب

وفي أثناء الساعة الثالثة الزوالية بعد نصف الليل أحضرت المركبة وأجرتها
٤٥٠ قرشا مصريا صحبها كما زعموا وليس لي أن أعارضه والشرطي الذي يمشي
الورق فأوصاه حنا بما يأتي .

إذا صادفت في الطريق أحدا يريد أخذ الاوراق منك فأطلق عليه الرصاص

(١) كان في تلك الاوراق فوائين وقرارات لبعض الجمعيات ومكتوبات من
بعض المشهورين في سورية والشرق حتى غلظة والغرب حتى مرأش فيهم امرهم

وإذا أراد أحد أخذ الشيخ منك فأطلق الرصاص على رجل الشيخ (أو قال
رجليه) وعلى من يحاول أخذه

ثم ركب معنا حنا نفسه وجندي مسلح الى أن تجاوزنا بساتين طرابلس لثلا
يكون أحد من الاهالي علم بأمرنا وكنوا بين الاشجار ليأخذوني عنوة وهو
بجهل أن منلي لو كان جانيا لترفع عن الحرب فكيف وهو يعلم أنه ليس في
أوراقه ما يمكن أن تعاقبه عليه السلطة الفرنسية مهما يكن ضغطها على المسلمين
شديدا في ذلك الوقت مقاومة للفكرة المربية والتماق بفيض ولو عاقبته لما زادة
عقابها الا رفعة قدره، على أن الشرطي الذي ارسل معي كان مسلما فلم يكن محتاجا الى
التوصية بالتأديب معي بل كان من اولياء بيتنا ويتمنى لو يكون في خدمتي
طول عمره وكان ارساله معي مما أثار عجبه وهجبي فكيف وقد اوصي بتلك
الوصية الحقاء التي كان يتلذذ بمثلها أولئك المتعصبون من اوشاب اللبنانيين
الذين يعتقدون أن فرسة حكمتهم في أشرف المسلمين وعلمائهم - به
هامتهم - تقرباً الى يسوع المسيح والرسول والتديسين فكانوا حجة على فرسة
بأنها اما ظالمة سيئة الادارة واما متمسبة سيئة الخية، وسبباً لشدة نفور المسلمين
واستياءهم منها وتفضيل الانكليز عليها وشرا على وطنهم بالقاء البغضاء والتفريق
بين الفريقين الكبيرين من أهله كما يعلم مما مر في هذه الرحلة ومن بقية هذا
الفصل منها، على ان هذا كان مفيدا للمسلمين من حيث انه قوى فيهم نزعة
الجنسية المربية وحب الاستقلال ومعرفة قيمته كما قوى فيهم روح الدين وأعاد
اليهم بعض ما فقدوا من هدايته . وكان جميع المشتغلين بالسياسة من خصوم
الاحتلال الفرنسي يسرون بسوء تصرفها وتصرف أعرانها ولا يجوز أن تحسن
الادارة لثلا عميل اليها الجمهور

ولو كان أمثال لبنان وحنان من اصطفاهم الفرنسيين من بيوتات لبنان المعروفة
أو من الافراد الذين تربوا تربية ترفع من خسة المنبت وورثة السوء لما كانوا
يطاملون مثلي بهذه المعاملة وان اسروا بها أسراً بل كانوا يتصحبون للاجنبي
الذي يأمرهم به بنقل ما أصبح لحاكم طرابلس الساري من حملة على خروجه
من داره ليلاليتلاف بنفسه ما كان اسره . فأما ابناء البيوتات فاهم وورثوا
الادب الشرقي في احترام الاسر الشريفة والعشائر المحترمة . وأما أبناء التربية
الحسنة فيعرفون قيمة العلم والادب ويحترمه ونهم بالطبع فيزهون أنفسهم معهم

عن سوء الادب
وأما ما كان من امر هذه الحادثة في بيروت فهو أننا لما وصلنا اليها وكان ذلك بعد المغرب من يوم الاربعاء صادفنا في الطريق الى دار الحكومة بعض الاسدقاء فسار أحدهم ممنا اليها وانتظر آخرون ما يلوده من الخبر ليبنوا على ما يقيم لنا ما يجب أن يعمل لتلافيه ان كان شرا . ولما دخلت دار الحكومة لتقيت فيها لدى الباب الشيخ عبدالكريم الياني تقيب أشرف بيروت من أصدقائنا الاولين (١) وهو موال لسلطة الفرنسية فنألني بمد التحية عما جاء بي الى دار الحكومة في ذلك الوقت فأخبرته فأخبرها كم بيروت أو نائبه بخبري مقرونا بالثناء والتركية والفضان غير الرسمي، فرضي بأن أخرج واكون حرا في بيروت الى أن ينظروا في هذه الاوراق وينصقوني فيها بشرط أن لا أمهل أهمل سياسة مضادا لهم فيها

تقريرى للمندوب الفرنسي السامي

كان هذا الحدث وسيلة لي الى كتابة تقرير للمعتد الفرنسي بدأت به بالذكير بما دار بيني وبينه وشرحت فيه ما كنت أجملته في الحديث معه يوم لقائه من اضطهاد المسلمين بما لم كن أعلمه يومئذ تقرب العهد بالوصول الى بيروت ومنها كون النسبة الى العرب من كبار الذنوب للسياسة مع كونه هو وكثير من كبار رجال فرنسا قد صرحوا بأنهم يريدون احياء الجنسية العربية ولغتها ومدنيتها ... ثم ذكرته فيه بتفضيله الفرنسي على الانكليز في معرفة أقدار الناس من أفراد أو شعوب ووقيت على ذلك باعلامه بأنني كنت في مصر أنتقد سياسة الانكليز كتابة وخطابة وقولا في المجالس العامة والخاصة وقدمت لهم في أثناء الحرب وبمدها مذكرات في تخطيط سياستهم في المسائل العربية والاسلامية (حتى التركية) وآخرها المذكرة التي أرسلتها الى وزيرهم - ستر لويدي جورج وأنذرته فيها بمداوة العالم الاسلامي لهم . وأنه قدمت اليهم تقارير كثيرة في أمثال هذه المسائل (علت

(١) لآل الياني مودة لآل بيتنا منذ قرن ويزف على عهد أشهرهم الشيخ

صهر الياني الشيخ الاديب صاحب الديوان المروف فقي ديوانه بعض القصائد التي مدح بها سيد والدي السيد الشيخ محمد الكبير وله فيه قصائد اخرى ومنها تاريخ داره في القاهون وقد نقش على رخامة فوق بابها الكبير في أبيات من قصيدة وبيت التاريخ "بل كل من قد حلها ه أرخ يراها خير داره سنة ١٢٣٢

هذا من نائب الملك وغيره) وكانوا يعلمون أن لي علاقة ودية باصراء العرب وزعمائهم وجميعاتهم، بل عثروا على رسالة تعد تحريضا للعرب على الاجانب وقيل لهم انني أنا الذي طبعتها ووزعتها - ومع هذا كله لم يفتشوا لي منزلا ولا مطبعة ولا أمانوني بقول ولا عمل ولم يقاباني أحد من كبار وجاهلهم الا بالاحترام اللائق - فأين هذا مما عاملتني به السلطنة الفرنسية في طرابلس؟

في ذواتي ذكرت له بهذه المناسبة أيضا كلمة عن ذهابي الى الهند سنة ١٩١٢ بدعوة جمعية ندوة العلماء فيها لرياسة المؤتمر الاسلامي وان الانكليز كانوا كارهين لهذه الدعوة وبالفني في الهند ان جواسيسهم كانت تتبعني كما فعلت وتفعل جواسيس فرنسا بطرابلس وبيروت ولكن لم يتعرض أحد لحرمتي الشخصية ولا فتحوا حناديقني ولا فتشوا أوراقني، وختمت هذه المسألة بقولي له «وليس هذا بكثير على حرية الانكليز التي قسروا بها من يختبرهم ويختبر غيرهم على تفضيلهم على جميع الشعوب الاوربية في الحربة ومعرفة أقدار الناس»

قلت بل كان الغريب ما عاملني به أحمد جمال باشا الاتحادي الشهير في بغداد - وكان يومئذ جمال بك - اذ ألمت بها منصرفي من الهند وكنت مجاهدا بالظمن في الاتحاديين والتنفير عنهم وكانت (مجلة العالم الاسلامي) التي يصدرونها في الآستانة تنشر بقلم الشيخ عبد العزيز شاويش اني أقصد العراق لاجل تأليب العرب واثارتهم على الدولة - ولكن جمال باشا لم يأخذ هذا الكلام قضية مسلمة بل سأل تقيب السادة الاشراف السيد عبد الرحمن المحض الكيلاني (رئيس وزارة بغداد لهذا العهد) وبعض كبار العلماء عني فبالفوا في الشناء (وكان هو يعرف عني شيئا وكتب الي قبل سفري ذلك) فأكرمني وزارني ودعاني الى طعامه - فأين هذه المعاملة من أقسى الاتحاديين الذي اشتهر بلقب السفاح من معاملة الفرنسيين لي في بلدي وأنا لم أفعل شيئا يخالف القانون ولا يخل بالامن ولم أدخل في غمرة الاحزاب السياسة الخ

وختمت المذكورة بسوء تأثير هذه الحادثة في أنفس المسلمين الذين صاروا يتمجبون لما كانوا يسمعون من حسن سيرة فرنسا وسوء سيرة الدولة العثمانية وقد تبين لهم أن ترك العدل وأرحم وأبعد عن التعصب وأحسن ادارة من الفرنسيين، فصاروا يسألون عن سبب سوء صيت الترك وحسن صيت الدول الاوربية الخ

اعتذار المتدوب السامي وغيره

أرسلت المذكرة الى المتدوب (القومير) السامي قلم البث أن دعيت الى مقرة الرسمي (القوميرية وكان ذلك في ٨ نوفمبر) فقابلني فيها (مسيو رودريكس) معاون مدير الامور السياسية لانه يحسن العربية وكان هو المترجم بيني وبين المتدوب عند تلاقينا منذ شهر فرحب بي أجمل الترحيب وبلغني شدة أسف المتدوب السامي لوقوع الحادثة وانه كان يود لو يلقاني ليعتذر لي بنفسه لولا انه أصيب منذ ثمانية أيام باسم ال تحول الى دوسنطارية وانه كلفه الاعتذار باسمه وأن يخبرني ان الحاكم العام (موسيو نيجر) سافر أو يسافر الى طرابلس لاجل هذه الحادثة ليحقق الامر فيها ويقاب الميئين وانه سينزل حاكم طرابلس لأجلي . وكلفه أن يخبرني أيضا بأن الحكومة الفرنسية مستعدة للقيام بكل ما أطلبه من التعويضات المالية والادبية - وكرر علي ذلك قائلا مها تطلب من التعويض يؤد بكل لورتياح

قلت اني لا أطلب تعويضا ماليا وانني لم أخسر من المال شيئا يذكر وأما حماية الميئين من الشرطة وغيرهم فهو لمصلحتكم لانه يرفع عنكم تهمة تسد امامة المسلمين وظلمهم وأنا لم أخسر شيئا من مقامي الادبي بظلمكم ابدي بل ذلك مما يرفع مقامهم في نظر أهل وطني وغيرهم ، الا ان حاكم طرابلس أمسك عنده اوراق وقفنا قانا اطلبها لسامي في انجاز العمل فيها

قال اذا أنت لم تطلب لنفسك شيئا فانا أطلب منك باسم الوطن السوري أن تترك مصر وتقيم هنا وتشتغل باصلاح بلادك فهي أولى بك لانها فقيرة من الرجال ونحن في حيرة من هذا القدر ... زيد انشاء مجمع لغوي وان تكون أنت المصروف الاول فيه وفي البلاد مصالح اسلامية خاصة أنت أولى باصلاحها أو ادارتها ونود أن تكون مستشارا للحكومة العليا في البلاد لتكون خدمتنا لها على الوجه المرضي للمسلمين أصحاب الاغلبية في البلاد وان ادارة هذه البلاد من أضيق الامور وأصعبها لكثرة الاديان والمذاهب المتعادية فيها (وذكر أكثرها وأطال في استمالي والثناء علي بلسنته وبشاشته)

فشكرت له هذه المنابة والثناء واعتذرت عن الانتقال من مصر الى سورية

بما لاجابة الى الاطالة به

وكان اتفق في هذه الاثناء أن دعا الحاكم العام للولاية (موسيو نيجر)

أكار رحاه المسلمين المعارضين لتأليفهم وسباع ما يتكروون على السلطة الفرنسية وما ينقمون منها فكان أشد ما ذكر له عما تقموا وأنكروا حادثتنا هذه، تكلم فيها في ذلك الاجتماع وغيره أكبر العلماء مفتي الولاية الشيخ مصطفى نجما والشيخ أحمد عباس وأيدهما كبار الوجهاء المشهورين بالشجاعة الادبية كالمرحوم أحمد مختار بيهم وأبي علي سلام فأكبروا من شأن صديقهم خادم الاسلام والوطن فحمل ذلك الحاكم علي ان يطلبني ليسمع تفصيل الحادثة مني فاتفق ان طلبني مدير الامن العام في الوقت الذي حددته لي كتابة

جئت دار الحكومة بعد العصر من ذلك اليوم فقابلت مدير الامن أولا فأعطاني أوراقا وبلغني عن حاكم مدينة بيروت الاداري أنه يجب أن أسافر الى مصر في أول باخرة تسافر من بيروت الى الثغور المصرية . ثم دخلت على الحاكم العام فرحب بي واعتذر عن الحادثة متأسفا لوقوعها وقال إنها بلغت من مصادر مختلفة فأحب أن يعرف الحقيقة مني قبل سفره الى طرابلس فأخصتها له ، فأعاد التلطف في الاعتذار ووعد بالتحقيق ومناقشة المسيئين فقلت له : ذلك شأنكم ولكن مدير الامن العام بلغني الآن انكم حكتم علي بالنفي من البلاد ولم يبين لي سبب هذا الحكم القاسي فهل هذا ما وعدتم به من العدل ؟ وأنا لا أهتمني عقاب احد بعزل ولا غيره لاجلي ، فان هذه الاساءة رفعت من قدرتي في نظر ابناء وطني ، ولكن حاكم طرابلس أرسل اليكم جميع أوراقها ماعدا الاوراق الرسمية المنعقدة بالوقف — ولحست له خبرها — فأنا لا اطلب الا امتراجها لاجل اتمام المعاملة الرسمية في الولاية بها . فظهر الاستياء علي وجهه وكتب امرأ بالفاء حكم النفي ممتدراً عنه واما اوراق الوقف فرعدت ان يحضرها معه . ثم ذهب الى طرابلس وبحث مع حاكمها العسكري في ذلك وبلغني أن هذا قد احتج لنفسه بان البوليس فعل ما تقتضيه وظيفته الا اساءة المعاملة ، واما هو فلما علم بحقيقة الحادثة حولها الى الولاية ولم يسي في شيء — وقد صدقني في هذا — وبلغني انه وبج لبنان ومماحه حنا وهددما . وهكذا كان شأن السلطة الفرنسية بسوء اختيار الموثقين ، تقع في المشكلات وتناول خلافها ولا تسته ، ثم تمردوا الى اهل ما عرفت من بلادهم لم يسيبه وعنده على ان ازالة ذلك ليس بالخطاب السهل ولا على لبنان ذلك مما لا يتسا لا ذكره شهابي ما وراء التحسين لادارة وادارة كبرى حادثة تاريخية

تعلق مدني الساحل فيفصل وتأثيره

قد كان استغرابي لاغترار المسلمين بالانكليز وفيصل عنديا جدا ولا سيما بعد تنفيذ الانكليز لماهدة سنة ١٩١٦ باقتسام البلاد العربية بينهم وبين فرنسا ، وأغرب من ذلك استغرابهم لتخطئي اياهم في ذلك واعلامهم بما لم يكونوا يعلمون من امر ثورة الحجاز وحقيقة حال ملكها والامير فيصل وطعم الانكليز في السيادة على جميع البلاد العربية ما عدا هذه الحصة التي أعطتها لفرنسة من سورية ، ولجزري بأنها لن تعود الى منازعتها فيها وانزعاجها منها لتمطينا اياها ، وانما يجوز بل يرجح أن تأخذها منها في يوم من الايام ، اذا استقرت قدمها الاستعمارية فيها جوبليا من البلاد ، وان تستخدمنا في ذلك كدأبها في ضرب الامم بعضها ببعض كنت اقول في كل مجلس يدور فيه البحث في امر البلاد ان مثل انكلترة مع فرنسا في المسألة العربية كمثل جبار غاصب انتزع ضيعة لاسرة غنية من ايديها وأعطى بستانا أو دارا منها لرجل كان مساعدا له فأني الرجلين أولى بخصام اصحاب النسيمة ؟ الذي اغتصبها أم صاحبه الذي أخذ دارا واحدة أو بستانا منه ولولاه لم يأخذ شيئا ، وهل يلدق بالاسرة المالكة للضيعة أن تتماذى وتتنازع في تفضيل احده الفاصبين على الآخر أم الواجب عليهم أن يتفقوا على ما يجب عمله لاسترداد المقصوب ؟

ثقل على كثير من وجهاء المسلمين قولي هذا من حيث كان مزلا لا أو مزبلا لما كانوا يمنون به أنفسهم ويسلون به همومهم وزاد ثقله على تلك الاسماع ووقعه في تلك القلوب ان كان ممن يوثق بعلمه ، ولا يتهم في اخلاصه وحسن قصده ، وأنه لا سبيل الى نقضه أو رده ، فمنهم من كان يقول وكيف العمل ، واذا لم يعمل لنا فيصل ووالده فمن ؟ ومنهم من يسألني بادلال المودة والمصداقة أن اكتب هذا لكلا يياس الراجون ، ويشمت المخالفون ،

ذلك بأن أعرض امراضنا الاجتماعية أننا تعودنا التواكل بيننا ، والانتكال على غيرنا ، ولا تزال الاحزاب والجميحات السياسية في سن الطفولة وقد رسخ خلق التنازع بين أهل الاديان والمذاهب ، واذ كان النصراني معتزنا بالنصراني لم ير المسلمون بدا من الاعتزاز بالامير فيصل وبأنصاره الانكليز ، وكنت أرى هذا التناظر ضارا في الحال ، وسيء العاقبة في المستقبل . وأن الاولى بالفرقتين ان يتركوه ويرجموا الى أنفسهم فيمطوها حقها ولا يمتنوها ويحملوا

جل اعتمادهم أو كراهة على غيرهم ، وأدبروا حق وبتدبيرهم عليهم ، وأنه يستحيل أن يعمر ويمتروا به ما زادوا من متطرفين ممدارين بسبب اختلاف الأديان والمذاهب ، والاتكال على الأجانب ، وكنت أرى أن إظهار المسلمين لذلك التعلق فيحصل — وإن كان له مالا انكر من الباعث الطبيعي — قد زاد في كره أبناء وطنهم النصارى له ولهم ، ونفورهم منه ومنهم ، وحمل الفرنسي على اتخاذ عدواً مبيناً وتوطين أنفسهم على مقاومة نفوذه في البلاد السورية وفي أوربة مآ ، وإنما كان يمتاز فيحصل على وجهاء الوطن السوري في السمي السياسي لاستقلاله بكونه قد عد من قواد الحلفاء وأنصارهم فكلامه أجدر بالقبول لدى حكوماتهم ، فكان من المصلحة أن لا يخص بعضهم بالولاء وبمعضهم بالعداء ، وأن لا يجعل أنصاره من المسلمين ما كانوا يظهرون من التعلق به والاحتفال بقدومه وزواجه اغاظة للنصارى المعتزين بفرنسة ، وكنت أرى الصواب في هذه المسألة أن لا يفتخر المسلمون به ويتكلموا عليه ، وأن لا يخاف النصارى منه ، فصرحت في بعض المقالات التي نشرتها في جريدة الحقيقة للتأليف بين الفريقين على المصالح المشتركة بينهم في البلاد بأن فيصلا لا ينبغي أن يخيف أحداً من أهل البلاد إذا كانوا متفقيين على القيام بشؤون بلادهم لأنه ليس من أهل دولة أجنبية قوية يمكنه أن يستعين بما لها وجندها على جعل سورية تابعة لها إذا هو ولي أمارتها بل يكون هو تابعاً لها حتى إذا فرض أن عادت بلاده الأصلية أو حاربتها لا يسعه إلا مجاراتها أو الاستقالة من أمارتها والخروج منها ، وضربت لذلك مثلاً ملك البلاد الرومانية إذ اضطر إلى قتال أبناء جنسه النسي وهم الألمان أتينا لارادة أمته السياسية ، وقد كان هذا القول مقنعاً لمصوم فيصل فلم يرد عليه أحد ، بل لم يكن أكثرهم بهلم أن الأمر كذلك ، بل كانوا يظنون أن إمارة فيصل على سورية وترك فرنسة لها يستلزم إلحاقها بالحجاز ، وإن ملك الحجاز رئيس ديني للمسلمين كالباپا عند الكاثوليك ، وقد صرحت في ذلك المقال بتخليتهم في هذا الاعتقاد أيضاً

وقد رضي المسلمون بما كتبت في هذا المقال وسرهم عدم اعتقاد النصارى له ولو جرفوا على هذه الخيلة قولاً وتبابة وكنوا عن ذلك الملك النسي الكره في شأنه لوقعت الممارسة له من الفرنسي وأعوامهم مند حد ولم تنفه إلى ما انتهت إليه ، ولما كان تأثير عاقبة أمره في المسلمين التيا شديداً كما كان ، ولكن

ذلك البيان لم يكرر ولم يعم فظل السواد الاعظم من النصارى يمتدح الى اليوم ان فيصلا كان يريد جعل سورية تابعة للمعجاز وانه كان قادرا على ذلك لو تم له الاستواء عليها ، وكل من الامر من خطأ . ولم اكن اريد بهذه الخطة تأييد فيصل لذاته أو مشايمة لحزبه ، وأكثرهم من اخواني وأصدقائي وان كنت أعلم أنها أمثل ما يؤيد به ، وانما كنت أفصد أن لا يتعادى أهل وطني بسببه وان أدلم على ما تحفظ به مصلحة الوطن اذا أتاح القدر له ان يكون أمير البلاد أو ملكها بنفوذ حلفائه

وجلة القول انني كنت أحمري في كل ما كنت أقوله واكتبه النصح لجيم أهل وطني مع المحافظة على ما أرمى اياه السلطة البريطانية بمصر وجملته شرطا في الاذن لي بالسفر وان كان ظلما واعتداء على حريتي الشخصية في بلادي التي أنا أولى بالحرية فيها منهم ، ولم اكن أتبيع لسلطة من السلطات التي قسمت البلاد ولا متعاملا على واحدة منهم تحيزاً لخصيبتها ، ولا مهيباً على السلطة الاحتلالية ،

الدين والقوة والمصلحة في سياسة أوربية

واني أرجو أن يكون الزمان قد أثبت لأهل البلاد على اختلاف أديانهم ان جيم ما قلته في فرنسا وانكلترا والمعجاز هو الحق وان جيم ما اقترحته هو المصلحة ، وان لم يتذكروا أقوالي ، فمن لم يكن ظهر له ذلك الى اليوم كله أو بعضه فيظهر له عن قريب فيعلم السوربون وهم ضئيل غير مسلح انه لا قوة لهم الا بالاتحاد وجم الكلمة ، وأن النوب لا تنال من الحرية والاستقلال ولا من الكرامة والارتقاء مع احتلال أجنبي الا بقدر قوتها ، وان دول أوربية وان بنيت سياستها القديمة في الشرق الأدنى على دعوى حماية المسيحيين وانصافهم أو اتقاذم من ساطة المسلمين فهي تتخذ الدين وسيلة الى مصالحها ولا تبالي بما يمرضها وان نسف الدين وأهله في اليم نسفاً .

والدليل على ذلك أن الدولة الفرنسية طامية المسيحيين الاولى في الشرق لا دين لها وانها قد قوضت الآن بنيان القاعدة الأساسية للسياسة الاوربية في الشرق - أعني قاعدة التنارع بين الهلال والصليب وسبقت حلفاءها الى الاتفاق مع الترك الوطنيين الافوياء في الاناضول وصرحت بان لهم الحق في الاستقلال التام واستعادة ما أخذته الحلفاء المنتصرون منهم ، ورضيت بأن تنجلي لهم عن جميع كايكية ، وعن جزء عظيم الشأن من سورية ، والامة الفرنسية ترفم صوتها

وأورد حكومتها في سبيل إعادة المودة بينها وبين الاسلام وخليفة المسلمين ،
 وإذ رأت أن هذا من مصالحها لم يصدها عن تنفيذها حماية المسيحيين في تلك
 البلاد ، ولا قاعدة ما أخذ الصليب من الهلال لا يسرد الى الهلال
 وان الدولة البريطانية ترجح المصلحة على الدين أيضا وهي ذات الصبغة
 المسيحية الرسمية والملك الحامي للايمان وواضحة قاعدة الصليب والهلال التي
 ملأت الدنيا عنفا وثريريا على فرنسا لاتفاقها مع مصطفي كمال باشا ناسخة
 للقاعدة الاوربية المذكورة آنفا بعد أن كانت متفقا عليها وتاركة حماية الاقليات
 المسيحية في كايكية فانها قد كانت سبقت الى خطبة مودة الكالبيين فلم تظفر بها ،
 وضخت الارمن الذين دفعتهم الى عداوة دولتهم ، وتركتمهم يذوقون جزاء
 ثوراتهم وعصيانهم ، ولم تقبل ان تكون منتدبة لحمايتهم ، بل لتأمين ما اعترفت به
 من استقلالهم ، ثم إنها تريد أن تعيد سلطان اليهود القومي الى مدينة المسيح
 (عليه السلام) ومهد دينه وهي تعلم أن ذلك يسوء كل مؤمن بالمسيح ولا يرضاه
 حتى من شعبها نفسه الا يفضل الجنيه عليه وعلى انجيله وأهل دينه ، وان كل
 ما يشكو منه أعداء الحجاز من المسيحيين ويسوءهم من تقوذ أمرائه لانه مهد
 الاسلام وحسبانهم أن سلطة شريف مكة كسلطة البابا فهو من أعمال بريطانية
 العظمى وانما الحجاز مسجد ليس مقر سلطة ولا يصلح أن يكون كذلك ، وليس
 فيه قوة جندية ولا مالية يفتح بها سورية أو يحفظها نفسه لو حاربت ، هي أو غيرها .
 وبسبب وزن هذه الدولة مهتمة بالصلح مع الترك والاعتراف لهم بحق الاستقلال في
 بلادهم واحترام سلطة الخليفة التركي واظهار الرغبة في مساعدته كما فعلت فرنسا اذا
 هي عاجزت عن إقناعها مع ايطالية نازية بالانفاق ، بها على الاجهاز على هذا الاستقلال
 وأما أمراء الحجاز فقد ظهر فيهم ما كنا نقوله لابناء الوطن السوري فيهم
 وهو أنهم لا رجاء فيهم للمسلمين ، ولا خوف منهم على المسيحيين ، لانهم لا حول
 لهم ولا قوة بأنفسهم وانما هم مسخرون لخدمة بريطانيا العظمى ينال كل منهم
 من الخطوة عندها بتقدير خدمته لها وتمكين نفوذها في بلاده وسائر البلاد
 العربية كدأبهم في جميع البلاد التي مدوا اليها أيدي مطامعهم .
 فلما كان فيصل أكثر موثاقا لهم جعلوه ملكا لمستعمرة العراق الجديدة
 وكم لديهم من السلامين والامراء والالقاب الاخرى في المستعمرات والاملاك التي
 هي أوسع من العراق استقلالا ، وتفوذهم فيها أنصف وان لم يسم اقتدابا ،

ولو واتاهم أخوه الأمير عبدالله من قبل لسبقه إلى ملك العراق، وليته إذ لم يقبل لقب الملك في العراق لأنه بغير ملك، لم يقبل ما دونه في شرق الأردن، وباليت... وباليت... وهل ينفع شيئاً لبيتنا ليت شبابنا يبيع قلوبهم لنا... قصتي أنني بثوب أهل سورية عامة إلى رشدهم من قرأتهم ويفعلوا عنهم ما لحقهم من عار التعصب وعدم الوطنية، لو يتحدوا اتحاداً يضطروا الأسياب إلى احترامهم والرغبة في صداقتهم بدلاً من الاستمبارهم، ولا يأتي المليون حينئذ أن تكون حكومة لبنان مسيحية مستقلة لاسلطان غيرها عليها وأنا نضمن ذلك لمن شاء بما يقنمه إن شاء الله.

نصيحتي للفرنسيين بتغيير سياستهم في سورية

قلت أنني قد اضطررت بسبب حادثة طرابلس لأطالة المكث في بيروت واشتغلت بمسألة الوقف بعد أن كنت وكنت من يقوم بذلك، وفي أثناء هذه المدة جئتني بعض معارفهم في بومونيو (مترسيه لوي) وهو بحسن الفرية وكان قد زارني بعض فترات مما ذكره لي أنه يثلمهم عن غلوة عظيم في الهدنة بالمارضة والمقاومة لهم ولكنهم لا يأخذون الكلام على علاته بل يتزؤون ويحقة وزن إلى أن يقفوا على الحليقة. فقلت له إن عندي قاعدة أمهرى تطبق على غيرها وهي أن الرجل من لا يقول قولاً يحتاج إلى إنكاره وأناي أعبدك وعداً مؤكداً بشر في بانك لوسالتي عن كل ما نقل اليكم عنى لصدقك في الاعتراف بالصحيح وإنكار ما عدها لتعلموا مقدار غش جواسيسكم، والا فانني أخبرك اجبالا بسيرتي في البلاد، إنني لست قائماً بدعوة إلى مقاومتكم ولا إلى تأييد أنفسكم ولكنني من رجال الاستقلال ومعارضى السلطة الأجنبية ومشهور بهذا، فأنا أصرح برأيي ومشرى إذا اقتضت الحال ذلك ولا أنتقدكم باكثر مما أنتقد به الأنكليز والشريف حسين والشريف فيصل، وأناي معتقد أن محاولتكم استعمار سورية ليس خيراً لكم ولا لها ولو فرض أنني اعتقدت أن استعماركم لها خير لها لما كنت لي أن أصرح بهذا الاعتقاد الخالف لما يعلم كل الناس من مشربي وثباتي عليه إذ يكون التصريح مظنة ريبية في كونه اعتقاداً عرضياً. قال هذا كلام صحيح

ثم شرحت له رأيي في بيان كون اقتسام سورية والعراق بينهم وبين الأنكليز غير لهم لما سيكون من عاقبته في عداوة العالم الاسلامي لها وكون حبسهم في

هذه القسمة أعظم من سبب حلتناهم بسفر حصتهم. وعسر التصرف في أهلها وما يتوقع من انقلاب النصارى عليهم وقد بدت بوادره ، وإن الخير لهم في حصتهم من سورية أن تكون مستقلة استقلالاً سحياً وجملها صديقة لهم وحينئذ يفتنهم منها باختيار أهلها من غير خسارة فوق ما ينالهم من النفع بسبب السيادة العسكرية فيها ويربحون صداقة الأمة العربية كلها ويؤمنون ضرر عداوتها وجملها آلة الأيدي الانكاري . وذكرت له أنني نصحت للانكليز بمثل هذه النصيحة (١) فمنهم الفرور والطمع والتعصب الديني من الاصفاء . ونخصت له معنى مذكري لرئيس الوزارة البريطانية وقد سبق ذكرها في المنار غير مرة . فأعجبه كلامي واقترح علي أن اكتب مذكرة للجنرال غورو بذلك وهو يترجمها له ليرسلها الى باريس فامتنعت عن الكتابة وقلت له بلغه أنت ذلك

بعد هذا ذهبت الى دمشق إجابة لطلب الامر فيصل ثم عدت الى بيروت في أول باريس سنة ١٩٢٠ لإقناع وجهاء بيروت المنتخبين للمؤتمر السوري بالذهاب الى دمشق لحضور جلسة المؤتمر التاريخية التي تعلن استقلال سورية وفي ٤ مارس جاءني كتاب من (موسيو مرسيه لوي) يقول فيه بعد رسوم الخطاب « إن سمادة الجنرال غورو قد عين لكم ه آذار الساعة ٦ افركي مساء ميماد استقبلكم في السراي » ... وكان هذا الطلب بسبب مخالفته إياه بموضوع حديثنا لا يطلب مني ولا علم لي في الموعد فبلغت أن موسيو مرسيه الذي سترجم بيني وبين الجنرال فذهب الى قنصل أميركة في عمل رسمي أبطأ فيه فانتظارناه متوقمين بحبته في كل دقيقة زهاء ساعة ونيف فلما حضر دخلنا حجرة الجنرال فقلنا آمين سره (السكرتير موسيو روير دو كيه) وبلغنا بمد التحية أن ميماد الجنرال ذهب بيظه (موسيو مرسيه) فهو يعتذر عنه باسمه ويحل محله فيما طلبني لأجله اذا كان لدي سعة في الوقت . قلت ليس لدي مانع من البحث . وانما ذكرت هذه القصة ولم الخص حديثي معه بدونها للاعلام بأن الجنرال فيه كان حريصاً على البحث في هذا الموضوع المهم وهو كون استقلال سورية وحريتها خيراً لفرنسة من استثمارها باسم الانتداب وقد يتعجب كثيرون من من نتيجة ما أقصه من حديثنا وبيرون فيه دليلاً على تقدير السوريين في السمي المقبول لدى الرئيس باسمهم ، وإن رضاعها استقلال سورية يمكن (لها بقية)

(١) النصيح يقابل العشر والخطاع ولا يتضمن استملاء من الناصح

باب المراسلة والمناظرة

انتشار علم السنة ومدرسة الدعوة والارشاد

محلة مسير (عربية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله احمد (بن) احمد سلامة الى حضرة صاحب الفضيلة الامام الوارث
لملوم المرسلين، الباذل جهده في ابلاغ دين الله جيم السالين ولم يدخر وسعا
في السعي وراء تحقيق اصلاح حال المسلمين، السيد محمد رشيد رضا الحسيني
يلفه الله بما يتمناه وتتمناه لهذه الامة المحمدية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وعلى كل من والاك في ذات الله . وبعد فاننا محمد
الله اليكم الذي ايدكم روح منه ووفقكم للقيام بتحرير مزار الدين، حتى بلغ صوت
الحق منه آذان القريين والبيدين، فأحيا الله به هنا وهناك نفوس المستعدين،
وأقام به الحججة على المتخلفين والمارضين، ممن سموا بالعلماء والمتعلمين، ولقد فطن
كثير من اخواننا في هذه الايام الى أن حال الماهد الدينية الحاضرة في هذا
القطر لا تغني اولادهم من التربية الحق شينا، ولا نجددهم نعماء، ان لم تكن ضارة
ومفسدة لاستمدادهم، ومما يشهد لذلك انوار الفطرة الوديع في نفوسهم، فعمدوا من
أجل ذلك الى توليهم بأنفسهم بحفظ مآثور أماديت الاستكام بهد تمام حفظ
القرآن بدلا من مآثور اللغة التي وضعاها المآحرون حتى بلغ أن بعض التلاميذ
من بلدنا الآن يحفظون مآثور الالف حديث من بلوغ المرام وشروحه وبعضهم
يحفظون ضائفة من المآثور لا يخرجون من المآثور الى نبيه أفهامهم وتوجيه أذهانهم
الى ما اودع الله في كتابه من التوحيد وما أقام من الآيات البيئات عليه
وأحكام العبادات وأسرارها المثبتة له في النفوس وقد تبينا بالبحث ان كثيرا
من العلماء في كل مهة قد ولوا دجورهم شعار السنة تاركين التقاليد جانبا بهد
أن علموا - سى - ما قبله بالليل وهم يشكرون من التكموى مما عليه الماهد غير
أن هذا كنهه وان كان مآثورا مآشورا لا يشهد به الا ولا يروي شيئا من الاصلاح
العم الذي سبقت له مهة الدعوة والارشاد من قبل وكاب أول من هذه
الحجة القائمة على مهة الدعوة والارشاد فمما حذرنا من ابراهيم، فطالبتين فأجاب دعورها
هين من الناس مهة الله في كل دعوة الى الحق، وليس تجد لسنة الله تبديلا . غير

أن هؤلاء الطالبين على قلوبهم وقصر مدة شغل المدرسة قد أفادوا الناس فائدة
كبيرة لا يستهان بها فقد سمع نداءهم والحمد لله على اختلاف جهاتهم وتباني
ديارهم جماعات هم الآن متعارفون متزاورون ولقد وعدتم حفظكم الله تعالى
المرّة بعد المرة أو فهم من كلامكم في المنار هذا الوعد باعادة مدرسة الدعوة
والارشاد فكان ما فهمناه من هذا الوعد طمأنينة تقوسنا على مستقبل أولادنا
ولكن طال المهدي على هذا وأيامه من آجالهم وآجالنا فني يا صاحب الفضيلة يكون
يوم تحقيقه؟ ولقد يظن على ظننا أن اهل هذه البلاد ما علموا ولا شعروا
بفائدة هذه المدرسة الا بعد وقوف عملها وتعرف اخبار الثلاثة أو الاربعة
الذين أخرجتهم هذه المدرسة كالاستاذ الشيخ ابي زيد والشيخ عبد الظاهر
وبعد أن عقد الحق صلة بينهم وبين كثير من المستمدين من العلماء والمتعلمين ،
فإن صح رأينا هذا قوي الامل في تنبيه هذا البشروع من فترته ، واقالته من
عثرته ، فنناشدك الله والدين ، والميثاق المأخوذ على المرسلين ، والوارثين ان تقوهوا
انتم ومن تبكم باحسان وتؤذوا في الناس الامراء وغير الامراء ، من اهل الخير
والثراء ، بوجوب احياء هذا المشروع الذي لا غنى للمسلمين في جميع اقطار
الارض عنه ، وإن بقي ذلك لنصر الدين الله وقد وعد الله ووعد الله الخن ينصر
من ينصره ، وإن بقي هذا الجهاد في الله وقد وعد الله الجاعدين فيه ان يهديهم
السبيل وإن يكون معهم ، وإن هذا لا يفاء بمهدته ولقد وعد الله الموفين
بمهدته الا يفاء بمهدتهم ولنا نعلمك بشيء انت تجرله نمود بالله ، او نذكرك بما
غاب عنك نستغفر الله ، وانما هي نفثة المصدر وتروح الحرون لما عليه المساءون ،
وان كان لدى فضيلتكم ما يبشر بتحقيق الامل قريباً فتفضلوا به علينا اتاكم
الله وجزاكم عن المسلمين خير الجزاء ، ويسلم عليكم وعلى من تبكم باحسان تهديكم
العارف لكم حقه الشاعدي فضلكم شيخنا الاستاذ الشيخ سيده مصطفى انتر فاما
٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٩ كاتبه سيديكم الخاس
احمد احمد سلامة

(المنار) محمد بن محمد بن علي توفيق المصطفى لاجلاء علم السنة وحنه الحديث
والتمقه فيه حتى في تفرغ الصغيرة ، وسلم على احياء الكتاب الصغيرة ، واستاذ
المصطفى لا يفاض نور السنة في ذلك الديجور
اما مدرسة الدعوة والارشاد فهي كما قال اخواننا الشائفة افضل الوسائل لكل

اصلاح اسلامي بحسب ما وصل اليه اجتهادنا ووافقنا عليه ارفق من غيره من عقلاء المسلمين واهل الرأي فيهم في الاقطار المختلفة حتى اننا وجدنا بعض كبراء الدولة العثمانية من رجال جميعه الاتحاد وانتمى اليهم معتدلين بما كان يرجى للدولة وللإسلام من هذه المدرسة لو احبوا دعوتنا في تأسيسها في الآستانة وآسفين لعدم التوفيق لذلك

واما إعادة المدرسة فاني عازم عليه سماع له ولو بان استأجر مكانا من مالي واعيد فيه تلك الدروس التي كذت القهبا واكلف بعض الفضلاء من اخواني مساعدتي على ذلك بدروس اخرى ولوليللا، وان اجعل فيها قسما اسمه دار الحديث للمساعدة على حفظ السنة والاستعانة بها على مداية القرآن. أتتبر بذلك الميسرة المرجوة ولست يئأس من إعادة الحكومة المصرية الاعانة للمدرسة من أوقاف المسلمين الخيرية ولا سيما اذا زالت السيطرة الأجنبية عنها او ضعفت ولعلي لو طلبت ذلك في هذه السنة لاجبت ولكني رأيت البلاد كلها في شغل شاغل بفضية البلاد السياسية عن كل شيء ولكل شيء عاجل لا يمدوه وخيمر فاهل الفيرة الاسلامية بعد ذلك فدر هذه المدرسة فيساعدونها من كل قطر ولا سيما الهند ونجد وليس الشيخ عبد الناهر والشيخ محمد ابو زيد الذي كاف اصلاح مدارس جمعية الاصلاح والارشاد في جاوه هما اللذان قد أخرجنا من المدرسة وعنيا بالدعوة الى الاصلاح والارشاد مع اثنين آخرين كما قلتم بل نشر ضلبيها الاصلاح في أقطار مختلفة وقد نشر في الجزء التاسع من المنار ترجمة واحد منهم من اهل جاوه توفي فيها بقلم أخيه وكلاهما من تلاميذها، واني أنشر هنا جملا من مکتوبات بعض طلابها من مسلمي الهند

﴿ كتاب من تلميذین من تلاميذ المدرسة بنصه ﴾

وذلك عقب سفرهما من مصر منذ سنين

استاذنا ومرشدنا السيد الامام حجة الدين ونفر الاسلام حفظه الله بعد أداء واجبات التحية والاحترام وصلنا بحمد الله الى وطننا العزيز ولكننا لم نفرح كل الفرح لاننا من الا-ف لم نوفق لتقبيل يديكم عند مفادرتنا مصر وذلك ليس الا لثم صائب التي أحاطت بنا ذلك الحين وأقلقت بالناس واضطرتنا أن نسافر عن ذلك الحال

وبموصولنا الى الهند بقينا في بلدنا وقد عرفنا أعمالنا على المواضع في الاجتماعات الدينية لنتخرج حيناً من وعناء السفر - وما نحن (أولاه) تلاميذكم الثلاثة قد اجتمعنا لنخرج الى ميدان العمل ونسير على طريقكم المثل التي اقتبسناها من دروسكم ومحاضراتكم الثمينة في مدة قيامنا بـمدرستكم الفراء . وقد شرعنا في ترجمة بعض الكتب والمقالات النافعة ونحن مسمون على أن لا نستغل الا في الاعمال العملية الحرة فأردنا أن تفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية على طريقة العملية (١) ونصدر أيضاً مجلة عربية غير الهندية ... الخ

ولم نأس وصيتكم الاخيرة بجمع الكتب الاثرية القديمة وقد عرضنا هذه الفكرة على المولى عبد الحى مدير مدرسة ندوة العلماء فاستحسنها ووعدهنا بالمساعدة - دتم

الخاصمان

محمد عثمان - عبدالله بخدايار -

﴿ كتاب من تلميذ آخر من تلاميذ المدرسة بنصه ﴾

هو الآن محرر جريدة (بينام) أي البلاغ في كلكتة

استاذي ومرشدي حجة الاسلام فخرا المسلمين السيد الامام متعنا الله بطول بقائكم ؛ بمد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ فاني قد كنت كتبت الى جفاكم العالي كتابين بمد مفادرتي من الحجاز (٢) وامامها وصلا اليكم . ثم سكت طول هذه المدة لانفتحة بل لاسباب لا تخفى على احد ، وكيف ارتكب جرم الغفلة والذهول أو نالم أعقل ولم أعرف شيئاً الا منكم ، قدمت مصر وأنا في غياهب من الجهل فاقبست من نوركم فصرت بصيراً والحمد لله والمنة لكم ؛

واكبر شكر يستطيع التلميذ والمريد أن يشكر به استاذه هو أن يحذو حذوه في الخير ويحبي طريقته وينشر آراءه ويهدي امته بالهداية التي اهتدى بها ، واني يا مولاي ما برحت أسير على هذه الخطاوة منذ فترولي الى الهند فزالتي اكتب المقالات العملية والدينية في اكبر الجرائد الهندية ومجلاتها ، وألقي الخطب في المجالس العامة ، وبحمد الله يكون لها اكبر وقع عند الخاص والعام لان تلك الافكار ، غريبة عنهم ؛ مكبا في مدالمة علم الحديث (٣) وقد قرأت

(١) اوجه أن يقال الطريقة العملية (٢) الصواب حذف من لان غادر كفارق يعمى بنفسه لا بمن (٣) يريد ؛ وما زالت مكبا على مطالعة علم الحديث فمصنف الاسم المفرد على الجملة العملية

الانتقاد على المنار

أطلب في أول جزء من كل مجلد من فراء المنار إتحافنا بما يروونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو بمخالفة المصلحة العامة التي تتوخاها في خدمتنا، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين إلى ما لم نقشره من النقد الشفوي أو غير الموجهة إلى المنار

فنتقول الآن في خاتمة هذا المجلد أننا قد نشرنا كل ما كتب الينا من النقد كالرد على ما نقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والخلود فيها ومنها ولم يهمل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب إليه. وأما النوع الآخر من النقد فليس لدينا منه إلا ما قاله بعض السوريين أو نشره في بعض الجرائد ولم يرسلوه إلى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجليلة في المسألة المربية) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسنها الجماهير في الاقطار الاسلامية المختلفة حتى ان محرر جريدة (بينام) الهندية الاسلامية التي تصدر في (كلكتة) كتب الينا بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها « الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

استقد ساطع بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مطلق على ما جرى لانه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل إلى الجنرال غورو في أثناء المناوئة بينهما في أمر الانذار المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برئاسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا أنهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المخزية ليدفعوا لاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمنعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم قبولنا ما قالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود معلومة لأنحى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا راجون ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيما طلبه من فيصل تأييد حكومة موالية لفرنسة. وقد تناقشنا في المسألتين ودرغبت إليه أن يكتب انتقاده كتابة لا بين حقه من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فاني لا أكتب لغرض ولا هوى بل لبيان الحق وخدمة الامة فاذا ظهر لي ان فيما كتبت ما يخالف ذلك اعترفت به ورجعت الى الصواب الذي أقتنع به . ولكنه لم يكتب

وجوابي عن المسألة الاولى ان الجنرال غورو هو الذي قيد الوصاية في اذاره بما عناه سامطم بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من اذاره

« ٣ - قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يمس حق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتخبها الامة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية ظاهراً من كل عرض استعماري »
وأما المسألة الثانية فالذي أعلمه فيها أن اذار الجنرال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وانما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجنرال يتهم الحكومة بأنها تساعد المصائب التي تناوى الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته مما كتبه اليه فيصل بعد قبول الاذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطالب التي تجددت بعد قبول الاذار وكان سامطم بك المصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان محدوداً من الممادين لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة والدكتور شاهبندز وبعضهم كان موالياً لها كعلاء الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سميد طليح كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة رد بل تم بحقال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على إثر كلام أغضبه مني في الاسكندرية فان خطأً أنني خصمته إهاتته فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منحه من الكلام في بعض المسائل منها قانونياً فنان أنني تصدت التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أظن أنه نسيها لاني وكنت له القول بأن ذلك كان من الأثم ، على أنه من شيمة الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب الى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يجيئه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خطية سرية يبينون فيها رأيهم في اذار الجنرال غورو لان الدعوة بنت ليلا وصباحاً بان لا يكتب اليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليح هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق - وكان من أكثر الاعضاء مودة لي - وأخبرني أنه كان عند الملك وأنه وجدته مستاءة جدا لانه كان منتظرا من أول النهار لإقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بأرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليح إنه ينتظر ذهابك اليه فيحتمل أن تذهب وتسلمه ، فقلت حقا اني بعد اشتغالي برياسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والاحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

واذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظر ك فذهبت اليه فرأيتهم واجما مفروما وسأني ما بال أعضاء المؤتمر قد أخفقوا موعدي ولم يأتوني بأرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظلت منتظرا لهم النهار بطوله ، قلت اني علمت منذ خرجنا من هنا أنهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءم جدا لانه عدوه متضمننا للطعن فيهم بالجن والمداهنة للعامة فيما يبدو في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استحسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكتوا واجبن وانما صفق واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ايقاعهم بها ويتواصلون بعدم الوقوع في شركها . والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سميد بك طليح وأنه لم يذهب اليه

الا وقد كتب اليه ما يجب وهو إجابة الجرال غورو بقبول إنذاره ::

لم يكن ما كتبه الدكتور طليح والذي يستحق أن يعنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشي غيظ الكاتب من التهم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

واني مع ذلك قد رددت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لغرضين أهمهما إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي بهم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب بأمرها - ولذلك نشرت مقالتنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية والوثنية - وثانيهما إعلام من فكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على اني ألخص تلك الدعاوي والاكاذيب فأقول (أولها) إنكار قد
 إنه لم يوجد في الامة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء بجمهون كده
 ويوجدون قواها لخمفد استقلالها كما وجد في الترك مصطفى كمال باشا وأنس
 من كبار القواد والسياسين ودعواه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلالة الم
 تحسين» الخ (ثانيها) افتراؤه على بانني قلت انني أشرت على الملك حسين بأن يحار
 الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه الفرية في الرد على جريدة القبلة من ا
 التامع بمدالد عليها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة بنى عليها إسئف
 تصریح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر
 اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصا
 النفوذ الاعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعز لهم - استنبط هذا بما ذ
 في مسألة المرحوم يوسف المعظمة وجعله حقيقة واقعة لاجل التهم الذي أر
 وقراء المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله «ويقول أيضا أنه هو الذ
 أقنع المؤتمر السوري بأن يقلم عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور» و
 المنار يعلمون أنني لم اقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امت
 أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضح
 هذا في الاهرام ببيان أن بعض اعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والحد
 بمد تلاوة أمر الملك المذكور فلم آذن لاحد منهم وزلت عن كرسي الريا
 تنفيذاً للأمر وعدم جملة موضوعا للمناقشة . وان بعض هؤلاء كلموني
 غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امثال الاسر فأقنعتهم بما ذكرت. وأزيد الا
 أنني لو سمحت لاعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الامر ويلقوا فيه الخ
 لكنت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدوها قبل ذلك اذا
 التوبيخ والسخط على الحكومة والملك فيسل بالتمين حد الاقراط وكان الش
 أشد تهيباً وهو مستمد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر ، واذا لو قمت ثورة داخ
 تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه هو المضيع لاستقلال البلاد

(سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأنني أتيت مرة
 الملك فيصل. وقد أنهم هذا النداء بما يوهم أنه ثناء بالكفاءة والزعامة وإنقاذ الا
 العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان ردا على ثناء الملك على أعضاء المؤ
 باجابتهم دعوته الى أدبه ويرمضان بأنه هو الحسن في الدعوة وفي النكر على قيو

فهو أحق بأن يثنى عليه ولو جل عن شكر التسمية بحسن لأجلناه كما قال ابن الجهم (سابعها) إنكاره ما سماه دعوة للفرنسيس بأن لا يعادوا الأمة العربية في بيت ملك الحجاز : وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كازم وانما بينت لهم خطائم والخطب سهل (ثامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافق على معاهدة سايكس وبيكو . واستدل على رد هذا بدم تصديقه على معاهدة فرساي قال «لتضمنها المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم» وقد رددت عليه في الاصرام ، وقراء المنار يلمون أنني لم أقل من عندي إنه صدق على معاهدة ١٩١٦ وانما رويت روايات فيها عن سمعوا بأذاتهم من السير مارك سايكس ورأوا بأعينهم كتاب جلالة الملك الى نجله الامير فيصل وأملت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لاننا نريد إقفال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والخروج منه

علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليمم القراء أنني لم اكتب قط كتاباً من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من الناس ويؤله وأنا متأم وخجل من مسأته كالذي كتبت في المسألة العربية علماً بأنه يؤلم الملك حسين واولاده لاني عرفت منهم الامير عبد الله أولاً والامير زيندا والامير فالح ففعل خيراً ووالدم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي قولاً ولا فعلاً بل كنت ممجياً أشد الاعجاب بأدبهم المالية وقد اكرم مشواي الكبير في الحجاز وأناني مع من كان ممي من نساء ورجال أحسن الضيافة كما يعلم من تنويهي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار ، واني لا أعلم أن منع المنار بتلك المبالغة الخشنة قد كان بدسية

وكان يسهل علي تلافى ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا ، ولكنني قد سيرت بذلك المنع لاني كنت قد علمت أن الامر بار علي ما يناني مصلحة العرب والاسلام ، وقد كنت صرحت له عند توديمي اياه بحجرتة في الحرم الشريف بأنني لا أعمل الا ما أعتقد أنه لمصاحبة الملة والامة فادمت أعتقد أن الحركة العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي - قلت بعدا بعد أن تلبف كل التلطف في الثناء ووجاه المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرسالة حتى كان من تواضعه ولطفه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في رسالته أنه أعلم منا بكل شيء فنحن نحتاج الى علمه وسمة اختياره باقامته بمصر كل هذه السنين في كل عمل ربه في حكومتنا ... وفصل ذلك تفصيلاً أحسن

وعرفت الامير عبيد الله في الآسنة وكان اول كلامي معه تمرينا شديدا بأمرائنا قابله قبله بفاية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف نواضحه معي اقتداءه بادبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المكاة . طلبت الخلوته به على ضيق الوقت فسمح بها ليلا فكان اول حديثي معه في السياسة بعد بحاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في ثورتهم ومشارها من مبدئها إذ بنيت على الانكال على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا جم الكلمة الى ما كان لها من سوء العاقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات؛ قلت له اني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينهض بهجتكم الى تلافى هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلوته بكم لاقف على خطتكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعدا لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوما لها على ضمني ، ولا أراكم تستكبرون مني كلمة المقاومة لاني لست اميراً فقد قاومت السياسة الحميدية على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي على خشونته الذي أوجبه المصلحة والاحلاس في النصيحة باللطف والثناء والرجاء في التماون والاتفاق، ثم أله علي بالذهاب معه الى الشام لاجل التماون على العمل فوعده بان أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالمؤتمر اول مر يخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة المربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة المربية قولا ثم كتابة فاستحسن جد الاستعداد وواعد بان يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن ينفوذ الى أخذ المال والتحفيل كنت أقدر على استدرار تلك الكف الواكفة كالسحاب بغير حساب ؛ ولا تفرقة بين المستحق وغيره من العفاة والطلاب ، واذ كان يعلم اني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحنال لتقديم هدية يخلق له مناسبة فأله علي بأن أستأجر دارا لان تناول الاقامة في الفندق غير لائق وقال صرارا عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت دارا واستحضرت لها فرشنا من بلد (مرايوس الشام) بعد أن بلغته بنفسي وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختلفنا غير مرة في المسائل السورية حتى تفاضنا وكاز

كل منا سريع الانفعال نلبث أن نعود الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان
يفضلي فيها ويفضل اكثر الناس أدبا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الاخير
الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تعطيل المؤتمر ، على اني لما علمت أن الفر ليس آذ نوره
بوجوب الخروج من دمشق لم أر بدأ من توديعه وقد أعرض عنه المتعلقون
فكنت آخر من ودعه ليلا على قلتهم ، وأفضل ما أذكره له من ولاء بعد جفائه أنه
كاشفتي بكل ما في نفسه وما ينويه من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا
لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سواك ولا لآخي زيد ؛
أفليست هذه الثقة منه يجب أن أعدها له ان لم يعدها أو غيرها هو علي ؟ بلى
ولاجلها لقبته وكررت الزيارة اذ جاء مصر مائداً من أوروبا راجيا أن استفيد
نياً منه ، وأتوصل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمع نبأ يبعث الارتياح
في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطلبني الى المراق للعمل معه ، ولو كنت
أعمل لمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت مجازاة الملك فيصل في ظل
بريطانية المظلي أو سم أبوابها لدي هناك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق
إنه يمدني حجر الزاوية في كل ما يتنى من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني
أعتقد أنه لن يستطيع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلا لها ،
ولدي من العلم الذي استفدته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد
من آله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبس خفية على أحد

وجملة القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك
الكبير على شمه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولاً أو كتابة
يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب
منفعة شخصية ، وعلى الخدمة للامة معهم لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون
خليقا بالجلل الطبيعي من الطمن بخطتهم وسبرهم ؟ بلى والله وان كان بعض
مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي يرتكب في سبيلها
كل صعب ، ويستسهل كل خطب ، وما أنا بأمن على نفسي من الضرر ، الذي
لا أعد منه ما كان من طمن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، عند
العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة المراق التي يفتري بها الاغرار ،
ويستغلها عبدة الدينار ، لا اعتقادي انه واجب علي شرعا ووضعية . وقد ظهر
ان لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكن ذلك خزيا وعارا على
جميع العرب ، ونموذ بالله من سوء المنقلب

خاتمة المجلد الثاني والعشرين

باسم الله وبمحمده أختتم المجلد الثاني والعشرين من المنار كما افتتحته باسمه وبمحمده فهو به وله منه واليه ، ولا حول ولا قوة الا به

بفضله تعالى أعدنا اجزاء المنار الى حجمها السابق الذي انتقصت منه رزايا الحرب وطبعناه على ورق اقوى والناظف واغلى من ورقه الاول فنمنه يزيد على الثمن الذي كان قبل الحرب خمسة اضعاف وتوسمنا في مباحثه ومثاله ، هملنا كل ما أقدرنا الله تعالى عليه فمسيه الله أن يوفق سبحانه قراءه الى أن يقوموا بما يجب عليهم من اداء حقه فلا يزال الكثيرون من اهل الوفاء منهم يرجئون دفع القيمة الى انتهاء السنة واستيفاء أجزاء كل مجلد كاملة ولا يزال الكثيرون من غيرهم مدينين باشتراك عدة سنين ، يلوون ويمطلون ، وهم أغنياء واجدون ، ويندر أن يوجد فيهم من يستبيع هذا الجرم ، ويستحل أن يصدق عليه قول الرسول (ص) «مطل الغني نالم» (متفق عليه) ولكنهم غافلون حتى عن أنفسهم ، فلا يفكرون في نفقات الممل من أين تأتي اذا كان جميع المشتركين أو اكثرهم منهم ، ولا يرضون لانفسهم أن يكون غيرهم خيراً منهم ، ولا يحاسبونها على ما يوجبون له من الحق الصراح ، ولا سيما اذا كان صاحبه مهملأ ومقصرأ في اداء حقه ، لان الامور السايبة قلما يحاسب نفسه ، عاجها في الامم المريضة الا في الامم السليمة ، والافراد من الفضلاء ، وأما الدعاة فقلما يفكرون في جنائياتهم الممثلة من افعالهم باساليبهم وامتهم ، أو يقطنون الى سوء عواقبها فيها وفيهم ، واذا ذكر احد من رجعت اليه الائمة بادر الى تبرئة نفسه ، وتحويل الائمة الى غيره ، فلا ينيه اللوم والتذكير منه الا غريزة الدماغ عن النفس ، والمحافظة على كرامتها بما يسبق الى نفسه بادي الرأي ، وقد يقضي بما يقول عليها ، وهو يجب أنه قد قضى لها بآرائها ، وما هي الا الغفلة عن النفس تصل الى درجة السهو والنسيان ، كما أرتدنا الى ذلك القرآن ، فقد قال في قوم (نسوا الله فأنساهم انفسهم) ووصف قوماً بأنهم (في غمرة ساهون)

لا يبالي المليم ما يدفع به اللوم اكان حقاً ام باطلا ولا يقول ما يقول دائماً عن اعتقاد وقد يقول كلمة حق يريد بها باطلاً أو لا يريد بها الا مقابلة اللوم بمثله كمن يمتدح عن تأخير اداء الحق الذي عليه للصحيفة بتأخير بعض الاجزاء

عنه ، ويقال فيمن يعتذرون مثل هذا الاعتذار من قصد جعل الأرجاء أو ترك الوفاء عقاباً على تأخير بعض الأجزاء أو الأعداد والأصل في الاشتراك أن تدفع القيمة كل سنة سلفاً للاستعانة بها على العمل فيكون باذلاً مشاركاً لصاحبها فيه فإن لم يفعل المشتركون ذلك وعد مدير العمل مسيئاً بتأخير إصدار الصحيفة فإساءته تكون متأخرة عن إساءة مرجيء الدفع - لفا بل تكون معلولة لها في الأكثر ، وإذا كان كل مشترك لا يدفع إلا بعد استيفاء أجزاء السنة كلها في موافقتها وكان إصدار الأجزاء في موافقتها أو مطلقاً متوقفاً على دفع القيمة قبله لأجل النفقة تكون المسألة من قبيل ما يسمى في اصطلاح المنطق بالدور فيقال لو لا تأخير المشتركين لقيمة الاشتراك لما تأخر صدور شيء من أجزاء المجلة ولولا تأخير أجزاء المجلة لما تأخر المشتركون عن أداء القيمة - اننا - اننا -

والحق إن الأرجاء والتسويق لا يكون من جميع المشتركين في الصحف وإن من المرجئين من يرجى كسلاً ونهاوناً في الوفاء ، ومنهم من يرجى لأن أداء الحق ثقيل على طبيعته وليس له من باعث الدين ولا التربية على الوفاء والنظام في المبيعة ما يرجع على البخل وهضم الحقوق ، ومنهم المعسر الذي ينتظر الميسرة ، ومنهم الحريص الذي يخشى أن يعجز صاحب المجلة أو الجريدة الاستمرار على إصدارها ، وأكثر الناس في هذه البلاد وأمثالها لا يشقون بأكثر ما يتجدد من الصحف لكثرة ما يصدر منها أياماً وأسابيع أو أشهراً قليلة ثم ينقطع وتضيع قيمة الاشتراك التي دفعت لأصحابها سلفاً ولكن قلما يشك أحد في النفقة بثبات الصحف التي طال أمصارها وصبرت على لأواء الزمان ولا سيما لأواء هذه الحرب إلا أن كل من أنصف من نفسه وأعطى التفكير في المسألة حقه يظهر له الحق فيها ويجتهد في المسارعة إلى دفع قيمة الاشتراك في الصحيفة التي ارتضاها سلفاً فإن لم يكن ففي أثناء السنة ؛ وأنه يظلم صاحبها بالتأخير إلى نهاية السنة . فكيف بمن يرجى ، اشتراك سنتين فأكثر وصاحب الصحيفة يظل يرسلها إليه نفقة به وحسن ظن فيه ؟ وجملة القول إن الناس في هذه المسألة كما قال تعالى في الذين أوردوا الكتاب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفوز الكبير) وكل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه

مسألة (الخلافة الإسلامية) لأحد أركان النهضة الإسلامية في الهند صدرها
المولى (أبو الكلام محمد الدين آزاد) صاحب مجلة (الهلال) العلمية الاصلية
وجريدة بيقام - أي البلاغ - السياسية في (كلكتة) الذي قد كني
الكلام بالالهام فانه من أفصح أهل المصر كلاما وأقدرهم على الخطابة والكتابة
وهو يجيد فهم اللغة العربية بحيث إنه أعاد الخطاب الذي اختتمت به مؤتمر ندوة
العلماء في (لكهنؤ) بطريق الخطابة باللغة الاوردية في جلسة خاصة عقدت لأجل
ذلك وكانت خطبتي ارنجالية استغرق إلقاؤها زهاء ساعتين ، وقد سمعت ممن
يفهم اللغتين أنه لم يفرط في أداء معانيها من شيء

وهذا البحث في الخلافة يؤلف كتابا جليلا ذا أبواب وفصول تاريخية
وشرعية واجتماعية وميانية تهم جميع المسلمين وجميع الذين يعنون بمعرفة تاريخهم
الديني والسياسي ، ومن مباحثه الفرق بين خلافة النبوة الراشدة وما بعدها من خلافة
الملك وأحكامها واحوال المسلمين فيها ومسائل الجماعة وما ورد في ثرونها وفي
النهي عن التفرق ... واسباب ضعف المسلمين وطاعة الخليفة والتزام الجماعة وتفسير
أولي الامر وأحكام الجهاد والهجرة وشروط الامامة والخلافة في حال الاختيار
وحال التغلب وكون الخليفة لا يتمدد والتعارض والترجيح بين طاعة الخليفة
وبين وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالته ، ومن أمم مباحثه
خلافة آل عثمان وغير ذلك مما لم يصل إلينا بعد . وسنعلق على بعض المسائل حواشي
مختصرة أيضا أو استندراكا أو انتقادا وتترك للقراء الحكم فيه

ولدينا أيضا (كتاب من الخرافات الى الحقيقة) وهو كتاب إصلاحية عظيم
كما علم من مقدمته وأبوابه التي نشرناها في هذا الجزء ، وسنعلق عليه بما ذكرنا آنفا
- وبلي ذلك رحلتنا الاوردية - فهذا أوسع ما لدينا الآن من الريادة في
المواد على المهورد إجمالا من أبواب المجلة كالتفسير والفناوى وغيرها أو تفصيلا
كفصول بحث القياس في اللغة العربية والرحلة السورية ووراء ذلك ما يتجدد
من المقالات والرسائل في أثناء السنة

ونسأله تعالى أن يقر أعيننا بحياة أمتنا ويوفقها الى تغيير ما بأنفسها من
أفكار فاسدة وخرافات كاسدة وأخلاق سيئة ، ليغير ما بها من ذلة ومهانة ، وضعف
واستكانة ، وان يجعلنا فيها وفي سائر العالم من الهدنة الناصحين ، والصالحين
المصلحين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين